

T

رواية

إيرين مورجنتيرن

تجربة في عالم الخيال

ERIN MORGENSTERN



STARLESS SEA

عالم الخيال

عشيرة
الكتب

رواية

إيرين مورجينسترن

ترجمة: ولاء سمير تميم



بحر يسبحهم

إهداء لـ..
من يسعون للعلواء
بهمة كبر البكر
سينالون النجوم

● ترجمة: ولاء سمير تميم

● مراجعة وتحريرو: أحمد إبراهيم إسماعيل

● تدقيق لغوي: نرمن عباد

● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

● الطبعة الأولى: فبراير 2022م

● رقم الإيداع: 2021/22136م

● الترقيم الدولي: 0-48-6902-977-978

● العنوان الأصلي: The Starless Sea

● العنوان العربي: بحر بلا نجوم

● طبع بواسطة: Doubleday

● طبع بواسطة: دابداي

● حقوق النشر: 2019، مؤسسة إيرين

مورجينسترن

Copyright 2019 by E. Morgenstern LLC

● حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

رواية

ايرين مورجينسترن

ترجمة: ولاء سمير تميم

بحر في نجوم



T telegram @tea_sugar

الكتاب الأول

أحزان عذبة

T telegram @tea_sugar

داخل قبو، ذات مرة، قبع قرصان!

والقرصان هنا كناية عن شخص ما، ولكنه قائم بحد ذاته، ويمكننا اعتبار القبو المذكور زنزانة.

جننا على ذكر القرصان هنا لعدة تفاصيل تتعلق بطبيعتها بحقيقة القرصنة؛ تلك التي تتخذ طابعًا إجراميًا يستحق العقاب على القيام بها من قبل أولئك الذين ليسوا قراصنة ويقومون بتقرير مثل هذه الأشياء.

تطوّحت بعض الكلمات في الأرجاء، مع اقتراح أحدهم بوجود إلقاء المفتاح بعيدًا، لكنّ المفتاح مسجون في حلقة معدنية باهتة في خطّاف معلق على جدار جوار المكان. قريب بما يكفي ليرى من خلف القضبان، الحرية... قريبة المرأى بعيدة المنال؛ لتذكير السجين دائمًا أنه هنا.

لا أحد يأتي على ذكر ذلك الآن، بأنّ المفتاح بقرب القضبان، أو بقدرة الذات على طيّ النسيان، فقد اقتصر ترتيب كل شيء هنا على ما تصوغه العادات وتألّفه الراحة.

يجلس حارس القبو على كرسي بجانب الباب ويقرأ بعضًا من سلسلة أعمال عن الجريمة مكتوبة على ورقة فتنتها الزمن، متمنيًا في سره أن يخلق نسخة خيالية مثالية من نفسه. ومتسائلًا في الوقت ذاته عمّا إذا كان الفرق بين القراصنة واللصوص مسألة قوارب وقبعات وحسب. بعد فترة استبدال بهذا الحارس القديم حارس آخر.

ليس بمقدور القرصان أن يدرك الزمن بدقة؛ حيث إنّ القبو—أو الزنزانة—لا يحوي ساعةً لتحديد الوقت، وصوت الأمواج المتدرجة على الشاطئ خلف

الجدران الحجرية يبتلع أصوات الفجر ويكتم أجراس بشائر الصبح وبهجة المساء.

هذا الحارس أقصر من سابقه ولا باع له بالقراءة، يتمنى ألا يكون أحدًا سوى نفسه ويفتقر للخيال لاستحضار ما يمكنه من تعديل أو تغيير هذا الغرور حتى إنه لا يملك ما ورائية التفكير التي تتيح له التعاطف مع الرجل الكامن وراء القضبان وهو الروح الوحيدة في الغرفة، ما عدا الفئران الموجودة في المكان. كما أنه يعير اهتمامًا مدروسًا وكبيرًا لحذائه حينما يكون مستيقظًا رغم أنه عادةً ما يكون نائمًا!

بعد قرابة ثلاث ساعات من استبدال الحارس القارئ بذلك الأقصر قامه، تدخل فتاة إلى المكان وتحضر طبقًا فيه خبز ووعاء من الماء وتضعهما خارج زنزانة القرصان ويدها ترتعشان لدرجة أن نصف الماء قد انسكب من الوعاء، لتستدير بعدها وتعدو ركضًا على السلام.

في الليلة الثانية، يخمن القرصان بأن الليل قد حلّ، يلتحم بالقضبان ويحدّق إلى ما حوله. بينما الفتاة توقع الخبز أرضًا، حتى إنه يكاد يكون بعيدًا عن متناول القرصان، إضافةً إلى سكبها وعاء الماء بالكامل تقريبًا.

في الليلة الثالثة، يبقى القرصان جالسًا في ركن الزاوية الخلفية المظلمة محاولًا قدر استطاعته الاحتفاظ بمعظم المياه التي بحوزته، وفي الليلة الرابعة تأتي فتاة جديدة، هذه الفتاة لا توقظ الحارس، تلمس قدمها الحجرية برفق وأي صوت قد يصدر عنها يبتلعه تلاطم الأمواج أو صرير الفئران، تحدّق هذه الفتاة إلى الظلال التي بالكاد يظهر من خلالها القرصان، تتنهد تنهيدة خفيفة تشوبها الحسرة، تضع الخبز والوعاء بجانب القضبان، وتنتظر قليلًا مع استمرار توارى القرصان بعيدًا في الظل. بعد عدة دقائق من الصمت يتخللها شخير الحارس، تستدير الفتاة وتغادر المكان، وعندما يسترد القرصان وجبته يجد أن الماء قد مزج بالنيبيذ.

في الليلة التالية وهي الليلة الخامسة، ينتظر القرصان بجوار القضبان حتى تنزل الفتاة على رؤوس أصابع قدميها لتتوقف عن الخطو لفترة وجيزة... عندما ترى تحديق القرصان إليها؛ فتحدّق إليه بدورها.

يمد يده ليأخذ منها وعاء الماء وطبق الخبز لكن الفتاة تضعهما على الأرض بدلًا من إعطائهما له وتكاد عيناها لا تفرطان في النظر إلى مقلتيه

ضمن حدود مسافة تعادل مسافة السماح لحاشية ثوبها بالانجراف إلى متناول يده. كانت جريئة وخجولة في الوقت ذاته.

توحي له بتلميح ناتج عن انحناءة وتعود لتنتصب واقفة على قدميها مع إيحاء خفيفة برأسها، هذه الحركة أعادت إلى ذهنه ذكرى البدء برقصة ما، حتى القرصان على دراية بالخطوات الأولى للرقص.

في الليلة التالية، بقي القرصان على مسافة بعيدة من القضبان، مسافة رفيعة يمكن القضاء عليها بخطوة واحدة، اقتربت الفتاة حينها منه حتى يكاد يسمع نفسها. ليلة أخرى... ولا يزال الرقص مستمرًا، خطوة إلى الأمام وخطوة إلى الخلف وحركة جانبية بعدها، وفي الليلة التالية مدّ القرصان يديه خارج القضبان ليتلقف ما تقدمه الفتاة عادةً، وفي هذه المرة استجاب له عندما مسّت أطراف أصابعه يدها من الخلف.

تتوانى الفتاة برحيلها مع كل ليلة لتطيل البقاء، وإذا ما وصل الحارس للحظة الاستيقاظ المبالغته فإنها تغادر بلمح البصر دون أن تنتظر خلفها.

أحضرت الفتاة معها كوبين من الخمر وشرباهما معًا في جوّ أطبق عليه الصمت اللطيف. توقف الحارس عن الشخير وكان نومه عميقًا مشبعًا بالراحة. ساور الشكّ القرصان بأن يكون للفتاة علاقة بذلك فهي ليست جريئة وخجولة فقط بل وذكية أيضًا.

في بعض الليالي، تجلب الفتاة معها أشياء غير الخبز كالبرتقال، والخوخ، وتخبئ في جيوب ثوبها أيضًا قطعًا من الزنجبيل المغطس بالسكر ملفوفة في أوراق خطلت عليها بعض الحكايات. وفي ليالٍ أخرى كانت تمكث حتى اللحظات الأخيرة قبيل تغيير نوبة الحراس.

بدأ الحارس النهاري نوبته تاركًا سلسلة الجريمة الخاصة به بالقرب من جدران الزنزانة، ليبدو ما قام به محض صدفة. ليأتي بعده الحارس الأقصر قامه ويأخذ نوبة الحراسة الليلية. بدا وكأنه يرغب بقول شيء ما ولكنه لم ينبس ببنت شفة. جلس على كرسيه وغطّ في نوم يشوبه القلق. ينتظر القرصان قدوم الفتاة، وتأتي خاوية الوفاض.

الليلة... إنها الليلة الأخيرة التي تسبق ليلة تنفيذ حكم الإعدام شنقًا. المشنقة أيضًا كناية عن شيء ما وإن أتى ذكرها وضوحًا.

علم القرصان أنه ما من ليلة أخرى، ولن يكون هناك تغيير آخر للحارس بعد هذه الليلة. تعرف الفتاة عدد الساعات بدقّة. لم يتحدثوا عنها. لم يسبق أن فعلوا وتحدثوا.

يلفّ القرصان خصلّة من شعر الفتاة بين حنايا أصابعه، تميل الفتاة إلى القضبان، ويلتصق خدّها بالحديد البارد، كانت قريبة بالقدر الذي هي بعيدة به، كانت قريبة بالقدر الكافي لتقبيله.

قالت له: اقصص عليّ حكاية!

يذعن لها القرصان... ويبدأ بالسرد.

هنالك دروب ثلاثة... هذا أحدها

على عمق سحيق تحت سطح الأرض، مخفية عن الشمس والقمر على شواطئ بحر بلا نجوم، توجد مجموعة من الأنفاق على شكل متاهة إضافة إلى غرف ملائنة بالقصص، قصص خُطت ضمن كتب عديدة، خُتمت على الجرار ورسمت على الجدران.

قصائد منقوشة على الجلد وعلى بتلات الأزهار، حكايا وضعت على بلاط الأرضيات، أجزاء من حبكتها تآكلت بسبب مرور الأقدام عليها جيئةً وذهاباً.

شخصيات أسطورية نحتت من الكريستال تتدلى من الثريات المعلقة في السقف، قصص مفهّسة اعتنى بها ببالغ الاهتمام وبحرص فائق وشديد، القصص القديمة تصان ويحتفظ بها بينما تلوح في الأفق حكايات جديدة.

المكان هنا كبير، مترامي الأطراف لكنه حميميّ، من الصعب معرفة أبعاده وقياس سعته الحقيقية، تتفرع القاعات بداخله إلى غرف عديدة وأروقة عريضة، وتلتفّ السلالم صعوداً ونزولاً إلى التجاويف والأقبية، والأبواب تعد ولا تحصى ففي كل ركن باب يقود إلى عالم جديد وأسرار جديدة بانتظار من يكتشفها، أمّا الكتب فهي تملأ أعطاف وحنايا المكان.

هنا... ملاذ لمن يعشقون سرد القصص ومن يدخرونها ومن يحبّون سماعها، يأكلون ويخلدون إلى النوم حالمين بالأحداث والحكايات التاريخية والأساطير.

بعض الأشخاص يمكنون لساعات أو أيام، قبل العودة إلى العالم في الأعلى وقد يبقى آخرون لأسابيع أو حتى سنوات، يعيشون في حجرات خاصة أو مشتركة ويقضون أوقاتهم بالقراءة أو الدراسة أو الكتابة، يتناقشون ويتشاركون الإبداع مع زملائهم الذين يقيمون معهم أو يعملون وحدهم بمعزل عن الآخرين وثلة قليلة من بين أولئك الذين اختاروا البقاء، كرسوا أنفسهم لهذا الفضاء الخاص، للمعبد المملوء بالقصص.

* * *

هنالك دروب ثلاثة... هذا أحدها

هذا هو درب مساعدي الكاهن، الراغبين في اختيار هذا الدرب يجب أن يقضوا دورة قمرية كاملة في عزلة تأملية قبل أن يعلنوا التزامهم.

الفكرة السائدة هي أنّ الصمت هو طقس التأمل، لكن بالنسبة إلى أولئك الذين يتيحون لأنفسهم أن تغلق عليهم غرفة حجرية نائية، مدركين أنّ لا أحد يستطيع سماعهم؛ فهؤلاء يمكنهم التحدث أو الصراخ أو الصياح دون أي انتهاك للقواعد. التأمل قرين الصمت المطلق فقط إلى أولئك الذين لم يدخلوا الغرفة قط.

حالما ينتهي التأمل تكون الفرصة سانحة لهم للتخلي عن الدرب الذي سلكوه، أن يختاروا درباً أو حتى أن يكونوا بلا مسار واضح أصلاً.

أما أولئك الذين قضوا أوقاتهم في أجواء يسودها الصمت، فإنهم غالباً ما يختارون التخلي عن كلّ من الدرب وحيّز المكان المحيط بهم، يعودون إلى السطح ويمعنون النظر في الشمس، وفي بعض الأحيان يتذكرون العالم في الأسفل، ذلك الذي اعتادوا تكريس أنفسهم له، لكن الذاكرة التي يمتلكونها الآن ضبابية بعض الشيء كبقعة مشوشة بداخل حلم.

في غالب الأحيان يكون أولئك الذين يصرخون ويبكون وينوحون، أولئك الذين يتحدثون إلى أنفسهم لساعات هم المستعدون لأن يتم الدفع بهم في المقدمة عندما يحين وقت الطقوس.

الليلة، عند اكتمال القمر، وبينما الباب غير موصد، تظهر امرأة شابة قضت معظم حياتها بالغناء، إنها خجولة، وليس من عاداتها القيام بمثل هذا الأمر، لكن -وخلال عيشتها الأولى من رحلة التأمل الخاصة بها- أدركت بالصدفة أنّ لا أحد سيتأني له سماعها.

ضحكت المرأة في سرّها، ضحكت على نفسها تارةً، وتارةً على غرابة ما قامت به من سجنها لنفسها طواعيةً في واحدة من أفخم الحجرات مع سريرها الوثير وملاءاتها الحريرية، دوت ضحكاتها في الأرجاء ليرتدّ صداها كتموجات الماء على وجه بحيرة، مما دفع الفتاة لتضع يديها على فمها محاولةً كتم قهقهتها وهي تترقب قدوم شخص ما، لكن لا أحد أتى، محاولةً قدر استطاعتها أن تتذكر ما إذا كان أيّ شخص قد أخبرها بوضوح عن ضرورة ألا تصدر أيّ صوت. قالت:

- مرحبًا!

وفقط وحده وقع الصدى من ردّ على تحيتها.

استغرق الأمر منها بضعة أيام قبل أن تأتيها الشجاعة وتحرك ما بداخلها لتغني، لم يسبق لها أن أحبّت صوتها وهي تغني من قبل مطلقًا، لكنها في العزلة التي تعيش بها بعيدة عن كلّ إحراج يائسة من كلّ توقّع، شرعت بالغناء وبدأ صوتها يصدح في المكان بكلّ هدوء ببادئ الأمر، ليصبح بعدها جهورًا ببراعة وجرأة، وكان وقع ارتداد الصوت الذي أعاده الصدى لها مبهجًا بشكل مدهش.

دندنت كل ما تعرفه من أغنيات، واختلقت غيرها الكثير، في اللحظات التي لم تسعفها ذاكرتها لتذكر كلمات لتغنيها، ابتكرت لغات تمتمت بها الكلمات ومزجتها مع بضعة أصوات وجدتها ممتعةً بعض الشيء، وتفاجأت كيف مرّ الوقت بلمح البصر.

في هذه اللحظة... فتح الباب الموصل، ودخل المساعد ممسكًا حلقةً من المفاتيح النحاسية باسطًا راحة يده الأخرى بدائرة معدنية صغيرة منقوش عليها نحلة باتجاه الفتاة.

إنّ الحصول على هذه القطعة المعدنية مع نقش النحلة هو الخطوة التالية لتصبح بعدها مساعدًا، هذه هي فرصتها الأخيرة للرفض والتراجع.

تأخذ المغنية النحلة المعدنية من كفّ المساعد لينحني هو بدوره مشيرًا إليها بأن تتبعه، وتلمس الشابة التي تشرع بأن تصبح مساعدةً، تلك القطعة المعدنية الدافئة وهم يسرون عبر أنفاق ضيقة مضاءة بالشموع تتوزع رفوف الكتب على جوانبها، كانت تشاهد في طريقها الكهوف مفتوحةً، مكدسةً

بالكتب مزدانةً بالتماثيل وممتلئة بالطاولات ومقاعد الجلوس المتناثرة هنا وهناك.

مرزت الفتاة - في أثناء سيرها مع المساعد - يديها برفق على ثعلب محنط وقد جرت العادة أن يصنع بطريقة تجعل فروه ناعم الملمس بين أذنيه كأنه حقيقي.

خلال مرورهما، رمقهما رجل كبير السن يتصفح مجلدًا بنظرة سريعة خاطفة، وبعد التعرف عليهما حرك إصبعين نحو فمه تعبيرًا عن دهشته وانحنى للفتاة، ينحني لها وليس للمساعد الذي تتبعه كلفتة للتعبير عن الاحترام والتقدير لمنصب لم تشغله بعد.

أحنت الفتاة رأسها لتخفي ابتسامتها التي لم تستطع كتمانها، لتستمر هي والمساعد بعدها في نزول السلالم المطعمة بالذهب وعبور الأنفاق المنحنية التي لم تعبرها من قبل، كانت تتباطأ في المشي لتسترق النظر للوحات المعلقة بين رفوف الكتب وصور الأشجار والأشباح والفتيات.

توقف المساعد عند باب موسم بنحلة ذهبية، واختار مفتاحًا من الحلقة المعدنية التي بحوزته، همّ بفتح الباب، ثم دخلا الغرفة؛ حيث بداية الطقوس. إنها مراسيم سرية بعض الشيء، والتفاصيل معروفة فقط لأولئك الذين يخضعون لها ويؤدونها بذات الطريقة المتبعة دائمًا وفقًا للعرف الذي أتبعه من كان قبلهم.

في اللحظة التي يفتح فيها الباب ويتجاوز عتبه تتخلى المساعدة عن اسمها، وأيًا كان ما يطلق عليها سابقًا فإنها لن تخاطب به بعد اليوم، إذ أصبح جزءًا من ماضيها فقط، قد تحظى باسم جديد مجددًا ذات يوم، لكن وفي هذه اللحظة تحديدًا فإنها بلا اسم.

الغرفة التي دخلتها الفتاة غرفة صغيرة ومستديرة بسقف مرتفع، وهي نسخة مصغرة من حجرة التأمل الخاصة بها وتحتوي على كرسي خشبي بسيط بجانب واحد وعمود حجرّي يصل ارتفاعه حدّ خصرها، ويعلوه إناء من النار وهو مصدر الضوء الوحيد في الغرفة.

يوميّ المساعد الأكبر للمرأة الشابة بحركة تشير لها بأن تجلس على الكرسي، وهي بدورها تنفذ ما طلب منها لتتمركز بمواجهة النار، كان تراقص السنة اللهب أمامها آخر ما رآته قبل أن تعصب عينها بقطعة قماشية من

الحرير الأسود لتستمر الطقوس من حولها. تؤخذ النحلة المعدنية من يدها، ويعمّ السكوت للحظة متبوعاً بصوت خشخشة أدوات معدنية، ثمّ تشعر بإصبع تضغط بقوة على نقطة معينة من عظام صدرها، يتلاشى الضغط ليتبعه ألم حاد لاذع وحاد وتدرّك أنّ النحلة المعدنية تمّ إحماؤها على النار وطبعت بشكلها المجنح على صدرها.

هذا الأمر برمّته كان مفاجئاً لها، فقدت على إثره صوابها، لقد حضّرت نفسها لما تعرفه عن بقية الطقوس، لكنّ هذا التفصيل المبالغت كان غير متوقع، وتذكرت أنها لم تر صدرًا عاريًا لكاهن ما من قبل. لقد كانت متأهبة لكل شيء قبل لحظات فقط، لكنها الآن مهزوزة وغير متأكدة مما ستفعله ومع ذلك لم تنبس بكلمة «لا»، ولم تطلب منهم التوقف. لقد اتخذت قرارها، رغم أنها لم تكن تعلم ما هو الآتي وماذا سيترتب من تبعات على هذا القرار. وفي لحظة سكون زادها الظلام رهبة، تحرّكت أصابع وفتحت شفتيها المغلقتين، واضعة قطرة عسل على لسانها، لجعلها تتأكد أنّ المذاق الأخير سيكون حلو الطعم.

في حقيقة الأمر، إنّ المذاق الأخير الذي يتسرب في حنايا فم المساعد هو أبعد من العسل، إنها حلاوة تجتاح الدم وتسري في أقصى الزوايا وفي اللحم المحترق، وإذا ما كان المساعد قادرًا على وصفه بعد ذلك، فقد يقول إنّ المذاق الأخير الذي يختبرونه هو مزيج من العسل والدخان أيّ أنه ليس حلوًا تمامًا، ويتذكرونه في كل مرة يطفئون فيها اللهب المتطاير من رأس شمعة النحلة.

يتذكرون تفانيهم الذي لا يستطيعون البوح به أو التحدث عنه، يتنازلون عن ألسنتهم وما تحتها من كلمات عن طيب خاطر، يهبون أصواتهم وقدرتهم على التحدث في سبيل خدمة أصوات الآخرين بشكل أفضل، وقد أخذوا عهدًا غير معلن على أنفسهم بعدم رواية قصصهم الخاصة تقديسًا لتلك التي جاءت من قبلهم وتبجيلًا لـ (ما سيأتي من بعدهم).

في خضم هذا الألم المشوب بالعسل تفكر الشابة الجالسة على الكرسي الخشبي بالصراخ، لكنها تستمر في صمتها، يمكن للفتاة رؤية الأشكال من خلال اللهب رغم أن عينيها معصوبتان بقطعة الحرير وتظهر النار في الظلام وكأنها ستبتلع الغرفة بأكملها.

ترفرف النحلة على صدرها، وبمجرد أن يحرق لسانها ويتحول إلى رماد ويكتم صوتها معه، وتكتمل طقوس إخضاعها، وجعلها مساعدًا رسميًا تعود الحياة إلى أذنيها؛ حيث ستبدأ القصص بالتكشف.

تضليل الرؤيا

الصبي، ابن العزّاف، بلغ عمرًا جعل الشك يساوره إذا ما كانت هذه البنوة شيئًا يدعو للافتخار به، أو تفصيلًا يجب البوح به ولكنه مع ذلك أمر لا مفر منه.

يسير الصبي إلى المنزل من المدرسة باتجاه شقة تقع فوق متجر ممتلئ بالكرات الكريستالية وبطاقات التارو والبخور وتمائيل الآلهة برؤوس حيوانية، والميرمية المجففة التي تعشش رائحتها في كل شيء من ملاءات سريره إلى أربطة حذائه.

اليوم، وكما يفعل الصبي في كل يوم دراسي، أخذ طريقًا مختصرًا عبر زقاق ملتف خلف المتجر، ممر ضيق بين الجدران الحجرية الطويلة التي غالبًا ما تكون مغطاة بالكتابات التي تمحى ويعاد رسمها دومًا من جديد. اليوم أيضًا وبدلًا من رسوم وإشارات مبتكرة ودون أحرف تشكل شتائم ما، كان هنالك قطعة واحدة فنية وهي ألوان على شكل قطع طوب بيضاء.

إنه باب، يتوقف الصبي هنا، يشد على عينيه ويضبط نظراته للتركيز بشكل أفضل، للتأكد أنّ ما يراه حقيقي، إذ إن نظره يخذله في بعض الأحيان، تشتت الضبابية حول الحافات، لكنّ ما يراه لا يزال بابًا، وهو أكبر وأشدّ روعة كما أنه مثير للإعجاب أكثر مما ظنه للوهلة الأولى، إنه غير متأكد مما يجب عليه فعله، فإنّ هذا التناقض يتطلب منه انتباهًا.

يقع هذا الباب في زاوية بعيدة من الزقاق، في قسم ظليل مخفي عن أشعة الشمس لكنّ ألوان الرسوم لا تزال زاهية، فبعض الأصباغ معدنية وهي بالغة الدقة أكثر من جميع الرسومات التي كان الصبي قد شاهدها سابقًا، رسمت بأسلوب فرنسيّ رائع يدل على شيء ما، يعبر عن أسلوب من أساليب الخدع البصرية، غير أنه لا يتأنى له أن يتذكر اسمه الآن.

سطح الباب ليس مطلقًا، منقوش بأشكال هندسية منقطة بشكل حاد ملتوية على الحافات مما يخلق عمقًا موحدًا. في المركز، في المكان المفترض

لتقّب الباب اعوجاج منمق بخطوط تتطابق مع بقية النقوش المرسومة، توجد نحلة وتحت النحلة يوجد مفتاح تحته سيف.

ويبدو للعيان أن مقبض الباب ثلاثي الأبعاد وذهبي على الرغم من قلة الضوء. رسم ثقب المفتاح تحته، ويبدو داكناً كأنه فراغ في انتظار مفتاح بدلاً من كونه مجرد بضع ضربات من الطلاء الأسود. الباب غريب وجميل، أكبر من قدرة الولد على وصفه بما يناسبه، حتى إنه لا يعرف ما إذا كانت هنالك كلمات تصلح لذلك أو حتى بضعة تعابير فرنسية فارهة.

في مكان ما في الشارع، ينبح كلب على مرأى بعيد من الولد، لا يستطيع رؤيته ولكن من صوت نباحه يبدو أنه بعيد، تتحرك الشمس خلف سحابة ويبدو الزقاق أطول وأعمق وأكثر سواداً، لكنّ الباب نفسه أكثر لمعاناً. كحركة أوليّة يمد الصبي يده ليلمس الباب.

الجزء القابع بداخله الذي لا يزال يؤمن بالسحر يتوقع أن يكون المقبض دافئاً على الرغم من برودة الهواء، يتوقع أن هذه الصورة التي كونها في عقله قد غيرت لبنة الباب تغييراً أساسياً. قلبه ينبض أسرع لا يتناسب مع حركة يده التي تنزلق ببطء، ذلك أن جزءاً ما بداخله يفكر بذلك الجزء الآخر الطفولي منه والذي يستعد لخيبة الأمل.

تلمس أطراف أصابعه الباب تحت السيف المنقوش عليه وتتحرك لتستقر على طلاء بلملمس ناعم يغطي هيكل الباب البارد، تباين بسيط بالسطح العلوي للباب يفضح ما وراءه.

إنه مجرد جدار، مجرد جدار عليه صورة جميلة، ولكنّ إحساساً لا يفارق الصبي ويجذبه بقوة بأنّ الباب هو أكثر من مجرد باب عادي.

يضغط بكتفه على هيكل الباب الملون لفتحه، شكل الخشب المزيف الذي يغطي الباب أقرب بدرجة أو أكثر إلى لون بشرة الصبي كما لو أنه صنع بطريقة لتطابق لونه.

خلف هذا الباب يوجد عالم آخر، لا غرفة وراءه، إنما شيء أبعد من ذلك وهذا شيء تأتي للصبي معرفته، يستطيع الإحساس بذلك من خلال أصابع قدميه، وهذا ما تدعوه والدته: «بهذوء ما قبل العاصفة، لحظة ذات معنى، لحظة ستغيّر كلّ ما يأتي بعدها».

ابن العراف فقط يعرف أنّ هذا الباب يبدو ذا أهمية لا يستطيع أن يشرح مداها، حتى لنفسه لا يستطيع شرح ذلك. لا يستطيع الصبي في بداية القصة معرفة أنها قد بدأت للتو، تلمّس الخطوط المرسومة لمكان المفتاح بأطراف أصابعه، وتعبّج من هيئة المفتاح الثلاثية الأبعاد مثل السيف والنحلة ومقبض الباب. ثم تساءل الفتى في سره: «عمّن رسمها وماذا تعني، إن كانت تعني أي شيء وإذا لم يكن الباب يعني أي شيء فإنّ الرموز على الأقل قد ترمز لشيء ما، أو إذا ما كان كل هذا علامة على شيء ما، وليس مجرد باب أو مدخل أو قد يكون الشئيين في الوقت ذاته».

في هذه اللحظة المصيرية، إذا أدار الصبي المقبض الملون وفتح الباب الغامض، كل شيء سيتغير، لكنه بدلاً من ذلك أدخل يديه في جيبه. جزء من ذاته قرر أنّ هذا تصرف صبياني، وأنه أوعى من أن يتوقع أن تكون الحياة الحقيقية مثل الكتب. جزء آخر منه قرر أنه إذا لم يحاول، فلا يمكن أن يصاب بخيبة أمل ويمكنه الاستمرار في تصديق ذلك. يقف ويداه في جيبه ويفكر في الباب للحظة قبل أن يعود أدراجه.

في اليوم التالي، سيطر عليه فضوله وعاد ليجد أن الباب قد طلي، بيّض جدار القرميد لدرجة أنه لا يستطيع تمييز مكان الباب على وجه التحديد. إنّ ابن العراف الآن أضلّ طريقه إلى ذلك المكان، إلى «بحر بلا نجوم».

يناير 2015

كتاب على رفّ بمكتبة الجامعة، هذا ليس بالأمر غير المألوف أو غير الطبيعي، لكنّ مكان هذا الكتاب تحديداً ليس هنا. الكتاب موضوع عن طريق الخطأ على الرفوف في قسم أدب الخيال، على الرغم من أن معظمه متطابق مع محتوى المكان الذي وضع فيه والباقي منه صحيح بما فيه الكفاية ليوضع هنا!

لا يمرّ الناس على قسم أدب الخيال في هذه المكتبة كثيرًا مثل الأقسام الأخرى، وإضاءته خافتة بعض الشيء كما أنّ الغبار يتكدّس عليه. تبرّع بهذا بالكتاب فيما مضى، وهو جزء من مجموعة تركت للجامعة أيام تولي المالك السابق وفقاً لرغبة ووصية صاحبها وأضيفت هذه الكتب إلى المكتبة، وصنفت بواسطة نظام ديوي العشري، وأعطى كلّ منها ملصقات بها رموز

شريطية داخل أغلفتها حتى يتسنى مسحها ضوئياً في قسم التحقق من الكتب، وإرسالها في اتجاهات وأقسام مختلفة.

مسح هذا الكتاب الغامض ضوئياً مرة واحدة فقط لإضافته إلى ملف الفهرس الخاص بالمكتبة، لا يوجد اسم مؤلف مسمّى بين طيّات صفحاته، لذلك أدخل في النظام تحت اسم «مجهول» وهو تحت حرف «م» بين مجموعات الكتب الأخرى.

في بعض الأحيان يحرك من مكانه والنظر إليه والعبث بأوراقه ويعاد إلى مكانه مرة ثانية. تصدّع غلافه عدة مرات وكان الأستاذ قد أطلع على الصفحات القليلة الأولى منه ونوى العودة إليه ولكنه نسي هذا الأمر لاحقاً.

لا أحد قد قرأ هذا الكتاب بالكامل من قبل، حتى من قبل أن يكون في هذه المكتبة، البعض وبمن فيهم الأستاذ الذي نسي، قد فكروا تفكيراً عابراً، أن هذا الكتاب لا ينتمي إلى هنا. ربما يجب أن يكون في المجموعة الخاصة السرية، وهي غرفة تتطلب من الطلاب الحصول على إذن كتابي للزيارة؛ حيث يحوم أمناء المكتبات في أثناء نظرهم في الكتب النادرة ولا يسمح لأي شخص بفحص أي شيء. لا توجد رموز شريطية على تلك الكتب ويحتاج الكثير منهم إلى قفازات للتعامل معه. لكن هذا الكتاب لا يزال في المجموعة العادية في الحيز المرثي للجميع.

غلاف الكتاب عبارة عن قطعة قماش من نوع البورجوندي، عتيقة جداً وقد تقدمت في العمر وبهتت من اللون الأخاذ اللافت إلى العادي جداً. احتوى الغلاف فيما مضى أحرفاً مطبوعة لكنها تآكلت بمرور الوقت واندثرت هويتها لتتحول إلى ما يشبه الخدوش. زاوية الكتاب العلوية مثنية بحدة بفعل التمدد؛ حيث رقد فوقها حجم ثقيل فيما مضى ضمن صندوق في غرفة التخزين بين عامي 1984 و1993.

اليوم هو بداية شهر يناير (كانون الثاني) أو ما يشير إليه الطلاب بالفصل «ي» عادةً في هذا الوقت لا تكون الفصول قد بدأت بالفعل بعد، ولكن يمهد لها في الحرم الجامعي، كما تجري انتخابات وندوات بقيادة الطلاب وبروفات في الوحدة المسرحية، وهو ما يعرف بإحماء ما بعد العطلة قبل أن تبدأ الإجراءات المعتادة مرة أخرى.

يتجول زاكري إزرا رولينز في الحرم الجامعي، يتجه للقراءة شاعراً بالذنب إلى حد ما حيال هذه الحقيقة؛ حيث يجب أن يقضي ساعات الشتاء الثمينة

في لعب وإعادة تشغيل وتحليل ألعاب الفيديو استعدادًا لأطروحته، وقضى الكثير من الوقت أمام الشاشات لدرجة أنه يشعر بأنه يتوجب عليه ترك مقل عينيه مصلوبةً على الورق.

يذكر نفسه دومًا بأن هناك الكثير من التداخل في الموضوع، التداخل بين ألعاب الفيديو وأي شيء تقريبًا، فهو يفترض أن قراءة رواية تشبه لعب لعبة؛ حيث اتخذت جميع الخيارات لك مسبقًا من قبل شخص أفضل بكثير في هذه اللعبة تحديدًا. على الرغم من رغبته أحيانًا في اختيار روايات مغامرات بطريقته الخاصة.

كان رولينز يقرأ ويعيد قراءة عدد كبير من كتب الأطفال كذلك، لأن القصص تبدو أكثر شبهًا بالحكايا الحاملة، على الرغم من أنه قلق بشكل طفيف من أن هذا قد يكون أحد أعراض أزمة مقتبل العمر الوشيكة. يتوقع في قرارة نفسه أن تظهر أزمة مقتبل العمر هذه كالساعة المنتظرة في عيد ميلاده الخامس والعشرين، الذي لم يتبق عليه سوى شهرين.

اعتبره أمناء المكتبات متخصصًا في الأدب حتى إنَّ واحدًا منهم فتح معه نقاشًا، وشعر بأنه مضطر إلى الاعتراف بأنه في الواقع واحد من هؤلاء الأشخاص المتخصصين في دراسات الأدبيات الناشئة، وفاته هنا تبخر هويته السرية بمجرد اقتحامها، مظهر لم يدرك أنه كان يستمتع بارتدائه.

يفترض أنه يشبه شخصًا من الذين يظهرون في القصص البوليسية مع نظارات بإطار مربع وسترة محبوكة الأزرار. لا يزال زاكري غير قادر على التكيف تمامًا مع فصول الشتاء في نيو إنجلاند، ولا سيما فصول الشتاء المتماهية مع الثلج الذي لا ينقطع. يحمي جسده الجنوبي بطبقات ثقيلة من الصوف ملفوفة بأوشحة وترمس معدني مملوء بالكاكاو الساخن المشوب أحيانًا بكحول البوربون.

لا يزال هناك أسبوعان على نهاية يناير، وقد استنفذ زاكري معظم قائمة القراءة من كلاسيكيات الطفولة، على الأقل تلك الموجودة في مجموعة المكتبة لذلك انتقل إلى الكتب التي كان لها معنى آخر للقراءة، واختار كتبًا بشكل عشوائي بعد اختبار الصفحات القليلة الأولى. وأصبح من طقوسه الصباحية جعل اختياراته في الكتاب تحرك الساكن في أكوام مكتبته الهادئة ثم يعود إلى مسكنه للقراءة.

في الفناء المضاء بالخارج، يهز زاكري الثلج عن حذائه على البساط عند المدخل ويضع كتاب الحارس في حقل الشوفان وظل الريح في صندوق الإرجاع، متسائلاً عما إذا كان قد فات الأوان ليقرر -وهو في منتصف السنة الثانية من برنامج درجة الماجستير- أن هذا هو التخصص الذي يرغب به.

ثم يذكر نفسه أنه يحب ما يقوم به وأنه قضى خمس سنوات ونصفاً في دراسة الألعاب، ومن المحتمل أنه قد سئم منه الآن، وإن تخصص القراءة هو ما يريده. لا أوراق تردّ له، لا امتحانات، لا تحليل، فقط القراءة.

لا يثير الدهشة أن قسم أدب الخيال، المكون من طابقين أسفل الردهة التي تصطف عليها مطبوعات للحرم الجامعي شبه فارغة؛ حيث يتردد وقع خطى زاكري وهو يمشي بين الأكوام.

هذا الجزء من المبنى أقدم من غيره، على النقيض من الفناء المشرق عند المدخل، الأسقف منخفضة والكتب مكدسة على طول الطريق، والضوء متناثر بطريقة غير متناسقة في المستطيلات المحصورة الخافتة، خارج من المصابيح التي تميل إلى الاحتراق بغض النظر عن عدد مرات تغييرها.

وفكر الشاب بينه وبين نفسه أنه إن امتلك المال الكافي بعد تخرجه، فإنه قد يقدم تبرعاً بسيطاً للغاية لإصلاح الأسلاك الكهربائية في هذا الجزء من المكتبة، ليطلع هنا (تم الإصلاح بواسطة ز. رولينز عام 2015) أهلاً وسهلاً بكم.

يبحث زاكري عن القسم الذي يبدأ بحرف «و»، بعد أن أصبح مفتوناً به مؤخراً بسبب الكاتبة (سارة ووترز)، وعلى الرغم من أن الكتالوج أدرج عدة عناوين، فإن كتاب الغريب الصغير هو الوحيد الموجود على الرف. ويبحث زاكري مجدداً عما يعتقد أنها كتب غامضة أو عناوين لم يتم التعرف عليها مسبقاً، أو مؤلفين لم يسمع بهم أحد من قبل، يبحث عن أعمدة فارغة ليقف عليها، يسحب زاكري قطعة على هيئة كتاب مغطاة بقماش بلون النبيذ، كل من خلفية الكتاب والغلاف فارغان، يفتح زاكري الكتاب ويقلب الصفحة متجهاً إلى العنوان الرئيسي.

قلب الصفحة ليرى ما إذا كان هناك سرد حول المؤلف، لكنه وجده ينتقل مباشرة إلى النص. ثم أطلع على ظهره، ولكن كذلك لا وجود لكلمات أو ملاحظات خاصة بالمؤلف كذلك، فقط ملصق شريطي مرفق بالغطاء الخلفي. عاد إلى البداية ووجد أنه ما من حقوق ملكية أو توقيت طباعة أو تواريخ ولا حتى أي معلومات حول أعداد النسخ المطبوعة.

من الواضح أنّ هذا الكتاب قديم جداً، ولا يعرف زاكري الكثير عن تاريخ النشر أو تجليد الكتب، وإن كانت هذه المعلومات ممكنة رغم أنها غير مدرجة في كتب معينة.

وجد زاكري أنّ عدم وجود اسم المؤلف على هذا الكتاب أمر محير، وقال في قرارة نفسه أنه ربما اختفت إحدى الصفحات أو أخطأ أحد ما في طباعتها. قلب النص ولاحظ أن هناك صفحات مفقودة، هوامش فارغة وحافات ممزقة في جميع زوايا الكتاب على الرغم من عدم وجود أي دليل على أنه يجب أن تكون المقدمة هنا أو هناك.

قرأ زاكري الصفحة الأولى ثمّ التي تليها، أومض المصباح فوق رأسه واهتز ليبهت لونه وهو المصباح الذي يضيء قسم «م - ي»، أغلق زاكري الكتاب على مضض ووضعه فوق كتاب الغريب الصغير، ثم وضع كلا الكتابين بشكل آمن تحت ذراعه وعاد لضوء الفناء اللامع.

قابل زاكري أمينة المكتبة في مكتب الاستقبال مع شعرها ذي الحجم الكبير ملفوف على شكل كعكة دائرية بقلم حبر جاف، الذي يبدو صعب التسريح، تقوم بمسح الكتاب ضوئياً، فيظهر أمر خاطئ، تخاطبه:

- أعتقد أنّ هذا الكتاب يحتوي على رمز خاطئ.

تنقر على لوحة مفاتيحها وتحقق إلى الشاشة وتقول: هل تعرف ما هذا؟ وتسلم الكتاب إلى أمين المكتبة الآخر الموجود على المكتب، وهو شاب متوسط الحجم يرتدي سترة خضراء لمّاعة، يقلب الصفحات الأولى عابساً ويقول:

- همم، لا يوجد مؤلف، أين وضع على الرف؟

أجابه زاكري:

- في قسم الرواية، في مكان ما من قسم «س، و».

توجه أمين المكتبة صاحب السترة الخضراء إلى زميلته وقال لها:

- تحققي من الكتاب تحت اسم مجهول، ربما.

أعاد لها الكتاب وحول انتباهه لشخص آخر. تنقر أمينة المكتبة على لوحة المفاتيح مرة أخرى وتهز رأسها وتقول لزاكري:

- ما زلت غير قادرة على إيجادها، إنه أمر غريب.

يهمهم زاكري:

- هل هي مشكلة؟!

ويتمنى في قرارة نفسه أن تسمح له بأخذ الكتاب، فشعور غريب يستحوذ عليه ناحية هذا الكتاب تحديداً، ويتمنى أن يمتلكه. تجيبه أمينة المكتبة:

- لا مشكلة، سأضع ملاحظة في ملفك حول استعارة هذا الكتاب.

تكتب شيئاً ما في الكمبيوتر وتمسح الرمز الشريطي مرة أخرى، تدفع الكتاب المجهول وكتاب الغريب الصغير عبر المكتب نحوه مع بطاقة الطالب الخاصة به. وتقول ممزحةً:

- قراءة سعيدة!

وتعود إلى كتابها الذي كانت تقرأه قبل أن يقاطعها زاكري. كانت تقرأ شيئاً ما من كتابات (رايموند تشاندلر)، لكنه لم يستطع رؤية العنوان. يبدو أمعاء المكتبات دائماً أكثر حماساً ووداً خلال الفصل الدراسي الأول؛ حيث يمكنهم قضاء المزيد من الوقت مع الكتب وقضاء وقت أقل مع الطلاب المربكين لهم وأعضاء هيئة التدريس الغاضبين.

في أثناء مشيه المتأنّي إلى مسكنه، كان تفكير زاكري منصباً على ذلك الكتاب، يتوق إلى مواصلة القراءة، ويتساءل في قرارة نفسه لماذا لم يكن مدرجاً في نظام المكتبة؟

واجه زاكري مشكلات بسيطة مع مثل هذه الأشياء من قبل، بعد الاطلاع على عدد كبير من الكتب. في بعض الأحيان، لم يتمكن الماسح الضوئي من قراءة الباركود (الرمز) ولكن بعد ذلك يمكن لأمين المكتبة كتابة الرقم يدوياً. تساءل في أثناء مشيه كيف تمكنوا في الوقت الذي سبق الماسح الضوئي، من مواجهة الأمر ببطاقات في كتالوجات وأشرطة صغيرة مع توافيق في ظهر

الكتب. وقال لنفسه سيكون من الجيد التوقيع باسمه بدلاً من أن يكون رقمًا في النظام!

مسكن زاكري عبارة عن مبنى من الطوب محشور وسط أبنية متداعية ضمن مجموعة من مساكن الخريجين مغطاة بنبات اللبلاب الميت ومغلقة بالثلوج. صعد أدراج السلم العديدة إلى غرفته في الطابق الرابع، تلك المنغلقة على نفسها في دهاليز المبنى، بجدران مائلة ونوافذ كبيرة. لقد غطى معظم غرفته بالبطانيات، ولديه مدفأة كهربائية صغيرة لتقيه برد الشتاء القارس.

المفروشات التي تملأ غرفته والمرسلة من والدته تكسو الجدران وتجعل الغرفة أكثر راحة وحميمية، مكتنزة برائحة الميرمية العسوية على الزوال مهما كان عدد مرات غسله للملاءات.

يسميتها طالبة ماجستير الفنون الجميلة المجاورون له كهفًا، على الرغم من أنها تشبه إلى حد كبير الوكر؛ حيث إنها ملآنة بملصقات (مارغريت) وأربعة أنظمة ألعاب مختلفة.

جهاز التلفاز الخاص به ذو الشاشة المسطحة يجعلك تشعر وكأنه يحدّق إليك عبر الحائط، أسود ويشبه المرأة كما أنه يجب رمي قماش ما فوقه! وضع زاكري كتبه على مكتبه وحذائه ومعطفه في الخزانة، قبل أن يتوجه إلى المطبخ الصغير ليصنع كوب كاكاو، ويقف في انتظار الغلاية الكهربائية، وتمنى في سره لو أنه أحضر معه الكتاب الملون بلون النبيذ، لكنه حاول أن يبدو متكبرًا قليلًا كما لو أنّ أمر الكتاب لا يهمه، محاولة ليبدو أكثر هدوءًا وصبرًا، ولكنه غير متأكد تمامًا من ذلك.

مرة أخرى في وكره، في غرفته الصغيرة مع كوب الكاكاو، استقر زاكري على كرسي مغطى بكيس من القماش ورثه من طالب مبتدئ في العام السابق. لون إضاءة مصباح النيون في الغرفة يتوهج بالأخضر عادةً في حالته الطبيعية، لكن زاكري غطّاه بقطعة قماش ثقيلة جدًا لا يمكن تعليقها على الحائط، تنتج عنها ظلال جميلة ما بين البني والرمادي والبنفسجي.

وجّه المدفأة الصغيرة نحو ساقه وفتح كتاب «أحزان عذبة» مرة أخرى، وتحديدًا إلى الصفحة التي تقطعت به السبل لقراءتها تحت مصباح المكتبة غير الموثوق به وبدأ في القراءة.

بعد بضع صفحات، تتغير القصة، ولا يستطيع زاكري معرفة ما إذا كان هذا الكتاب رواية أو مجموعة قصة قصيرة أو ربما قصة داخل قصة. تساءل عما إذا كان سيعود إلى الجزء السابق. ثم تتغير الحكاية مرة أخرى.

بدأت يداً زاكري إزرا رولينز ترتجف، لأنه في حين أن الجزء الأول من الكتاب عبارة عن جزء رومانسي إلى حد ما عن قرصان، يتضمن الجزء الثاني حقلاً وطقوساً مع مساعد في مكتبة غريبة تحت الأرض، أما الجزء الثالث فهو شيء آخر تمامًا.

الجزء الثالث عنه! الولد ابن العراف.

صدفة كما اعتقد للوهلة الأولى، لكنه واصل قراءة التفاصيل، التفاصيل مثالية جداً لتكون خيالية! قد تتخلل الميرمية أربطة حذاء العديد من أبناء العرافين لكنه يشك في أنهم سلكوا أيضًا طرقًا مختصرة عبر الأزقة خلال عودتهم إلى المنزل من المدرسة.

عندما وصل إلى الجزء المتعلق بالباب وضع الكتاب جانبًا، شعر بخفة في الرأس. وقف، قلقًا من أنه قد يفقد وعيه وذهب ليفتح النافذة، وبدلاً من ذلك ركل بقدمه كوب الكاكاو المنسي جانبًا.

تلقائيًا، سار زاكري إلى المطبخ الصغير، أحضر بعض المناديل الورقية ومسح الكاكاو وعاد للتخلص من المناديل المتسخة، شطف قده في المغسلة. وشاهد في قعر الكوب قصاصة لم يكن على دراية بها من قبل، ثم تردد صوت صدى ضحكات بعيدة وجوفاء في أعلى الدرج.

عاد زاكري إلى غرفته وجلس بمواجهة الكتاب مرة أخرى، محدقًا إليه ومرتكزًا بلا مبالاة على كرسي القماش، أغلق بابه، وهو أمر نادرًا ما يفعله. التقط الكتاب وفحصه بدقة أكبر من ذي قبل. الزاوية العلوية للغطاء مثنية، وبدأت قطعة القماش التي تغطيه في الاهتراء. بقع صغيرة مذهبة على طول الخط النصف للكتاب، أخذ زاكري نفسًا عميقًا وفتح الكتاب مرة أخرى. التفت إلى الصفحة التي توقف عندها وأجبر نفسه على قراءة الكلمات، وكما هي تتكشف بالضبط بالطريقة التي يتوقعها. تملأ ذاكرته التفاصيل التي تركتها الصفحة: الطريقة التي وصل بها اللون الأبيض إلى منتصف الجدار ثم تحول الطوب إلى اللون الأحمر.

مرة أخرى، حاويات القمامة في الطرف الآخر من الزقاق، وزن الكتاب المدرسي، حقيبة الظهر المحشوة على كتفه. لقد تذكر ذلك اليوم ألف مرة ولكن هذه المرة مختلفة!

هذه المرة تسترشد ذاكرته وتقاد بالكلمات الموجودة على الصفحة وهي واضحة ونابضة بالحياة. كما لو أن اللحظة حدثت للتو ولم يمر عليها أكثر من عقد من الزمان. يمكنه تخيل الباب بشكل مثالي؛ دقة الطلاء، وتأثير فن الترمبلاوي الذي لم يستطع تسميته في ذلك الوقت. النحلة مع الخطوط الذهبية الدقيقة، السيف في وضعه المستقيم نحو المفتاح.

لكن مع استمرار زاكري في القراءة، ميّز أن المكتوب على الورق أكثر مما تحتويه الذاكرة.

كان يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك شعور أكثر غرابة من التعثر في قراءة كتاب ما يروي حادثة قديمة من حياته لم تنقل إلى أي شخص، ولم يتم التحدث عنها أو تدوينها ومع ذلك يتكشف كل شيء في الكلام المكتوب، ويكتشف أنه كان مخطئاً حيال ذلك.

من الغريب أن تؤكد هذه الرواية الشكوك التي طال أمدها أنه في تلك اللحظة، في ذلك الزقاق المواجه لذلك الباب، منح شيئاً غير عادي وترك الفرصة تفلت من أصابعه.

الشاب في بداية القصة لم يكن يدري أن القصة بدأت للتوّ. وصل زاكري إلى نهاية الصفحة وقلبها متوقفاً أن تستمر قصته لكنها لم تستمر. تحول السرد بالكامل مرة أخرى، لشيء عن بيت دمي. قلب بقية الكتاب، ومسح الصفحات ليرى إشارة إلى ابن العراف أو أبواب مطلية ولكنه لا يجد شيئاً!

يعود ويعيد قراءة الصفحات عن الصبي، عنه هو نفسه! عن المكان الذي لم يجده خلف الباب، عن ماذا من المفترض أن يكون ذلك المكان المسمى «بحر بلا نجوم!».

توقفت يده عن الاهتزاز لكنه أصيب بدوار وأحس جسده ساخنًا، يتذكر الآن أنه لم يفتح النافذة قط لكنه لا يستطيع مع ذلك التوقف عن القراءة. يدفع نظارته إلى أنفه حتى يتمكن من التركيز بشكل أفضل. كل شيء عصي على الفهم بالنسبة إليه! ليس فقط كيف يمكن لشخص ما التقاط وكتابة تفاصيل

المشهد بمثل هذه الدقة، ولكن كيف حدث ذلك هنا في كتاب يبدو أكبر منه بكثير.

يفرك الورق بين أصابعه يبدو ثقيلًا وخشنًا، أصفر مائلًا للبنّي حول الحافات. هل يمكن أن يتنبأ به أحد، حتى برباط حذائه؟ هل هذا يعني أن الباقي من الكتاب يمكن أن يكون صحيحًا؟

هل يوجد في مكان ما أتباع دون ألسن غير قادرين على الكلام في مكتبة جوفية تحت الأرض؟ لا يبدو ذلك عادلاً! هو الشخص الحقيقي الوحيد في مجموعة من الشخصيات الخيالية، على الرغم من أنه يفترض أن القراصنة والفتاة يمكن أن يكونا حقيقيين. لا تزال الفكرة سخيفة لدرجة أنه يضحك من نفسه.

تساءل إذا كان يفقد عقله! ثم قرر أنه إذا كان لا يزال قادرًا على التساؤل عن ذلك، فمن المحتمل أنه ليس كذلك، وهذا بالتحديد أمر غير مطمئن، ينظر إلى الأسفل إلى الكلمتين الأخيرتين على الصفحة ليس بعد!

تسبح هاتان الكلمتان مع ألف سؤال يغمره وعقله يمانع كل ذلك! ثم يطفو أحد هذه الأسئلة على سطح أفكاره، مدفوعًا بفكرة النحل المتكررة والباب الذي يتذكره. هل هذا الكتاب من ذلك المكان؟ يتفقد الكتاب مرة أخرى، ويتوقف عند الرمز الشريطي الملصق على الغطاء الخلفي.

نظر عندها زاكري من قرب ورأى أن الملصق يحجب شيئًا مكتوبًا أو مطبوعًا هناك. لاحظ ظهور بقعة من الحبر الأسود من ملف الجزء السفلي من الملصق، أحسّ نفسه يشعر بالذنب إلى حد ما بشأن العبث بها، وكان الرمز هنا ناقصًا!

على أي حال، من المحتمل أن يستبدل هذا الرمز، وليس لديه أي نية لإعادة الكتاب، ليس الآن على الأقل.

يقشر الملصق ببطء وبعناية، مجتهدًا في إزالته كقطعة واحدة ليضمن عدم تمزق الورقة الموجودة تحته. يخرجها بسهولة ويلصقه على حافة مكتبه قبل الرجوع إلى ما هو مكتوب تحته. لا توجد كلمات، فقط سلسلة من الرموز ختمت أو كانت بالأصل منقوشة على الغلاف الخلفي، باهتة وملطخة ولكن يسهل التعرف عليها. نقطة الحبر المكشوفة هي ذراع السيف، فوقها مفتاح وفوق المفتاح يوجد نحلة.

زاكري إزرا رولينز يحدق الآن إلى النسخة المصغرة لنفسه! الرموز التي فُكر فيها ذات مرة في زقاق خلف متجر والدته وتساءل كيف! بالضبط! من المفترض أن يواصل قصة لم يكن يعرف أنه موجود فيها!

حياة مختلفة

البداية كانت كمنزل للدمى، موطن مصغر مبني بعناية من الخشب والصمغ والطلاء. صمم بدقة لإعادة إنشائه لاحقًا في المستقبل كمسكن بالحجم الكامل وبمستوى أرقى من حيث التفاصيل. عندما بنى للمرة الأولى كان ممنوحًا له، وكان الأطفال يلعبون به مما ستوضح لاحقًا الأحداث اليومية في مبالغت بسيطة.

في المنزل الصغير يوجد دمي، مكونة من عائلة؛ أم وأب وابن وابنة وكلب صغير. يرتدون بدلات من القماش الرقيق والفساتين، يغطي الكلب شعر حقيقي، كما يوجد بداخل المنزل مطبخ وغرفة معيشة وغرفة لاستقبال الضيوف بالإضافة إلى غرفة نوم وسلالم وعلية.

كل غرفة من الغرف ملآنة بالأثاث ومصممة مع لوحات مصغرة ومزهريات صغيرة تملؤها الورود، كما أنّ ورق الحائط مطبوع عليه أنماط معقدة. يمكن إزالة الكتب الصغيرة من الرفوف الموجودة بداخل المنزل، وللمنزل سقف به ألواح خشبية لا يزيد حجم الواحد منها على ظفر الإصبع.

أبواب المنزل تحوي ترابيس بالإمكان غلقها وفتحها ولكلّ باب قفل ومفتاح. يفتح المنزل بقفل ومفتاح لكن غالبية الأبواب تبقى مغلقة.

الحياة داخل منزل الدمى مرثية فقط من خلال النوافذ، وتموضع بيت الدمى هذا بداخل غرفة على شاطئ البحر، «بحر بلا نجوم».

تاريخه مفقود ومغيّب، الأطفال الذين لعبوا به ذات مرة كبروا ورحلوا عن هنا، حكاية غابت في طيّ النسيان في غرفة مغمورة في مكان غامض، كما أنه ليس لافتًا للنظر.

اللافت هو ما تطور وتغيّر من حوله، ماذا يعني أن يكون هنالك منزل وحيد ومنعزل في مكان ما، منزل لا يحيط به شيء، لا يوجد فيه فناء للكلب ليلعب به، لا يوجد مقابله أو جانبه جار شكّاء دائم التذمر، لا يوجد بجانبه

شارع يحاوطه جيران أبدًا! دون أشجار تحيط به أو أحصنة أو أي متاجر، من دون ميناء وقوارب ومدينة أخرى ترى أطرافها في المدى عبر البحر.

كلّ هذا قد تراكم من حوله، لقد أصبح العالم الذي اخترعه أحد الأطفال عالمًا آخر، عالمًا آخر غريبًا، وهكذا دواليك حتى يصبح هذا المكان عالم الجميع. عالم منمق وممدد بالمعدن والورق والغراء ومع العديد من الأمتعة والأشياء والطين بني المزيد من المنازل. أضيف المزيد من الدمى مع أكوام من الكتب مرتبة حسب اللون لتشكل مجتمعةً منظرًا طبيعيًا. وطيور ورقية مطوية يدويًا فوق الجسر مع مناطيد الهواء التي تتدلى من الأعلى.

هنالك جبال وقرى ومدن وقلاع وتنانين وصالات رقص عائمة، مزارع بها حظائر وأغنام ذات صوف رقيق.

وتوقيت عمل محدد لساعة متموضعة فوق البرج تحافظ على الوقت عينه، ويوجد متنزه به بحيرة وبط وشاطئ فيه منارة. يتدفق العالم ويغلي من حول الغرفة وهناك ممرات للزوار للمشى للوصول إلى الزوايا. يوجد مخطط لما كان ذات يوم مكتبًا أسفل المباني، وتوجد رفوف على الجدران هي الآن بلدان بعيدة عبر المحيط مع موجات ورقية زرقاء متموجة بعناية.

البداية كانت كمنزل الدمى. بمرور الوقت، أصبح الأمر أكثر من ذلك، مدينة الدمى، عالم الدمى، الكون كله دمية! ويتسع باستمرار.

يشعر كل من يجد هذه الغرفة تقريبًا بأنه مضطر إلى الإضافة إليها، مضطرون لترك محتويات جيوبهم لتكون فيما بعد جدارًا، أو شجرة أو معبدًا. قمع حياكة قد يصبح سلة مهملات وأعواد ثقاب تستخدم لتصبح سياجًا، الأزرار الضائعة تتحول إلى عجلات أو تفاح أو نجوم.

يضيفون منازل مصنوعة من الكتب التالفة أو العواصف المطيرة التي تلمّ الزجاج، قد ينقلون شخصًا أو معلمًا ما من مكانه، يصطحبون الأغنام الصغيرة من مرعى إلى آخر ويعيدون تموضع أماكن الجبال.

يلعب بعض الزوار في الغرفة لساعات، ويخلقون قصصًا وروايات، ينظرون من حولهم، ويضبطون وقفة شجرة أو بابًا ملتويًا، ويغادرون، أو يركون ببساطة البط حول البحيرة وهم راضون عن ذلك.

أي شخص يدخل الغرفة يؤثر فيها، يترك انطباعًا ما حتى لو كان غير مقصود. وغالبًا ما يسبب فتح الباب سحب الهواء الخفيف فوق الأشياء

الموجودة بالداخل فعندها قد تسقط شجرة، لعبة قد تفقد قبعتها وقد ينهار مبنى بأكمله. قد تؤدي خطوة غير صحيحة إلى تحطيم متجر العدة بأكمله. يمكن لقبضة يد ما الإمساك بالجزء العلوي من القلعة، وإرسال أميرة إلى القاع. إنه لمكان هش!

عادة ما يكون أي ضرر مؤقتًا، سيأتي شخص ما ويقوم بالإصلاحات اللازمة ويعيد الأميرة التي سقطت إلى ساحتها، ويعيد بناء المتجر بالعصي والكرتون المقوى ويخلق قصصًا جديدة فوق تلك القديمة. المنزل الأصلي في المركز يتغير بطرق أكثر دقة فالأثاث ينتقل من غرفة إلى أخرى والجدران مطلية أو مغطاة بالورق؛ حيث تقضي دمي الأم والأب بعض الوقت بشكل منفصل في الهياكل الأخرى مع الدمى الأخرى، وتغادر الابنة والابن ويعودان ليغادرا مجددًا. الكلب يركض ويطارد السيارات والأغنام حتى إنه يجرؤ على النباح على التنين. يكبر العالم من حولهم أكثر من أي وقت مضى، وأحيانًا يستغرق الأمر من الدمى وقتًا طويلًا حتى تتكيف.

زاكري إزرا رولينز يجلس على أرضية خزانة ملابسه والباب مغلق عليه، تحيط به القمصان والمعاطف المعلقة كما لو أنها غابة، وظهره على باب الخزانة مقابل ظهرها الذي من المحتمل أن يكون باب «نارنيا» المكان العجيب الذي تقود إليه أبواب الخزانات الخيالية، فقط فيما إذا ما كانت خزانته تعاني من أزمة وجودية.

قرأ زاكري قسم «الأحزان العذبة» بالكامل وقرأه مرة ثانية أيضًا، وظن أنه ربما لا يجب عليه قراءته للمرة الثالثة، ولكنه شرع في ذلك على أي حال لأنه لا يستطيع النوم، وما زال بعدها غير قادر على النوم. تشير الساعة الآن إلى الثالثة صباحًا، وكان زاكري لا يزال جالسًا في الجزء الخلفي من خزانة ملابسه، مكان القراءة المفضل لديه عندما كان طفلًا.

راحة تأسر فؤاده، لم يذق طعمها منذ سنوات ولا حتى في هذه الخزانة التي لا تناسبها وضعية الجلوس هذه، يتذكر الآن، جلس في خزانة طفولته بعد أن وجد الباب. كانت هذه الخزانة من زمن أفضل للجلوس وأعمق للتفكير، مع وسائد كان قد وضعها بداخلها لجعلها أكثر راحة غير أن هذه الخزانة لا تحوي بابًا يقود إلى عالم نارنيا السحري، وهو يعرف ذلك لأنه قد تحقق من صحة الأمر بنفسه!

الجزء الوحيد من الأحزان العذبة الذي يتحدث عنه كانت بضع صفحات منه مفقودة. ويعود النص مرةً أخرى إلى القراصنة والفتاة، ولكن الباقي منه متفكك، ويبدو أنه غير مكتمل ويدور الكثير منه حول مكتبة تحت الأرض، أو...! لا، ليست مكتبة، إنها فانتازيا تتمحور حول الكتاب، الذي رفض زاكري دعوته إليه لأنه لم يفتح بابًا مطلقاً عندما كان في الحادية عشرة من عمره. يبدو أنه تجول بحثاً عن المداخل الخيالية الخاطئة.

يقبع الكتاب الملون بلون النبيذ عند قاعدة السرير، ويأبى زاكري أن يعترف لنفسه أنه يختبئ منه في الخزانة؛ حيث لا يمكنه رؤيته. كتاب كامل في غرفته يقبع قريباً منه، وحتى بعد قراءته ثلاث مرات ليس لديه فكرة كيف ينبغي أن يتقدّم في القراءة! لا يبدو باقي الكتاب حقيقياً مثل تلك الصفحات القليلة القريبة من البداية.

لطالما كان لدى زاكري وجهة نظر معقدة عن السحر بسبب والدته، ولكن في حين أنه يستطيع استيعاب العلاج بالأعشاب والتنبؤ بالأقدار، فإن الأشياء الموجودة في الكتاب تتجاوز كثيراً مفهومه عن السحر، عن سحر السحر. ولكن إذا كانت تلك الصفحات القليلة عنه حقيقية، فيمكن أن تكون بقية الصفحات كذلك أيضاً.

وضع زاكري رأسه بين ركبتيه وحاول الحفاظ على ثبات تنفسه واستمر في التساؤل عن كتبه؟ من رآه في ذلك الزقاق مع الباب؟ ولماذا كتبه؟ الصفحات الافتتاحية تعني أن القصاص الأولى متداخلة: يروي القرصان قصة المساعد، يرى المساعد قصة الصبي، قصة زاكري نفسه. لكن إذا كانت هذه قصة داخل قصة فمن يرويها؟

يجب على شخص ما طبعها وربطها مع بعضها في كتاب، شخص ما في مكان ما يعرف هذه القصة! وتساءل ما إذا كان شخص ما في مكان ما يعرف أنه يجلس على أرضية خزانة ملابسه!

زحف زاكري إلى أرضية الغرفة وساقاه متصلبتان. أوشك الفجر أن يبزغ وكان النور خارج نافذته أفتح من الظلمة في الداخل. قرر أن يمشي قليلاً ويترك الكتاب على السرير لتبدأ أصابعه حينها في الارتعاش على الفور، راغبةً في أخذ الكتاب معها حتى يتمكن من قراءته مرةً أخرى. لف وشاحه حول رقبتة وتمتم لنفسه بأنّ قراءة كتاب أربع مرات في يوم واحد هو سلوك طبيعي تماماً.

أغلق أزرار معطفه الصوف، وفكر أنه من غير المألوف وجود استجابة جسدية أو شعور بالنقص حيال حيازة كتاب ما! وسحب قبعته وغطى بها أذنيه.

الجميع يقضون الليالي على أرضية منزلهم أو في خزانة خلال فترة التخرج، ففكر زاكري. انتعل بعدها زاكري حذاءه وفكر أن العثور على حادثة من طفولتك في كتاب غامض بلا مؤلف هو حادثة لا تمرّ مرور الكرام! وضع يديه في جيبي معطفه، وتمتم: «قد يحدث للجميع!».

وضع الكتاب في جيب معطفه ومشى عبر الثلج المتساقط للتو دون وجهة محددة، مر بالمكتبة واستمر بالمشي نحو امتداد الحرم الجامعي بالقرب من مساكن الطلبة الجامعيين.

يمكنه تعديل طريقه لتجاوز مسكنه القديم ولكنه لا يفعل ذلك، فهو دائماً ما يجد أنه من الغريب أن ينظر إلى النافذة التي اعتاد أن ينظر إليها من الجانب الآخر ويكمل ليشق طريقه عبر الجليد الهش غير المتقطع، محطماً بحذائه السطح الأصلي تحته.

عادةً ما يستمتع بالشتاء والثلج والبرد حتى عندما لا يستطيع أن يشعر بأصابع قدميه، وتعجب من أنه قد قرأ عن الثلج في الكتب قبل أن يجربه بنفسه. كان أول ثلج له عبارة عن ليلة مليئة بالضحك قضاها في الحقل خارج منزله، تحديداً في منزل مزرعة والدته، قضاها يصنع كرات الثلج بيديه العاريتين، وكان يفقد الإحساس بقدميه باستمرار داخل الأحذية التي اكتشف لاحقاً أنها غير مقاومة للماء. داخل القفازات المبطنة بالكشمير، كانت يداه ترتعشان وهو يفكر في الأمر، ودايمًا ما تفاجأ بمدى هدوء الثلج حتى يذوب.

- رولينز!

صوت نادى من ورائه، ليستدير زاكري عندها ويرى من بعيد هيئة تأتي له منها رؤية قبعة مخططة، وبدأ هذا الشخص يلوح بيديه المغطتين بقفازات زاهية، ظلّ زاكري يتابع اللون غير المتطابق وهو يتحرك فوق حقل أبيض، صاعدًا عبر التل خلال الثلج، وأحيانًا قافزًا في فتحات القدم التي تركها خلفه. عندما أصبح هذا الشخص على بعد أمتار قليلة فقط تعرّف عليه، إنها كات، إحدى الطلاب الجامعيين القلائل من قسمه الذين انتقلوا من درجة

المعرفة السطحية به إلى درجة الصداقة تقريبًا، غالبًا لأنها أخذت على عاتقها التعرف على الجميع وقد نجحت في ذلك.

تدير كات لعبة فيديو إلكترونية يتمحور موضوعها حول الطبخ وتميل إلى تجربة وصفاتها اللذيذة في كثير من الأحيان على بقية أصدقائها، واسم لعبتها «سكاريم» مستوحى من اللفائف الحلوة والكعك الكلاسيكي المحشو بالكريمة والبيوشوك والماراشينو والكمأة وكرز باك مان.

شك زاكري بأن كات لا تنام وتميل إلى التودد إليه وخلق أمور من فراغ مثل اقتراح سهرات الكوكتيلات أو الرقص أو أيّ عذر آخر لإجباره على الخروج من غرفته، وبينما لم يصرح زاكري قط عن حقيقة أنه ممتن لذلك ولوجودها في حياته، وفي أسلوب عيشه الانطوائي للغاية ذاك، فهو متأكد تمامًا من أنها تعرف ذلك بالفعل.

- مرحبًا يا كات.

قال زاكري عندما أصبحت هي على مقربة منه، وكله أمل ألا يبدو غير لطيف كما يشعر بداخله.

وأكمل زاكري:

- ما الذي أخرجك مبكرًا هكذا؟

تنهدت كات وأدارت عينيها لتبتعد تنهيدتها كسحابة في الهواء المتجمد، وأجابته:

- يا إلهي! هذا الوقت الباكر هو التوقيت الوحيد الذي يمكنني فيه الحصول على وقت وحدي في المختبر مع بعض المشروعات غير المكتملة، ماذا عنك؟

قالت وهي ترمي حقيبتها على كتفها فاقدةً توازنها، ليمدّ زاكري يده ويمنعها من السقوط لكنها توازنت وحدها من جديد.

- لا أستطيع النوم.

أجاب زاكري، وهذا الأمر صحيح لا لبس فيه.

- هل ما زلت تعملين في ذلك المشروع القائم على الرائحة؟

- نعم ما زلت.

وابتسامة خجولة وشى بها خذاها من تحت الوشاح. وأكملت:

- أعتقد أن هذا المشروع هو المفتاح لتجربة مثيرة، فالواقع الافتراضي ليس حقيقياً تماماً إذا لم تكن رائحته مثل أي شيء آخر له رائحة. لا يمكنني معرفة كيفية تشغيله للاستخدام في المنزل حتى الآن، لكن الأمور الخاصة بالموقع الإلكتروني تعمل بشكل جيد. ربما سأحتاج إلى مختبري الإصدارات التجريبية في الربيع إذا كنت ترغب في مساعدتي.
- حالما يأتي فصل الربيع، أنا على أتم الاستعداد.

لمشروعات كات صيت ذائع في جميع أنحاء القسم، وهي منصات تفاعلية متقنة، ولا تنسى دائماً بغض النظر عن مدى نجاحها في عيني كات. وهذا ما يجعل عمل زاكري عقلاً بطريقتة مفرطة، ومثبطاً للهمة مقارنة بعمل كات خاصة وأن الكثير من عمله هو تحليل العمل الذي قام به الآخرون بالفعل.

- ممتاز!

صاحت كات:

- سأضعك على قائمتي. وأنا سعيدة لأنني صادفتك، هل أنت مشغول الليلة؟

- ليس كثيراً.

أجاب زاكري، بعد أن فكر قليلاً بأن اليوم سيمضي كالمعتاد، وأن الحرم الجامعي سيستمر في روتينه اليومي وهو الوحيد الذي تحوّل مسار حياته عنه.

أكملت كات أسئلتها لزاكري قائلة:

- هل يمكنك مساعدتي في تجاوز فصل يناير الدراسي؟ حتى أنال من سبعة إلى ثمانية وثلاثين أو نحو ذلك؟
- تقصدين أن أساعدك في صف (هاري بوتر) للحياكة الخاص بك؟ أنا لا علم لي بالحياكة بشكل كاف.

- لا، صف الحياكة في أيام الثلاثاء، أما ما ستساعدني به هو مناقشة على غرار الصالون الأدبيّ تسمى الابتكار في سرد القصص، وموضوع هذا الأسبوع هو الألعاب. أحاول الحصول على ضيف مشارك معي، ضيف لكل فصل، وكان من المفترض أن تقوم نوريكو بهذا الأمر لكنها تخلت عني للذهاب للترليج، سيكون الأمر رائعاً للغاية، ولن تكون هناك محاضرات أو أي شيء تحتاج تحضيره، كل ما عليك هو الترتبة حول

الألعاب في وضعية مريحة بالنسبة إليك. أعلم أن هذا مربك يا رولينز، لكن أرجوك أن توافق.

دافع تلقائي ينشأ دومًا بداخل زاكري لقول كلمة لا تجاه أي شيء يتضمن التحدث إلى الناس أو الاجتماع بهم، وبينما تثب كات على قدميها لتتال بعض الدفء، إذ كان زاكري يفكر في الاقتراح، وقال لنفسه إنَّ هذا يبدو طريقة جيدة للتخلص من تفكيره الزائد والابتعاد عن الكتاب لفترة قصيرة، هذا ما أرادته كات، وإنه لأمر جيد أن يكون لديك كات في حياتك!

- حسنًا بالتأكيد، لم لا!

يردُّ زاكري على كات لتصيح كات وتتردد أصداء صخبها فوق العشب المغطى بالثلوج ووصل صوتها بعيدًا لدرجة أنَّ زوجًا من الغريبان تخلَّ عن مكانيهما فوق شجرة قريبة.

قالت كات:

- أنت رائع! شكرًا يا زاكري، سأحوك لك وشاح رافين كلاو كردِّ للجميل.

- كيف عرفت!

- أوه، هيا من الواضح أنك تنتمي إلى مدرسة رافين كلاو! أراك الليلة إذًا، نلتقي في القاعة الأسكتلندية، تلك الموجودة في الخلف على اليمين، سأرسل لك التفاصيل حالما تشعر يداي بالدفء. أنت الأفضل يا رولينز! كنت سأحتضنك ولكن أعتقد أنني سأسقط إن فعلت ذلك.

- شكرًا لمشاعرك.

قال لها زاكري، وفكر وهو يقف وسط الثلج متسائلًا عما إذا كانت كات قد سمعت بشيء يسمى «بحر بلا نجوم»، لأنه إذا كان أي شخص قد سمع عن قصة خيالية قد تكون حول موقع أسطوري فحتمًا ستكون كات، ولكن إن تمَّ مناقشتها على الملأ سيجعل هذه القصة حقيقية للغاية. توقف عن التفكير هنا وراح يشاهدها وهي تتجه نحو ساحة العلوم؛ حيث مركز الإعلام الحديث، على الرغم من أنه يدرك أنها قد تتجه إلى مختبرات الكيمياء بدلًا من ذلك.

وقف زاكري وحيدًا في الثلج خارجًا، مطلقًا من بعيد على الحرم الجامعي الذي فتح عيونه ببطء على العالم، بالأمس داعبه شعور -يراوده دائمًا- بأنه ليس في منزله، اليوم يشعر وكأنه مشعوذ. تنفس زاكري بعمق، والهواء

المشبع برائحة الصنوبر يغمر رنتيه. نقطتان باللون الأسود تشوهان اللون الأزرق الشفاف للسماء الصافية، غربان تختفي بعيداً في المدى.

بدأ زاكري إزرا رولينز رحلة العودة الطويلة إلى غرفته، وبمجرد أن خلع حذائه وأزال الطبقات المتكدسة من ثلج ووحل الشتاء عن حذائه، أخرج الكتاب من جيبه وقلبه بين يديه ثم وضعه على مكتبه، لا يبدو له أنه شيء مميز، ولا حتى لكونه يحتوي على عالم كامل بداخله وقال لنفسه أن بإمكانه قول ذلك عن أيّ كتاب في العالم.

أغلق زاكري ستائر نافذته ليغطّ في النوم قبل أن ترقد الستائر مكانها، مانعاً المشهد الثلجي المشرق والشمس من الدخول إليه، يراقبه شخص ما من الجانب الآخر من الشارع في ظلّ شجرة التنوب الصنوبرية الضخمة. استيقظ زاكري بعد ساعات بعد أن أصدر هاتفه صوت تنبيه مرفقاً بنص، واهتزّ جواله بما يكفي لسقوطه عن المكتب ليهبط بهدوء على جورب مرمرى على الأرض.

أمسك زاكري جواله ليقرأ رسالة كات (الساعة السابعة مساءً في القاعة الأستكلندية - الردهة الأولى من المدخل الأمامي، تجاوز الدرج وانعطف يميناً أسفل القاعة، خلف الأبواب الفرنسية التي تبدو وكأنها نسخة فارهة من غرفة تشرب فيها السيدات الرائعات الشاي. سأكون هناك مبكراً. أنت الأفضل لديّ) كات.

تشير الساعة في هاتفه إلى 5:50 بالفعل ويتضح ممشى القاعة الأستكلندية لديه في أنحاء الحرم الجامعي. تتأب زاكري وسحب نفسه من السرير ليذهب للاستحمام.

واقفاً تحت بخار الماء، يعتقد أنه حلم بالكتاب، لكن الارتفاع الذي يجلبه هذا التفكير يتبدد ببطء ويتذكر الحقيقة. يقشر جلده بمزيج زيت اللوز والسكر محلي الصنع الذي ترسله له والدته كل شتاء وعطرت له ما أرسلته هذا العام برائحة جوز الهند لإعطاء رائحة فواحة تشي بالحميمية. فكر أنه يمكنه تنظيف ذلك الفتى الذي يقف في ذلك الزقاق، ربما يكون زاكري الحقيقي يقبع هناك في مكان ما. تتغير كلّ خلية في جسدك كلّ سبع سنوات، كما يذكر نفسه، لم يعد ذلك الفتى موجوداً، أزيلت خلايا ذلك الولد مرتين حتى الآن.

قضى زاكري وقتاً طويلاً في الحمام لدرجة أنه اضطر إلى التسرع في الاستعداد، وأكل قطعة لحم على عجل عندما أدرك أنه لم يأكل طوال اليوم.

ألقى مفكرة في حقيبته ويده تحوم فوق «الأحزان العذبة» من الكتاب قبل الاستيلاء على كتاب الغريب الصغير بدلاً من ذلك. خرج ووصل منتصف الطريق ليعود مجددًا ويضع الكتاب في حقيبته.

بينما كان يمشي نحو القاعة الأسكتلندية، إذ تجمد شعره الرطب ليصبح على شكل تجعيدات تجاور رقبتة، ملاً الثلج العديد من مسارات المشي بحيث لا تكاد توجد رقعة لم يمسه في الحرم الجامعي. مر زاكري برجل ثلج غير متوازن يرتدي وشاحًا أحمر حقيقيًا ويواجه مجموعة من التماثيل النصفية لرؤساء الجامعة السابقين محجوبة في الغالب بالثلج، وعيون وأذان رخامية شاردة تطل من تحت الثلج.

أثبتت توجيهات كات أنها مفيدة بمجرد وصوله إلى القاعة الأسكتلندية، أحد المساكن التي لم يزرها من قبل. اجتاز الدرج وغرفة دراسة صغيرة فارغة قبل أن يعثر على الردهة ويتابع مشيه لبعض الوقت، إلى أن وصل إلى زوج نصف مفتوح من الأبواب الفرنسية.

فهو غير متأكد من أن هذه الغرفة الصحيحة. فتاة تجلس على كرسي بذراعين بينما يعيد اثنان من الطلاب الآخرين ترتيب بعض أثاث حفلات الشاي الذي يشبه الأماكن الفارهة، ورأى الكراسي والأرائك المخملية التي جلس عليها كثيرًا وجرحت حوافها بمرور الوقت، وبعضها تم إصلاحه بشريط لاصق.

- رائع، لقد وجدتنا!

أتى صوت كات من خلفه واستدار ليجدها ممسكة بصينية بها إبريق شاي وعدة أكواب مكدسة. تبدو أصغر مع معطفها وقبعاتها المخططة التي خلعتها، وشعرها القصير ضبابي اللون يغطي رأسها.

تمتم زاكري لها:

- لم أكن أدرك أنك كنت جادة بشأن الشاي.

وساعدها في نقل الصينية إلى طاولة القهوة في منتصف الغرفة، لتجيبه بدورها:

- أنا لا أمزح بشأن الشاي، انظر! لديّ إيرل جراي والشاي بالنعناع ونوع من الشاي المقوي للمناعة بالزنجبيل وقد صنعت بعض الحلويات.

بحلول الوقت الذي يتم فيه ترتيب الشاي والصواني المتعددة من البسكويت، كان الفصل قد بدأ مع حوالي 12 طالبًا، وعلى الرغم من أن الأمر يبدو أكثر من كونه صفاً مع جميع المعاطف والأوشحة على ظهور الكراسي والأرائك. استقر زاكري على كرسي قديم بذراعين بجوار النافذة التي توصله إليها كات مع فنجان من إيرل جراي وبسكويت كبير الحجم برقائق الشوكولاتة.

- مرحبًا بالجميع.

قالت كات، وهي تسترعي انتباه الحضور في الغرفة بعيدًا عن المخبوزات والثرثرة، وأكملت:

- شكرًا لقدمكم. أعتقد أن لدينا بعض المبتدئين الذين غابوا الأسبوع الماضي، فما رأيكم في عرض مقدمات سريعة، بدءًا من ضيفنا الجديد. تستدير كات وتنظر إلى زاكري بترقب.

- آه حسنًا... أمم... أنا زاكري!

استدار نحو الحضور وهو يمضغ قبل أن يبتلع بقية البسكويت الذي بحوزته:

- أنا طالب في السنة الثانية من قسم كلية الإعلام والتقانة، وأنا أدرس تصميم ألعاب الفيديو مع التركيز من خلاله على علم النفس والقضايا الجندرية.

(ووجدت كتابًا في المكتبة أمس كتبه أحدهم عن طفولتي، كيف يبدو ذلك لكم في عالم سرد القصص المختلفة) يفكر في هذه الجملة بينه وبين نفسه لكنه لا يقولها.

تستمر المقدمات ويتلقى زاكري التفاصيل المحددة والمجالات المهمة بشكل أفضل من تلقية للأسماء. الكثير من الطلاب ينتمون إلى العديد من التخصصات المسرحية، بما فيهم فتاة ذات جدائل متعددة الألوان مثيرة للإعجاب وصبي أشقر بقدميه المسندتين على علبة جيتار. الفتاة ذات النظارات تبدو مألوفة بشكل غامض وهي طالبة في اللغة الإنجليزية، وكذلك يسترعي انتباهه الفتاة التي تواصل الحياكة، لكنها بالكاد تنظر إلى عملها. البقية هم في الغالب من الطلاب الجامعيين في قسم الإعلام والتقانة، ويستطيع زاكري التعرف على بعضهم (الشاب ذو القلنسوة الزرقاء، الفتاة

صاحبة الوشم التي ترتدي سترة، وشاب بشعر يشبه ذيل الحصان) ولكنه لا يعرف أحدًا بالقدر الكافي كما يعرف كات.

تبدأ كات بالحديث:

- وأنا كات هوكينز، طالبة متخصصة بالإعلام والتقانة والمسرح باعتباره تخصصًا مزدوجًا، أقضي وقتي في الغالب في محاولة تحويل الألعاب إلى مسرح والمسرح إلى ألعاب. وكذلك أحب المخبوزات. الليلة سنناقش ألعاب الفيديو على وجه التحديد، أعلم أن لدينا الكثير من اللاعبين هنا، ولكن إذا لم تكونوا كذلك، فيرجى السؤال عما إذا كنتم بحاجة إلى توضيح المصطلحات أو أي شيء من هذا القبيل.

- كيف نحدد اللاعب؟

سأل الشاب ذو القلنسوة الزرقاء بصوت حادّ وجهوري بما يكفي لجعل ملامح كات اللامعة تبهت بشكل ظاهر للعيان.

أجابته كات:

- إنني أتبع تعريف (جيرترود شتاين): اللاعب هو لاعب عن حقّ.

يهمّ زاكري لمساندتها، وهو يعدل نظارته كارهاً للموقف ولكنه يكره أكثر ذلك الشاب أمامه الذي يحتاج إلى تحديد كل شيء بشكل أعمق قليلاً.

تابعت كات قائلة:

- فيما يتعلق بكيفية تحديد «لعبة» في هذا السياق، دعونا نتابع خطوط الألعاب السردية، وألعاب تحديد الأدوار المعروفة أيضًا باسم ألعاب تقمص الأدوار، وما إلى ذلك. كل شيء يجب أن يعود إلى القصة.

حثت كات زاكري على مشاركة بعض كتاباته القياسية حول سرد اللعبة، والوكالة المسؤولة عن تحديد الشخصية، والاختيارات، والعواقب، والنقاط التي ذكرها في العديد من الأوراق والمشروعات، وهو تغيير ممتع لربطهم بمجموعة لم تسمعهم جميعًا خلال آلاف المرات من قبل.

بدأت كات في القفز هنا وهناك ولن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى تنطلق المناقشة نحو الأمام، وتتحول الأسئلة إلى مناقشات بين رشفات الشاي وفتات الكعك. تتحول المحادثة إلى المسرح ذي التأثير الكبير الذي كان موضوع الأسبوع الماضي ثم تعود إلى ألعاب الفيديو، ومن التعاون بين اللاعبين المتعددين الكثيرين إلى روايات اللاعب الفردي والواقع الافتراضي مع توقف

قصير مع ألعاب الطاولة ونهايةً تتم مناقشة سؤال عن أنه لماذا يلعب اللاعب لعبة قائمة على قصة وما الذي يجعلها مقنعة.

وردًا على ذلك، قالت فتاة ترتدي نظارةً تشبه عدساتها أعين القطة:

- أليس هذا ما يريده أي شخص أن تكون قادرًا على اتخاذ خياراتك وقراراتك لجعلها جزءًا من قصة؟ أنت تريد سرًا تثق به، حتى لو كنت تريد الحفاظ على حرية الإرادة لديك.

وأضاف الفتى صاحب الشعر الذي يشبه ذيل الحصان:

- تريد أن تقرر إلى أين تذهب؟ وماذا تفعل؟ وأي باب تفتح؟ ولكنك لا تزال تريد الفوز باللعبة حتى لو كان الفوز باللعبة هو مجرد إنهاء للقصة.

وقاطعهم زاكري وهو يتطرق لموضوع الورقة التي كتبها قبل عامين:

- خاصة إذا كانت اللعبة تسمح بنهايات متعددة محتملة. والرغبة في المشاركة في كتابة القصة، وليس الاكتفاء بأن تملى عليك، لذلك فهي تشاركية.

- سيضيف هذا الأمر إلى الألعاب أكثر من أي شيء آخر، (هذا ما قاله أحد شبان كلية الإعلام والتقانة).

ويضيف عندما يبدأ أحد طلبة المسرح بالاعتراض:

- وربما يضيف هذا الأمر شيئًا للمسرح الحديث.

وأتى صوت رئيس طلبة قسم الحياكة الإنجليزية مقاطعًا:

- اختر الروايات الرقمية الخاصة بك من مغامراتك؟

جادلتهم الفتاة صاحبة الوشم وتساعدنا الرسومات على جسدها على التأكيد على نقاطها:

- القصص النصية الصحيحة هي روايات موجودة مسبقًا لتقع فيها، أما الألعاب تتكشف أمامك كلما مضيت فيها. إذا تمكنت من اختيار ما سيحدث في القصة، فأنا أريد أن أكون ساحرة. أو على الأقل أمتلك مسدسًا فاخرًا.

عندها انتصبت كات واقفة وقالت:

- نحن نحيد عن الموضوع. نوعًا ما، إذًا ما الذي يجعل القصة مقنعة؟ أي قصة، دعوني أشرح بكلمات أساسية (التغير، الغموض، المخاطر، تبدل أحوال الشخصية، الأجواء الرومانسية).

تجاوب الشاب ذو السترة الزرقاء معها وأضاف:
- ها، هذا صحيح.

وبينما يتجه عدد من علامات التعجب من الحضور حوله، يكمل:

- الرغبة الجنسية! هل هذا أفضل؟ أعتقد أنه صحيح أيضًا وعقبات للتغلب عليها، مفاجأة ومعنى!

قاطعته زاكري قائلاً بصوت عال:

- ولكن من يقرر ما المعنى؟ القارئ أم اللاعب أم الجمهور؟ هذا ما أنت أمامه، حتى إذا لم تقم بالاختيارات على طول الطريق، فأنت تقرر ما يعنيه لك ذلك.

تتوقف فتاة الحياكة مؤقتًا لتلتقط غرزة هاربة منها ثم تستمر، واستمر زاكري بقوله:

- قد تكون اللعبة أو الكتاب الذي يحمل معنى بالنسبة لي مملًا، أو العكس. القصص شخصية، أنت تنتمي إليها أو لا تنتمي، الكل يريد أن يكون جزءًا من قصة، كل شخص جزء من قصة، ما يريده الناس هو أن يكونوا جزءًا من شيء يستحق التخليد. إنه ذلك الخوف من الفناء، الجميع يريد تفعيل مقولة: كنت هنا وكنت ذا شأن.

بدأت أفكار زاكري في التسرب وعقله يشرد، إنه يشعر بأنه كبير في السن وليس متأكدًا مما إذا كان متحمسًا جدًا باعتباره طالبًا متدربًا ويتساءل عما إذا كان يبدو صغيرًا للطلاب الخريجين كما تبدو له هذه المجموعة الآن.

إنه يفكر في الكتاب الموجود في حقيبته، ويقلب الأفكار في رأسه حول ما يجب أن تكون عليه في القصة، ويتساءل لماذا قضى الكثير من وقته في سبر أغوار الروايات ودفعها إلى الأمام ومحاولة فهم كيفية فعل الشيء نفسه مع هذه القصة.

- أليس من الأسهل وضع بعض الكلمات الدالة على الصفحة وترك كل شيء للخيال؟

تسأل الفتاة المتخصصة بالأدب الإنجليزي، والتي ترتدي سترة حمراء
مجعدة وتجييها فتاة أخرى:

- وضع الكلمات على الصفحة ليس بهذه السهولة أبدًا.
وأوماً العديد من الأشخاص برأسهم موافقين.

تعود الفتاة صاحبة السترة الحمراء إلى الحديث وهي تحمل قلمًا بيدها
وتلوح به قائلة:

- سأبسط الموضوع أكثر، يمكنني إنشاء عالم كامل بهذا القلم، قد لا
يكون مبتكرًا ولكنه فعال.

ردّ شخص ما من الخلف:

- حتى نفاد الحبر.

وأشار شخص آخر إلى أنّ الساعة أصبحت التاسعة بالفعل وأن غالبية
الأشخاص بدأوا يتململون ويعتذرون ويغادرون المكان مسرعين.

واصل الباقيون الدردشة في مجموعات وأزواج موزعة، بينما يحوم اثنان
من طلاب الإعلام والتقانة حول زاكري، ويستفسرون عن توصيات الفصل
والأساتذة.

بمجرد نظر زاكري إلى كات قالت له:

- كان ذلك رائعًا، شكرًا على كل شيء! أنا مدينة لك بمعروف، وسأبدأ في
حياكة وشاحك في نهاية هذا الأسبوع، وأعدك أنك ستحصل عليه قبل
نهاية موجة البرد حتى تتمكن من ارتدائه.

- لا عليك يا كات، وشكرًا لك، لقد حظيت بوقت ممتع.

- أنا أيضًا، آه! قبل أن أنسى إيلينا تنتظرك في القاعة، لقد أرادت محادثتك
قبل مغادرتك لكنها لم ترغب في المقاطعة في أثناء حديثك مع الناس.

ردّ زاكري محاولًا تذكر من كانت إيلينا من الحضور:

- أوه، حسنًا!

عانقته كات وهمست مرة أخرى في أذنه:

- إيلينا لا تحاول التودد إليك، فقد أعلمتها بأنّ توجهاتك وميولك لا تصبّ
في مبتغاها.

قال زاكري محاولاً ألا يشيح بنظر عينيه عنها وهو يعرف أنها استخدمت هذه العبارة بالضبط بدلاً من أن تقول لها بكلّ بساطة أنه مثلي الجنس:
- شكراً يا كات.

وذلك لأنّ كات تكره التسميات المباشرة.

تبين بعد قليل أن إيلينا هي الفتاة التي ترتدي نظارة أعين القطة، تميل قليلاً على الحائط وتقرأ رواية (ريموند تشاندلر)، وحين لمح زاكري اسمها: الوداع الطويل، أدرك لماذا تبدو إيلينا مألوفةً له! وربما كان سيتأكد من هويتها إن كان شعرها على شكل كعكة!

اقتربت إيلينا وقالت لزاكري:

- مرحباً.

وهي ترفع نظرها من كتابها إليه بطريقة يملؤها الذهول والانبهار وهو أمر اعتاد زاكري فعله بنفسه، إذ اعتاد الارتباك والتشوش الناتج عن الانسحاب من عالم ما والعودة إلى عالم آخر.

- مرحباً.

أعدت إيلينا قولها وكأنها أحد خارج من ضباب خياليّ حولها وتدسّ كتاب (تشاندلر) في حقيبتها:

- لا أعرف ما إذا كنت تتذكرني من لقائنا بالمكتبة أمس؟ لقد تحققت لك من الكتاب الغريب الذي رغبت باستعارته ولم يتمكن نظام المكتبة الإلكتروني من التعرف عليه.

- نعم أتذكر، لم أقرأه بعد.

همهم:

- لا أعرف لما يتوجب عليّ أن أكذب!

إيلينا:

- بعد مغادرتك، شعرت بالفضول، كانت المكتبة هادئة للغاية وكنت في حالة من الشك لذلك قررت أن أقوم ببعض التحقق.

- حقاً؟ هل وجدت شيئاً؟

يسأل زاكري ويبدو عليه الاهتمام فجأةً وقد كان قبل ذلك ممدداً في حالة من القلق والغضب.

إيلينا:

- لم أستطع الوصول إلى الكثير من المعلومات؛ حيث لم يستطع الحاسوب التعرف على الرمز، وكان من الصعب حينها البحث عن الملف، لكنني تذكرت أن الكتاب بدا قديمًا نوعًا ما، لذا انتقلت إلى أرشيف البطاقات، ذلك الوقت الذي كان فيه كل شيء مخزنًا في تلك السجلات الخشبية الرائعة، لمعرفة ما إذا كان موجودًا أم لا ولكن لا أثر له، لكنني تمكنت من فك شيفرة كيفية ترميزه، هناك زوجان من الأرقام في الباركود تشير إلى وقت إضافته إلى النظام، لذلك قمت بمراجعتها.

- هذا عمل وتحر رائع بالنسبة إلى أمينة مكتبة!

- أوه! شكرًا لك، لكن لسوء الحظ الشيء الوحيد الذي استطعت معرفته أنه كان جزءًا من مجموعة كتب خاصة، توفي صاحبها، ووزعت مؤسسة ما مكتبته على مجموعة من المدارس المختلفة، لقد قمت بتحديث الملفات وكتبت الاسم، لذلك إذا كنت تريد العثور على أي من الكتب الأخرى الخاصة بتلك المجموعة، فيجب على شخص ما طباعة قائمة لك. وإذا كنت مهتمًا بمعرفة شيء ما، أنا أعمل أغلب الأيام في وقت الصباح حتى تبدأ الفصول الدراسية مرة أخرى.

تفتح إيلينا حقيبتها وتبحث فيها على عجل وتسحب قصاصة مطوية من ورق دفتر الملاحظات، وتخبر زاكري:

- يجب أن يكون بعض هذه الكتب في غرفة الكتب النادرة، وليس في تلك الموضوعية للتداول. لقد أعطيت الكتاب سجل إدخال في السجل لذا سيمسح ضوئيًا عندما ستقوم بإعادته.

يسحب زاكري الورقة من إيلينا ويقول لها:

- شكرًا.

وصوت في رأسه يهمس: «تم الحصول على الرمز».

- سأعيد الكتاب قريبًا.

- رائع، وشكرًا لقدومك الليلة، لقد كان ذلك النقاش رائعًا وثريرًا، أراك قريبًا.

وذهدت إيلينا قبل أن يقول لها زاكري كلمة وداعًا، ليفتح زاكري الورقة المطوية ويرى سطرين مكتوبين بخط يد أنيق للغاية: «من مجموعة الكتب

الخاصة بجاي. إس. كيتينغ... تمّ التبرع بها عام 1993 هدية من مؤسسة (كيتينغ)».

الورق هش للغاية، حتى إذا ما تمّ ربطه بخيط من القماش أو الجلد، تم توثيق غالبية قصص مرفأ «بحر بلا نجوم» على الورق، في الكتب أو على لفافات الورق المطوية على شكل طيور ورقية معلقة من الأسقف، هناك قصص أكثر هشاشة من غيرها فلكل حكاية منحوتة في الصخر هناك المزيد من النقوش على أوراق الخريف وعلى نسج خيوط بيت العنكبوت.

هناك قصص ملفوفة بالحريز حتى لا تتساقط صفحاتها ويتكس عليها الغبار وقصص قد تناثرت صفحاتها، وتم جمع شظاياها وحفظها في الجرار. إنها أشياء هشة، أقل ثباتاً مما يشبهها من القصص التي تقال بصوت عال وتحفظ عن ظهر قلب، وهناك دائماً في تلك القصص من يشاهد الإسكندرية تحترق، شاهدها وسيشاهدها لاحقاً.

لذلك هناك دائماً حراس وأوصياء، لقد ضحى الكثيرون بحياتهم في الخدمة وخسر الكثيرون أيامهم بمرور الوقت قبل أن يفقدوها في الأنماط المعيشية الأخرى.

من النادر أن يبقى الوصي، وصياً على الدوام. أن تكون وصياً هو أن تمنح الثقة التامة، ولكي تكون شخصاً موثوقاً به، يجب اختبارك عبر إجراءات طويلة فاختبار الوصي عملية طويلة وشاقة.

لا يمكن للمرء أن يتطوع ليكون وصياً، يتم اختيار الأوصياء بدقة ويتم تحديدهم بعناية، مراقبة من كُتب لكل تحركاتهم وخياراتهم، وكل عمل يقومون به يتم تحليله من خلال قضاة غير مرئيين، القضاة لا يفعلون شيئاً سوى المراقبة لأشهر، وأحياناً لسنوات، قبل أن يصدرُوا نتائج اختباراتهم الأولى ولن يدرك الوصي المحتمل أنه تحت الاختبار.

ومن المهم أن تخضع للاختبار وأنت بلا دراية عنه، حتى تكون النتائج حقيقية وغير مصطنعة. الكثير من الاختبارات لن يتم إدراك أنها اختبارات حقيقية، حتى وإن فات عليها الوقت.

الكثير من المرشحين المرفوضين للوصاية والذين رفضوا في المراحل المبكرة، لن يعرفوا أبداً أنه تمّ النظر في أمرهم يوماً، سوف يمضون قدماً في حياتهم ويجدون دروباً أخرى. يرفض معظم المرشحين قبل الاختبار

السادس، وكثيرون لا يتخطون الاختبار الثاني عشر، ودائمًا ما تكون إيقاعات الاختبار الأول هي نفسها، سواء حدث ذلك داخل المرفأ أو خارجه.

في مكتبة عامة كبيرة، يتصفح صبي صغير الكتب، ويتنقل لبعض الوقت قبل أن يلتقي أخته، يقف على أصابع قدميه للوصول إلى المجلدات الضخمة على الرفوف فوق رأسه، لقد تخلى عن القراءة في قسم الأطفال منذ فترة طويلة، لكنه لم يبلغ الطول الكافي بعد للوصول إلى بقية الرفوف الأخرى.

امرأة ما بعينين داكنتي اللون ووشاح أخضر تمرّ بقربه، وعلى حدّ علمه ليست أمينة المكتبة، تعطيه الكتاب الذي كان يحاول الوصول إليه ويومئ لها بخجل شاكرًا.

تسأل المرأة عمّا إذا كان بإمكانه أن يسدي لها معروفًا بالمقابل، وبعد أن يوافقها تطلب منه أن يراقب لها كتابًا ما، مشيرةً بيدها إلى مجلد رقيق مغلف بالجلد البنيّ، يتموضع على طاولة قريبة، يوافق الصبي الصغير وتغادر المرأة، تمرّ الدقائق ويواصل الولد تصفح الرفوف، ويبقى ناظره على الكتاب البنيّ.

دقائق أخرى تمضي، ويفكر الصبي في البحث عن المرأة، ينظر إلى ساعته ويدرك أنه يتعين عليه المغادرة قريبًا، تمشي امرأة بمحاذاته دون أن تبالي بوجوده وتلتقط الكتاب، هذه المرأة لها عيون داكنة وترتدي وشاحًا أخضر أيضًا، إنها بطريقة ما تشبه المرأة الأولى تمامًا لكنها ليست هي، وعندما تستدير لتخرج مع الكتاب، ينتاب الطفل نعر خفيف مشوب بارتباك، يطلب منها التوقف لتستدير المرأة وتعلو وجهها علامة استفهام.

يتلثم الصبي ويخبرها أن الكتاب يخصّ شخصًا آخر، تبتسم المرأة وتشير إلى حقيقة أنهم في مكتبة وأن الكتب ملك للجميع وكاد الصبي هنا أن يتركها تغادر. إنه الآن غير متأكد من أنها امرأة مختلفة عن المرأة الأولى، لأن هذه المرأة متطابقة معها تقريبًا وأدرك أنه سوف يتأخر إذا انتظر لفترة أطول، سيكون من الأسهل تركها تأخذ الكتاب، لكن الصبي احتج مرة أخرى. وشرح لها بكلمات كثيرة أنه طلب منه مراقبته لصالح شخص ما ورضخت له المرأة وسلمت الكتاب للصبي الصغير في نهاية الأمر.

بعد دقيقتين فقط، عادت المرأة الأولى التي يعرفها، عيناها ذواتا لون فاتح، والنقش على الوشاح الأخضر واضح، كما أنّ الأقرط الذهبية تتدلى من أذنها اليمنى وليست اليسرى. تشكره المرأة على خدمته عند تسليمه الكتاب

البنى الرفيع لها. تمد يدها إلى حقيبته وتخرج قطعة حلوى ملفوفة مشيرةً بإصبعها إلى شفتيها.

يضع قطعة الحلوى في جيبه، فمثل هذه الأشياء غير مسموح بها في المكتبة، بينما تشكره المرأة مرة أخرى وتغادر مع الكتاب.

لن يتم الاقتراب من الصبي مباشرة لمدة سبع سنوات أخرى، العديد من الاختبارات الأولية متشابهة، مراقبة من أجل قياس مقدار الرعاية والاحترام والاهتمام بالتفاصيل، مراقبة لكيفية تفاعل الأوصياء مع الضغوط اليومية أو حالات الطوارئ غير العادية. موازنة كيفية استجابتهم لخيبة أمل أو فقدان قطة. يطلب من البعض حرق كتاب أو إتلافه بطريقة أخرى، إذ إن إتلاف كتاب ما، مهما كان بغيضاً أو مسيئاً أو مكتوباً بشكل سيئ، يعدّ فشلاً في الاختبار، وفشل واحد يؤدي إلى الفصل.

بعد الاختبار الثاني عشر، سيتم إعلام الأوصياء المحتملين بأنه يتم النظر في أمرهم، وأولئك الذين لم ينجحوا في ذلك يتم إحضارهم إلى المرفأ وإيوائهم في غرف لم يرها أي مقيم على الإطلاق. يدرسون ويتم اختبارهم مرة أخرى بطرق مختلفة ضمن اختبارات للقوة النفسية وقوة الإرادة واختبارات تخصّ الارتجال والتخيل.

تحدث هذه العملية على مدار ثلاث سنوات، تم رفض الكثيرين، واستقال آخرون.

وفي مكان ما على طول الطريق، سوف يدرك البعض، وليس الكل، أن المثابرة أكثر أهمية الآن من الأداء وإذا ما وصلوا إلى مرتبة الثلاث سنوات، فسيعطوا بيضة ويسرّحون تسريحهم من تدريبهم ودراساتهم.

الآن هم بحاجة فقط للعودة مع نفس البيضة لاحقاً، غير مكسورة، بعد ستة أشهر. تعدّ مرحلة البيضة مرحلة تفكك وتبخر للعديد من الأوصياء المحتملين ومن بين أولئك الذين يرحلون ببيضهم، ربما يعود النصف فقط. يتم إحضار الوصي المحتمل وبيضته السليمة إلى وصي كبير السن ويشير الوصي الأكبر إلى البيضة ويحملها الوصي المختار عاليًا على راحة يده.

يمد الوصي الأكبر يده ولكن بدلاً من أخذ البيضة، يغلّق يد الوصي المحتمل حولها ضاغطاً على يده مما يجبره على تحطيم البيضة، ليتبقى في يد الوصي المحتمل قشر البيض والغبار المتناثر منها، وهو عبارة عن مسحوق ذهبي

جديد لن يتلاشى أبدًا من راحة يده، وسيتلأأ حتى بعد عقود، ولا يقول الوصي الأكبر شيئًا عن الهشاشة أو تحمل المسؤولية، إذ إنه لا قيمة للكلمات ساعتها، فكل شيء مفهوم وواضح. وحين يومئ الوصي الأكبر بموافقته، يصل الوصي المحتمل إلى نهاية تدريبه وبداية مسيرته.

وبمجرد اجتياز اختبار البيض يعطى الأوصياء المختارون جولة تبدأ مع غرف مألوفة في المرفأ.. تبدأ من الساعة في المركز ورقاصها المتأرجح ثم الانتقال إلى الخارج عبر القاعات الرئيسية، وأجنحة السكن الخاصة بالمقيمين وغرف القراءة وقبو النبيذ في الأسفل وقاعة الرقص مع موقد النار المهيب الذي يبدو أطول من أطول الأوصياء.

تعرض عليهم غرف لم يرها أحد باستثناء الأوصياء أنفسهم، غرف مخفية وغرف مقفلة وأخرى منسية. إنهم يتعمقون أكثر من أي مقيم وأي مساعد، يضيئون شموعهم بأنفسهم. ويشاهدون ما لا يراه أحد، يرون ما حدث من قبل. لا يجوز لهم طرح الأسئلة، فكل شيء واضح للعيان، ويسيرون على ضفاف «بحر بلا نجوم».

عندما تصل الجولة إلى نهايتها، يتم إحضار الوصي المحتمل إلى غرفة صغيرة بها كرسي محترق واحد يجلس الوصي عليه ويسأل سؤالًا واحدًا.
«هل تهب حياتك في سبيل هذا؟».

ويجاوبون بكلمة نعم أو لا، أولئك الذين يقولون (نعم) يستمرون في جلوسهم على الكرسي، معصوبي الأعين وأيديهم مكبلة مربوطة للخلف، وقمصانهم مفتوحة، كاشفة عن صدورهم العارية. شخص ما غير مرئي بالنسبة إليهم يحمل إبرة ووعاء من الحبر يحوك شيئًا ما على جلدهم جيئةً وذهابًا، يطرز سيفًا على صدورهم بطول ثلاث أو أربع بوصات، هذا السيف موشوم على كل وصي وكل سيف فريد من نوعه. لقد تم تصميمه لهذا الوصي وليس لغيره، بعض السيوف بسيطة، والبعض الآخر منها معقد ومزخرف، ومصور بتفاصيل دقيقة باللون الأسود أو البني الداكن أو الذهبي.

إذا أجاب الوصي المحتمل بدايةً بالنفي، فسيتم فهرسة السيف المصمم لهم ولن يتم نقشه على الجلد أبدًا، ثلة قليلة يقولون لا بعد كل ما رأوه، وحتى هؤلاء يفعلون ذلك معصوبي الأعين وأيديهم مقيدة خلف ظهورهم.

إبرة طويلة وحادة، تخترق القلب بسرعة، موت غير مؤلم نسبيًا، لأولئك الذين قالوا كلمة (لا). هنا في هذه الغرفة، فات الأوان لاختيار مسار أو درب آخر، ليس بعد ما رأوه.

يسمح لهم في بادئ الأمر ألا يكونوا أوصياء، ولكن ما داموا أصبحوا هنا بداخل الغرفة فسيكون الأوان قد فات على ذلك والموت هو البديل الوحيد.

لا يمكن التعرف على الأوصياء، لا يرتدون ألبسة متشابهة ولا زيًا موحدًا ومهامهم موزعة بالتناوب، يقيم معظمهم داخل المرفأ، ولكن العديد منهم يتجولون على السطح دون أن يلاحظهم أو يراهم أحد. أثر الغبار الذهبي على راحة اليد لا يعني شيئًا لأولئك الذين لا يفهمون مغزى ذلك، أما وشم السيف فيمكن إخفاؤه بسهولة، قد لا يبدو أنهم مستعدون من أي شيء، لكنهم كذلك، هم يعرفون ما يخدمون وما يحمون، إنهم يفهمون ما هم عليه وهذا هو كل ما يهم، إنهم يفهمون ما يعنيه أن تكون وصيًا، يفهمون أن ذلك يعني أن تكون مستعدًا للموت دائمًا. أن تكون وصيًا يعني أن تضع الموت نصب عينيك.

يقف زاكري إزرا رولينز في وسط القاعة ويحدّق إلى قصاصة ورقة دفتر الملاحظات التي أعطته إياها إيلينا في اللحظة التي تصل فيها كات إليه ملفوفة بطبقات من الألبسة الشتوية.

كات:

- آه! حسنًا ما زلت هنا.

يطوي زاكري الورقة ويضعها في جيبه ويقول لها:

- هل أخبرك أحد من قبل أن ملاحظتك شديدة الدقة؟

تلكم كات على ذراعه مضيئة:

- أنا أستحق هذا الإطراء! حسنًا، ليكسي وأنا ذاهبتان إلى حانة «الغريفين»

لنحتسي مشروبًا إذا ما كنت تودّ المجيء معنا!

تقول كات مشيرةً بكتفها مع الجديلة التي تتدلى على معطفها ناحية

المسرح الرئيسي.

زاكري:

- بالتأكيد. (وخصوصًا أنّ المكتبة مقفلة الآن، ولا سبيل إليه للتحقق مما هو مكتوب في قصاصة الورق كما أن «الغريفين» يقدّم كوكيتلات ممتازة).

يشق الثلاثة طريقهم عبر الثلج بعيدًا عن الحرم الجامعي ووسط المدينة؛ حيث الشارع القصير من الحانات والمطاعم المتوهجة في الليل، والأشجار التي تصطف على الرصيف وترتدي الجليد حول أغصانها.

يتابعون حديثهم خلال الطريق ويلخص كل من ليكسي وكات المناقشة من الفصل السابق لزاكري، ويصفون مسرحًا معينًا له عندما يصلون إلى الحانة؛ حيث يجلسون على طاولة في ركن ما.

ويقول زاكري:

- لا أعرف، أنا لست ضليعًا كفاية في مشاركة الجمهور بعلمي.

لقد نسي زاكري مدى إعجابه بهذه الحانة، بخشبها الداكن ومصابيح (إديسون) المتدلّية من السقف مضيئةً مساحةً من تركيبات عتيقة غير متطابقة.

تؤكد له ليكسي:

- أنا أيضًا أكره مشاركة الجمهور، الموضوع شخصي أكثر، تذهب إلى حيث تريد أن تذهب وتقرر ما تريد مشاهدته، وكيف يتأني لك أن تتأكد من أن أي شخص من الجمهور يرى القصة بأكملها، لا يمكنك ضمان هذا الأمر، ولكنك إذا ما قدمت ما هو كاف للفهم لديك بعض الأمل بأن يقوموا بتجميع التفاصيل معًا.

يطلبون الكوكيتلات ونصف قسم المقبلات في القائمة، وتصف ليكسي مشروع أطروححتها لزاكري، وهي عبارة عن قطعة تتضمن -بالإضافة إلى أمور أخرى- فك بعض الرموز واتباع بعض القرائن إلى مواقع مختلفة للعثور على أي خلل ممكن في الأداء.

كات:

- هل تصدق أنها ليست لعبة؟

- هذا حقًا مثير للدهشة.

وتضحك ليكسي على كلامهما وتشرح قائلة:

- لم أكن في مثل هذا من قبل، أقرّ بأنه أمر مخيف بغض الشيء للغرباء عنه.

يقول زاكري:

- وجهة نظر صحيحة، لكن أمور المسرح التي تقومين بها ليست ببعيدة عن هذا الشيء.

تضيف كات:

- إنها بحاجة إلى مداخل للألعاب.

وبين رشقات الكوكتيل والتمر المغلف بلحم الخنزير المقدد وكرات جبن الماعز المقلية المغموسة في عسل اللافندر، يقوم زاكري وكات بتجميع قائمة من الألعاب التي قد تعجب ليكسي، على الرغم من أنها لا تصدقهما عندما يشيران إلى أن بعضها قد يستغرق ما يقارب مئة ساعة للعب بشكل كامل.

- هذا جنون!

ترتشف ليكسي رشفة من كأس الويسكي وتضيف:

- ألا تنامون يا رفاق!

- النوم للضعفاء.

ترد كات، وتكمل كتابة بعض أسماء الألعاب على المنديل، يقاطعهم صوت تحطم صينية مشروبات في مكان ما خلفهم مثيرًا ارتباكهم للحظة. تقول ليكسي وهي تحرق من فوق كتف زاكري إلى الصينية المحطمة والنادلة المخرجة:

- أمل ألا تكون هذه الأكواب خاصتنا!

سيحتاج الأمر منك العيش بداخل لعبة! يضيف زاكري عند عودتهم إلى النقاش وهو أمر قد ناقشه مع كات من قبل:

- ستحتاجين إلى فترة أطول بكثير من وقت كتاب أو فيلم أو مسرحية، تعرفين كيف سيكون لديك وقت من الحياة الواقعية مقابل وقت القصة، وكيف تهمل القصص الأجزاء المملة وتكتف بأجزاء أخرى بشكل أكبر. تحتوي لعبة تقمص الأدوار الطويلة على بعض المضمون، وتترك لك الوقت للتجول في الصحراء أو إجراء محادثة أو التسكع في إحدى الحانات. قد لا تكون بالنسبة إليك أقرب نموذج للحياة الواقعية، ولكن

من حيث تقدّم الأحداث بسرعة وحكمة، فهي أقرب من فيلم أو عرض تلفزيوني أو رواية.

التفكير الزائد بالإضافة للأحداث الأخيرة والكحول، جعلوا زاكري يشعر بالدوار قليلاً فاستأذن منهما، وذهب إلى حمّام الرجال، وبمجرد وصوله زاد دواره مع نظره إلى ورق الحائط المطبوع على الطراز الفيكتوري الذي يبدو له في المرأة وكأنه موجود إلى ما لا نهاية. يخلع زاكري نظارته، يضعها بجانب المغسلة ويرش الماء البارد على وجهه ويحدّق إلى انعكاسه الضبابي المبلل بالماء.

صوت موسيقى الجاز التابع للمدارس الأولى في نشأة هذه الموسيقى يصدح في الأجواء خارجاً، ويتمدّد للمساحة الصغيرة الموجود بها، في اللحظة التي ضربه شعور بعدم الارتياح وكأنه يهوي في ثقب عبر الزمن، بينما يبادله الرجل الباهت في المرأة نظرات مشبّعة بنفس الارتباك الذي تبدو عليه نظراته.

يجفف زاكري وجهه بالمناديل الورقية ويرتّب شكله على أفضل هيئة، وبمجرد أن يضع نظارته تبدو التفاصيل التي كانت ضبابية حادة للغاية، وهو يمشي باتجاه الطاولة، نحاسٌ مقبضُ الباب، الزجاجات المتدلية التي تضيء الحانة، وكلّ شيء.

يجلس زاكري على الطاولة وتخبره كات أنّ رجلاً ما كان يتفحصه وهو ذاهب إلى الحمّام.

- أوه، أعتقد أنّه ذهب الآن -تنظر في أرجاء الحانة- لقد كان هناك وحيداً في تلك الزاوية.

يردّ عليها زاكري وهو يأخذ رشفة من كأس الكوكتيل التي وصلت في غيابه:

- أوه كم أنت لطيفة يا كات تحاولين أن تختلقي لي عشيقاً وهمياً.

تقول كات بانفعال:

- لقد كان هنالك رجل ما يحدّق إليك، أنا لا أختلقه، أليس ذلك يا ليكسي؟
تردّ ليكسي مؤيدةً لكات:

- نعم لقد كان هنالك رجل ما في تلك الزاوية لكنني لا أدري إن كان يتفحصك أم لا، أعتقد أنه كان يقرأ.

تقول كات:

- أوه حسناً، وتنظر مرةً أخرى في أرجاء الحانة وتغيّر الموضوع بعدها. نأى زاكري بنفسه عن المشاركة في هذا الحديث، وبدأ الثلج بالتساقط مرةً أخرى في الخارج. خرج الثلاثة من الحانة ومشوا معاً عائدين إلى الحرم الجامعي وافترقوا بعدها تحت ضوء مصباح الشارع ونزل زاكري الشارع المنحني الذي يؤدي إلى مساكن الخريجين مبتسماً في سره، وهو يستمع لصوت حديثهما عن بعد وهو يتلاشى.

رقاقات ثلج صغيرة تغطي شعره وتنزل على نظارته، ويشعر زاكري وكأنه مراقب ينظر إلى الخلف من فوق كتفه عبر ضوء الشارع ولكنه لا يرى سوى الثلوج والأشجار وضبابٍ مشبّعٍ بحمرة في السماء.

يعود زاكري لقراءة «الأحزان العذبة» مع الدوار الناتج عن تأثير الكحول في رأسه ويبدأ بالقراءة من البداية، لكن النوم يتسلل إلى جفنيه ويسرقه ليغطّ فيه بعد صفحتين فقط ويسقط الكتاب مغلقاً على صدره.

في الصباح، يكون الكتاب على صدره أول شيء يراه، ودون أن يفكر فيه كثيراً يضعه في حقيبته ويرتدي معطفه وينتقل حذاءه متوجّهاً إلى المكتبة. يسأل زاكري الرجل في مكتب الاستقبال:

- هل إيلينا هنا؟

فيجيبه الرجل:

- إنها في مكتب الحجز، بالقرب من الزاوية اليسرى.

يشكر زاكري أمين المكتبة الودود ويستمر عبر الردهة إلى الزاوية؛ حيث طاولة بها جهاز حاسوب وتجلس إيلينا مع شعرها الملفوف على شكل كعكة وأنفها المستغرق هذه المرة في رواية مختلفة لـ(ريموند تشاندلر) هي رواية «التشغيل».

- كيف يمكنني مساعدتك؟

تسأل إيلينا دون أن تنظر، ولكن عندما تفعل ذلك تضيف:

- أوه، مرحباً! لم أكن أتوقع أن أراك قريباً.

- شعرت بالفضول حيال لغز المكتبة، كيف وجدت هذه الرواية، أنا لم أقرأها حتى الآن!

- حتى الآن جيدة جداً، لكنني لا أحب الإدلاء برأي معين حتى أنتهي من الكتاب بأكمله، فأنت لا تعرف أبداً ما قد يحدث، أنا أقرأ جميع رواياته بترتيب توقيت نشرها، «السبات العميق» هو المفضل لدي هل تحب أن أعطيك قائمة كتبه؟

- نعم، سيكون ذلك رائعاً.

ويبدو زاكري سعيداً بكونه بدا لطيفاً إلى حد ما، تكتب إيلينا شيئاً ما في الحاسوب وتنتظر، ثم تكتب شيئاً آخر وهي تقول:

- يبدو أن كل شيء آخر له أسماء مؤلفين مناسبة، الكثير من الألغاز، بعض كتب الخيال والأدب. سأساعدك في العثور عليهم لكنني عالقة في المكتبة حتى الساعة الحادية عشرة.

تنقر مرة أخرى وتبدو الطابعة القديمة الموجودة بجانب المكتب وكأن الحياة عادت إليها، وقالت:

- كان هناك المزيد من الكتب في قسم التبرعات، من المحتمل أنها كانت هشة للغاية لتداولها أو تعرضت للتلف، هذه الكتب الاثني عشر هي الموجود هنا في قسم التبرعات، ربما يكون المجلد الذي لديك هو المجلد الثاني لشيء ما.

وسلمت زاكري القائمة المطبوعة بالعناوين والمؤلفين وأرقام الاتصال.

فرضيتها جيدة، ورغم أن زاكري لم يأخذها في الحسبان، فإنها منطقية إلى حد ما، ينظر زاكري إلى العناوين ولكن لا شيء يبدو ذا مغزى أو مثيراً للاهتمام بشكل خاص، فيقول:

- أنت أمينة مكتبة ومحققة بشكل مثير للاهتمام، شكراً لك.

- على الرحب والسعة، شكراً لك على إعطائي حفنة من الطاقة خلال يوم عملي، وأعلمني إن واجهت مشكلات في العثور على أي شيء.

تعود إيلينا إلى قراءة كتابها مرة أخرى. ويبدأ زاكري بحثه في قسم الرواية، يتفحص الرفوف تحت مصابيح الإنارة غير الثابتة، منتقياً خمسة عناوين في القائمة بالترتيب الأبجدي.

من المناسب أن تكون أول رواية لـ(شيرلوك هولمز)، والثانية رواية «هذا الجانب من الجنة»، لم يسبق له أن سمع بالكتابين التاليين، لكن يبدو أنهما مجلدان عاديان، مع صفحات حقوق طبع ونشر مناسبين. آخر الكتب كان

«جزر الهند السوداء» من تأليف جول فيرن باللغة الفرنسية الأصلية ولا بدّ أنه وضع هنا عن طريق الخطأ.

يبدو أن جميع هذه الكتب إصدارات عادية، ولو كانت إصدارات قديمة. ولا يبدو أن أيًا منها فيه أي شيء مشترك مع الأحزان العذبة.

يضع زاكري كومة الكتب تحت ذراعه، ويتجه نحو قسم الكتب غير الروائية، ثبت له أن هذا الجزء أكثر صعوبة؛ حيث سيقوم بإعادة فحص أرقام الاتصال والمراجع. وصل ببطء إلى الكتب السبعة الأخرى، وتضاءل حماسه لأن أيًا منها لا يشبه الأحزان العذبة فمعظمها متعلق بعلم الفلك أو رسم الخرائط.

خياره الأخير يعيده إلى الاقتراب من قسم الأساطير، كتاب (بولفينش): عصر الخرافة أو جمال الأساطير، ويبدو جديدًا كما لو أنه لم يُقرأ قط، على الرغم من أنه يحمل تاريخًا يعود لعام 1899.

يضع زاكري المجلد الأزرق بتفاصيله المذهبة على كومة الكتب الخاصة به ويبدو التمثال النصفى لأريس على الغلاف، وكأنه يتأمل شيئًا ما، وعيناه حزينتان كما لو أنه يشارك زاكري خيبة أمله في عدم العثور على شبيه واضح للأحزان العذبة.

يتوجه زاكري إلى الطابق العلوي؛ حيث غرف القراءة شبه الفارغة وفيها أمانة مكتبة مع عربة صغيرة تنظم الكتب، وطالب يرتدي سترة مخططة يكتب على جهاز حاسوب محمول، ورجل يبدو وكأنه أستاذ يقرأ رواية لـ(دونا تارت). ويتوجه زاكري إلى الزاوية البعيدة من الغرفة، وينشر كتبه على إحدى الطاوات الكبيرة ويتفقد كل مجلد بشكل منهجي.

يحدّق إلى نهاية الأوراق ويقلب كل صفحة بحثًا عن أدلة، ممتنعًا عن إزالة ملصقات الباركود ولكن لا يبدو أن أيًا منها يغطي شيئًا ذا أهمية، وهو غير متأكد مما ستخبره نحلة قادمة في إحدى الصفحات أو مفتاح أو سيف آخر.

بعد تفقد سبعة كتب لا تحتوي على الكثير من الصفحات المفيدة له، شعر زاكري بتعب كبير يحتلّ عينيه، فقرر أنه يحتاج إلى استراحة وربما إلى بعض القهوة. أخذ دفتر ملاحظات من حقيبته وكتب ملاحظة شكّ في جدواها: «سأعود بعد 15 دقيقة، من فضلك لا تعد هذه الكتب إلى أماكنها».

وتساءل في سره عن كون هذه الكلمات قد تعني شيئاً لمن سيقروها، ولكنه قرر عدم الاكتراث وذهب.

يغادر زاكري المكتبة، ويسير إلى مقهى في الزاوية ويطلب كوباً مضاعفاً من الإسبريسو وكعك الليمون، ينهي ما طلبه ويعود إلى المكتبة. يمر بمجموعة كبيرة من رجال الثلج الصغار لشخصيتي (كالفن) و(هوبس) والتي لم يلاحظها من قبل.

يعود إلى غرفة القراءة، وهو أكثر هدوءاً الآن مع وجود أمينة المكتبة فقط التي تنظم الكتب. يخلع زاكري معطفه ويستأنف دراسته الدقيقة لكل كتاب، يفحص المجلد التاسع للكاتب (فرنسيس سكوت فيتسجيرالد) والذي يحتوي على مقاطع عرضية مسطرة بالقلم الرصاص جيّدة للغاية.

الكتابان التاليان لا يحملان علامات ويمكن الحكم عليهما من خلال النص الخلفي لهما، ولا يبدو أنهما فتحاً أصلاً.

وصل زاكري إلى المجلد النهائي لتهبط يده إلى مكانه الفارغ، ينظر إلى كومة الكتب معتقداً أنه ربما أخطأ في الحساب، لكن هناك أحد عشر كتاباً فقط في تلك الكومة، يعيد عدّهم مرة أخرى ويتأكد من صحة عدّه. استغرق ارتبাকে لحظة ليدرك ما هو مفقود.

لقد تلاشى كتاب (بولفينش): عصر الخرافة أو جمال الأساطير. لا يمكنه رؤية التمثال النصفي لأريس في أي مكان. تفقد زاكري أسفل الطاولة والكراسي، والطاولات المجاورة ورفوف الكتب الأقرب إليه، لكن الكتاب اختفى.

يذهب زاكري إلى الجانب الآخر من الغرفة؛ حيث أمينة المكتبة ليسألها عن الكتاب.

- هل لاحظت أن أي شخص أخذ أي كتب من تلك الطاولة هناك في أثناء غيابي؟

تنظر أمينة المكتبة وتهز رأسها وتقول:

- لا. ولم أكن منتبهةً جداً، دخل شخصان وخرجا.

- شكراً.

عاد زاكري إلى الطاولة، والحيرة تأكله وغاص في كرسيه وهو يفكر. يجب أن يكون شخص ما قد أخذ الكتاب. إذا كان أحد عشر كتاباً لم تخبره بأي

شيء، فإن احتمالات أن يكون الثاني عشر هو الكتاب الذي يكشف كل شيء احتمالات ضئيلة، على الرغم من أن احتمال تبخره في الهواء ليس مرجحاً جداً.

يأخذ زاكري كتابي (شارلوك هولمز) و (فيتسجيرالد) لمكتب الإرجاع ويترك بقية المجلدات على الطاولة لإعادتها لاحقاً.

- لا حظ لي.

قال زاكري لإيلينا وهو يمرّ بمكتب حجز الكتب.

- يا لحظك العاثر، إذا ما واجهت في أثناء عملي أي أمور غامضة أخرى سأعلمك بذلك.

- شكراً لمعروفك معي، لكن سؤال آخر هل يمكنني معرفة إن أخذ شخص ما كتاباً أو راجع كتاباً ما في الساعة الماضية؟

- إن كنت تعرف ما هو عنوان الكتاب الذي تتحدث عنه، وافني في مكتب الإعارة وسأتحقق لك من هذا الأمر، لكن لا أحد يأتي كل صباح لمكتب الحجز فإذا ما أرادوا الكتاب سيستغرق منهم الأمر خمس دقائق فقط لأخذه.

- حسناً شكراً لك.

توجه زاكري بعدها إلى الردهة، بينما كانت إيلينا تتحني لتدخل عبر باب يقود إلى ممر حصري لأمناء المكتبة وعاودت الظهور خلف مكتب الإعارة قبل أن يصل إليها فتقول:

- أيّ كتاب تقصد؟

ونقرت بأصابعها على لوحة المفاتيح. قال زاكري:

- كتاب (بولفينش): عصر الخرافة أو جمال الأساطير.

- هذا الكتاب في القائمة، أليس كذلك؟ ألا تستطيع العثور عليه؟

- نعم! لقد كان بحوزتي، ولكنني أعتقد أن شخصاً ما أخذه، بينما كنت غير منتبه.

أجابها زاكري والتعب باد عليه من قصة التلاعب بالكتب.

- يبدو إذاً أنه لدينا نسختان من هذا الكتاب، وواحدة فقط تمّ أخذها، أوه وإحدى هاتين النسختين كتابٌ إلكترونيّ. لا تقلق يجب إعادة كلّ كتاب

إلى رفة الصحيح مرة أخرى بحلول صباح الغد. يمكنني التحقق من تلك الكتب لأجلك.

- شكرًا لك.

ويسلمها الكتب المتبقية وبطاقة هويته وهو يشك بطريقة ما في أن الكتاب سيعود إلى الرف في أي وقت قريب، ثم يقول:

- شكرًا لك على كل شيء، أنا أقدر لك ذلك.

- على الرحب والسعة.

- أنصحك بقراءة بعض مطبوعات (داشيل هاميت)، (تشاندر) رائع، لكن (هاميت) رائع كفاية أيضًا، لقد كان محققًا ماهرًا!

تضحك إيلينا، ويومئ إليها أمناء المكتبة الآخرون بأن تخفض صوتها. يلوح لها زاكري مبتعدًا مستمتعًا بصوت رئيس أمين المكتبة وهو يحث الآخرين على الصمت.

يمشي زاكري مبتعدًا نحو الخارج وتحت الثلج، يبدو كل شيء واضحًا ومشرقًا بأبهى حلة، يعود إلى مسكنه مقلبًا في ذهنه احتمالات ما يمكن أن يحدث للكتاب المتلاشي، ثم لا يستقر في النهاية على شيء!

داخله بالارتياح بأنه أبقى «الأحزان العذبة» في حقيبته اليوم، وفي أثناء مشيه فكر بشيء لم يسبق له أن جربه من قبل وشعر بالغباء حيال تفكيره بهذه الطريقة. وصل إلى غرفته، وضع حقيبته على الأرض واتجه مباشرة إلى جهاز الحاسوب الخاص به.

فتح الإنترنت ونقر على محرك البحث غوغل، بحث عن «الأحزان العذبة» متوقعًا ما قد سيحصل عليه: صفحات كثيرة من اقتباسات لـ (وليم شكسبير)، فرق موسيقية، ومقالات حول استهلاك السكر.

بحث مطولًا عن النحل والمفاتيح والسيوف، وكانت النتائج عبارة عن مزيج من أساطير (آرثر) الرومانسية وقوائم من سلسلة أفلام الرعب والإثارة «الشر المقيم».

حاول أن يبحث أكثر مع أسماء مختلفة، ووجد نحلة ومفتاحًا على شعار معطف لمدرسة سحر خيالية ولاحظ اسم الكتاب والمؤلف، وانتابه الفضول لمعرفة ما إذا كان الترميز مصادفة أم لا.

في عدة نقاط من (الأحزان العذبة) يشار إلى المكان بأنه ميناء ما، ميناء على «بحر بلا نجوم»، ولكن نتائج البحث عن «بحر بلا نجوم» لا يتعدى كونه مجرد بضع إشارات لسلسلة ألعاب دوجمان (كلاسيكيات الزحف المحصنة).. بدأ ذلك غير مناسب وغير ذي صلة، اقترح محرك البحث غوغل، أنه ربما كان يقصد بحرًا بلا شمس في إشارة إلى لعبة فيديو أو اقتراح لشطر ما من قصيدة (صموئيل تايلور كوليردج): كوبلا خان.

يتنفس زاكري هنا الصعداء كونه لم يحصل على نتائج مرضية، يحاول مجددًا البحث بين الصور وينتقل عبر الصفحات صفحة تلو الأخرى من الرسوم المتحركة والهياكل العظمية وأسياد الأبراج المحصنة، ثم يلفت انتباهه شيء ما، ينقر على الصورة لتكبيرها.

تبدو الصورة بالأبيض والأسود واضحةً وغير مطروقة من قبل، وربما تم اقتصاصها من صورة أكبر. امرأة ترتدي قناعًا، تبقي رأسها بعيدًا عن الكاميرا وزاوية التصوير، تنحني لتستمع إلى الرجل الذي يقف بجانبها، رجل مقنّع ويرتدي بدلةً تنكرية. هناك العديد من الأشخاص الذين لا يمكن تمييزهم من حولهم، وتبدو الصورة وكأنه تمّ التقاطها في حفلة ما.

حول عنق المرأة يوجد قلادة مكونة من ثلاث سلاسل متدلّية بطريقة ساحرة وخاطفة للأنفاس يتدلى من كلّ سلسلة شيء ما.

ينقر زاكري على الصورة مرة أخرى لعرضها بالحجم الكامل، تتدلى من أعلى سلسلة نحلة، يوجد أدناها مفتاح وتحت المفتاح يوجد سيف وينقر زاكري مرة أخرى لعرض الصفحة التي أتت منها الصورة، ويتبين أنها منشورة على موقع لبيع الحلّي، تساءل عما إذا كان أي شخص يعرف مكان أو طريقة شراء القلادة حتى وجد تحت المنشور رابط مصدر للصورة. ينقر على الرابط بيد ويده الأخرى على فمه ويجد نفسه يحدّق إلى معرض للصور. كتب تحته:

حفلة تنكرية في فندق (ذا ألغونكوين): عام 2014.

ونقرة أخرى تخبره أن هذه الفعالية ستحدث مجددًا بعد ثلاثة أيام فقط.

طرق على ذاكرة باب

باب في الغابة، والتي لم تكن غابةً منذ زمن مضى. الباب لم يعد بابًا بالكامل فقد انهار الهيكل الذي كان يحمله منذ زمن وانهار الباب معه، وهو الآن ملقى على الأرض بدلًا من الوقوف في وضع مستقيم كما كان سابقًا. الخشب الذي يتكون منه الباب قد تعفن وتآكل وصدأت مفصلاته الحديدية، وأحد ما اقتلع مقبض الباب وأخذه.

يتذكر الباب الوقت الذي كان فيه منتصبًا وكاملًا، عندما كان هناك منزل بسقف وجدران وأبواب أخرى وأشخاص بداخل البيت. هناك أوراق نباتات وطيور وأشجار الآن، ولكن لا يوجد بشر، منذ سنوات كثيرة. لذا جاءت الفتاة كمفاجأة!

إنها فتاة صغيرة، أصغر من أن تتجول في الغابة وحدها، لكنها ليست تائهة. الفتاة الوحيدة في الغابة هي مخلوق من نوع مختلف عن كونها مجرد فتاة تمشي عمدًا عبر الأشجار على الرغم من أنها لا تعرف طريقها. هذه الفتاة التي في الغابة لم تته. إنها تستكشف ما حولها.

ليست خائفة ولا تشعر بالقلق من الظلام المتكدر بسبب الظلال التي تخلفها الأشجار مع شمس الظهر المتأخرة. لا تزعجها الأشواك والأغصان التي تشد ثيابها وتخز جلودها.

إنها بعمر يسمح لها بحمل الخوف معها دون السماح له بدخول قلبها، ودون أيّ زعر ترتدي خوفها بخفة، مثل الوشاح، وهي مدركة أن هناك مخاطر ولكنها تتعامل مع الوضع بترك صوت الوعي بداخلها يحوم حولها. لا يغوص الخوف بداخلها، إنه فقط يطنّ مثل سرب من النحل غير المرئي.

قيل للفتاة عدة مرات ألا تتجول كثيرًا في هذه الغابة، حذرت من عدم اللعب بداخلها بتاتًا، وامتنعت من وصف حبها للاكتشاف بأنه مجرد لعبة.

اليوم، ذهبت الفتاة بعيدًا بداخل الغابة، لدرجة أنها تساءلت عما إذا ما كانت قد خرجت منها مرة أخرى باتجاه الجانب الآخر. إنها ليست مهتمة أبدًا بإيجاد طريق العودة. تتذكر الأماكن من حولها، تظل عالقة في ذهنها حتى لو كانت مساحات شاسعة مليئة بالأشجار والصخور.

أغمضت عينيها ودارت حول نفسها لتثبت لذاتها أنها تستطيع اختيار الاتجاه الصحيح وعندما فتحتهما مرة أخرى كانت مخطئة قليلًا وكان الخطأ

بدرجة قليلة صوابًا بطريقة ما. اليوم وجدت أحجارًا ربما كانت جدارًا ذات يوم، متجمعة مع بعضها على شكل خط.

الأحجار التي تتراكم على بعضها لا تصل إلى مستوى عال جدًا، حتى في أعلى النقاط منها سيكون من السهل تسلقها، لكن الفتاة اختارت مكانًا متوسط الارتفاع للتعامل مع الموقف بدلًا من ذلك الارتفاع الذي لا تستطيع الوصول إليه.

على الجانب الآخر من الجدار توجد جذور دبقة زاحفة على الأرض، مما يجعل المشي صعبًا، لذا تستكشف الفتاة المكان بالقرب من الحائط بدلًا من ذلك. وتجد بقعة أكثر تشويقًا من تلك الأخرى التي وجدتها في الغابة.

لو كانت الفتاة أكبر سنًا، لأدركتُ أنّ هيكلاً ما كان هنا ذات يوم، لكنها لم تبلغ من العمر ما يكفي لتجميع قطع الأحجار المتهدمة معًا في ذهنها وتجميعها لاحقًا في مبنى منسي منذ زمن طويل.

يبقى مقبض الباب مدفونًا تحت أوراق عمرها سنوات وسنوات بالقرب من حذائها الأيسر. والشمعدان يختبئ بين الصخور والظلال بطريقة لا يمكن حتى لهذه المستكشفة الشجاعة معرفتها.

يخيّم الظلام على المكان، على الرغم من بقاء ما يكفي من أشعة الشمس لتضيء للفتاة طريقها إلى المنزل إذا ما قفزت فوق الحائط عائدةً أدراجها، لكنها لم تفعل ذلك، إذ استرعى انتباهها شيء ما على الأرض.

بعيدًا عن الحائط قليلًا، يظهر للفتاة الصغيرة خط آخر من الحجارة في شكل شبه دائري وأغلبية الحجارة بيضاوية الهيئة، تتوضح الصورة لتظهر بأنّ الحجارة كانت ربما قنطرةً تقف على أعلى باب في يوم من الأيام. تلتقط الفتاة عصا من الأرض وتستخدمها للحفر حول الأوراق في منتصف قنطرة الحجارة لتتكسر الأوراق وتتفتت وتكشف عن شيء معدنيّ مستدير. تدفع بالمزيد من الأوراق بعيدًا عن طريق العصا لترى حلقة معدنية معكوفة بحجم كفّ يدها، والتي ربما كانت ذات يوم نحاسية ولكنها تلطخت بطحالب خضراء وبنية اللون. جانب من القطعة المعدنية متصل بقطعة أخرى لا تزال مدفونة تحت الأرض.

كانت الفتاة قد شاهدت فيما مضى صورًا لمقابض الأبواب وتعتقد أن هذا قد يكون واحدًا منها على الرغم من أن معظم المقابض التي رأتها سابقًا كانت

على هيئة أسود تتدلى من فمها حلقة معدنية، وهذه الحلقة لا أسد يقضمها من أعلى إلا إذا ما كان الأسد مختبئاً تحت التراب.

لطالما أرادت الفتاة فيما مضى أن تستخدم أداة الطرق على الباب ولم تستطع لقصر طولها، وهذا المقبض ليس بعيداً إنه هنا على الأرض، ويمكنها الوصول إليه، وضعت أصابعها ملتفةً عليه، ولم تهتم إن كانت ستتنسخ أم لا والتقطت المقبض الثقيل ورفعته للأعلى ليسقط منها مجدداً على المعدن تحته، ويصدر عنه صوت مسموع تردد صداه عبر الأشجار.

كان الباب سعيداً بأن أحداً ما طرق عليه بعد كل هذا الوقت، وعلى الرغم من أن الباب مجرد قطع، فإنه يتذكر إلى أين يقود ويتذكر كيف يفتح. وبعد طريقة الفتاة الصغيرة غير المقصودة سمحت لها بقايا هذا الباب بالدخول إلى عالم آخر، عالم «بحر بلا نجوم».

تتهاوى الأرض من تحت قدمي الفتاة، وتسحبها في سلسلة من الأوساخ والأحجار والأوراق تضربها الدهشة لدرجة تمنعها من الصراخ، لا خوف يعترها ولا تفهم شيئاً مما يحدث مما جعل شعورها بالذعر يطوف حولها غارقاً بدوامه حماسها وهي تسقط، تهبط أخيراً والأوساخ تغطي يديها ووجهها والفضول يملؤها، ويستقرّ مقبض الباب الذي لا أسد يعلوه، يستقرّ بجانبها مقوساً ومكسوراً. كان الباب قد تحطم في خريف مضى، مكسوراً ومهدماً ومصاباً بأضرار بالغة بطريقة لا يمكنه فيها تذكر ما كان عليه من قبل وكانت مجموعة من الجذور والأغصان والأوساخ تحجب أيّ دليل على ما حدث فيما مضى.

ركب زاكري إزرا رولينز على متن قطار متجه إلى مانهاتن، محدقاً عبر النافذة إلى سهول (نيو إنجلاند) الجرداء المتجمدة، وبدأ مرةً أخرى وليست أخيرة بالتشكيك في خيارات حياته، ويبدو هذا التوقيت المصاحب لتشكيكه ملائماً للغاية ليتزامن مع قرار تراجعهِ عما يقوم به حتى لو كان ما سيقابله مجوهرات فقط وليس أشخاصاً.

لقد أمضى يوماً كاملاً في تنظيم الأمور، بدءاً بشراء تذكرة باهظة الثمن إلى حد ما للحفل وغرفة في فندق أعلى ثمناً عبر شارع فندق (ذا ألفونكوين) المحجوز بالكامل. وتضمنت تفاصيل التذكرة قواعد اللباس: الأزياء التنكرية والمنمقة والأقنعة.

أهدر زاكري الكثير من الوقت، قلقًا بشأن مكان العثور على قناع حتى فُكّر في إرسال رسالة نصية إلى كات. كان لدى كات ستة أقنعة خاصة بالحفلات، العديد منها يحتوي على ريش، وفُكّر أن القناع الذي وضعه في حقيبته المصنوعة من القماش الخشن مع بدلته الملفوفة بعناية هو قناع من الحرير الأسود من مجموعة «زورو» مريح بشكل مدهش.

كما أن كات أخبرت زاكري أيضًا، بأنها كانت الرجل الأسود في حفلة «الأميرة العروس» العام الفائت، فإذا أراد يمكنها أن ترسل قميصها المنتفخ الأكام له أيضًا مع القناع.

تساءل زاكري عما إذا كان يجب أن يكون قد غادر أمس، لأنه لا يوجد سوى قطار واحد في اليوم، ومن المفترض أن ينقله هذا القطار إلى نيويورك بعد بضع ساعات فقط ليصل إلى مبتغاه، لكنه سيتوقف كثيرًا بسبب الطقس.

خلع زاكري ساعته ووضعها في جيبه بعد أن نظر إليها أربع مرات في غضون ثلاث دقائق، وهو غير متأكد من سبب قلقه الشديد كما أنه ليس متأكدًا تمامًا مما سيفعله عندما يصل إلى الحفلة. إنه لا يعرف حقًا كيف تبدو المرأة التي تظهر في الصورة ولا توجد طريقة لمعرفة أنها ستكون موجودة هناك هذا العام، لكن عليه المُضي قدمًا فهذه هي فئات الخبز الوحيدة في طريقه الغامض.

يُخرج زاكري هاتفه من معطفه، وينظر مرةً أخرى لصورة الحفلة التي احتفظ بها من الإنترنت، ويحدّق إليها مرارًا على الرغم من أنه حفظها غيبًا في ذاكرته، من أول جزء فيها وصولًا إلى اليد الوحيدة التي تظهر دون الجسد خلفها حاملةً كأسًا من النبيذ.

تظهر المرأة في الصورة تميل رأسها إلى الجانب ووجهها مغطى بقناع، لكن جسدها يواجه الكاميرا تمامًا، والقلادة متعددة الطبقات مع النحلة الذهبية والمفتاح والسيف واضحة مشعة، مثل النجوم تتدلى على ثوبها الأسود. فستانها حريريّ وتبدو منحنية فإما أنها طويلة جدًا، وإما تنتعل كعبًا عاليًا جدًا، وكلّ شيء تحت ركبتيها محجوب من قبل نخلة بجانبها تدفع بها إلى الظلّ. شعرها المتدلي من فوق القناع داكن اللون ومصفف بطريقة تبدو فوضوية، ولكنها مشغولة بجهد ودقة، قد تكون في العشرين من عمرها أو في الأربعين أو عمر ما بينهما. تبدو الصورة كما لو أنها التقطت منذ سنوات عديدة، كل شيء داخل الإطار يبدو خالدًا وخارج حدود الزمن.

يرتدي الرجل الموجود بجانب المرأة بدلة سهرة تنكزية، وذراعه مرفوعة بطريقة توحى بأنها تستريح على ذراع المرأة، لكن كتفها تخفي بقية كمّه. يظهر شريط القناع مقابل شعره الأشيب قليلاً، لكن وجهه محجوب تماماً بسبب وجهها. يكشف جزء من عنقه وأذنه أن لون بشرته داكن أكثر بكثير من بشرتها. يقلب زاكري الهاتف في يده في محاولة لإلقاء نظرة على وجه الرجل غافلاً عن عدم جدوى هذا الأمر.

تباطأ القطار حتى توقف، ونظر زاكري من حوله ليرى أنّ عربة القطار أقلّ من نصف ممتلئة، ومعظم الركاب منفردون جالسين في مقاعد مزدوجة لشخصين.

مجموعة من أربعة ركاب تجلس في نهاية الطرف الآخر ويتحدثون بصوت عال أحياناً، مما جعل زاكري يشعر بالندم لعدم إحضاره لسماعات الأذن الخاصة به، الفتاة التي تجلس مقابل مقعده تسند رأسها إلى النافذة وربما نائمة، لديها سماعات أذن ضخمة وبين سترتها الكبيرة ذات القبعة وسماعاتها كان وجهها غائراً تماماً.

يصدح صوت مكبّر القطار بإعلان واضح ومباشر مختلف عن الإعلانات الثلاثة التي سبقته: «السادة المسافرين.. توقف القطار بسبب الجليد المتكدس على مسارات السكة. ونحن في انتظار إزالته، نعتذر على التأخير الذي سيحصل وستتحرك مرة أخرى في أسرع وقت ممكن».

صوت بجانب زاكري قال:

- مرحباً.

نظر زاكري ليرى أمامه امرأة في منتصف العمر، تجلس أمامه، ترتدي طوقاً مع عدّة طبقات ملونة مزينة بالخرز ترن في الأرجاء لترافق صوت المرأة. استدارت من فوق مقعدها وسألته.

- هل لديك قلم؟

- آه! لحظة أعتقد ذلك.

بحث زاكري في حقيبته وأخرج أولاً قلمَ رصاص ميكانيكياً «كبّاس»، لكنه حاول مرة أخرى ووجد قلمَ حبر جافاً، الذي يبدو أنه يتسرب في قاع حقيبته، وقال:

- تفضلي القلم.

قالت له المرأة وهي تغوص في مقعدها مع صوت رنين قلاذتها:
- شكرًا! سأعيده لك خلال دقيقة.

بدأ القطار في التحرك، وبدأ أنه يمشي جيدًا مع تغيّر مظهر الثلج والأشجار خلف النافذة قبل أن يتباطأ ليتوقف مرةً أخرى. أخرج زاكري رواية الغريب الصغير من حقيبته وبدأ بالقراءة محاولاً قليلاً نسيان مكان وجوده ومن يكون وماذا يفعل.

جاء الإعلان عن وصولهم إلى (مانهاتن) وكأنه مفاجأة جعلت زاكري يتوقف عن القراءة في الحال، وبدأ المسافرون الآخرون يجمعون أمتعتهم، بينما اختفت الفتاة التي تحمل سماعات الرأس الضخمة.

- شكرًا لك على القلم، لقد أنقذت حياتي.

قالت له المرأة التي أمامه وهو يرفع حقيبته على كتفه ويلتقط حقيبته الأخرى المصنوعة من القماش الخشن ليردّ عليها زاكري:

- أهلاً بك، على الرحب والسعة.

وضع القلم في حقيبته وتماشى مع الركاب الذين يشقون طريقهم بفارغ الصبر نزولاً من القطار.

الخروج للشارع من محطة بنسلفانيا أمر مربك، ولطالما وجد زاكري دائماً أن مانهاتن مربكة بشكل عام. الكثير من الحيوية والأشخاص والأشياء في مثل هذه المساحة الصغيرة كموطى القدم. هناك ثلوج أقل هنا، متكتلة في الألفية على شكل جبال مصغرة من الجليد الرمادي.

وصل إلى شارع الرابع والأربعين قبل الحفلة بساعتين. بدا له فندق (ذا ألغونكوين) هادئاً ولكن من الصعب تمييزه من الخارج. كاد يخطئ مدخل الفندق الخاص به عبر الشارع، دخل وتجول في ردهة بهو صغيرة متجاوزاً حاجزاً زجاجياً قبل أن يرى مكان مكتب الاستقبال.

انتهى من إجراءات الدخول إلى الفندق على أتمّ وجه، مرتاعاً في لحظة تسليمه لبطاقته الائتمانية، على الرغم من أن لديه مالا كافياً أكثر من اللازم لتغطية الفاتورة، مالا متكدساً منذ سنوات وسنوات بفضل شيكات عيد الميلاد الكبيرة المرسلة له بدلاً من زيارات والده.

وعده موظف مكتب الاستقبال بإرسال مكواة إلى غرفته ليتمكن من كيّ بدلتة الرسمية إذا ما أصابها ضرر ما بسبب الحقيبة التي وُضعت فيها.

ممرات الطابق العلوي في الفندق دون نوافذ تشبه الغواصة إلى حد ما، غرفته ملاءى بالمرايا أكثر من أي غرفة فندق أقام فيها من قبل. المرايا الممتدة من الأرض إلى السقف مقابل السرير، وعلى كلا الجدارين في الحمام تجعل المساحة الصغيرة تبدو أكبر ولكنها تجعله يشعر أيضًا أنه ليس وحيدًا.

رَنّ جرس غرفة زاكري وأتى الموظف له بالمكواة، لكنه انصرف قبل أن يتذكر زاكري أن يعطيه بقشيشًا. فكَّر زاكري أنه من السابق لأوانه تحضير بدلته، لذلك قام بإلهاء نفسه بحوض الاستحمام المستدير العملاق، على الرغم من أن المرايا التي تحيط به تزعجه إلى حد ما. مقابض حوض الاستحمام قليلة ومتباعدة. يحتوي مسكنه الأصلي على عدد أقل من مرشات المياه هذه، كما أنَّ حوض الاستحمام الفخاري في مزرعة والدته في وادي نهر هرسون يبدو دائمًا جذابًا له، ولكنه لا يبقى الماء دافئًا لمدة تزيد على سبع دقائق في مرة الاستحمام الواحدة.

من الغريب أن هناك شمعة مديبة واحدة في الحمام موضوعة بصندوق من أعواد الثقاب، وهي لمسة مثيرة للاهتمام. أشعلها زاكري ليصبح لهب الشمعة الوحيد، عديدًا في المرايا.

في مكان ما، في منتصف استحمامه، يقرّ لنفسه أنه إذا ما أثبتت هذه الرحلة عدم نجاحها، فسيتخلى عن المسعى بأكمله. سيعيد كتاب الأحزان العذبة إلى المكتبة ويحاول نسيانه ونسيان كلِّ ما يتعلق به، وسيصَبَّ جَلَّ انتباهه واهتمامه على أطروحته وربما يزور والدته في طريق عودته للكلية ليحظى بالقليل من الوقت ويصقّي ذهنه مع زجاجة نبيذ.

ربما بدأت قصته وانتهت في ذلك اليوم في ذلك الزقاق. ربما تدور قصته حول الفرص الضائعة التي لا يمكن استعادتها. خلال الاستحمام، أغلق زاكري عينيه حتى لا ينظر إلى كلِّ نسخة الظاهرة في المرايا، تلمع في رأسه مجددًا تلك الكلمات بخطها الجميل، ليس بعد!

تساءل في سره: «لماذا يؤمن بكلِّ هذا؟! لماذا يؤمن بشيء كتبه شخص ما في كتاب؟! لماذا يؤمن بأي شيء على الإطلاق؟! وأين المنطق والعقل من كلِّ هذا؟! وأين يتوقف عن إرجاء دحضه لكلِّ ذلك ونسفه لإيمانه به؟! هل يصدِّق أن الصبي في الكتاب هو؟ نعم إنه يصدِّق ذلك. هل يصدِّق أن الأبواب المطلية على الجدران يمكن أن تفتح وكأنها حقيقية وتؤدي إلى أماكن أخرى تمامًا؟»

أخذ نفسًا عميقًا وأغرق نفسه في الحوض، وبقي تحت المياه حتى اضطر إلى الانسحاب من تحتها لنقص الأوكسجين في رثيته. وخرج من الحوض قبل أن يبرد الماء.

ثوب استحمام الفندق الأنيق جعله يفكر في الذهاب إلى الفنادق الفاخرة في كثير من الأحيان، ثم تذكر كم كلفته هذه الليلة الوحيدة وقرر الاستمتاع بها متجنبًا المشروبات والمكسرات الموضوعة في خزانة صغيرة «ميني بار» في غرفته.

رن الهاتف في حقيبته، ووصلته رسالة من كات مصحوبة بصورة لوشاح مخطط نصفه أزرق ونصفه برونزي مع نص مرافق للصورة: «على وشك الانتهاء».

ورد زكري على الرسالة برسالة أخرى: «شكرًا مرة أخرى، أراك قريبًا». بدأ زكري بكّي بدلته ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، لكنه واجه مشكلة أكبر مع قمصيه المجدد كثيرًا، واستسلم بعد بضع تمريرات للمكواة جيئةً وذهابًا مؤكدًا لنفسه أنه سيبقى مرتديًا سترة البدلة أو الصدار التحتي طوال المساء حتى يظل ظهر القميص غير مرئي لأحد.

بدأ زكري الظاهر في المرأة أنيقًا ومفعمًا بالحياة، وتساءل زكري العادي الآخر عما إذا كانت الإضاءة والمرايا في مؤامرة لإضفاء السحر مع بعضها.

نسي ما يبدو عليه دون نظارته، ونادرًا ما يرتدي عدساته اللاصقة. بدلته ليست زياً رسمياً بصفة دقيقة، وبدون القناع شعر وكأنه شخصية مهمة في بدلته السوداء مع خطوط من الدبابيس غير المرئية تقريبًا.

لقد اشترى البدلة منذ عامين، ولم يرتدها كثيرًا لكنها مصممة جيدًا وهي مناسبة تمامًا. إنه يبدو أفضل الآن، مرتديًا قميصًا بلون الفحم بدلًا من القميص الأبيض الذي كان يرتديه من قبل.

لم يأخذ معه قبعته وقفازيه ووشاحه، معتبرًا أنّ المسافة قريبة وأنه يمر عبر الشارع فقط، واحتفظ بقناعه في جيبه مع نسخة مطبوعة من ورقة حجزه على الرغم من أنه يمكن أن يعطي اسمه عند الباب فقط. أحضر محفظته وترك هاتفه في الفندق، حتى لا يأخذ عالمه اليومي معه.

أخرج زكري كتاب الأحزان العذبة من حقيبته ووضعها في جيب معطفه وأخرجه مجددًا ووضعها في الجيب الداخلي لسترة بدلته؛ حيث إنه صغير

كفاية لیتلاءم وحجم الجیب. فكر زاكري بأنّ الكتاب قد يكون دليلاً له أو منارته ليرشده إلى ضالته، إنه يؤمن بالكتب ويعرف الكثير على وجه اليقين، كان هذا ما شغل تفكيره وهو يغادر الغرفة.

الأحزان العذبة

ما تسعى إليه يسعى إليك

باب في جزء خلفي من مقهى ما، تحجبه كومة من الصناديق، والفكرة الشائعة بين الموظفين عنه هي أن الباب يؤدي إلى حجرة مهجورة تشغلها الفئران على الأرجح. موظفة جديدة تسعى لأن تكون جيّدة في عملها، تفتح الباب في وقت متأخر من إحدى الليالي، لترى إذا ما كان من الممكن وضع هذه الصناديق في الداخل، لتكتشف أنّ المكان ليس بحجرة تخزين على الإطلاق.

باب في قاع بحر مغطى بالنجوم، يستقرّ على أنقاض مدينة غارقة. في يوم نهاريّ مظلم كالليل، وجد غواص مسلح معه أسطوانة أوكسجين وضوء هذا الباب وفتحه وانزلق في دوامة من الهواء مع العديد من الأسماك.

باب في صحراء مغطى بالرمال، فقدّ سطحه الحجري المتهدم تفاصيله جميعها في العواصف الرملية مع مرور الوقت. وفي النهاية سيتم التنقيب عنه ونقله إلى متحف دون أن يُفتح على الإطلاق.

يوجد العديد من الأبواب في أماكن مختلفة، في المدن الصاخبة والغابات النائية، على الجزر البعيدة وقمم الجبال وفي المروج الخضراء. بعضها موجود ضمن مبان مثل مكتبات أو متاحف أو مساكن خاصة، مخبأة في الأقبية أو عليّة ما أو معروضة كالأعمال الفنية في صالات الاستقبال والردهات، أبواب أخرى تقف شامخة بحريّة دون هندسة حولها. بعضها مستخدم يفتح ويغلق والبعض الآخر غير مكتشف حتى الآن وغير مفتوح، وبعض الأبواب منسية ببساطة، ولكن جميعها تؤدي إلى نفس المكان.

كيف تمّ فعل ذلك؟ هو موضوع محطّ نقاش كبير ولم يكتشف أحد إجابة مرضية حتى الآن. هناك الكثير من الخلاف حول هذا الموضوع والموضوعات ذات الصلة به، بما في ذلك الموقع الدقيق للحيّز المكاني. قد يجادل البعض بكلّ ما أوتي من جهد من أجل موقع الباب في قارة أو أخرى، لكن مثل هذه الحجج غالباً ما تؤدي إلى مآزق أو اعترافات بأنّ المكان نفسه ربما يتحرك

ويتغير، الحجر والبحر والكتب جميعها تتحرك تحت سطح الأرض. سيؤدي كل باب إلى مرفأ على «بحر بلا نجوم»، إذا ما تجرأ أحد على فتحه.

القليل من الناس فقط يميز تلك الأبواب عن الأبواب العادية، بعضها بسيط والبعض الآخر مزخرف بشكل متقن. تحتوي معظم الأبواب على مقابض في انتظار طرقها، وأخرى تحتوي مقابض يمكن سحبها. هذه الأبواب ستغني، ستطلق أغاني على هيئة صفارات الإنذار الصامتة لمن يبحث عما يكمن وراءها، أغاني لأولئك الذين يشعرون بالحنين إلى الوطن وإلى مكان لم يذهبوا إليه من قبل. أولئك الذين يسعون حتى لو كانوا لا يعرفون ما يسعون إليه أو أين يكمن ما يبحثون عنه، أولئك الذين يسعون سيجدون ما يسعون إليه فأبوابهم تنتظرهم، لكن سيتغير كل ما سيحدث بعد ذلك. في بعض الأحيان، يعثر شخص ما على باب ما يفتحه وينظر إلى الداخل فقط ويفلقه مرة أخرى.

بعض الأشخاص سيواجهون بابًا ويتركونه في شأنه دونما إزعاج، حتى لو أثار فضولهم، اعتقادًا منهم أنهم بحاجة إلى إذن، وظنًا منهم أن الباب ينتظر شخصًا آخر، حتى لو كان في انتظارهم هم أنفسهم في الواقع.

آخرون سيجدون بابًا ويفتحونه ويمرون من خلاله ليروا إلى أين يقود، وبمجرد وصولهم إلى هناك، سيتجولون في القاعات الحجرية، ويجدون أشياء تلدغ انتباههم، أشياء تدفعهم للمسها وأخرى تجذبهم لقراءتها. يشاهدون القصص مطوية على بعضها في زوايا مخفية وأخرى ممددة على الطاولات، كما لو أنها كانت دائمًا هناك في انتظار وصول قارئها.

سيجد كل زائر شيئًا أو مكانًا ما أو شخصًا يلفت انتباهه، كتابًا أو محادثة أو كرسيًا مريحًا في زاوية مرتبة بعناية. شخص ما سيحضر لهم الشراب، ويفقدون إحساسهم بالزمن ومرور الوقت.

من حين إلى آخر، سيشعر الزوار بالارتباك والدوار والثقل على كاهلهم، من كل ما يمكن استكشافه، ستطبق المساحة حولهم على رثيتهم وقلوبهم وأفكارهم، وسيجدون طريقهم للعودة قبل مرور الكثير من الوقت، سيعودون إلى السطح المألوف والنجوم المألوفة والجو المألوف الذي عهدوه، وسينسى معظمهم وجود مثل هذا المكان، كأن أقدامهم ما وطأته يومًا. سيتلاشى ويندثر من ذاكرتهم مثل حلم. لن يفتحوا بابهم مرة أخرى، وقد ينسون أن هناك بابًا على الإطلاق.

لكنّ مثل هذا النوع من ردود الأفعال نادر الحدوث، معظم مَنْ وجدوا المكان سعوا إليه، حتى لو لم يعرفوا قط أن هذا المكان هو ما كانوا يبحثون عنه، وسيختارون البقاء لفترةٍ ساعاتٍ أو أيامٍ أو أسابيع، سيغادر البعض ويعود لمكانه محتفظًا به ملاذًا أو مهربًا أو حتى ملجأً لهم، يعيشون حياةً في الأعلى وأخرى في الأسفل. عدد قليل منهم بنوا مسكنهم على السطح حول أبوابهم، مما جعلها قريبة ومحمية من أيّ شخصٍ آخر يدخلها.

أما البعض الآخر وبمجرد أن يمروا من بابهم الخاص، لا يرغبون أبدًا في العودة إلى ما تركوه خلفهم، أصبحت الحياة التي تركوها وراءهم أحلامًا، لا يرغبون أبدًا بتذكرها أو العودة إليها.

بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص الذين اعتزموا البقاء، فإنهم يحصلون على الإقامة ويبدؤون في تشكيل الحيّز المكانيّ الذي ستصبح عليه المساحة المحيطة بهم في أثناء إقامتهم. يعيشون ويعملون ويستنفدون ما حولهم من فن وقصص ويخلقون فنًا جديدًا وحكايا جديدة لإضافتها إلى الرفوف والجدران. يحصلون على أصدقاء وأحبّاء جدد ويقدمون عروضًا مسليّةً ويلعبون ألعابًا ممتعة، ينظمون المهرجانات والحفلات المتعددة وينسجون حولهم مجتمعًا حميميًا متينًا.

يعود الزوار من حين لآخر لحضور مثل هذه الفعاليات، الأمر الذي يؤدي إلى تضخم الكثافة السكانية فتمتلئ حتى القاعات الأكثر هدوءًا. تسمع أصوات الهزج والمرح في أرجاء الصالات جميعها والأركان البعيدة. يغمر شاطئ البحر الخالي من النجوم الأقدام الحافية لأولئك الذين يركضون إليه مدفوعين بدوارهم الناتج عن شرب النبيذ.

حتى أولئك الذين يفضّلون الانزواء في غرفهم الخاصة مع كتبهم يخرجون من عزلتهم في مثل هذه المناسبات، ويتم إقناع البعض بالانضمام إلى الاحتفالات، بينما يكتفي الآخرون بالمشاهدة فقط. سيمرّ الوقت دون الإحساس به في حلقات الرقص وأجواء البهجة، وبعد ذلك سيبدأ أولئك الذين يرغبون بالمغادرة بالعثور على طريقهم إلى المخرج، ويتمّ إرشادهم إلى أبوابهم.

سيقولون وداعًا لمن بقوا، لأولئك الذين وجدوا ملاذهم وجنّتهم في هذا المرفأ، من سعوا ووجدوا ما سعوا إليه واختاروا البقاء، سواء اختاروا طريق التفاني أو مجرد إقامة دائمة. إنهم يعيشون ويعملون ويلعبون ويحبّون، وإذا

فاتهم العالم فوقهم نادراً ما يعترفون به. هذا هو عالمهم الآن، عالم مقدّس بلا نجوم. يعتقدون أنه منيع وخالد ولا يمكن اختراقه، لكن كل الأشياء تتغير بمرور الوقت.

وصل زاكري إلى فندق (ذا ألغونكوين)، بعد أربع دقائق من مغادرة غرفته في الفندق وكان سيستغرق وقتاً أقل، لكنه اضطر إلى انتظار المصعد وانتظار مرور سيارة أجرة في الشارع. دخل الحفلة التي لم تكن قد بدأت، لكنّ الجموع بدأت بالاحتشاد، صف من الناس في الردهة ينتظرون تسجيل دخولهم.

يتميز الفندق بطراز كلاسيكي أكثر من الطراز الكلاسيكي في الفندق الذي يقيم به زاكري وشعر بأنه قديم الطراز بشكل خاص مع الحشد الذي يرتدي ملابس تنكرية، ومع الخشب الداكن العتيق وشجيرات نخيل موضوعة ضمن أوعية ببراعة متقنة ومضاءة بشكل خافت.

ارتدى زاكري قناعه بينما ينتظر في الصف. امرأة ترتدي ثوباً أسود توزع أقنعة بيضاء للضيوف الذين لم يُحضروا أقنعة معهم، وسعد زاكري أنه أحضر قناعه معه، فالأقنعة البيضاء بلاستيكية ولا تبدو مريحة، على الرغم من أن تأثيرها يتناثر في جميع أنحاء الغرفة لافتاً للنظر.

أعطى زاكري اسمه للمرأة على المكتب، والتي لم تطلب رؤية تذكرته ليضعها في جيب سترته، تفحص معطفه ومنح معصماً ورقياً يشبه ظهر الكتاب، مطبوعاً بالتاريخ بدلاً من العنوان. تم اطلاعه على البار الموضوع بجانبه ملاحظة «مفتوح، والبقيشيش موضع تقدير» بعدها انطلق إلى الحفلة ولم يكن يدري ماذا يفعل بنفسه.

تجول زاكري في الحفلة كشبح، ممتناً للقناع الذي يسمح له بالاختباء من مرأى الجميع. في بعض النواحي، تشبه هذه الحفلة عددًا من الحفلات الأنيقة، مع الثرثرة والنظارات المتلاثلة والموسيقى التي تجوب الأرجاء والمحادثات. يجلس رواد الحفل على كراسي بذراعين ويتجولون في الزوايا في إحدى الغرف. قاعة رقص أخرى مشغولة إلى حد ما في غرفة ثانية؛ حيث تسيطر الموسيقى على الكلام. مشهد الحفلة كأنه خارج من فيلم، على الرغم من أنه فيلم لا يمكنه تسوية قضايا الزمن أو الموضوع بداخله بشكل كامل. القليل

من الإحراج خطر على بال زاكري من حفلات الزفاف مع غالبية الضيوف غير المعنيين بشيء، وتلاشى الأمر في ذهنه مع حلول المساء وتأثير الكحول.

من نواحٍ أخرى، هذه الحفلة تحديدًا لا تشبه أي شيء اختبره زاكري من قبل، البار خارج الغرفة الرئيسية مضاء بالتكامل باللون الأزرق. لا يوجد عدد كبير من الأزياء التنكرية واضحة المعالم، ولكن يوجد أزياء تشير إلى كتب الحرف القرمزي، وأجنحة خرافية لصفحة قاموس ما، وشخص يرتدي زيًا بكلمات إدغار آلان بو مع غراب مزيف على كتفه. فتاة تشبه ديزي بوكانان من كتاب غاتسبي العظيم تشرب مارتيني في البار. امرأة ترتدي فستانًا أسود صغيرًا طبعت قصائد إيميلي ديكنسون على جواربها. رجل يرتدي بدلة يلف كتفه بمنشفة، وعدد من الأشخاص ناسبوا بأزيائهم أعمال جين أوستن أو ريتشارد ديكنز.

ألقي زاكري نظرة فاحصة على شخص ما في الزاوية يرتدي بدلة رسمية، بدا كمؤلف معروف للغاية عندما حدّق إليه زاكري مجددًا، حينها أدرك زاكري مذعورًا أن بعض مؤلفي الكتب على رفوف مكتبته هم أشخاص حقيقيون يذهبون إلى الحفلات.

كان زيّه المفضل في الحفلة، ثوبًا أبيض طويلًا ترتديه امرأة، مع تاج ذهبي بسيط، لم يتمكن من تفحصها تمامًا حتى استدارت، تتدلى على ظهر الثوب الخلفي أقراطٌ مدببة، ويتدلى من بطانة الثوب شريطٌ وسلسلة مسننات. تذكر زاكري ارتدائه زيًا تنكريًا على هيئة ماكس من كتاب «حيث تكون الأشياء البرية» عندما كان في الخامسة من عمره، وكان زيّه غير أنيق بالمرّة. بحث زاكري عن قلائد ذهبية لكنه لم يجد أيًا منها، لم يجد نحلًا أو مفاتيح أو سيوفًا. المفتاح الوحيد الذي رصده كان مزيفًا، يبدو كما لو أنه يختفي في خلفية رقبة شخص ما، واعتبر هذا المفتاح مرجعًا ذكيًا لكتاب هزلي.

تمنى زاكري في سره أن تظهر هالة ضوء حول الأشخاص المناسبين للتحدث معهم، تمنى ظهور مؤشرات تحوم فوق رؤوس الذين قد يقدمون إفادةً له، أو لو أنه يوجد خيارات مربعات حوار للاختيار من بينها.

إنه لا يتمنى دائمًا أن تكون الحياة الواقعية أشبه بألعاب الفيديو، ولكن في مواقف معينة سيكون ذلك مفيدًا مثل (اذهب إلى هنا! تحدث إلى هذا الشخص!) ستشعر وكأنك تحرز تقدمًا على الرغم من أنك لا تعرف بالضبط ما تحاول القيام به.

يتشتت انتباه زاكري بشكل متزايد بالتفاصيل عندما يجب أن يركز على المجوهرات، طلب كأسًا من إبداعات الكوكتيل التنكرية في البار؛ كوكتيل يرمز إلى قصة موت أوفيليا غرقًا وهو عبارة عن مشروب من الكحول المقطر مع الليمون ومحلول نبات الشمر المركز يقدم مع زهور إكليل الجبل الربيعية، ومنديل يحمل اقتباسًا ما من مسرحية هاملت. يرتشف الضيوف الآخرون مشروب همنغواي بالفراولة، أو صلاة العشاء المزينة بشرائح الليمون المعقدة. جذوع كلٍّ منها على شكل ناي تُقدَّم مع النبيذ الفوار بداخلها مع شرائط مكتوب عليها «اشربني» ملفوفة حولها.

الأطباق على الطاوات ملآنة بمفاتيح تبدو هاربة من آلة كاتبة، حاملات الشموع الزجاجية المضاءة ملفوفة بصفحات كتب، أحد الأروقة مزين بأدوات الكتابة (أقلام حبر، أقلام رصاص، أقلام يعتلي رأسها ريشة) وجميعها معلقة في السقف على ارتفاعات مختلفة.

امرأة ترتدي ثوبًا مطرزًا وقناعًا متناسقًا تجلس في زاوية مع آلة كاتبة، تنقر وتكتب قصصًا مصغرة على قصاصات من الورق وتعطيها للضيوف الذين يمرون بها. القصة التي سلمتها إلى زاكري تُقرأ مثل صيغة كناية عن كعكة الحظ:

يتجول وحده لكنه آمن في وحدته..

مرتبك لكنه مرتاح مع حيرته..

دثار من الدهول ليختبئ تحته.

لم ينجح في الهروب من دائرة الانتباه، حتى بتظاهره بأنه شبح العيد. تساءل ما إذا كانت الأقنعة تجعل الناس أكثر شجاعة، وأكثر عرضة لبدء المحادثات مع تلميح عدم الكشف عن هويتهم. تقترب الأشباح المتجولة الأخرى بملاحظات حول المشروبات والجو العام. تعد مشاركة قصص الآلة الكاتبة التي وزعتها المرأة بداية محادثة معروفة؛ حيث تمكن من قراءة بعض الحكايات المختلفة، بما في ذلك قصة عن قنفاذ يراقب النجوم وأخرى عن منزل مبني فوق مجرى مائي مع تردد صدى صوت الماء في الغرفة.

سمع شخصًا ما يذكر أن هناك أشخاصًا يقومون بجلسات خاصة لسرد القصص في غرف أخرى، ولكن لا يتحدثون إلى أي شخص كان في الطرف

المتلقي لهذه الجلسات. لديه قناعة بأن هنالك المؤلف الشهير في الغرفة وهناك كاتب آخر لم يلاحظه حتى.

في البار الأزرق الأضواء الصغيرة، وجد نفسه يتحدث عن مشروبات الكوكتيل مع رجل يرتدي بدلة وأحد الأقنعة التي وزعت في الحفلة، مع بطاقة صغيرة كتب عليها «مرحبًا، اسمي جودو» عالقة في طية صدر السترة. ذكر زاكري اسم (بوربون) الذي أوصى به (جودو) على ظهر تذكرته المطبوعة.

قالت سيدة ترتدي فستانًا أزرق فاتحًا يشبه ألبسة الأطفال بشكل غريب وجوارب بيضاء للركبة:

- هل رأيت قطعة هنا؟

ثم أدرك زاكري أنها تتحدث إليه. فأجاب متعجبًا:

- قطعة؟ غالبًا إنها امرأة سمراء البشرة من مجموعة أليس من بلاد العجائب، وتنضم إليها سيدة أخرى متطابقة معها، ومن الواضح، وإن كان مقلقًا بعض الشيء، أنهما توءمتان من كتاب البريق.

تشرح التوءم الأولى قائلة:

- يوجد بالفندق قطعة مقيمة ونحن نبحث عنها طوال الليل، ولكن لم نجدها حتى الآن.

ترد الأخرى:

- هلا تساعدنا بالبحث؟

يوافقها زاكري على الرغم من أن هذه الدعوة للبحث تنذر بالشؤم، قرروا الانفصال لتغطية المزيد من الأماكن وعاد زاكري إلى مكانه بالقرب من قاعة الرقص، وتوقف مؤقتًا للاستماع إلى فرقة الجاز، في محاولة للإنصات لمقطوعة موسيقية مألوفة.

يحدق إلى الظل خلف الفرقة، ويعتقد أنه من غير المحتمل أن تتسكع قطعة مع كل الضوضاء، قبل أن ينتبه إلى شخص ما ينقر على كتفه.

تقف المرأة التي ترتدي زي ماكس وتبدو أطول مما كان متوقعًا مع تاجها خلفه مباشرة، تسأله:

- هل تريد أن ترقص؟

«قل شيئًا لطيفًا». صوت يهمس في رأس زاكري. فقال:

- بالتأكيد!

ويخيب أمل الصوت داخل رأسه، لكنّ الشخص البريّ بداخله لا يمانع.
تفاصيل زيتها أكثر إثارة للإعجاب عن قرب: قناعها الذهبي يطابق تاجها، كلاهما مصنوع من الجلد بأشكال بسيطة ومزين بقطعة معدنية باهظة الثمن. تحت القناع عيناها مكحلة بالذهب، وحتى رموشها تتلألأ بنفس اللمعان الذهبي المتناثر على شعرها الداكن الذي يشك زاكري الآن في أنه قد يكون شعرًا مستعارًا. الأزرار البيضاء الموجودة على الجزء الأمامي من ثوبها غير مرئية عملياً مقابل القماش، ومثبتة بخيط ذهبي. عطرها مناسب تمامًا للزي، وهو مزيج تنبعث منه رائحة الأرض والسكر في نفس الوقت.

بعد دقيقة من الصمت والرقص المريح البعيد عن الإحراج، بمجرد أن تذكر زاكري كيف يقود الرقصة ووجد إيقاع الأغنية (بعض معايير الجاز التي يتعرف عليها ولكن لم يستطع تسميتها)، قرر أنه ربما يجب أن يقول شيئاً ما، وبعد أن استوعب ذهنياً الأفكار وأول شيء خطر على باله عندما رآها في وقت سابق قال لها.

- زي ماكس الخاص بك أفضل بكثير من زي ماكس الخاص بي، أنا مرتاح لأنني لم أرتد الزي الخاص بي، كان من الممكن أن يكون الأمر محرّجاً.

ابتسمت المرأة، وولدت هذه المعرفة ابتسامة متكلفة على وجه زاكري ارتبطت بمعرفة نجوم قصة الفيلم الكلاسيكية.

- لن تصدق عدد الأشخاص الذين سألوني عمّن يفترض أن أكون بأزيائي هذه.

قالت له المرأة بلهجة تشوبها خيبة أمل.

قال زاكري:

- يجب عليهم أن يقرأوا أكثر.

- أنت نفسك ترتدي قناعاً، أليس كذلك؟

- ربما، كل الاحتمالات قائمة، ربما أكثر ربما أقل.

البريّ بداخله، والذي من الممكن أنه يرتدي شعرًا مستعارًا، ابتسم ابتسامة حقيقية هذه المرة.

- أكثر على ما أعتقد.

قالت بعد أن أخذت كلامه بعين الاعتبار، ثم أكملت:

- ما الذي أتى بك إلى هنا هذا المساء، إلى ما هو أبعد من الوله بالأدب والكوكيتيلات؟ يبدو أنك تبحث عن شخص ما؟

اعترف زاكري:

- ممم نوعًا ما، لكنني لا أعتقد أنهم موجودون هنا.

سحب زاكري المرأة في حركة دائرية لتجنب الاصطدام بزواج آخر من الراقصين، لكن جمال حركة ثوبها جعل الحركة تبدو مثيرة للإعجاب لدرجة أن العديد من الأشخاص في الجوار توقفوا لمشاهدتها.

قالت الفتاة لزاكري:

- آه! يا لبؤسهم أظن أنهم حرموا أنفسهم من حفلة جميلة ورفقة أجمل، على ما أعتقد.

- كنت أبحث أيضًا عن القطة.

تبتسم المرأة وتقول لزاكري:

- آه، لقد رأيت ماتيلدا في وقت مبكر من المساء، ولكنني لا أعرف إلى أين ذهبت. حسب تجربتي ففي بعض الأحيان يكون من الأفضل السماح لها بأن تعثر هي عليك.

توقفت قليلاً ثم أضافت بصوت خافت:

- كم هو جميل أن تكون قطة فندق. سنكون محظوظين جدًا.

- ما الذي أتى بك إلى هنا الليلة؟

تغيرت الموسيقى، وفقد موطئ قدمه للحظات ولحسن حظه لم يدس على قدميها.

ولكن قبل أن تتمكن المرأة من الإجابة، لفت انتباهها شيء ما تجاوز كتف زاكري اليمنى. تتيبس بين يديه، وهو تحوّل يمكنه أن يشعر به أكثر مما يراه، وفكر أنها امرأة جيدة في ارتداء العديد من أنواع الأقنعة المختلفة.

T telegram @tea_sugar قالت:

- اعذرني للحظة.

ثم وضعت يدها على طية صدر سرة زاكري وشخص على الجانب يلتقط صورة. تبدأ المرأة في الابتعاد، لكنها تتوقف عند زاكري أولاً وتنحني، أو شيء ما بين انحناءة وتقوس يبدو في الوقت نفسه رسمياً وسخيفاً، لا سيما أنها صاحبة التاج. أعاد زاكري الإيماءة بالانحناء بأفضل ما في وسعه، وعندما اختفت المرأة في الحشد صفق شخص قريب لها، كما لو كانوا جزءاً من أداء. أتى المصور وسأله عن اسميهما - هو والمرأة-. قرر زاكري أن يطلب ببساطة إدراجهما كضيوف إذا تم نشر الصور في أي مكان ووافق المصور على مضمض.

تجول زاكري في الردهة مرة أخرى، ببطء أكثر بسبب الحشد الكثيف، خيبة أمل متزايدة اجتاحتها. بحث مرة أخرى عن المجوهرات والنحل أو المفاتيح أو السيوف. للحصول على علامة. كان يجب أن يلبسها بنفسه، أو يرسمها على يده أو يجد منديل جيب مزخرفاً بالنحل. إنه لا يعرف لماذا اعتقد يوماً أنه يمكنه العثور على شخص غريب واحد في غرفة ملانة بالأشخاص الغرباء.

بحث زاكري عن أي شخص تحدث إليه من قبل، معتقداً أنه ربما يمكنه الاستفسار عنه بلا مبالاة، لم يعد متأكداً من شيء بعد الآن. لا يمكنه حتى العثور على المرأة بزي ماكس بين الحشود.

صادف مجموعةً كثيفة خاصة من مرتادي الحفلات: أحدهم يرتدي بيجاما حريرية خضراء باهرة ويحمل وردة في غطاء زجاجي، وقف زاكري خلف عمود واقترّب من الحائط للالتفاف حولهم، لكنّ شخصاً ما بين الحشود مد يده وسحبه عبر المدخل، وأغلق الباب من ورائهم، مما كتم أحاديث الحفلة وقطع الضوء.

شخص آخر معه في الظلام، اليد التي شدته إلى الداخل أطلقت سراحه لكن شخصاً ما كان يقف بالقرب منه. أطول منه ربما، يتنفس بهدوء، ورائحة ليمون وجلد وشيء لا يستطيع زاكري التعرف عليه ولكنه جذاب للغاية؛ شعر بها زاكري جميعها.

ثم همس صوت في أذنه:

- ذات مرة، منذ زمن بعيد، وقع الزمن في حب القدر.

صوت ذكوري، نغمة الصوت عميقة ولكن الإيقاع خفيف، كصوت الحكواتي وراوي القصص، تجمد زاكري منتظرًا ومنصتًا.

- هذا، كما لك أن تتخيل، ثبت أنه مشكلة.

استمر الصوت في الكلام:

- علاقتهما الرومانسية عطلت تدفق الوقت. لقد جعلت خيوط الحظ تتشابك مثل العقد.

يد على ظهره تدفعه بلطف إلى الأمام ويخطو زاكري خطوة أولية في الظلام، ثم خطوة أخرى. يواصل الراوي الكلام ونبرة صوته أصبحت مرتفعة بما يكفي لملء الفراغ.

- بدأت النجوم بالمراقبة من السماء بقلق وتوتر، قلقة مما قد يحدث. ماذا يمكن أن يحدث للأيام والليالي عندما يحين الوقت لكسر القلب وجعله يعاني؟ ما الكوارث التي قد تنتج إذا كان المصير نفسه ينتظر؟ يواصل السير في القاعة المظلمة.

- تأمرت النجوم وباعدت بين الاثنين، لفترة من الوقت كانا يتنفسان برضا في الجنة، استمر الوقت في التدفق كما كان دائمًا، أو ربما كان أبطأ بشكل غير محسوس. نسج القدر المسارات التي كان من المفترض أن تتشابك معًا، على الرغم من وجود خيط مفقود هنا أو هناك.

الآن منعطف، ووجه زاكري في اتجاه مختلف خلال الظلام، خلال ذلك توقف الراوي عن الكلام؛ إذ يمكنه سماع الفرقة والحفلة بصوت مكتوم وبعيد. يتابع الراوي:

- وجد القدر والزمن بعضهما مرة أخرى.

يد على كتف زاكري توقف حركته، يصبح الراوي قريبًا منه أكثر:

- في السماء، تنهدت النجوم، أبرقت وبكت. سألوا القمر عن نصيحته وقد دعا القمر بدوره أعضاء برلمان البوم ليقرروا أفضل السبل للمضي قدمًا.

في مكان ما في الظلام، يخفق صوت أجنحة، قريبًا وثقيلًا، يحرك الهواء من حوله.

- اجتمع برلمان اليوم، وناقشوا الأمر فيما بينهم ليلة بعد ليلة. تجادلوا وتناقشوا بينما كان العالم ينام من حولهم، واستمر العالم في الدوران، غير مدرك أن مثل هذه الأمور المهمة كانت قيد المناقشة في أثناء نومه. في الظلام، ترشد يد ما يد زاكري إلى مقبض الباب، ليديره بدوره ويفتحه معتقدًا أن أمامه قطعة من هلال قمريّ ثم يختفي.

- توصل برلمان اليوم إلى نتيجة منطقية مفادها أنه إذا كانت المشكلة في الاتحاد، فيجب إزالة أحد العناصر. لقد اختاروا الاحتفاظ بالذي شعروا أنه أكثر أهمية.

يد تدفع زاكري إلى الأمام، ويغلق باب خلفه، ما جعله يتساءل ما إذا كان قد ترك وشأنه ثم تستمر القصة والصوت يتمم من حوله في الظلام:

- أبلغ برلمان اليوم النجوم بقرارهم الذي تمت الموافقة عليه، لكن القمر لم يوافق، وكان في هذه الليلة مظلمًا غير قادر على إبداء رأيه.

هنا تذكر زاكري بوضوح اختفاء القمر أمام عينيه قبل لحظة مع استمرار القصة.

- تم اتخاذ القرار والتخلي عن القدر، ممزقًا إلى أشلاء بواسطة مناقير ومخالب، ترددت صرخات القدر في أعماق الزوايا وأعلى السماوات، ولكن لم يجرؤ أحد على التدخل، باستثناء فأر صغير شجاع تسلل إلى المعركة، زاحفًا دون أن يلاحظه أحد عبر الدم والعظام والریش، وأخذ قلب القدر وحافظ عليه آمنًا سليمًا.

حركة تشبه حركة الفأر فوق ذراع زاكري وفوق كتفه، ارتجف للحظة لتتوقف الحركة على قلبه، ويستقر ثقل يد ما هناك للحظة قبل أن ترفع من جديد. يتبعها وقفة طويلة.

- بعد أن هدأت نار الصخب، لم يتبق أي شيء آخر من القدر. استقرت يد مرتدية قفازًا على عيني زاكري، والظلام يزداد دفقًا واسودادًا، والصوت أقرب الآن:

- البومة التي أكلت عيني القدر حظيت ببصر رائع، ورؤية أعظم من أي نظر تم منحه لمخلوق بشري من قبل وتوجها البرلمان ملكةً لليوم.

بقيت اليد فوق عيني زاكري لكن الأخرى وضعت على قمة رأسه بوزن مؤقت.

- في السماء كانت النجوم تتلألأ ببهجة، لكن القمر كان مليئًا بالحزن. وقفة أخرى هنا، وقفة طويلة، صمت مطبق، أتاح لزاكري أن يسمع أنفاسه جنبًا إلى جنب مع راوي القصص. اليد لا تترك عينيه واختلطت رائحة الجلد بالليمون والتبغ والعرق وبدأ يشعر بالتوتر عندما استمرت القصة:

- وهكذا استمر الوقت كما ينبغي، والأحداث التي كان مصيرها أن تحدث في السابق تترك بدلًا من ذلك للصدفة، ولم يعد للحبّ سبيلٌ تجاه أي شيء لفترة طويلة.

يوجه الراوي زاكري إلى اليمين، ويدفعه إلى الأمام مرة أخرى.

- لكن العالم غريب والنهايات ليست نهايات حقيقية، ولا يهم كيف قد ترغب النجوم في ذلك.

هنا توقف زاكري ومن معه.

- من حين إلى آخر يمكن لقدّر ما أن يجمع نفسه مرة أخرى.

سمع زاكري صوت باب يفتح أمامه، ومضى قدمًا من جديد.

- والزمن ينتظر دومًا.

صوت يهمس ونفس دافئ يمرّ على رقبة زاكري.

ترفع اليد التي كانت تغطي عيني زاكري ويغلق الباب خلفه، يرمش زاكري في الضوء وقلبه ينبض في أذنيه. نظر حوله ليجد نفسه مرة أخرى في بهو الفندق، في زاوية مشغولة بشجيرة نخيل.

الباب خلفه مقفل، شيء ما يضرب كاحله، ونظر إلى الأسفل ليجد قطة رمادية وبيضاء تفرك رأسها بساقه، مد يده لمداعبتها وعندها فقط أدرك زاكري أن يديه ترتجفان. لا يبدو أن القطة حقيقية، بقيت معه للحظة ثم غاصت في الظل.

عاد زاكري إلى البار الصغير في الصالة، ولا يزال حبيس القصة. حاول أن يتذكر ما إذا كان قد سمع هذه الحكاية من قبل، لكنه لم يستطع على الرغم من كونها تبدو مألوفة، مثل أسطورة قرأها في مكان ما ثم نسيها لاحقًا. خلط له النادل كأسًا أخرى من شراب أوفيليا الغارقة، لكنه اعتذر لأن شراب الشمر قد نفذ، وقد استبدل العسل مع إضافة شوفان بروسيكو، إذ إنه أفضل مع العسل.

نظر زاكري حوله بحثًا عن المرأة التي ترتدي زي ماكس لكنه لم يستطع العثور عليها، جلس على البار وراوده شعور بالفشل، وهو مثقل بكل ما حدث، محاولًا مراجعة الأمسية بأكملها.

شرب إكليل الجبل ليتذكر، بحث عن قطة، رقص مع ملك الأشياء البرية، أخبره رجل ذو رائحة ممتازة قصة في الظلام، القطة عثرت عليه.

حاول أن يتذكر اسم ويسكي البوربون الذي ذكره (جودو) سابقًا، بينما يسحب تذكركه من جيبه، إذ يسقط مستطيل من الورق بحجم بطاقة عمل تعريفية على الأرض، فالتقطها زاكري محاولًا أن يتذكر ما إذا كان أي شخص من الذين حادثهم قد أعطاه بطاقة، لكنها ليست بطاقة عمل، ذلك أنها تحتوي على سطرين مكتوبين بخط اليد.

«الصبر والثبات..»

أحضِرْ زهرةً في الواحدة صباحًا..»

تحقق زاكري من ساعته وكانت 12:42

قلب البطاقة، وكان على ظهرها نحلة.

هنالك دروب ثلاث... هذا أحدها

ما دام يوجد نحل، هنالك حراس.

قالوا إنه كان هنالك حارس واحد في البداية، ولكن مع تضاعف القصص أصبحت هناك حاجة إلى المزيد، الحراس هنا قبل المساعدين وقبل الأوصياء. وقبل الحراس كان هناك النحل والقصص وأزيز وطنين.

كان هناك حراس قبل أن تكون هناك مفاتيح، وعادة ما يتم نسيان الحقيقة لأنها مرادفة للمفاتيح. إنها أيضًا حقيقة منسية، أنه كان هناك مفتاح واحد في يوم من الأيام، مفتاح رفيع مصنوع من الحديد وقوسه مغموس بالذهب.

يوجد نسخ كثيرة منه، وكلها لسيد وحيد. تم ارتداء النسخ في سلاسل حول رقبة كل حارس تتدلى على صدورهم، بعضها مغروس في جلدتهم؛ هذا هو أصل التقاليد. لا أحد يتذكر هذا الآن، علامة على الصدر تظهر كفكرة، تبقى واضحة حتى يأتي دورها في النسيان.

لقد تغير دور الحراس هنا بمرور الوقت أكثر من أي مسار آخر، يضيء المساعدون شموعهم والأوصياء يتحركون غير مرئيين ويقظين.

كان الحراس يحتفظون مرة واحدة فقط بنحلهم وقصصهم ومع زيادة المساحة، احتفظوا بالغرف وقسموا القصص حسب النوع أو الطول أو حسب نزوة غير معروفة. رفوف منحوتة للكتب على صخور أو رفوف بناء من المعدن أو خزانات زجاجية وطاولات للأحجام الأكبر. كراسي ووسائد ومصابيح للقراءة إضافة للمزيد من الغرف حسب الحاجة. غرف مستديرة وغرف في المركز لرواية القصص بصوت عال. غرف كهفية ذات أجهزة صوتيات ممتازة لأداء القصص في حفلات الرقص أو الغناء وغرف لإصلاح الكتب وأخرى لكتابة الكتب، وغرف فارغة لاستخدامها لأي غرض كان.

صنع الحراس الأبواب للغرف، والمفاتيح لفتحها أو إبقائها مغلقة، ونفس المفتاح لكل باب في البداية.

صناعة المزيد من الأبواب أدت إلى المزيد من المفاتيح. في وقت من الأوقات، كان بإمكان الحارس تحديد كل باب، كل غرفة، كل كتاب، لكن ذلك لم يعد ممكناً الآن. لذلك حصلوا على أقسام فردية وأجنحة ومستويات وقد لا يلتقي أحد الحراس مع الحراس الآخرين أبداً. يتحركون في دوائر حول بعضهم، وأحياناً يتقاطعون، وأحياناً لا.

لقد أحرقوا مفاتيحهم في صدورهم حتى يعرفوا باسم الحراس في جميع الأوقات. لتذكيرهم بأنهم يتحملون المسؤولية حتى لو كان مفتاحهم (أو مفاتيحهم) معلقاً بخطاف على الحائط وليس حول أعناقهم.

حتى كيفية تمكّن المرء من أن يصبح حارساً قد تغيرت أيضاً.

في البداية تم اختيارهم وتربيتهم ليكونوا حراساً، وُلدوا في المرفأ أو أُحضروا إلى هناك وهم أطفال وأصغر من أن يتذكروا السماء حتى لو كانت حلماً. تم تعليمهم من سن صغيرة حول الكتب والنحل وإعطائهم مفاتيح ألعاب خشبية للعب بها.

وبحسب أحد المساعدين، بعد فترة تمّ تقرير أن المسار يجب أن يكون طوعياً على عكس المساعدين، يتم وضع المتطوعين في فترة تدريب، وإذا كانوا يرغبون في التطوع بعد فترة التدريب الأولى فإنهم يدخلون ثانية وبعد المرة الثانية يمر الباقون عبر المرحلة الثالثة.

هذه هي الفترة الثالثة من التدريب، يجب على الحارس المحتمل اختيار قصة، أي قصة تطلو له مثل حكاية خرافية أو أسطورة أو أقصوصة عن ليلة متأخرة والعديد من زجاجات النبيذ، ما دامت أنها ليست قصة خاصة بهم. (كثير من الذين يؤمنون في البداية برغبتهم في أن يصبحوا حراسًا هم في حقيقتهم شعراء).

يدرسون قصتهم لمدة عام، ويجب أن تحفظها ذاكرتهم جيدًا. وأكثر من الذاكرة، يجب أن يحفظوها عن ظهر قلب. ليس فقط من أجل أن يتمكنوا من تلاوة الكلمات ببساطة، ولكن لكي يشعروا بها، شكل القصة وهي تتغير وترتفع وتهبط وتندفع أو تنزلق نحو ذروتها فيتمكنون من تذكرها وربطها ببعضها بشكل وثيق، كما لو كانوا قد عاشوها بأنفسهم، ويعالجونها كذلك بشكل موضوعي كما لو كانوا قد لعبوا كل دور بداخلها.

بعد عام من الدراسة يتم إحضارهم إلى غرفة مستديرة ذات باب واحد، بها كرسيان خشبيان عاديان في المركز، في مواجهة بعضهما وتنتشر الشموع في الجدار المنحني مثل النجوم، متوهجة من الشمعدانات الموضوعة على ارتفاعات غير منتظمة.

كل جزء من الحائط لا تشغله شمعة أو باب فهو مغطى بالمفاتيح. تتمدد على الحائط من الأرض لما بعد أعلى من الشموع، حتى تصبح غير مرئية. مفاتيح طويلة من النحاس الأصفر وفضية قصيرة، مفاتيح بأسنان معقدة ومفاتيح برؤوس مزخرفة متقنة والعديد منها قديم ومدهون، ولكنها كمجموعة تتلألأ متألقة في ضوء الشموع.

هناك نسخة من كل مفتاح في المرفأ وإذا كانت هناك حاجة ملحة إلى واحد ما، يتم صنع آخر ليحل محله حتى لا يضيع أي شيء، والمفتاح الوحيد الذي لا يحتوي على توءم معلق في هذه الغرفة هو المفتاح الذي يفتح الباب في الحائط. إنها غرفة تشتت الانتباه وقد بنيت لهذا الغرض.

أحضر الحارس المحتمل إلى الغرفة وطلب منه الجلوس (يختار معظمهم الكرسي المواجه للباب وأولئك الذين يختارون الكرسي الذي لا يواجهه يؤدون دائمًا بشكل أفضل).

يُتركون بمفردهم في أي مكان من بضع دقائق إلى ساعة ثم يدخل أحدهم الغرفة ويجلس على الكرسي المقابل لهم، ثم يروون قصتهم كما يطلو لهم، لا

يجوز لهم مغادرة الغرفة ولا يجوز لهم إحضار أي شيء إليها سوى أنفسهم، لا كراسيات ولا ورق للقراءة منه.

لا يتعين عليهم البقاء في مقاعدهم، على الرغم من أن الشخص المواجه لهم يجب أن يفعل ذلك، البعض يجلس ويتلو قصته، تاركًا صوته يقود كل شيء، على الرغم من أنه يمكن أن يتضمن سرد القصص الأكثر حيوية أي أداء آخر، مثل الوقوف فوق الكرسي أو تنظيم الغرفة أو غير ذلك.

وقف حارس مختار ذات مرة متوجهًا إلى ظهر كرسي الشخص الذي يجلس معه، ثم انحنى وهمس بالقصة بأكملها في أذنه. غنى أحدهم قصته، وهي حكاية طويلة مليئة بالحماس، انتقلت من حكاية حلوة تفيض باللطف والتناغم إلى عواء أليم.

حارسة أخرى، وباستخدام الكرسي الخاص بالمساعدة التي تجلس معها، أطفئت جميع الشموع في الغرفة وهي تحكي قصتها، لتنتهي الحكايا المربعة في الظلام.

عندما تكتمل القصة يغادر الجمهور ويبقى الحارس المحتمل وحيدًا في الغرفة لمدة تتراوح بين بضع دقائق وساعة ثم يأتي إليه حارس آخر، والبعض يتم شكره على عمله وخدمته ويتم استبعاده.

أما الباقون، فسيطلب الحارس الأعلى من الحراس المحتملين اختيار مفتاح من الحائط، أي مفتاح يشاؤون والمفاتيح غير مصنفة، ويتم الاختيار وفقًا للشعور أو الغريزة أو الهوى ويقبل المفتاح ويعود الحراس المحتملون إلى مقاعدهم وهم معصوبو الأعين.

يؤخذ المفتاح المختار ويكوى باللهب، ثم يُضغَط به صدر الحارس الجديد خالقًا معه ندبة في المكان نفسه الذي ربما أصبح فيه إذا ارتدوه على شكل سلسلة حول رقابهم.

في الظلام سيرى الحراس أنفسهم داخل الغرفة ومعهم مفاتيحهم المختار. ومع تلاشي حدة الألم من صدورهم، سيبدؤون في رؤية جميع الغرف وكل الأبواب والمفاتيح وكل الأشياء التي يحتفظون بها.

أولئك الذين يخلقون حراسًا جديدًا لا يصنعونهم لأنهم منظمون، أو لأنهم أصحاب تفكير ميكانيكي أو مخلصون أو يعتبرون أكثر جدارة من الآخرين.

الولاء للمساعدين والجدارة للأوصياء، ويجب أن يتحلى الحراس بروح عالية ومتيقظة.

لقد صنعوا الحراس لأنهم يفهمون سبب وجودنا هنا، وأهمية هذا الوجود، لأنهم يفهمون القصص كما لو أنهم يشعرون بأزيز النحل في عروقهم، لكن هذا النظام كان فيما مضى.

الآن هناك شيء واحد فقط.

تحقق زاكري إزرا رولينز من ساعته ثلاث مرات بينما ينتظر استعادة معطفه من الداخل، قرأ الملاحظة مرة أخرى: (الصبر والثبات، أحضر زهرة في الواحدة صباحًا).

هو متأكد بنسبة أربعة وتسعين بالمئة من أن الصبر والثبات هما اسمان للأسدين خارج مكتبة نيويورك العامة، على بعد بضعة مبان فقط. عدم اليقين البالغ 6 بالمئة لا يكفي للنظر في الاحتمالات البديلة، مرت الدقائق بوتيرة أسرع بكثير مما كانت تبدو عليه سابقًا وهو ينتظر معطفه.

- شكرًا لك.

قال زاكري وهو يخرج إلى الفتاة التي أحضرت له معطفه، والتي تبدو -من نظرتها- مبهتة جدًا، نظرة يمكن قراءتها حتى مع إخفاء قناعها لجزء منها.

توقف زاكري مؤقتًا، متذكرًا التعليمات الواردة في ورقة الملاحظة، وبقدر استطاعته سحب زهرة من باقة ما بالقرب من الباب خلسة. إنها زهرة مصنوعة من الورق وبتلاتها مقطوعة من صفحات كتاب ما، لكنها من الناحية الفنية زهرة، ولا بد لها أن تكون كذلك. خلع زاكري قناعه قبل أن يخرج ووضعه في جيب معطفه، وشعر أن وجهه يبدو غريبًا دونه، لفحه الهواء في الخارج مثل جدار متجمد، ثم فجأةً ضربه شيء ما وطرحه على الأرض.

- أنا أسف للغاية.

صوت ما قال ذلك، ونظر زاكري إلى الأعلى وهو يرمش وعيناه تدمعان من البرد، في حين أن رؤيته المشوشة بسبب الكوكيتيل أوحى له أن دباً قطبيًا مهذبًا للغاية يخاطبه.

ورمش زاكري أكثر، وخفّ حجم الدب، وبينما رمش مطولاً تحول الدب إلى امرأة ذات شعر أبيض ترتدي معطفاً من الفرو الأبيض بنفس حجم الدب، وتمدّ له يدها مرتديّة قفازات بيضاء.

قبل زاكري وترك المرأة أو الدب القطبي يساعده للوقوف على قدميه.

- أوه عزيزي المسكين! هل أنت بخير؟ لم أكن حتى أنظر أين وكيف أمشي، يا لسخافتي!

قالت له المرأة وهي تنفض الأوساخ عن معطفه، والقفازات البيضاء تمسد كتفيه وطيات صدر السترة، مبقية إياها نظيفةً بطريقة ما.

- نعم أنا على ما يرام، هل أنت أيضًا بخير؟

قال لها زاكري والجليد يعلق بسرّواله، وألم خفيف يعلق بكتفه. شعر المرأة ومعطفها يبدوان في أحسن حال، وكلاهما يميل للون الفضيّ أكثر من اللون الأبيض.

ردّت المرأة على زاكري وهي ترتدي قفازيّها مرةً أخرى.

- أنا بخير أنا غير مصابة، أنا غير مرثية حتى! لم يسقط رجل عند قدمي في وقت ما بغض النظر عن الظروف يا عزيزي، لذا أشكرك على ذلك.

- على الرحب والسعة

ابتسم زاكري ابتسامة تلقائية مع انحسار الألم في كتفه، وكاد يسأل المرأة عما إذا كانت في الحفلة لكن قلقه الفائق بشأن الدقائق التي تمرّ منعه من ذلك، فقال لها:

- أتمنى لك أمسية جميلة.

تاركًا إياها في بركة الضوء تحت مظلة الفندق وأكمل طريقه إلى أسفل الشارع. تفقد ساعته مرةً أخرى وهو يستدير عند الزاوية نحو الشارع الخامس. بقي لديه بضع دقائق فقط.

وبينما كان يقطع المسافة بينه وبين المكتبة مصغياً لسيارات الأجرة وهي تندفع فوق الرصيف الرطب، إذ بدأ حدسه بالتداعي، تجمدت يده ونظر إلى الأسفل إلى الورقة المتجعدة إلى حد ما في يده وفحصها من كُتب لمعرفة ما إذا كان بإمكانه تخمين الكتاب الذي صنعت منه البتلات، ولكن النص مكتوب باللغة الإيطالية.

تتباطأ وتيرة زاكري مع اقترابه من المكتبة وبرغم الوقت المتأخر وجد بعض الناس يتجولون في الطريق، مجموعة من المعاطف السوداء تضحك وتتجاذب أطراف الحديث في أثناء انتظار تغيير ضوء إشارة المرور لعبور الشارع. حبيبان يتبادلان القبل على جدار حجري منخفض.

السلام فارغة والمكتبة مغلقة لكن الأسود متصلبة في أماكنها، مر زاكري بالأسد الذي يفترض أنه يرمز للثبات وتوقف بالقرب من مركز السلم، في منتصف الطريق بين الأسود. نظر إلى ساعته: 1:02 صباحًا.

هل فوّت لقاءه؟ هل هو حقًا لقاء؟ هل عليه الانتظار؟

كان يجب عليه إحضار كتاب، فكر كما يفعل دائمًا في أثناء انتظاره في مكان ما دون كتاب قبل أن يتذكر ويمد يده إلى سترته، لكن الأحزان العذبة ليست في جيبه. نظر زاكري في كل جيوبه ليتأكد ولكن الكتاب اختفى!

- هل تبحث عن هذا؟

صوت جاءه من الخلف على درج المكتبة على بعد خطوات قليلة منه، وقف رجل يرتدي معطف طاووس، وياقته ملفوفة بوشاح ثقيل من الصوف. شعره الداكن تحول إلى اللون الرمادي عند الصدغين، ويملك وجهًا يمكن القول إنه وسيم إلى حد ما إذا ارتبطت به كلمة حادّ الملامح بطريقة غير تقليدية يرتدي سروالًا أسود، وينتعل حذاءً لامعًا لكن زاكري لم يتذكر رؤيته في الحفلة.

يحمل الرجل في إحدى يديه ذات القفازات السوداء الأحزان العذبة. قال له زاكري:

- هل أخذت هذا مني؟

- لا، شخص آخر أخذه منك وأخذته أنا منه.

شرح له الرجل وهو ينزل الدرج ويتوقف بجوار زاكري. وتابع الرجل:

- تفضل على الرحب والسعة.

تعرف الشعرُ -الموجود خلف عنق زاكري- على الصوت قبل أن يتعرف عليه بقيته. هذا الرجل هو راوي القصص.

تابع الرجل:

- هناك أشخاص يتابعونك ويريدون هذا الكتاب، ويعتقدون حاليًا أن لديهم هذا الكتاب. ما لدينا الآن هو نافذة زمنية؛ حيث لا يستطيعون أن يتبعوك، نافذة ستغلق في غضون نصف ساعة تقريبًا عندما يدركون أن الكتاب قد ضاع ثانية. تعال معي.

وضع الرجل في معطفه الأحزان العذبة وبدأ في المشي، عابرًا أسد الصبر والتف جنوبًا، لم ينظر إلى الورا، تردد زاكري ثم تبعه.

- من أنت؟

سأل زاكري عندما لاحق الرجل عند زاوية الشارع.

قال الرجل:

- يمكنك مناداتي دوريان!

- أهو اسمك؟

- هل يهم؟

وأكملا طيَّ الشارع في صمت.

سأل زاكري وهو يمسك الوردة الورقية بين أصابعه القريبة من التخدر

نتيجة البرد:

- هل الوردة من أجل ذلك؟

- أردت معرفة ما إذا كنت ستتبع التعليمات وعلى الرغم من أنها ليست وردة حقيقية، لكنك على الأقل بارع في الارتجال.

أخذ دوريان الزهرة من زاكري، برمها بيده، ثناها ووضعها في عروة على معطفه، ودفن زاكري يديه المتجمدتين في جيبه.

- لم تسأل حتى من أنا.

أضاف زاكري بينما ارتبأكه يدفعه إلى سؤال نفسه كيف يمكن لشخص ما أن يكون مثيرًا للاهتمام ومزعجًا في نفس الوقت.

- أنت زاكري إزرا رولينز. زاكري، وليس زاك. من مواليد اليوم الحادي عشر، شهر مارس لعام ألف وتسعمئة وتسعة وتسعين في نيو أورلينز بولاية لويزيانا. انتقلت إلى شمال نيويورك عام ألفين وأربعة مع والدتك بعد فترة وجيزة من طلاق والديك. لقد كنت تدرس في الجامعة في فيرمونت منذ خمسة أعوام ونصف، وتعمل حاليًا على دراسة حول

النوع والسرد في الألعاب الحديثة. لديك معدل عال جداً. أنت انطوائي ولديك مشكلات قلق بسيطة، وهناك العديد من الأشخاص الذين تتعامل معهم بودّ ولكن لا يوجد أصدقاء مقربون حقاً. لقد كنت في علاقتين عاطفيتين جادتين وانتهت كلتاهما بشكل سيئ في وقت سابق من هذا الأسبوع، تحققت من كتاب ما في مكتبة، وبعد ذلك تمت فهرسة الكتاب المعني في نظام كمبيوتر مما جعله قابلاً للتتبع، ومنذ ذلك الحين تمت متابعة الكتاب وأنت معه. ليس من الصعب متابعتك، ولكن بالإضافة إلى ذلك، فهم يرسمون خرائط هاتفك وزرعوا جهاز تتبع عليك، تركته لحسن الحظ في فندقك. تحب الكوكيتيلات المصنوعة جيداً، والكاكاو التجاري، وربما كان يجب عليك ارتداء وشاح. أنا أعرف من أنت جيداً.

- لقد نسيت أنني برج الحوت.

قال زاكري وأسنانه تصطك من البرد.

- عرفت ذلك ضمناً من خلال تاريخ ميلادك وأنا من برج الثور، إذا تجاوزنا هذا، يجب أن أطلب من والدتك أن تخبرني عن حظي!

- ماذا تعرف عن والدتي؟

سأل زاكري بغضب واندفع لمواكبة وتيرة دوريان في المشي وكل تقاطع يصلان إليه يجلب دفقة جديدة من الهواء المتجمد الذي يخترق معطفه، توقف عن فحص لافتات الشوارع لكنه يعتقد أنها تتحرك باتجاه الجنوب الشرقي.

- مدام لوف رولينز، المستشارة الروحية.

والتفا مجدداً في الشارع. وأكمل دوريان:

- عاشت فقط في هاييتي حتى بلغت الرابعة من عمرها، ولكنها تحتفظ باللهجة أحياناً لأنها تروق للعملاء. متخصصة في التكهّن النفسي وأوراق الشاي والتاروت. كنت تعيش فوق متجرها في نيو أورلينز هذا هو المكان الذي كان فيه الباب الذي لم تفتحه، أليس كذلك؟

تساءل زاكري كيف يمكنه أن يعرف عن الباب، ولكن بعد ذلك تظهر الإجابة البسيطة. فسأله:

- هل قرأت الكتاب؟

- لقد قرأت الفصول القليلة الأولى، إذا كان بإمكانك تسميتها فصولاً. تساءلت لماذا تبدو مرتبطاً بها؟ فهمت الآن، يجب ألا يعرفوا أنك معنيّ

بذلك، وإلا فسيكونون أكثر اهتمامًا بك وسيكونون أكثر تركيزًا على الكتاب في الوقت الحالي.

- مَنْ هؤلاء؟

سأل زاكري وهما يقطعان شارعًا أوسع يعرف باسم جادة بارك.

- حفنة من الأوغاد غريبو الأطوار الذين يعتقدون أنهم يفعلون الشيء الصحيح عندما يكون الحق في هذه الحالة هو أمر شخصي.

قال دوريان ذلك بطريقة جعلت زاكري يعتقد أن الغرابة قد تكون شخصية وربما تسير في كلا الاتجاهين.

- يمكنني أن أعطيك درس التاريخ، ولكن ليس الآن، ليس لدينا وقت.

- إلى أين نحن ذاهبان إذن؟

- نحن ذاهبان إلى مقرهم في الولايات المتحدة، والذي يقع لحسن الحظ على بعد مبان قليلة من هنا.

- انتظر! نحن ذاهبان إليهم؟

سأل زاكري وأكمل بنصف عبارة:

- أنا لا...

- معظمهم لن يكون هناك، وهذا سيكون في مصلحتنا عندما نصل إلى هناك، ستمنحهم هذا الكتاب.

فتح دوريان حقيبته وسلم زاكري كتابًا مختلفًا. سميكا وأزرق ومألوفًا برسمة منقوشة بالذهب على الغلاف مع تمثال نصفي لـ(أريس).

قلب زاكري الكتاب ليقراً العمود الخلفي، رغم أنه يعرف ما سيقوله. عصر الخرافة، أو جمال الأساطير. تم نزع ملصق المكتبة الموجود على الغلاف الخلفي.

زاكري:

- لقد أخذت هذا من المكتبة؟ أنت كنت هناك؟

قال زاكري بصوت يشوبه الألم بمجرد نطقه بصوت عال.

أجاب دوريان:

- صحيح، عشر نقاط لـ(رافين كلاو). على الرغم من أنه لم يكن من الذكاء منك أن تجمع كل تلك الكتب فقط لتتركها دون إشراف لأنك أردت كعكًا!

- لقد كانت كعكة عالية الجودة!

قال زاكري بشكل دفاعي ردًا على دوريان. وضحك دوريان ضحكة لطيفة منخفضة جعلت البرد خفيفًا بعض الشيء.. وقال:

- الكعك عالي الجودة هو مجرد كعك غير مجمد. وأكمل دوريان:

- ستعطيهم هذا الكتاب.

- ألا يعلمون أن هذا ليس الكتاب الذي يريدونه؟

وفتح زاكري الغلاف الخلفي فوجد رمزه الشريطي مفقودًا أيضًا، فالأحرف الأولى مكتوبة على الورقة في مكانها.

- الأشخاص الذين يتابعونك ربما يلاحظون ذلك، لكنهم مشتتون. لقد تركوا لمجالسة كتبهم بانتباه مشتت، ولن يكونوا في حالة تركيز كافية للاطلاع على تفاصيل الكتاب الذي يبحث عنه أي شخص. ستعطيهم هذا، وستسترد آخر لي، وسأعيد إليك الأحزان العذبة.

حمل دوريان الأحزان العذبة بيده؛ فكر زاكري مرة أخرى في الاستيلاء عليه والهرب. يده باردتان لدرجة أنه لا يمكن إخراجهما من جيبيته. هذا الرجل، مهما كان اسمه الفعلي، من المحتمل أن يتفوق عليه أيضًا.

- هل كل هذا التلاعب في الكتب يخدم غرضًا ما؟

سأل زاكري بينما أرجع دوريان الأحزان العذبة إلى معطفه.

- أنت تساعدني في هذا التلاعب بالكتاب، كما تسميه، وسأوصلك إلى هناك.

لم يحتج زاكري منه أن يوضح أين توجد «هناك» لكنه لا يعرف ماذا يقول. ضوء مصباح نيون وامض بالثلج أمامهما، تحول من الرمادي إلى الأحمر وإلى الرمادي مرة أخرى. سأل زاكري:

- هل هذا حقيقي؟

- بالطبع هذا حقيقي وستشعر به حتى أصابع قدميك أو لن تكون هنا.

- هل هو...؟

بدأ زاكري بالكلام ولكنه لم يستطع إكمال السؤال.

هذا هو الحال في الكتاب؟ تألم لمعرفة ذلك لكنه اشتبه أيضًا في أن الأماكن الحقيقية لا تستطيع الكلمات وضحها بشكل صحيح. هناك دائمًا المزيد مما لا يوصف.

قال دوريان:

- لن تصل إلى هناك دون مساعدتي.

واستمر دوريان بينما توقفوا عند ممر المشاة على الرغم من قلة حركة المرور. وأكمل:

- ليس إلا إذا كان لديك اتفاق مع ميرابيل لست على علم به؟

- من ميرابيل؟

سأل زاكري عندما بدأ في المشي مرة أخرى.

توقف دوريان في منتصف الشارع، والتفت إلى زاكري وحدث إليه، تحديق استجواب يعلوه حاجبان متسائلان.

- ماذا؟

سأل زاكري بعد أن استمر التوقف لفترة طويلة بما يكفي لجعله غير مرتاح؛ حيث ألقى نظرة سريعة على سيارات الأجرة في كلا الاتجاهين.

- لا تفعل ذلك.

قال له دوريان ذلك ومشى، ثم توقف مرة أخرى. مع الحاجبين المتسائلين اللذين انخفضا إلى تعبير أشبه بالقلق لكنه استدار واستمر في المشي وأكمل:

- ليس لدينا وقت لهذا، نحن على وشك الانتهاء. سأحتاج منك الاستماع بعناية شديدة إليّ واتباع التعليمات.

- لا ارتجال؟

سأل زاكري، بشكل أكثر حدة بقليل مما كان ينوي.

- ليس إلا إذا لم يكن لديك خيارات أخرى. لا تقرض أقلًا لأي شخص، أيضًا، إذا كنت تتساءل عن جهاز التتبع! ستخبر من يفتح الباب الذي ستطرقه أن لديك تسليم أرشيف، وأظهر لهم الكتاب، ولكن لا تدعه

يتحرك من يدك. إذا لم يسمحوا لك بالدخول فأخبرهم على الفور أن أليكس قد أرسلك.

- مَنْ أليكس؟

- ليس مَنْ هو، أليكس هو رمز! سترتدي هذا وستتأكد من أنهم يرونه ولكن لا تلتفت الانتباه إليه، إنه أسلوب أقدم مما يرتدونه حالياً ولكنه أفضل ما يمكنني فعله.

سلمه دوريان قطعة من المعدن على شكل سلسلة طويلة مع سيف فضي وأكمل:

- سيتم نقلك عبر قاعة لتصعد درجاً إلى آخر صالة مع عدة أبواب مقفلة. سيتم فتح غرفة لك، وفي هذا الوقت تقريباً سيرن جرس الباب، وسيأتي مرافقك للحضور وعليك هنا التأكيد لمرافقك أنه يمكنك التعامل مع تسليم الكتاب بنفسك، حينها سترى نفسك من الخلف، هذا أمر معتاد، ولن يبدو غريباً ساعتها؛ لأن مرافقك سيغادر.

- كيف يمكنك أن تكون متأكدًا؟

سأل زاكري، وسحب السلسلة فوق رأسه، والتفا مرةً جديدة في الشارع. الشوارع المحيطة بهما سكنية أكثر، تنتشر فيها الأشجار والمتاجر والمطاعم.

- إنهم صارمون تمامًا بشن أنظمتهم، لكن بعضها أكثر صرامة من البعض الآخر، والرد دائمًا على الباب، وهذا أحد أكثر الأبواب صرامة وله الأولوية. ستحتوي الغرفة على كتب على الرفوف وفي صناديق زجاجية. أنت معني بالقضايا. في إحدى الحالات، سيكون هناك كتاب مغلف بالجلد البني، مع طلاء مذهب باهت حول حواف الصفحة. ستعرف أي واحد هو. سوف تستبدل أساطير (بولونش) بهذا الكتاب. ضع هذا الكتاب في معطفك وأنت في تلك الغرفة، توجد كاميرات في القاعات. من الأفضل إبقاء رأسك منخفضاً بشكل عام، ولكن لا أعتقد أن أي شخص يراقبك سيتعرف عليك بناءً على صورتك.

- لديهم صورة لي؟

- لديهم صورة من الكتاب السنوي الجامعي لا تشبهك أبداً، فلا تقلق بشأنها. عد إلى الطريق الذي أتيت منه، نزولاً على الدرج وعند وصولك إلى القاعة الرئيسية، انتقل إلى الجزء الخلفي من الدرج. من هناك

يمكنك النزول إلى الطابق السفلي والخروج من الباب الخلفي. هذا الباب يؤدي إلى الحديقة؛ حيث بوابة خلفية، اخرج منها وانعطف يميناً. سر إلى نهاية الزقاق وعد إلى الشارع. سأنتظرك هناك، عندما أراك سأبدأ بالمشي. اتبعني بالسير لسته أحياء، وعند تأكدك من أنه لا أحد قد تبعك، تابعني لتصل إليّ. في منتصف الطريق أسفل الحي على اليسار، المبنى الرمادي، الباب الأسود، رقم 213. هل لديك أي أسئلة؟ - نعم، لدي أسئلة.

قال زاكري بصوت أعلى مما يقصد:

- من أنت بحق الجحيم؟ من أين أتيت؟ ما يمنعك من فعل هذا كله بنفسك؟ ما المهم جداً في هذا الكتاب تحديداً، ومن هم هؤلاء الأشخاص حقاً؟ وماذا فعل الفأر بقلب القدر؟ من هي ميرابيل؟ وفي أي وقت خلال كل هذا النشاط السري يسمح لي بالعودة إلى فندقتي للحصول على عدساتي الطبيّة ونظارتني؟

تنهد دوريان واتجه نحو زاكري، ووجهه نصفه واضح ونصفه مظلّل، حينها أدرك زاكري أنه أصغر منه، شعره أشيب والحاجبان المتقلبان يجعلانه أكبر سنّاً. قال دوريان:

- اغفر لي نفاذ صبري.

أكمل دوريان، وهو يخفض صوته ويقترب أكثر، وعيناه تنظران إلى الشارع ثم تعودان:

- زاكري! (وتابع قائلاً) أنا وأنت لدينا وجهة مشتركة، وقبل أن أتمكن من الذهاب إلى هناك أحتاج إلى هذا الكتاب. لا يمكنني القيام بذلك بنفسني؛ لأنهم يعرفونني، وإذا وطئت هذا المبنى فلن أخرج منه مرة أخرى أبداً. أطلب منك مساعدتك لأنني أعتقد أنك قد ترغب في مساعدتي. لو سمحت. سوف أتوسل إليك إذا كان يجب علي ذلك.

لأول مرة يكتسب صوت دوريان الجودة التي كان يتمتع بها في الظلام في الحفلة، إيقاع الراوي الذي يحول زاوية الشارع إلى مكان مقدس.

حدّق دوريان إلى زاكري، وللحظة ظنّ زاكري أنّ الشعور في صدره يشويه التوتّر لكنه كان شيئاً آخر تماماً، تحول إلى عصبية، ثم غمره بعدها دفء شديد.

لا يعرف زاكري ماذا يقول، لذا أوماً برأسه واستدار، تاركًا دوريان في الظل، وقلبه ينبض في أذنيه، وقدماه تسحبانه في شارع مهجور تصطف على جانبيه مبان من الحجر البني مضاءة بالأنوار المنبعثة من مصابيح الشوارع وسلاسل متلائة من أضواء الأعياد المبهجة الملتفة حول الأشجار.

«ماذا تحاول أن تفعل؟» سأل صوت في رأسه ولم يكن لديه إجابة جيدة لذلك. لا يعرف ماذا؟ ولماذا؟ أو حتى أين بالضبط؟ لأنه نسي التحقق من لافتة الشارع على الزاوية. يمكنه الاستمرار في المشي أو طلب سيارة أجرة والعودة إلى فندقه لكنه يريد إعادة كتابه ويريد أن يعرف ماذا سيحدث بعد ذلك.

خُصِّصت له مهمة كاملة وهو على وشك أن ينفذها كاملة، لا تحتوي بعض المباني على أرقام مرئية، لذا لا يستطيع زاكري مواصلة العد، ولكن لن يستغرق الأمر منه وقتًا طويلًا للوصول إلى المبنى الذي يبحث عنه. إنه نوع من البناء مختلف عن تلك المباني التي تحيط به، والواجهة من الحجر الرمادي بدلًا من البني، والنوافذ مغطاة بقضبان سوداء مزخرفة. كان سيعتقد أنه بناء سفارة أو ناد طلابي إذا كان عليه علم ما، شيء ما حوله بارد جدًا لجعله يبدو مكانًا للسكن.

نظر إلى الخلف في الشارع قبل أن يعتلي الدرج، ولكن إذا كان دوريان ينتظر هناك فإن زاكري لا يستطيع رؤيته. راجع زاكري تعليماته في رأسه وهو يقترب من الباب، قلقًا من أن ينسى شيئًا ما.

المدخل مضاء بمصباح واحد في قلب شمعدان متقن الصنع معلق فوق لوحة معدنية. مال زاكري إلى قراءتها.. «نادي الجبابرة».

لا توجد ساعات عمل محددة، ولا توجد معلومات أخرى على الإطلاق. الزجاج فوق الباب مكسو بالجليد والأضواء مضاءة بالداخل. الباب أسود مع أرقام ذهبية: 213، إذًا هذا هو الباب الصحيح حتمًا.

أخذ زاكري نفسًا عميقًا وضغط جرس الباب.

المدن الضائعة من عسل وعظام

في الأعماق هناك رجل ضائع في الزمن، لقد فتح الأبواب الخاطئة واختار المسارات غير الصحيحة وتجول أبعد مما ينبغي.

إنه يبحث عن شخص ما، شيء ما، أحد ما. إنه لا يتذكر من هو الشخص، وليس لديه القدرة، هنا في الأعماق؛ حيث الوقت هش للغاية على استيعاب الأفكار والذكريات والتمسك بها لاستدعائها والقبض على أكثر من مجرد ومضات.

في بعض الأحيان يتوقف وفي توقفه هذا تصبح الذاكرة واضحة بما يكفي ليرى وجهها أو أجزاء منها. لكن الوضوح يحفزه على الاستمرار ثم تتفتت قطع الذكريات المتجمعة مرة أخرى ويمشي دون أن يعرف أين يمضي أو من أجل من يمضي.

إنه يعرف فقط أنه لم يصل إليها بعد، لم يقترب منها.

من؟ يتطلع نحو السماء التي تخفيها عنه الصخور والأرض والقصص. لا أحد يجيب عن سؤاله، صوت قطرات مياه يخطئ في معرفة اتجاهه ولا يوجد صوت آخر من حوله غيره ثم ينسى السؤال مرة أخرى.

ينزل السلالم المتهدمة ويتعثر في الجذور المتشابكة، لقد مر وقت طويل على آخر مرة جال بها على الغرف بأبوابها وأقفالها، الأماكن التي تكتفي القصص فيها بسكناها على الرفوف.

لقد حلّ نفسه من الجذور المتشابكة حوله التي كانت تزدهر يوماً ببراعم القصص، واجتاز أكواماً من فناجين الشاي المهجورة مع نصوص معجونة في طلائها الزجاجي المكسور، لقد سار عبر بقع من الحبر وترك آثار أقدام شكلت قصصاً في أعقابه لم يستدر لقرائها.

الآن، وهو يسافر عبر الأنفاق التي لا تحتوي ضوءاً في نهاياتها، ويتحسس طريقه على طول الجدران غير المرئية يجد نفسه في مكان ما في وقت آخر. يمر فوق الجسور المكسورة وتحت الأبراج المتهدمة، يمضي فوق العظام ويسيء فهم التراب والعدم والعظام.

تهتك حذاؤه الذي كان ينتعله ذات مرة، وتخلي عن معطفه منذ وقت ليس بالطويل. لا يتذكر المعطف بأزراره الكثيرة. المعطف، إذا كان بإمكان

المعاطف تذكر مثل هذه الأشياء، فإنها ستتذكره ولكن بحلول الوقت الذي يتم فيه لم شملهم سيكون المعطف ملكًا لشخص آخر.

في الأيام الصافية، تركز الذكريات في ذهنه على الكلمات والصور المتناثرة: اسمه، سماء الليل، غرفة بستائر حمراء، باب، والده، ومئات وآلاف الكتب.

كتاب واحد في يدها، عينيها، شعرها، أطراف أصابعها، لكن معظم الذكريات هي قصص، أجزاء منها. متجولون فاقدو البصر، عشاق النجوم، مغامرات كبرى وكنوز مخفية، ملوك مجانين وسحرة غامضون.

تمتزج الأشياء التي رآها وسمعتها بأمر عينيه وأذنيه مع الحكايات التي قرأها أو سمعها بعينه وأذنيه، إنهما هنا شيئا لا ينفصلان عن بعضهما. ليس هناك الكثير من الأيام الصافية والليالي الصافية، لا توجد طريقة لمعرفة الفرق هنا في الأعماق، ما الليل! وما النهار! ما الحقيقة! وما الوهم! ما الواقع! وما الخيال!

يشعر الرجل أحياناً أنه فقد قصته، أنه سقط من بين صفحاتها وحطّ هنا، ما بين بين، لكنه بقي مستمراً في قصته ولا يستطيع تركها مهما حاول.

الرجل الضائع في الزمن يمشي على طول شاطئ البحر ولا يعبأ بنقصان النجوم فلا ينظر إلى الأعلى، يتجول في مدن فارغة من العسل والعظام، في الشوارع التي كانت تدوي ذات يوم بالموسيقى والضحكات. إنه يسكن في المعابد المهجورة، يضيء الشموع للآلهة المنسية ويمرر أصابعه على أحافير القرابين المرفوضة، ينام في أسرة لم يحلم بها أحد منذ قرون، نومه عميق، وأحلامه غير مفهومة مثل ساعات يقظته.

في البداية كان النحل يراقبه، يتبعه وهو يمشي ويحوم حوله وهو نائم، لقد ظنوه شخصاً آخر. إنه مجرد صبي، أو رجل أو أحد ما بينهما.

يتجاهله النحل الآن، متجهين نحو أعمالهم وأشغالهم الخاصة. لقد قرروا أن رجلاً واحداً خارجاً من الأعماق، لا يدعو للقلق، ولكن حتى النحل يخطئ من أن إلى آخر.

انتظر زاكري إزرا رولينز في البرد لفترة طويلة، قرع جرس نادي الجياة مرة ثانية بإصبع شبه متجمدة. فهو متأكد أنه قرع الجرس، لأنه استطاع

سماع رنين منخفض من داخل المبنى. بعد الرنين الثاني سمع شخصًا يتحرك خلف الباب وأنصت لنقرة الأقفال المتعددة.

فتح الباب بعض الشيء، وسلسلة معدنية أبقته شبه مغلق، ومن خلال الجزء المفتوح نظرت له امرأة قصيرة. إنها أصغر من زاكري، ولكن ليس كثيرًا لدرجة أنها تعتبر فتاة، تذكره بشخص ما أو ربما كانت صاحبة أحد تلك الوجوه في مخيلته. هيئتها كانت مزيجا من الحذر والملل، على ما يبدو أنه حتى المنظمات السرية الغربية لديها متدربون يتورطون في التأمّلات الرديئة.

الفتاة:

- كيف لي أن أساعدك؟

- أنا! آه! سأضع هذا في الأرشيف.

وسحب زاكري كتاب عصر الخرافة وجمال الأساطير جزئيًا من جيب معطفه ونظرت إليه الفتاة، تنظر لكنها لم تطلب رأيه وسألته عن شيء آخر:

- ما اسمك؟

هذا سؤال لم يتوقعه زاكري.

- هل يهم؟

سأل زاكري تاركًا أفضل انطباع يمكن لدوريان أن يقتنع به. فتح معطفه للتأكد من أن السيف الفضي مرئي، أملًا أن يبدو لها ذلك نوعًا من اللامبالاة.

- يمكن ترك الكتاب معي.

قالت الفتاة مع نظرة عابسة على وجهها.

قاطعها زاكري:

- أرسلني أليكس.

تغيرت ملامح الفتاة، واختفت ملامح السأم وساد الحذر وقالت:

- دقيقة واحدة فقط.

أغلقت الباب تمامًا وبدأ الذعر ينتاب زاكري، لكنه أدرك بعد ذلك أنها تفتح السلسلة. ثم فتحت الباب مجددًا على الفور.

أدخلته الفتاة في بهو صغير مغطى بالزجاج المكسو بالجليد الذي يمنعه من رؤية ما يكمن خلفه. يوجد باب آخر على الحائط المقابل، يتكون أيضًا في

الغالب من زجاج بلوري. يبدو المدخل المزدوج مبنياً كذلك للتعقيم على شيء أكثر من كونه يعطي انطباعاً بالحماية.

أغلقت الفتاة الباب الأمامي بالسلاسل، ثم تحركت بسرعة لفتح الباب الزجاجي المكسو بالجليد. ترتدي فستاناً أزرق طويلاً يبدو بسيطاً وقديم الطراز، بياقة عالية وجيبين كبيرين على كلا الجانبين. حول عنقها سلسلة فضية تنتهي بسيف، تصميم مختلف عن التصميم الذي يرتديه زاكري، أرق وأقصر لكنه يشبه سيفه إلى حد ما. تفتح الفتاة الباب:

- من هنا؟

قال زاكري في سره: «هل يجب أن أتظاهر بأنني كنت هنا من قبل أم لا؟». كان هذا سؤالاً جيداً لطرحة على دوريان. اعتقد زاكري أن الإجابة ستكون (نعم)، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه من المفترض أن يعرف مكان الباب الخلفي، لكن هذا يجعل عدم التحديق إلى الطريق أكثر صعوبة.

الردهة مشرقة وعالية السقف بجدران بيضاء، مضاءة بخط من الثريات الكريستالية الممتدة من الردهة إلى السلاسل في الخلف. والدرج مغطى بسجادة بلون أزرق غامق نزولاً إلى القاعة مثل الشلال، تلتقط الضوء غير المنتظم حولها فتبدو أكثر انسيابية.

مقابض الأبواب المعلقة على جانبي القاعة كانت أكثر ما لم يستطع زاكري مقاومة التحديق إليه، معلقة من شرائط بيضاء على ارتفاعات متفاوتة، توجد مقابض أبواب نحاسية ومقابض أبواب كريستالية ومقابض أبواب عاجية منحوتة. يبدو أن البعض قد صدأ لدرجة تلطخ باللون البرتقالي على طول الشريط الذي يتشبثون به. وتجمع على البعض الآخر صدأ أخضر مشوب بالرمادي.

يتدلى البعض بالقرب من السقف أعلى بكثير من رأس زاكري والبعض الآخر تناثر قشره على الأرض، والبعض مكسور. مقابض أخرى متصلة بشعرات النباله والبعض الآخر عبارة عن حدائد عادية وأخرى مجرد قطع معدنية، كلهم فقدوا أبوابهم التي أتوا منها.

يحتوي كل مقبض باب على علامة، خيط متصل بقطعة مستطيلة من الورق تذكر زاكري بنوع القصاصات الورقية الموضوعة على أصابع الأجساد المينة في مستودعات الجثث. أبطأ وتيرته حتى يتمكن من إلقاء نظرة فاحصة.

قام بإمساك أسماء المدن والأرقام التي يعتقد أنها قد تكون خطوط عرض وخطوط طول؛ حيث يوجد تاريخ على طول الجزء السفلي من كل علامة.

في أثناء سيرهما في القاعة، يتحرك الهواء من حولهما فوق الشرائط مما يتسبب في اهتزاز مقابض الأبواب برفق، واصطدام كل مقبض بالمقبض الذي يجاوره فتلد صوت رنين أجوف حزين. هناك المئات منها، وربما الآلاف. صعد زاكري ومرافقته شلال الدرج في صمت، وتردد صدى مقابض الأبواب خلفهما.

استدار الدرج ودار في كلا الاتجاهين لكن الفتاة صعدت في الاتجاه الأيمن. هنا توجد ثريا أكبر من الأخريات معلقة في وسط السلالم الملتفة، والمصابيح محجوبة خلف قطرات من الكريستال. يؤدي كلا جانبي الدرج إلى نفس القاعة في الطابق العلوي، الذي هو عبارة عن سقف منخفض ولا يوجد به مقابض أبواب مثبتة بشريط. هذه الردهة لها أبوابها الخاصة، كل منها مطلي باللون الأسود الباهت في تناقض صارخ مع الجدران البيضاء المحيطة به. كل باب مرقم، يتوسطه رقم نحاسي.

بينما يسيران في القاعة، وتكون الأرقام كلها صغيرة ولكن لا يبدو أنها متسلسلة، إذ يمران بباب عليه رقم ستة، وباب آخر عليه رقم اثنين وأخير برقم أحد عشر.

توقفا عند باب بالقرب من نهاية القاعة بجانب النافذة الكبيرة ذات القضبان التي رآها زاكري من الشارع، هذا الباب مرقم برقم ثمانية. سحبت المرأة حلقة مفاتيح صغيرة من جيبها وفتحت الباب.

رنين عال يدقّ تحتها، توقفت يد الفتاة على مقبض الباب، وتمكن زاكري من رؤية الحيرة تتجلى على وجهها، لتذهب أو تبقى، الرنين ضرب مرة أخرى. قال زاكري وهو ممسك بالكتاب لإعطاء انطباع جيد:

- لا تقلقي، يمكنني الاهتمام بذلك. سأرى نفسي من الخلف. لا داعي للقلق.

كان زاكري مرتاحًا للغاية، لكن مرافقته عضت على شفتيها وهزت رأسها وقالت:

- شكرًا لك سيدي، أتمنى لك أمسيةً طيبة.
وأعاد مفاتيحها إلى جيبها.

غادرت الفتاة القاعة بوتيرة مشي أسرع بكثير من ذي قبل، بينما دق الرنين للمرة الثالثة وراقبها زاكري حتى وصلت إلى السلم ثم فتح الباب.

الغرفة بالداخل مظلمة أكثر من الردهة، والأضواء مرتبة بطريقة رآها زاكري أحياناً في المتاحف. المحتويات مضاءة بزوايا مختارة بعناية. رفوف الكتب المبطنة للجدار مضاءة من الداخل، والكتب والأشياء الأخرى متوهجة، بما في ذلك يد بشرية حقيقية تطفو في جرة زجاجية، وأحواض النخيل تواجه الخارج، كما لو كانت تلقي التحية على أحد ما. صندوقان زجاجيان طويلان يمتدان على طول الغرفة، مضاءان من الداخل بحيث تبدو الكتب وكأنها تعوم فيهما. وستائر ثقيلة معلقة على النوافذ.

لم يستغرق زاكري وقتاً طويلاً للعثور على الكتاب الذي أرسل من أجله، فهناك عشرة كتب في صندوق وثمانية في صندوق آخر، وواحد فقط مغلف بالجلد البني. يطبق الضوء المحيط به على حواف الصفحات المذهبة، والقطع حول الزوايا التي تمسك بالذهب أكثر وميضاً. إنه أحد أصغر المجلدات، ولحسن الحظ بحجم الجيب، البعض الآخر من المجلدات أكبر وبعضها يبدو ثقيلًا جدًا.

تفقد زاكري الصندوق، وحاول أن يتذكر ما إذا كانت أي من تعليمات دوريان تضمنت كيفية فتحه. لا يمكنه العثور على أي مفصلات حديدية أو مخارج ومداخل له. «مربع اللغز» تمتم زاكري لنفسه.

نظر من قرب، وضع الزجاج في أطر، كل كتاب في صندوق شفاف خاص به على الرغم من أن الصناديق متصلة ببعضها. هناك طبقات غير مرئية تقريباً تفصل أحدها عن الآخر.

الكتاب البني في قسم بالقرب من أحد الأطراف، وكتاب ثان في الطرف الأخير على اليسار. تفحص الصندوق من كلا الجانبين ثم زحف أسفل الطاولة ليرى ما إذا كانت تنفتح من أسفل، ولكنه لم يجد شيئاً. للطاولة قاعدة ثقيلة مصنوعة من نوع ما من المعدن.

وقف زاكري محققاً إلى الصندوق، الأضواء في الداخل ليست آلية التشغيل، لذا يجب أن تؤدي الأسلاك خاصتها إلى مكان ما، لكن لا يوجد شيء مرئي من الخارج. إذا كانت الأسلاك تمر عبر الطاولة، فربما يكون كل شيء كهربائياً.

بحث في محيط الغرفة عن مفاتيح كهربائية، المفتاح الذي بجانب الباب يعود إلى ثريا تخفيها الظلال في الأعلى لم يلاحظها، إنها أبسط من تلك الموجودة في القاعة ولا تعطي الكثير من الضوء.

يحتوي الجدار المغطى بالنوافذ على ترابيس معقدة ولكن لا شيء آخر، سحب زاكري مجموعة من الستائر ووجد نافذة تطل على جدار من الطوب للمبنى المجاور، سحب مجموعة الستائر الأخرى للخلف، ولم يجد نافذة بل جدارًا عليه خط ومجموعة مفاتيح كهربائية.

- ها!

قال زاكري بصوت عال.

هناك ثمانية مفاتيح في شيء يشبه علبة القواطع الكهربائية، لا واحد منها مصنف أو مسمى ليشير إلى ماذا يقود. ضغط زاكري المفتاح الأول وانطفأت الأنوار الموجودة على إحدى خزائن الكتب، واختفت اليد المعلقة. أعاد تشغيله وانتقل إلى المفتاح الثامن، مخمناً أن الستة الأوائل هي الرفوف.

انطفأت الأنوار في أحد الصناديق، ولم يكن الصندوق الذي يحاول فتحه وسمع ضوضاء خشخشة، وذهب لتفقد الصندوق ووجد أن الزجاج قد بقي في مكانه ولكن القاعدة هبطت بمقدار قدم تقريباً مما سمح له بالوصول إلى الكتب.

سارع زاكري بالعودة إلى علبة المفاتيح وضغط المفتاح الثامن مرة أخرى وأطفأ المفتاح السابع وتعالى صوت الخشخشة وتحركت الطاولة.

أصبح الكتاب المصنوع من الجلد البني في متناول يد زاكري، أخذه من مكانه في الصندوق، تفقده وهو يسير عائداً إلى علبة المفاتيح. نكّره الكتاب بالأحزان العذبة، جودة الجلد نفسها كما أنه لا يوجد شيء مطبوع من الخارج، ولا يوجد عنوان واضح أو اسم مؤلف. فتح الغلاف والصفحات مضاءة بهوامش جميلة ورسوم إيضاحية، ولكن النص مكتوب باللغة العربية، أغلقه مرة أخرى ووضعه في الجيب الداخلي لسترة بدلته.

ضغط زاكري مجدداً المفتاح رقم سبعة، لكن الأضواء ما زالت مطفاة، والصندوق معتم واستبدل صوت الخشخشة بصرير قرع المعدن على المعدن.

أطفأ زاكري المفتاح مجدداً وتذكر فأخرج كتابَ عصر الخرافة وجمال الأساطير من معطفه ووضعه مكان المجلد المغلف بالجلد البني، وحاول إعادة تشغيل المفتاح الكهربائي مرةً أخرى.

صوت صخب بهيج يصدح هذه المرة، وتعود الأضواء مرةً أخرى لتنير الصندوق وأغلق على الكتب بالداخل.

لقى زاكري نظرة على ساعته، مدركاً أنه ليس لديه أدنى فكرة عن المدة التي قضاها في الغرفة. أعاد الستائر إلى وضعها الطبيعي ووضع الكتاب في معطفه، أطفأ الثريا وعاد بهدوء إلى القاعة. أغلق الباب بهدوء قدر استطاعته، لم يتمكن من رؤية مرافقته في أي مكان لكنه سمع صوتاً من الطابق السفلي وهو يشق طريقه نحو الدرج.

عندما كان في منتصف الطريق إلى أسفل السلم، وعلى وشك الانعطاف نحو القاعة الرئيسية أتاه صوت بعيد استطاع سماعه بوضوح.

- لا، أنت لا تفهم، إنه هنا الآن!

قالت الفتاة التي لم تكن ترافقه الآن.

أبطأ زاكري خطواته، وحدق حول منعطف الدرج مع استمرار الصوت بعيداً بالتحدث، وبدا قلقاً أكثر فأكثر. يوجد باب مفتوح على جانب القاعة قريب من الدرج لم يلاحظه من قبل.

- أعتقد أنه يعرف أكثر مما توقعنا، لا أعرف ما إذا كان لديه الكتاب. اعتقدت... أنا أسفة! لم.... أنا أستمع يا سيدي. تحت أي ظرف من الظروف، نعم... مفهوم!

من الوقفات في كلامها، خمن زاكري أنها تتحدث على الهاتف. تسلل إلى أسفل الدرج بأسرع ما يمكن وبهدوء، مع الحرص على ألا تبدأ مقابض الأبواب بالتأرجح مع شرائطها عند وصوله إلى الردهة. من مكانه تمكن من رؤية ما في الغرفة؛ حيث تقف الفتاة وظهرها ناحيته، تتحدث ممسكةً السماعة الخاصة بهاتف دوار أسود قديم الطراز موجود على مكتب خشبي داكن اللون، بجانب الهاتف كرة من الخيوط ونصف وشاح ملفوف على إبر الحياكة، ثم أدرك زاكري لماذا بدت الفتاة مألوفة له.

كانت في فصل كات، تلك الفتاة المجتهدة في قسم اللغة الإنجليزية التي كانت تحوك طوال الوقت.

تسلل زاكري حول الجزء الخلفي من الدرج خلسة بقدر ما أمكنه، توقف بعيدًا عن الأنظار. توقف الصوت مؤقتًا ولكنه لم يسمع صوت وضع السماعة في مكانها، تابع التسلل على جانب الدرج حتى وصل إلى الباب وفتحه بعناية وهدوء، واكتشف فتحة ضيقة من سلالم أقل زخرفة تؤدي إلى الطابق السفلي. أغلق زاكري الباب خلفه برفق وتسلل إلى أسفل الدرج ببطء، على أمل ألا يحدث أي ضجيج مع كل خطوة له. في منتصف الطريق إلى الأسفل اعتقد أنه سمع صوت اننظار الهاتف ثم صوتًا آخر قد يكون شخصًا ما يتجه إلى السلالم إلى أعلى.

تنتهي هذه السلالم في غرفة غير مضاءة ملائمة بالصناديق، ولكن الضوء يتدفق عبر زوج من الأبواب الزجاجية المصقولة التي يعتقد زاكري أنها المخرج. لا يبدو أن هناك مخرجًا آخر، لكنه نظر ليتأكد فقط.

تحتوي الأبواب على العديد من الترايبس، ولكن يمكن فكها جميعًا بسهولة، وسيستغرق الأمر وقتًا أقل مما يتوقعه زاكري إلى العودة إلى الخارج في البرد. بدأت الثلوج بالتساقط على مهل، رقاقت الثلج تتجمع في قلب الرياح وتدور، والكثير منها لا يجد طريقه أبدًا إلى الأرض.

تؤدي مسافة قصيرة من السلالم إلى أسفل، إلى حديقة تتكون من الجليد والأحجار مع سياج من قضبان حديدية سوداء تتناسب وتلك الموجودة على النوافذ. البوابة في الخلف، والزقاق خلفها. سار زاكري نحوها، أبطأ مما يريد، لكنّ حذاه غير مناسب للأحجار الزلقة. صوت صفارات الإنذار يسمع في الأرجاء، ينضم إليها بوق سيارة.

أزال زاكري طبقة من الثلج عن الترابس الموجود على البوابة، وتنفس بشكل أسهل مريح قليلًا.

- إنك تغادر مبكرًا.

صوت أتى من خلفه، استدار زاكري ويده على البوابة.

كانت امرأة رداء الدب القطبي على الدرج أمام الأبواب الزجاجية المفتوحة، ولا تزال في معطف فروها، تبدو وكأنها دب وهي تبتسم له. لم يقل زاكري شيئًا ولم يستطع التحرك.

- ابق وتناول كوبًا من الشاي.

قالت المرأة، بطريقة غير رسمية ولطيفة، متجاهلة على ما يبدو حقيقة أنهما يقفان في الثلج وزاكري في خضم الهروب مع المطبوعات المسروقة التي بحوزته.

- يجب أن أذهب حقًا.

قال وهو يكتم ابتسامة ملفقة.

- السيد رولينزا!

قالت المرأة، وهي تنزل خطوة واحدة تجاهه، ولكن بعد ذلك تتوقف مرة أخرى وأكملت:

- أؤكد لك أنك تائه في أفكارك، أيًا ما تعتقد أنه يحدث هنا، أيًا ما كان الجانب الذي تم إجبارك على التفكير فيه، فأنت مخطئ. لقد تعثرت في شيء ليس لديك حيلة للتدخل فيه. أرجوك أن تدخل وتقي نفسك من البرد، سنحظى بفنجانين من الشاي ومناقشة مهذبة، وبعد ذلك ستكمل طريقك. سأدفع ثمن تذكرة قطار عودتك إلى فيرمونت كبادرة حسن نية. ستعود إلى دراستك، وسنتظاهر جميعًا بأن أيًا من هذا لم يحدث قط.

تدفقت أفكار زاكري بالأسئلة والنقاشات: «بمَن يجب أن يثق؟ وماذا يجب أن يفعل؟ وكيف انتقل من شخص غير معنيّ بالأمر إلى منغمس بعمق في كل ما يحدث في أمسية واحدة؟ ليس لديه سبب حقيقي يدفعه للثقة بدوريان أكثر مما سيثق بهذه المرأة. ليس لديه إجابات كافية للتعامل مع جميع أسئلته. لكن لديه إجابة تجعل هذا القرار في هذه اللحظة في الثلج أمرًا سهلاً. بأي حال من الأحوال سيذهب إلى المنزل ويدعي التظاهر بأن لا شيء حدث لكن ليس الآن.

قال زاكري:

- شكرًا لك، أرفض دعوتك مع فائق احترامي.

فتح زاكري البوابة وصدر عنها صوت صرير، وأسقطت قطعًا من الجليد على كتفيه. لم ينظر إلى المرأة على الدرج، ركض في الزقاق بالسرعة التي يسمح بها حذاءه غير العملي ضد الانزلاق.

هناك بوابة أخرى في نهاية الزقاق، وبينما يتمايل، رأى دوريان عبر الشارع، متكئًا على مبنى ويقرأ تحت الضوء الصادر عن البار الذي لا يزال

مفتوحًا في الزاوية، مستغرقًا بعمق في كتاب الأحزان الحلوة وعبوسًا بطريقة يعرفها زاكري.

تجاهل زاكري كلاً من تعليمات دوريان وضوء الشارع، مسرعًا عبر الطريق الفارغ.

- اعتقدت أنني أخبرتك...

قال دوريان، لكن زاكري لم يسمح له بإنهاء كلامه وقال:

- لقد رفضت للتو دعوة لتناول الشاي في وقت متأخر من الليل من سيدة ترتدي معطفًا من الفرو، وأعتقد أنك تعرف من هي. لقد عرفت هي بالتأكيد من أكون لذلك لا أعتقد أن أيًا من هذا سرّي كما أردت له أن يكون.

أعاد دوريان الكتاب إلى معطفه، وتمتم شيئًا بلغة لم يتعرف عليها زاكري، لكنه خَمَّن أنه يشتم، واتجه نحو الشارع ويده مرفوعة. استغرق زاكري لحظة ليدرك أنه سيستقل سيارة أجرة.

وجّه دوريان زاكري إلى السيارة قبل أن يتمكن من السؤال عن المكان الذي سيذهبان إليه، ثم أخبر السائق بالاتجاه إلى غربي سنترال بارك شارع سبعة وسبعين. ثم تنهد ووضع رأسه بين يديه.

استدار زاكري ونظر عبر الزجاج الخلفي، وهما يبتعدان عن الرصيف رأى الفتاة تقف في ناصية الشارع، ومعطف داكن يغطي رداءها. لم يستطع معرفة ما إذا كانت قد رأتهما أم لا من هذه المسافة.

سأل دوريان:

- هل حصلت على الكتاب؟

- نعم فعلت، لكن قبل أن أعطيه إليك، ستخبرني لماذا فعلت ذلك؟

- لقد فعلت ذلك لأنني طلبت ذلك منك بطريقة لطيفة، ولأن الكتاب يخصني، ولا يخصهم، بقدر ما يخص الكتاب أي شخص. لقد استعدت كتابك من أجلك، واستعدت كتابي لي.

قال دوريان ولم يزعج الأمر زاكري كثيرًا كما كان يتوقع.

شاهد زاكري دوريان وهو يحدق من النافذة إلى الثلج، بدا متعبًا، مرهقًا ومنهكًا وربما حزينًا قليلًا. لا تزال الزهرة الورقية مطوية في جيب صدر

سترة معطفه. وقرر زاكري عدم التطفل أكثر بشأن الكتاب في الوقت الحالي
وسأل:

- إلى أين نحن ذاهبان؟
- يجب أن نجد الباب.
- يوجد باب؟ هنا؟
- نعم هناك باب، إذا ما كانت ميرابيل قد أكملت مهمتها في هذه الصفقة،
ولم يتم إيقافها، نحن نحتاج إلى أن نصل إلى هناك قبل أن يصلوا هم.
- لماذا؟ هل يحاولون الوصول إلى هناك أيضًا.
- كلا، ولكن هذا ما أخشاه. إنهم لا يريدوننا أن نذهب إلى هناك، ولا
يريدون أن يذهب أي شخص إلى هناك بعد الآن. هل تدرك مدى سهولة
تدمير باب مصنوع من الطلاء؟
- ما مدى بساطة ذلك؟
- إنَّ الأمر بسيط كبساطة وضع المزيد من الطلاء فوقه، ودائمًا ما يكون
لديهم طلاء.
- نظر زاكري من النافذة إلى المباني الموجودة في الشارع، وبدأ الثلج
بالتكتل على الأشجار واللافتات، لمح بطرف عينه مبنى المقاطعة الملكية
مشرقًا وأبيض مواجهًا للسماء، وأدرك أنه ليس لديه أي فكرة عن الوقت
الحالي ولا يهتم لذلك بما يكفي ليتحقق من ساعته.
- شاشة التلفاز الصغيرة في سيارة الأجرة تذيع عناوين رئيسية عن شيء
ما وبعض الأفلام، وتمكن زاكري من كتم الصوت غير مهتم بأي شيء آخر
يحدث في العالم، سواء أكان حقيقة أم خيالًا.
- لا أعتقد أن لدينا وقتًا للتوقف والحصول على حقيبتني.
- قال زاكري وقد بدأت عدساته اللاصقة تزعج عينيه.
- سأؤكد من حصولك على أغراضك في أقرب وقت ممكن، أعلم أن لديك
الكثير من الأسئلة، وسأبذل قصارى جهدي للإجابة عليها بمجرد أن
نكون بمأمن عن كل شيء.
- هل نحن الآن في خطر؟

- بصراحة، لقد أعجبت بمدى قدرتك على الخروج من هناك، قد تكون قد فاجأتهم في بداية الأمر على الأقل، وإلا لما سمحوا لك بالرحيل.
«تحت أي ظرف من الظروف»... تمتم زاكري لنفسه، متذكراً المكالمات الهاتفية التي سمعها. لم يخططوا للسماح له بالرحيل وربما لم يكن هناك شاي أيضاً.

- لقد عرفوا من كنت طوال الوقت، فالفتاة التي فتحت الباب كانت فيرumont متظاهرةً بأنها طالبة، استغرق الأمر مني بعض الوقت للتعرف عليها.

عبس دوريان لكنه لم ينبس بننت شفة، وجلسا في صمت، بينما كانت سيارة الأجرة تزيد من سرعتها في الشوارع.

- هل ميرابيل هي من ترسم الأبواب؟

سأل زاكري وبدا واثقاً من الإجابة.

- نعم.

أجابه دوريان ولم يشرح بالتفصيل، وهدق زاكري إليه ثم نظر بعدها من النافذة وإحدى ركبتيه تهتز بقلق.

- لماذا تعتقد أنني أعرفها؟

استدار دوريان ونظر إلى زاكري وقال:

- لأنك رقصت معها في الحفلة.

حاول زاكري أن يتذكر حديثه مع المرأة التي كانت ترتدي زي ملك البرية، لكن كل شيء مجزأ وضبابي في ذهنه، كان على وشك أن يسأل دوريان كيف يعرفها لكن سيارة الأجرة تباطأت حتى توقفت.

- في الزاوية هنا، شكراً لك.

قال دوريان للسائق، وهو يسلمه نقوداً ويرفض أخذ الفكة.

وقف زاكري على جانب الطريق محاولاً تحديد الاتجاه، لقد توقفا بجوار سنترال بارك، بالقرب من إحدى البوابات التي تم إغلاقها ليلاً، وعلى الجانب الآخر مبنى كبير بدا مألوفاً لزاكري.

- هل سنذهب إلى المتحف؟

- كلا.

راقب دوريان سيارة الأجرة وهي تبتعد، واستدار ثم قفز عبر الحائط إلى الحديقة. وقال لزاكري:

- هيا أسرع!

- أليست الحديقة مغلقة الآن؟

ومضى دوريان قدماً واختفى في ظلال الأغصان المغطاة بالثلوج. تسلق زاكري محرّجاً فوق الجدار الجليدي، وكاد يفقد توازنه على الجانب الآخر، لكنه استعاد رباطة جأشه على حساب تمرّغ يديه بالتراب والجليد.

تابع زاكري المشي خلف دوريان في المنتزه، والتفا معاً حول المسارات الحجرية تاركين المسارات التي تغطيها ثلوج لا تشوبها شائبة، بين الأشجار المحيطة بالإمكان صنع شيء ما يشبه القلعة ومن السهل معه أن تنسى أنك في وسط المدينة.

مرا فوق علامة تكشف جزءاً من أوراق الشجر المتجمدة في حديقة شكسبير، ثم عبرا جسراً صغيراً فوق جزء من البركة المتجمدة وبعد ذلك تباطأ دوريان وتوقف، وقال:

- يبدو أن الليل يمضي في مصلحتنا، لقد وصلنا إلى هنا أولاً.

وأشار إلى ممر من الصخور، نصفه مخفي في الظل.

الباب المرسوم على الحجارة الخشنة بسيط وأقل زخرفة من الباب الذي تذكره زاكري. لا يحتوي على نقوش، فقط مقبض لامع من طلاء نحاسي ومفصلات متطابقة حول باب عادي يشبه الخشب. الصخرة غير مستوية، لدرجة أنها لا تخدع عين أي شخص. توجد في الجزء العلوي أحرف تبدو منحوتة، وهو شيء لم يستطع زاكري تمييزه وقد يكون يونانياً.

- جميل!

قال دوريان وهو يقرأ النص فوق الباب.

- ماذا يعني هذا النص!

- اعرف نفسك! ميرابيل مغرمة بالزخرفة، وأنا مندهش لأنها قضت الوقت تفعل ذلك في هذا الطقس.

- هذا هو نصف شعار عائلة رولينز.

- ما النصف الآخر؟

- تعلّم أن تعاني.

- ربما ينبغي لك التفكير في تغيير هذا الجزء، هل ترغب في الحصول على هذا الشرف.

قالها دوريان مشيرًا إلى الباب.

اقترب زاكري من مقبض الباب، غير متأكد من أنّ هذا ليس مجرد مزحة متقنة، جزء منه يتوقع سخريّة ما وشيئًا يدعو للضحك، يده تطبق على المعدن البارد المستدير ثلاثي الأبعاد ليدور بسهولة وينفتح الباب إلى الداخل، كاشفًا عن مساحة مفتوحة أكبر بكثير مما ينبغي أن تكون عليه، تجمّد زاكري في مكانه وحدّق إلى الداخل ثم سمع شيئًا ما أو شخصًا ما خلفهما، وحفيّفًا في الأشجار.

- أسرع!

قال دوريان ودفع زاكري بحدّة من بين كتفيه ليتعثّر ويتجاوز الباب إلى الداخل، وفي نفس اللحظة ضربه شيء ما مبلل متناثرًا على ظهره وأعلى عنقه متقطرًا من ذراعه. نظر زاكري إلى ذراعه منتظرًا رؤية الدم، لكنه بدلًا من ذلك وجدها مغطاة بطلاء متألّي، قطرات تتساقط من أصابعه، مثل الذهب المصهور وكان دوريان قد اختفى حينها.

خلف زاكري مباشرةً، لم يكن أي باب مفتوح قبل لحظات أصبح الآن جدارًا من الأحجار الصلبة. ضرب زاكري عليه بيديه تاركًا لطخات معدنية من طلاء الذهب على حجر أملس داكن.

- دوريان!

صرخ زاكري ولكن الصدى هو وحده ما تردد حوله.

عندما تلاشى الصدى كان الهدوء ثقيلًا. لا حفيف أشجار، ولا صوت سيارات بعيدة تندفع فوق الرصيف الرطب، نادى زاكري مرة أخرى لكن صدى الصوت تردد هزيلًا وهو على يقين أنه بطريقة ما لا يمكن لأحد سماعه هنا ولا يدري ما هو هذا المكان. استدار زاكري قبالة الجدار الملطخ بالذهب، ونظر حوله فرأى سلمًا حلزونياً منحوتًا يقود إلى مكان دائري يفضي إلى أسفل لوجهة ما تحت ضوء ناعم يصدر عنه شعاع دافئ نحو الأعلى، مثل وهج النار لكنه أكثر ثباتًا. تحرك زاكري بعيدًا عن المكان الذي كان فيه الباب وسار ببطء إلى الدرج، تاركًا أثرًا من طلاء الذهب على طول الحجر.

في أسفل الدرج زوج من الأبواب الذهبية، مثبتة بسلاسة في الصخر الصلب، مع فوانيس متدلية ومعلقة من سلاسل هي بلا شك سلاسل مصعد، مغطى بأنماط متقنة بما في ذلك نحلة ومفتاح وسيف محاذية على طول خط التماس المركزي.

مد زاكري يده ليلمسها، شبه متأكد أنها قد تكون وهماً بتقنية ذكية مثل الأبواب المطلية، لكن المصعد معدني بارد، والتصميمات منقوشة ومحددة بوضوح تحت ملمس أطراف أصابعه فكّر زاكري أن هذه لحظة مهمة، سامعاً الكلمات في رأسه بصوت والدته إنها: «لحظة ذات معنى، لحظة ستغير كل ما سيليها». كان يبدو له كما لو أنّ المصعد يراقبه، كتاب الأحزان العذبة لم يأت على ذكر مصعد قط، تساءل عما لم يذكره الكتاب أيضاً، تساءل عما يكون قد حدث لدوربان.

على أحد الجوانب، تحت أحد الفوانيس، يوجد زر مسدس الأضلاع غير محدد المعالم محاط برباط ذهبي وموضوع في الحجر مثل الجوهرة، ضغط زاكري عليه فصدر عنه ضوء مع توهج ناعم وصدر بعده صوت متواتر مرتفع حيناً ومنخفض حيناً من مكان ما في الأسفل، ثم أخذ الصوت يزداد قوةً وحدّةً. تراجع زاكري خطوة إلى الوراء واهتزت الفوانيس مع سلاسلها، وفجأة توقف الضجيج وانطفأ ضوء الزر تلقائياً، وبدأ صوت رنين رقيق يصدر من خلف الأبواب، ثم انزلقت النحلة والمفتاح والسيف إلى أسفل وفتح المصعد.

عندما وقع الزمن في حب القدر

قصّ القرصان على الفتاة العديد من القصص، لا القصة الوحيدة التي طلبتها فقط. القصص التي تتجسد في قصص أخرى وتهيم في مقتطفات من الأساطير المفقودة والحكايات المنسية، ولا يزال يتعين عليه أن يقصّ حكايا عالم العجائب التي تلفّ لتعود وتحكي عن شخصين يواجهان بعضهما من خلال قضبان حديدية، راوٍ ومُنصت له دون همس متبادل بينهما. الصمت الذي ساد ما بعد القصة ثقيل وطويل. قالت الفتاة:

- شكراً لك.

قالتها بهدوء. وقبّل القرصان شكرها بإيماءة صامتة. سيبزغ الفجر بعد قليل، حلّ القرصان يديه المتشابكتين مع شعر الفتاة لتتراجع بدورها بعيداً عن

القضبان وتضع يدها على صدرها منحنية للقرصان برقة. ردّ القرصان تحيتها بإيماءة خفيفة ورأس منحني ويده قريبة من قلبه مع الإقرار، بأن رقصتهما قد انتهت. توقف قبل أن يرفع رأسه، متمسكًا باللحظة قدر استطاعته وعندما رفع عينيه كانت الفتاة قد استدارت وسارت بصمت إلى الجدار المقابل.

يدها تحوم فوق المفتاح غير أبهة بالحارس وغير ناظرة للقرصان، هذا هو قرارها ولا تحتاج إلى مساعدة خارجية في اتخاذه. تخرج الفتاة المفتاح من الخطّاف مع حرصها على عدم إصدار صوت رنين أو خشخشة وتمشي عائدة عبر الغرفة والمفتاح في يدها. صوت نقر خفيف وبدأ المفتاح بفتح الزنانة، وحتى صرير الباب لم يوقظ الحارس.

لا كلمات متبادلة في اللحظة التي تمنح فيها الفتاة الحرية للقرصان والتي قبلها بدوره. صعدا بعدها الدرج المظلم ولم يأتيا على ذكر عما قد يحدث بعد ذلك، أو ماذا سيحدث بمجرد وصولهما إلى الباب في الأعلى، وما البحار المجهولة التي تنتظرهما بعد ذلك. قبل أن يصلا إلى الباب بقليل، شدّ القرصان الفتاة إليه وأطبق بشفتيه على شفثيها، لا حواجز بينهما الآن، ملتحمان معًا على درج مظلم مع القدر والوقت، غير عابئين بتعقيد الأمور.

هذا هو المكان الذي نبقيهما فيه، فتاة مع قرصانها، قرصان مع منقذه وقبله في الظلام قبل أن يفتح الباب. لكن هذا ليس المكان الذي تنتهي فيه قصتهما، هذا هو المكان الذي ستتغير فيه فقط.

نيو أورلينز، لويزيانا، قبل أربعة عشر عامًا مضى

حان موعد بزوغ الفجر، ضباب رمادي دفع بظلام الليل بعيدًا، لكن النهار لم يظهر بوضوح بعد، ضوء من الشارع يتدفق عبر الزقاق وهو جيد بما يكفي لينير مساحةً للرسم، إنها مععادة الرسم في الإضاءة المنخفضة.

الهواء أبرد مما كانت تتوقعه، وقفازها النصفيان اللذان لا يغطيان الأصابع أفضل في إمساك الفرشاة من اقتناص الدفء. تسحب أكمام قميصها إلى أسفل معصمها، تاركة آثارًا للطلاء على ثيابها، غير مهتمة بأطراف الأكمام التي تلتطخت بشكل كبير بدرجات وألوان مختلفة.

تضيف خطأ آخر من الظلال أسفل الألواح المصنوعة من الخشب المزيف، ما يمنحها مزيدًا من التحديد. أنجزت الجزء الأكبر من العمل في منتصف الليل

ولم تفكر حتى في الفجر، كان بإمكانها أن تتركه على حاله، لكنها لم ترغب بذلك، إنها فخورة بهذا، إنه عمل جيد وتريد جعله ممتازًا أكثر.

تبدل الفراشي الخاصة بها، وتسحب فرشاة أقل سمكًا من مجموعة أدوات الرسم التي تبرز من شعرها المتدلي على شكل ذيل الحصان، شعرها أسود كثيف مخطط باللون الأزرق يختفي بريقه في هذا الضوء الباهت، تبحث بهدوء في حقيبة الظهر الموجودة عند قدميها أرضًا وتغير الألوان من الرمادي إلى الذهبي.

التفاصيل هي الجزء المفضل لديها، ظلُّ هنا، لمعانٌ خفيفٌ هناك، وفجأة تكتسب الصورة المسطحة أبعادًا. يترك الطلاء الذهبي على فرشتها الصغيرة علامات مذهبة على مقبض السيف، أسنان المفتاح، وخطوط على النحلة، تتلألأ جميعها في الظلام لتحل محل النجوم الباهتة. بمجرد أن شعرت بالرضا عن مقبض الباب، بدلت الفرشة مرة أخرى مع وضع اللمسات النهائية ودائمًا ما تبقى ثقب المفتاح للآخر.

بدا الأمر أشبه بتوقيع، ثقب مفتاح أجوف في باب، بلا مفتاح. تفصيل موجود فقط لأنه يجب أن يكون موجودًا فقط، وليس بسبب أي ضرورة هندسية، شيء ما لجعله يبدو مكتملاً.

- هذا جميل جدًا.

انتبهت إلى الصوت خلفها، فقفزت مسقطاً فرشاة الرسم من أصابعها هابطةً عند قدميها، وملطخةً رباط حذائها ببقعة سوداء داكنة. استدارت الفتاة لتجد امرأة تقف خلفها، فكرت بأنه يتوجب عليها الركض، لكن الذي أوقفها أنها لا تدري بأي اتجاه يتوجب عليها فعل هذا، بدت الشوارع مختلفة، والوقت شبه مظلم.

نسيت كيف تلقي التحية، لم تكن متأكدة مما إذا كان ينبغي لها أن تقول مرحبًا أو شكرًا لك أو ألا تقول شيئًا.

تفكر المرأة في الباب وليس في الفتاة، إنها ترتدي رداءً رقيقًا بلون الخوخ الناضج وتحمل قديمًا مكتوبًا عليه الساحرة الحقيقية. شعرها مربوط في وشاح مطبوع بألوان قوس قزح. لديها الكثير من الأقراط وهناك وشم على معصمها: أشعة الشمس وخط من الأقمار. إنها أقصر من الفتاة لكنها تبدو

أكبر، وتحتل مساحة أكبر في الزقاق على الرغم من كونها شخصًا أصغر، انكمشت الفتاة داخل سترتها وقبعتها.

- ليس من المفترض أن ترسمي هنا، كما تعلمين!

وأخذت رشفة من كوبها.

أومأت الفتاة برأسها موافقةً على كلامها، فأكملت المرأة:

- شخص ما سيأتي ويرسم فوقها.

نظرت الفتاة إلى الباب ثم عادت ونظرت إلى المرأة وهزت كتفها.

- تعالي واحتسي فنجانًا من القهوة معي.

قالت المرأة واستدارت، ثم سارت في الزقاق متجاوزةً الزاوية دون انتظار

إجابة.

ترددت الفتاة، لكنها بعد ذلك وضعت فرشاة الرسم في شعرها مع باقي

الفراشي وأخذت حقيبتها وتبعَت المرأة.

عند الزاوية يوجد متجر، وتوجد لافتة مضاءة على شكل كف مرفوعة مع

عين في الوسط غير مضاءة في وسط النافذة الكبيرة، وتحيط بها ستائر

مخملية تحجب الداخل عن الشارع تقف المرأة في المدخل وتمسك الباب

مفتوحًا للفتاة.

يرن الجرس ويُغلق الباب خلفهما، المحل من الداخل ليس مثل أي متجر

رأته الفتاة من قبل، مملوء بالشموع والأثاث غير المتطابق. تتدلى من السقف

حزمٌ من نبات الميرمية المجففة المربوطة بخيوط ملونة، وتحيط بها الأضواء

المتلألئة على الأوتار والفوانيس الورقية. على المنضدة كرة بلورية وعلبة

سجائر بطعم القرنفل. تمثال لإله برأس أبو منجل يحدق من فوق كتف

الفتاة، وهي تحاول العثور على مكان ما بعيدًا عن الزحام.

- اجلسي.

قالت المرأة للفتاة مشيرةً إلى أريكة مخملية مغطاة بالأوشحة. فتلمّست

الفتاة عاكس الضوء في طريقها نحو الأريكة، في حين استمر العاكس

بالاهتزاز بعد جلوسها، جلست متشبثةً بحقيبتها في حجرها.

عادت المرأة ومعها كوبان، الكوب الجديد الذي أحضرته مزين بنجمة

مكونة من خمس نقاط داخل دائرة.

- شكرًا.

قالت الفتاة بهدوء وهي تأخذ الكوب الدافئ بيديها الباردتين.

- يمكنك التحدث.

قالت المرأة للفتاة وهي تجلس على كرسي تشيسترفيلد أثري مطلقاً
تنهيدة متبوعةً بسؤال:

- ما اسمك!

لم تقل الفتاة شيئاً وارتشفت من القهوة الشديدة السخونة.

- هل تحتاجين إلى مكان للإقامة؟

هزت الفتاة رأسها مشيرةً إلى أنها لا تحتاج إلى مكان.

- هل أنت متأكدة من ذلك؟

أومأت الفتاة برأسها هذه المرة وقبلت الدعوة.

- لم أقصد أن أخيفك، يجب أن تكوني حذرة قليلاً من المراهقين في
الخارج في ساعات الليل المتأخرة.

تأخذ المرأة رشفةً من قهوتها وتتابع ناظرةً نحو الفتاة:

- بابك جميل جداً، في بعض الأحيان يرسمون أشياء قبيحة على ذلك
الجدار، لأن الناس يقولون إن ساحرة تعيش هنا.

يتجهم وجه الفتاة ثم تشير إلى المرأة التي تضحك وتوجه لها سؤالاً لا
يبدو جدياً:

- حقاً ذلك، ساحرة حقيقية؟

تضحك المرأة بشدة وتبتسم الفتاة، تضحك بقوة وكأن وجود ساحرة
شيء يجلب الحظ.

- لا أحاول إخفاء ذلك بالطبع، لكن بعض هؤلاء الأطفال يتحدثون كثيراً
عن أمور غير منطقية، عن اللعنات والإيمان بالشياطين، وبعضهم
يجعلك تصدقين الأمر، شخص ما ألقى بحجر عبر النافذة منذ وقت
ليس ببعيد.

تنظر الفتاة إلى النافذة المغطاة بالستائر المخملية، ثم تنظر إلى يديها.
إنها غير متأكدة من أنها تفهم الناس أحياناً، وما زال الطلاء متكوماً تحت
أظفارها.

تتابع المرأة:

- تنبأت كثيرًا، تنبأت في كتاب ما عن شخص ما، عن شيء يشبه السحر تعاملوا معه. تنبأت بما كتب على مفاتيح السيارة وعبارات خواتم الزفاف. وتنبأت بما كتب في واحدة من وحدات التحكم الخاصة بلعبة الفيديو لولدي دفعةً واحدة، لم يقدّر لي أحد ذلك، ولكنني تنبأت في كل وقت على أي حال، إن ما أحدثك عنه مكتوب على الأرضيات وورق الجدران والغسيل، وربما يمكنني التنبؤ بما هو موجود على فرش الرسم الخاصة بك.

رفعت الفتاة يدها بشكل دفاعي إلى الفرشات الموجودة على شعرها.

- لا تخافي، أنا فقط أسألك إن كنت ترغبين بذلك عزيزتي.

تغيّر تعبير وجه الفتاة مع كلمات المرأة التحببية، وترجمت الفتاة هذه الكلمات عدة مرات في رأسها، واعتقدت في سرها أن هذه المرأة لا بد أن تكون ساحرة لتعرف مثل هذه الأشياء، لكنها لم تقل شيئًا.

تضع الفتاة قدحها على الطاولة وتقف ناظرةً نحو الباب وهي تمسك حقيبتها.

- حان وقت الذهاب بالفعل، إذا ما احتجت إلى شيء يمكنك العودة إلى هنا في أيّ وقت اتفقنا!

قالت المرأة وهي تضع فنجان قهوتها على الطاولة، تاركةً الفتاة تسير إلى الباب.

بدأت الفتاة وكأنها ستقول شيئًا لكنها لم تفعل. بل بدلًا من ذلك نظرت إلى اللافتة الموجودة على الباب وهي قطعة من الخشب مرسومة يدويًا مع شريطة كتب عليها «المستشار الروحي» مع نجوم صغيرة مرسومة حول الحواف.

تابعت المرأة:

- ربما يمكنك أن ترسمي لي شعارًا جديدًا في المرة القادمة، خذي هذه! وتنتزع المرأة حزمة من البطاقات من الرف، مرتفعة بما يكفي لإخفائها عن سارقي المتاجر، وتسلمها إلى الفتاة. نادرًا ما تقرأ البطاقات بنفسها، ولكنها تستمتع بمنحها كهدايا غير متوقعة عندما تشعر أن الوقت مناسب، تمامًا كما تفعل هذه اللحظة.

قالت المرأة وهي تشرح للفتاة التي تنظر بفضول إلى البطاقات التي في يدها:

- إنها بطاقات بها قصص صغيرة يمكنك خلطها مع بعضها، وهي ستخبرك بالقصة الكاملة.

ابتسمت الفتاة للمرأة ثم نظرت إلى البطاقات التي تحملها برفق، مثل كائن حي صغير. استدارت لتذهب، لكنها توقفت فجأة بعد بضع خطوات ثم عادت إلى الوراء قبل أن يغلق الباب خلفها.

- شكرًا.

قالت الفتاة مرة أخرى، بصوت ليس أعلى بكثير من ذي قبل.

- على الرحب والسعة!

ومع شروق الشمس، قادها طريق العرّافة وأعادها إلى المتجر وقادها طريقها هي إلى مكان آخر ودق الجرس الموجود فوق الباب عند فراقهما.

في الداخل، التقطت الساحرة كوب الفتاة، والنجم الموجود عليه متجه نحو راحة يدها. ليس عليها أن تقرأه لكنها فضوليّة وقلقة إلى حد ما بشأن الفتاة وهي في الشوارع وحدها.

تتجمع الصور في ذهنها سريعة وواضحة، بل أكثر وضوحًا مما هو معتاد لكائن التقت به لبضع دقائق فقط. المزيد من الصور، المزيد من الناس، والمزيد من الأماكن والمزيد من الأشياء أكثر مما ينبغي مجتمعةً في فتاة واحدة. ثم ترى الساحرة نفسها، ترى البطاقات تحرك الصناديق، تشاهد إعصارًا في التلفاز، وبيت مزرعة أبيض محاطًا بالأشجار. يسقط الكوب الفارغ على الأرض، ويصطدم بساق الطاولة لكنه لا ينكسر.

مدام لوف رولينز تمشي في الخارج، الجرس فوق الباب يدق مرة أخرى. تنظر أولاً إلى أسفل الشارع الهادئ، ثم تلتفت حول الزاوية أسفل الزقاق باتجاه الباب المطلي الذي لم يجفّ بعد. لكن الفتاة نفسها اختفت.

الكتاب الثاني

الفصل الأول حظوظ وخرافات

تاجر النجوم

ذات مرة كان هناك تاجر سافر بعيدًا، وكان يبيع النجوم في كل مكان، باع هذا التاجر كل أنواع النجوم. النجوم المتهاوية والنجوم المفقودة وقوارير غبار النجوم. قطع رقيقة من النجوم معلقة على سلاسل جديدة ليتم ارتداؤها حول الأعناق، وعينات مذهلة لعرضها تحت الزجاج. تم شراء أجزاء من النجوم لتقديمها هدايا للعشاق. وباع غبار النجوم ليرش في المواقع المقدسة أو للخبز في الكعك من أجل التعاويذ. وكان ينقل نجومه من مكان إلى آخر في كيس كبير مطرز بالكواكب.

كانت أسعار سلع التاجر مرتفعة، ولكن يتم تجاهلها بأمور أخرى؛ حيث يمكن الحصول على النجوم مقابل عملات معدنية أو خدمات أو أسرار، يتم حفظها من قبل الحالمين على أمل أن يمر النجم في طريقهم.

من حين إلى آخر، كان تاجر النجوم يتبادل النجوم في أماكن الإقامة أو في تنقله في أثناء السفر من مكان إلى آخر، كان يدفع النجوم مقابل الليالي التي قضاه في نزل مع صحبة أو دونها.

في إحدى الليالي المظلمة على الطريق، توقف تاجر النجوم عند إحدى الحانات ليقضي وقتًا بعيدًا على البحر قبل عودة الشمس، جلس يشرب الخمر وأجرى محادثة مع مسافر كان يقضي ليلته أيضًا في الحانة، على الرغم من أن مساراتهم ستأخذهم في اتجاهات مختلفة في الصباح.

قال التاجر وكأسه تمتلئ مرةً أخرى:

- بصحتكم!

ليأتيه الرد:

- بصحتك.

- ما الذي تبيعه؟

سأل المسافر وهو يميل كوبه نحو الكيس المغطى بالكواكب. كان هذا موضوعًا لم يتطرقا إليه بعد.

قال التاجر:

- نجوم، هل تهتم بالاطلاع؟ سأقدم لك خصمًا لأن صحبتك راقنتني. حتى

إنني قد أريك القطع التي أحتفظ بها في الاحتياط للعملاء المميزين.

- أنا لا أهتم بالنجوم.

ضحك التاجر وقال:

- الكل يريد النجوم. كل شخص يرغب في فهم ما هو بعيد المنال.

يحملون ما هو تقليدي في أيديهم ويحتفظون بالرائعة في جيوبهم.

ساد الصمت هنا بعض الوقت، مع طقطقة الأعواد التي تغذي النار حولهم.

قال المسافر:

- دعني أخبرك قصة ما.

- بالطبع!

وأشار إلى العامل في الحانة أن يملأ قدحيهما مرةً أخرى.

- مرة، منذ زمن بعيد، وقع الزمن في حب القدر، مع عاطفة كبيرة

منغمسة في الحب. راقبتهم النجوم من السماء، خشية أن ينفجر تدفق

الوقت أو تتشابك خيوط الحظ في عقد.

تعالى صوت طقطقة الأعواد في النار لتندمج مع صوت المسافر.

أكمل المسافر:

- تأمرت النجوم وفصلت بين الاثنين، وبعد ذلك تنفسوا الصعداء. استمر

الوقت في التدفق كما كان دائمًا، نسج القدر المسارات التي كان من

المفترض أن تتشابك معًا، وفي النهاية وجد القدر والوقت بعضهما مرة أخرى.

- بالطبع فعلا، فالقدر يحصل دائمًا على ما هو مقدّر.

- ومع ذلك، فإن النجوم لم تقبل الهزيمة، لقد أزعجوا القمر بالمخاوف والشكاوى حتى وافق على دعوة برلمان اليوم لحلّ هذا الأمر.

هنا تجهم وجه تاجر النجوم؛ كان برلمان اليوم أسطورة قديمة تم تداولها كلعنة في الأرض التي نشأ فيها طفلًا، بعيدًا عن هذا المكان. تتعثر في طريقك وسيأتي برلمان اليوم من أجلك. استمع التاجر بانتباه مع استمرار الحكاية.

- وخلص برلمان اليوم إلى ضرورة إزالة وتنحية أحد العناصر من هذه العلاقة، واختاروا الاحتفاظ بالشخص الذي شعروا أنه أكثر أهمية. ابتهجت النجوم عندما تم تفكيك القدر ممزقًا إلى أشلاء بواسطة مناقير ومخالب.

- ألم يحاول أحد إيقافهم؟

- القمر، بالتأكيد كان سيفعل ذلك لو كان هناك. اختاروا ليلة بلا قمر للتضحية ولم يجرؤ أحد على الاقتراب إلا فأر أخذ قلب القدر وحافظ على سلامته.

توقف المسافر لحظةً لأخذ رشفة من النبيذ وتابع:

- لم يلاحظ أحد من اليوم الفأر وهو يأخذ القلب بينما كانوا يأكلون. البومة التي أكلت عيون القدر حظيت ببصر رائع وتوّجت بلقب ملك اليوم.

صوت أتى من الخارج في الليل، ربما كان ريحًا أو ربما كانت رفرقة أجنحة، انتظر المسافر توقف الصوت قبل استئناف القصة.

- استراحت النجوم المتعجرفة في سماواتها وشاهدوا الوقت يمر في حالة من اليأس والانكسار، سألوا الجميع عن رأيهم فيما يعتقدون أنه حقيقة لا جدال فيها. لقد رأوا تاج ملك اليوم ينتقل من واحد إلى آخر مثل نعمة أو نقمة، ولا ينبغي أن يكون لمخلوق بشري مثل هذا الشيء. كانوا غارقين في حالة الجهل التي يعيشونها، ما زالوا فيها حتى الآن بينما نحن جلوس هنا تحتهم.

توقف المسافر لينهي كأس نبيذه وانتهت القصة هنا.

المسافر:

- كما قلت لك، أنا لا أهتم بالنجوم. فالنجوم مصنوعة من الحقد والندم.
لم يقل تاجر النجوم شيئاً، والحقيبة المغطاة بالكواكب تستقرّ مثقلةً
بجانب النار.

شكر المسافر تاجر النجوم على النيذ وعلى الصحبة وشكره التاجر
بدوره. وقبل أن يغادر المسافر انحنى واقترب من أذن التاجر وهمس بها:
- من حين إلى آخر، يجمع القدر قواه مرة أخرى، والوقت دائماً في
انتظاره.

ترك المسافر تاجر النجوم يجلس وحيداً، يشرب الخمر ويراقب وهج النار.
في الصباح، عندما كانت النجوم تفرّ من تحت عين الشمس، تساءل تاجر
النجوم عما إذا كان المسافر قد غادر، وما إذا كان هناك وقت لوداع مناسب
أكثر، بحث عنه مطولاً في الأرجاء، لكنّ أحداً ما أبلغه بأنه ما من ضيوف
آخرين كانوا هنا سواه!

زاكري إزرا رولينز، جالسٌ على مقعد مخملي في أفخم مقصورة شغلها
في حياته على الإطلاق، متسائلاً عما إذا كان المصعد ليس مصعداً بل غرفة
دائمة تم تجهيزها لتشعر فيها وكأنها مصعد، ذلك أنه كان يجلس فيها لوقت
طويل جداً جداً.

تساءل عما إذا كان من الممكن أن يكون مصاباً برهاب الأماكن المغلقة
المفاجئ، وأن العدسات اللاصقة الخاصة به تذكره لماذا نادراً ما يرتديها،
يصدر المصعد صوتاً أحياناً وأحياناً أخرى يقوم باهتزازات مصحوبة بصوت
تجريف، لذلك من المحتمل أنه يتحرك، شعر زاكري بألم في معدته كما لو أنه
يسقط بهدوء في قفص مذهب، واعتقد أنه قد يكون مخموراً أكثر مما يظن
وأن ذلك كله بسبب تأثر الكحول عليه.

تهتز الثريا المعلقة فوقه وتلمع، ملقية ضوءاً متقطعاً على الجزء الداخلي
الذي تغطيه النقوش قليلاً، وعلى الجدران الذهبية والمخمل الكستنائي اللامع
الغامض الذي يرتديه زاكري. يتكرر ظهور قرائن النحل والمفتاح والسيف
على الأبواب الداخلية ولا شيء آخر غيرها، لا معلومات رقمية، أي علامات
على الأرض، ولا حتى زر واحد. يبدو أن هناك مكاناً واحداً للذهاب إليه ولم

يصلوا إليه بعد. بدأ الطلاء على طول ظهر زاكري وذراعه يجف، وعلقت آثاره المعدنية بمعطفه وشعره مثيرة الحكة في رقبتة، وعلقت كذلك تحت أظافره. شعر زاكري بأنه يقظ جدًا ولكنه متعب للغاية. كل شيء يصدر صوت طنين من رأسه إلى أخمص قدميه، ولا يمكنه معرفة ما إذا كان المصعد أم الكحول أم أي شيء آخر. يقف ويسير بقدر ما يستطيع أن يسير في المصعد، ولا يزيد مشيه على خطوتين في أي اتجاه.

«في الحقيقة، ربما قد تكون قد مررت أخيرًا عبر باب مطلي ولم ينته بك الأمر؛ حيث توقعت». قال الصوت في رأس زاكري. «هل كنت أعرف ما كنت أتوقعه؟» سأل زاكري نفسه.

توقف زاكري عن المشي وواجه أبواب المصعد، مد يديه ليلمسها، فهوت يده على المفتاح، بينما فاجأه اهتزاز تحت يديه.

شعر للحظة وكأنه صبي يبلغ من العمر 11 عامًا في زقاق، والباب الموجود أسفل إصبعه مرسوم بدلاً من أن يكون معدنيًا وله صوت طرقات يتردد صداه، وموسيقى الجاز من الحفلة عالقة في رأسه، وهي تهيم فوق كل شيء، وفجأة بدا أن المصعد يتحرك بشكل أسرع بكثير.

فجأة، توقف المصعد وتأرجحت الثريا بشكل مفاجئ مرسلًا وابلًا من الضوء المتلألئ لحظة فتح الأبواب.

شكوك زاكري في أنه لم يكن يسافر في الواقع إلى أي مكان لا أساس له من الصحة؛ حيث إن الغرفة التي يتطلع نحوها ليس لها نفس المساحة التي كانت للكهف الذي بدأ فيه رحلته. أمامه الآن غرفة مضيئة بسقف منحني يذكره بالردهة من مكتبة الجامعة، ولكنها أصغر حجمًا، بجدران رخامية بلون العسل، معتمة ومتنوعة الألوان لكنها شفافة ومتوهجة، الوهج يغطي كل شيء باستثناء الأرض الحجرية والمصعد، وباب آخر على الجانب الآخر من الغرفة. اشتبه زاكري في أنه في الواقع تحت الأرض بقياسه لمدى طول وسرعة ركوب المصعد، على الرغم من أن الصوت في رأسه مصرّ على أن مثل هذه الأشياء مستحيلة. إنه هادئ للغاية. وشعر أن هناك ثقلًا في الهواء، وحملًا ما فوقه.

خرج زاكري من المصعد وأغلقت الأبواب خلفه. استؤنف صوت الطقطقة، وعاد المصعد إلى مكان آخر. يوجد فوق أبوابه مؤشر بنصف قمر دون أرقام، فقط سهم ذهبي يتحرك ببطء نحو الأعلى.

مشى زاكري إلى الباب على الجانب الآخر من الغرفة. باب كبير بمقبض ذهبي يذكره ببابه الأصلي المطلي لكنه فقط أكبر، كما لو أنه نما معه، هذا الباب ليس مطلياً بل خشب منحوت وحقيقي، وزخارفه المذهبة تتلاشى في بعض الأماكن ما عدا النحل والمفتاح والسيف؛ واضحون بطريقة مميزة.

أخذ زاكري نفساً عميقاً ومدّ يده إلى مقبض الباب، دافئ وصلب، وحين حاول فتحه، لم يتزحزح. حاول مرة أخرى، لكن الباب مغلق.

- حقاً؟

قال زاكري بصوت عال.

تنهد وتراجع خطوة إلى الوراء، يوجد في الباب ثقب مفتاح، وشعر بالسخافة حيال ذلك، انحنى زاكري إلى أسفل للنظر من خلاله. هناك مساحة خلفه، وهذا واضح للغاية، ولكن بخلاف الحركة غير المنتظمة للضوء، لم يتمكن من تمييز أي شيء آخر.

جلس زاكري على الأرض، كانت من حجر مصقول غير مريح. يمكنه أن يشعر من هذه الزاوية التي يجلس عليها أن الحجر قد تآكل في وسط المدخل. لقد سار الكثير من الناس هنا قبله.

«استيقظ! إنك عادة ما تكون جيداً في هذا النوع من المواقف». قال الصوت في رأسه.

وقف زاكري، تاركاً وراءه آثاراً من طلاء الذهب، قام يتفقد بقية الغرفة فوجد زراً بالقرب من المصعد، نصفه مخفي بالرخام: زراً نحاسياً متصللاً بألواح رخامية. ضغط عليه زاكري وهو يائس من النتيجة، وصدق رأسه، لم يعمل الزر وبقي المصعد واقفاً. وحين حاول لمس الجدران الأخرى التي لا تحتوي أبواباً، فوجدها أكثر ليونة.

ثمة كوة مثبتة في منتصف الجدار الأول على ارتفاع النافذة. تختفي عن الأنظار على بعد خطوات قليلة، وتضيق في وهج الرخام. في الداخل، هناك وعاء منخفض كما لو أنه نافورة في الجدار بلا ماء، وعلى الجانبين تقوس

متداخل مسطح في بقعة بالجزء السفلي، وفي المنتصف توجد حقيبة سوداء صغيرة.

التقط زاكري الحقيبة وشعر أنّ لها وزنًا مألوفًا في يده وكشفت لحظة رَفَعِ الحقيبة عن كلمة واحدة محفورة في الحجر تحتها: «رمية».

- لا بدّ أن هذه مزحة ما!

قال زاكري وهو يقلب محتويات الكيس في راحة يده.

سته أحجار نرد من النوع الكلاسيكي السداسي المنحوت من الحجر الداكن. يحتوي كل جانب على رمز بدلًا من الأرقام أو النقاط، محفورة ومزينة بالذهب. قلب واحدًا حتى يتمكن من التعرف على جميع الرموز: النحلة والمفتاح والسيف رموز مألوفة له، ولكن هناك المزيد، تاج وقلب وريشة.

وضع زاكري الكيس جانبًا وهز النرد جيدًا قبل أن يرميه في الحوض الحجري، عندما استقرّ النرد كانت جميع الرموز تشير إلى شيء واحد: ستة قلوب.

بالكاد لديه الوقت لقراءة حجر النرد، قبل أن يسقط من الحوض ويختفي مع الحقيبة، لم يكلف نفسه عناء فحص الباب قبل المشي إلى الجدار المقابل، غير متفاجئ بالعثور على كوة مطابقة. يوجد أكواب زجاجية صغيرة في الداخل، من النوع الذي يستخدم لاحتساء العصائر أو المشروبات الكحولية، مع غطاء زجاجي مطابق في الأعلى، مثل بعض أكواب الشاي الفاخرة، التقط زاكري الكوب الزجاجي، ومرّة أخرى كلمة واحدة منقوشة تحته: «شراب».

يحتوي الزجاج على سائل بلون العسل، لا يتعدّى الرشفة. أزال الغطاء عن الزجاج ووضعه بجانب النقشات المنحوتة، استنشقت السائل وشعر أنه له حلاوة العسل ممزوجًا برائحة زهر البرتقال والفانيليا والبهارات. تذكر زاكري عددًا لا يحصى من التحذيرات من القصص الخيالية بخصوص الأكل أو الشرب في العالم السفلي، وفي الوقت نفسه أدرك أنه عطش بشكل لا يصدق وساوره الشك أن هذا هو السبيل الوحيد للمضي قدمًا.

ابتلع المشروب في رشفة واحدة ووضع الكأس الفارغة على الحجر. مذاقه كمذاق كل ما استنشقه فيه، زائد عليه طعم المشمش والقرنفل والقشدة وزاده الكحول طعمًا لاذعًا قويًا.

فقد توازنه بما يكفي لإعادة النظر في الغباء الذي ارتكبه بأكمله، ولكن بمجرد سقوط الكأس الزجاجية من يده بدا ذهنه الذي كان مشوشًا وسابحًا في اللاشيء، أكثر وضوحًا. عاد إلى الباب وعندما حرك المقبض وجده قد تحرك، فتمكن من الدخول.

تبدو الغرفة خلف الباب وكأنها كاتدرائية، سقوفها المرتفعة مزخرفة بشكل معقد ومدعمة جيدًا إذا ما كانت كلمة مدعمة تملك معنى واحدًا فقط. هناك ستة أعمدة كبيرة، مغطاة بالقرميد وبأنماط معقدة على الرغم من غياب بعض قطع القرميد هنا أو هناك، معظمها بالقرب من القواعد الارتكازية، مما ترك أحجارًا عارية مرئية تحتها. الأرضية مغطاة بالقرميد المهترئ حتى ظهر الحجر تحته بالقرب من قدمي زاكري وفي حلقة حول محيط المساحة المستديرة، مع تآكل كبير بالقرب من المداخل الأخرى هناك خمسة مداخل بغض النظر عن الباب الذي دخل منه: أربعة منها عبارة عن ممرات مقنطرة، تؤدي في اتجاهات مختلفة إلى قاعات مظلمة، ولكن مباشرة مقابل باب خشبي كبير موارب قليلًا، يظهر ضوء ناعم في الأفق.

توجد ثريات، بعضها معلق على ارتفاعات غير منتظمة وثرى غير مناسبة للمكان، والبعض الآخر يرتكز على الأرضية في أكوام مضاءة من المعدن والكريستال، ومصاييحها الصغيرة باهتة أو مطفأة تمامًا.

الضوء الأكبر في الأعلى ليس ثرى على الإطلاق، ولكنه مجموعة من الكرات الأرضية المصغرة المتوهجة معلقة بين الأطواق والقضبان النحاسية. رفع زاكري عنقه ورأى أيادي في نهاية القضبان، أيادٍ بشرية مصبوبة بالذهب وتشير إلى الخارج، والقرميد فوقها مرسوم على شكل أرقام ونجوم. في نقطة منتصف الغرفة تتدلى سلسلة من السقف، وتنتهي برقاص ساعة معلق فوق الأرضية يتأرجح ببطء في دوران محكم.

اعتقد زاكري أن الأداة الغريبة بأكملها قد تكون نموذجًا للكون أو ربما ساعة من نوع ما ولكن ليس لديه فكرة عن كيفية قراءتها.

- مرحبًا؟

قال زاكري لكنَّ أحدًا لم يجبه.

من إحدى القاعات المظلمة سمع صوت صرير، مثل فتح باب لكن لا شيء تبعه. سار زاكري في محيط الغرفة، وحدق إلى الممرات الممتلئة بالكتب،

والموجودة على رفوف منحنية طويلة ومكدسة على المداخل. أسفل إحدى القاعات، رأى أعياناً متوهجة تحديق إليه، من حظه أنه رمش، فوجد الأعين قد اختفت.

أعاد زاكري تركيز انتباهه إلى ما يظنّ أنه ربما آلة الكون، وربما ساعة ليتفقدتها من زاوية مختلفة. يتحرك أحد القضبان الصغيرة في الوقت المناسب مع الرقاص، وبينما حاول تمييز ما إذا كان أي من الكرات المصغرة التي تشبه الكرة الأرضية بها أقمار سمع صوتاً خلفه.

- هل يمكنني المساعدة يا سيدي؟

استدار زاكري بسرعة لدرجة أنه ألم رقبتة وشعر بالارتياح ولم يستطع معرفة ما إذا كان الرجل الذي ينظر إليه باهتمام ضئيل يهتمّ بما يفعله زاكري أو يهتمّ أكثر بوجوده بحدّ ذاته أو كليهما معاً، وفكّر أنّه ما دام هناك شخص آخر في هذا المكان، فهو إذاً مكان موجود بالفعل، وكلّ ما يحدث حقيقي.

ذاب زاكري في ضحك فوري شبه هستيري مع قهقهة ساخرة حاول حجبها، وفشل في ذلك وتحولت تعابير وجه الرجل من الارتياح الواضح إلى القلق البسيط.

أعطى هذا الرجل انطباعاً فورياً بأنه في سنّ متقدمة وليس صغيراً، ربما بسبب شعره الأبيض الناصع، الذي كان طويلاً ومصففاً في ضفائر مثيرة للإعجاب. لكن زاكري رمش عدّة مرّات وحديق إليه، وبينما يحاول التركيز بعدساته اللاصقة رأى أنه رجل ربما يقارب الخمسين من العمر أو على الأقلّ ليس كهلاً كما يوحي به لون شعره الممتلئ باللآلئ المعلقة على طول الضفائر، تلك التي قد تصرف النظر عن عمر الرجل بمجرد رؤية بريقها في الضوء.

حاجباه ورموشه قاتمون سُود مثل عينيه، وتبدو بشرته أغمق على عكس شعره، ولكنها ذات لون بني متوسط. يرتدي نظارة بحبال تتدلى على الجانبين، تقف على أنف بارز تذكر زاكري معه قليلاً مدرّس الرياضيات في الصف السابع ولكن بتصفيفة شعر أحمر أكثر حداثة ورداء غامق مطرز بالذهب مربوط بعدد من الحبال المنتهية بحلقات، وكان يرتدي عدة خواتم في يد واحدة أحدها يشبه طائر البوم.

- هل يمكنني المساعدة يا سيدي؟

كرر الرجل كلامه.

لكن زاكري لم يستطع التوقف عن الضحك وفتح فمه ليقول شيئاً، أي شيء، لكن لا كلام خرج منه. نسيت ركبتاه كيف تعملان وهوى على الأرض مع معطفه الصوفي والطلاء الذهبي الذي يغطيه، وجد نفسه طريح الأرض بجانبه قطعة بنية تحفّ نفسها حول حواف رداء الرجل وتحقق إلى زاكري بعينين بلون الكهرمان الأصفر، ما جعل الموقف برمته أكثر جنوناً، لم يضحك زاكري من قبل على نفسه قط في نوبة هلع مثل هذه ولكن مهلاً، هناك مرّة أولى لكل شيء!

انتظر الرجل والقطعة بفارغ الصبر أن يستعيد زاكري توازنه، كما لو أن الزائرين الذين يغطيهم الطلاء وتصيبهم الهستيريا أمر شائع!
- أنا...

بدأ زاكري بالكلام ثم أدرك أنه ليس لديه أي فكرة على الإطلاق من أين يبدأ. الأرضية تحته باردة، وقف ببطء، وبعض منه يتوقع من الرجل أن يعينه على النهوض وألا يقوم بعمل أخطر آخر، لكنّ يدي الرجل بقيتا ثابتتين على الرغم من أن القطعة تخطو خطوة إلى الأمام، وهي تشم حذاء زاكري.

- خذ وقتك إن كنت تحتاج للحظة لتستعيد توازنك، لكنني أخشى أنك ستضطر بعدها للمغادرة، فنحن على وشك الإغلاق.

- أنتم ماذا؟

سأل زاكري وهو يستعيد توازنه وبينما يفعل ذلك، إذ استقرت نظرة الرجل الفاحصة على بقعة بالقرب من الزر الثالث على معطف زاكري المفتوح.

- ليس من المفترض أن تكون هنا!

قال الرجل، وهو ينظر إلى السيف الفضي المعلق حول رقبة زاكري.

- أوه، هذا ليس لي. شخص ما أعطاه إليّ من أجل التمويه، أنا، هم، آه.

وحاول التوضيح، ولكن الرجل حاول إعادته إلى باب المصعد.

- إنهم لا يتخلون عن مثل هذه الأشياء بسهولة.

لم يجد زاكري رداً مناسباً، عادا إلى الباب مرة أخرى. لقد استنتج أن دوريان ربما يكون عضواً سابقاً في المنظمة التي تجمع مقابض الأبواب التائهة لتزيين منازل أعضائها في مانهاتن، ولكن لا يمكن التأكد مما إذا

كان السيف ملك دوريان أم نسخة أم شيئاً ما آخر. لم يكن مستعداً لاتهامات بسرقة المجوهرات في الكاتدرائيات الموجودة تحت الأرض المغلقة حالياً للعمل أو التجديدات. لم يكن مستعداً لأي شيء حدث هذا المساء باستثناء ركوب سيارة الأجرة.

- دعا نفسه دوريان، طلب مني مساعدته، أعتقد أنه في ورطة، لا أعرف من هم الناس أصحاب السيف.

شرح زاكري سريعاً، شاعرًا بأن كلماته تبدو ككذبة، بدا له أن الأوصياء لا يعملون بالطريقة التي ذكرها كتاب الأحزان العذبة، رغم من أنه متأكد تمامًا من هذا الأمر.

لم يقل الرجل شيئاً، وبعد أن سار بزكري بلطف إلى الباب عاد إلى المصعد، ثم توقف وضغط على الزر السداسي المجاور له بيده المغطاة بالخواتم.

- أتمنى لك ولصديقك التوفيق في التغلب على الصعوبات الحالية.

ضغط الرجل على الزر مرة أخرى، وضغط زاكري على الزر أيضاً، على أمل أن يبطن المصعد ليوفر له وقتاً يسمح بشرح أو فهم ما يجري، لكن الزر لم يستجب، لم يصدر صوتاً أو يضيء، وبقيت الأبواب مغلقة.

تجهم وجه الرجل وحدق إلى المصعد أولاً وإلى معطف زاكري ثانياً، أو بمعنى أدق؛ إلى الطلاء على معطف زاكري.

- الباب الذي دخلت من خلاله، هل هو مطلي؟

- نعم.

- لقد استنتجت من خلال معطفك المغطى بالطلاء أن الباب لم يعد يعمل، هل هذا صحيح؟

- أعتقد أنه اختفى.

ولم يصدق زاكري ما يجري حوله على الرغم من وجوده هناك.

أغلق الرجل عينيه وأخذ نفساً عميقاً:

- لقد حذرتها من أن هذا سيُنْتِج مشكلة، ما الذي حصلت عليه بعد الرمية؟

وقبل أن يسأله زاكري من تلك التي يقصدها بحديثه قال له:

- عفواً؟

- النرد الذي رميته، ماذا نتج عنه؟

- أوه... أوه... نعم نتج عنه ستة قلوب.

وتذكر زاكري النرد الذي سقط في الظلام والشعور بالدوار وتساءل مرة أخرى عما يعنيه ذلك، وإذا ما كانت فكرة رمي النرد سيئة من الأساس.

حدق الرجل إلى وجهه، وفحصه بدقة أكبر من ذي قبل بتعبير غريب يشبه الاعتراف، وعلى الرغم من أنه بدا على وشك أن يسأل سؤالاً آخر، لم يفعل، لكنه قال:

- إن كنت ترغب يمكنك أن تأتي معي.

واستدار الرجل عائدًا عبر الباب، وتبعه زاكري شاعرًا أنه قد أنجز شيئًا ما. على الأقل ليس عليه أن يغادر بمجرد وصوله. لا سيما وأنه غير متأكد من مكانه بالضبط. لم يكن هذا ما كان يتوقعه، هذا المكان المترامي بثرياته المنهارة وأكوام الكتب التي يغطيها الغبار، والكثير من القرميد.

باعتبارها نظرة أولية، إنه أعظم قتامة وحميمية وأقدمها وأهدؤها وأكثرها مما كان يتخيله عندما وصل إلى هنا، أدرك الآن صحة يقينه من أنه سيصل إلى هنا بطريقة ما، ذلك أن كتاب الأحزان العذبة قد ذكر هذا الشيء بنفس الوصف. ليس بعد! كان ذلك اعتقاده وهو ينظر إلى الكون الذي يدور فوقه، ويدها تشيران إلى أعلى في اتجاهات متناوية، متسائلًا ما الذي من المفترض أن يفعله الآن بعد أن أصبح هنا.

- أنا أعرف سبب وجودك هنا.

هكذا قال الرجل في أثناء مرورهما بالرقاص المتأرجح، وكأنه يستطيع سماع أفكار زاكري.

- ماذا تعرف؟

- أنت هنا لأنك ترغب في الإبحار في البحر الخالي من النجوم واستنشاق الهواء المسكون بالأرواح.

توقف زاكري عند سماع تلك الحقيقة المطمئنة، مع شعوره بالارتباك من عدم فهم ما يعنيه الرجل.

- هل هذا هو البحر الخالي من النجوم؟

سأل زاكري وتبع الرجل مرة أخرى. بينما اتجه إلى الجانب الآخر من القاعة الكبرى.

- لا، هذا ليس سوى ميناء وكما ذكرت من قبل، فهو مغلق.

- ربما يجب أن تضع علامة.

قال زاكري قبل أن يتوقف عن الترتة، أكسبته هذه العبارة نظرة ذابلة يصعب حتى على أي معلم رياضيات تفسيرها، قبل أن يغمغم معتذراً بعدها.

تبع زاكري الرجل والقط البني اللون الذي انضم إلى الموكب مرة أخرى فيما لا يمكن أن يفكر فيه إلا كمكتب، على الرغم من أنه لا يشبه أي مكتب رآه من قبل. جميع الجدران مخفية تقريباً خلف رفوف الكتب والخزائن ومصنفات البطاقات والأدراج الصغيرة والملصقات. الأرضية مغطاة ببلاط شبيه بالخارج، ويظهر أمامه ممر متآكل من الباب إلى المكتب. يضيء مصباح زجاجي أخضر بالقرب من المكتب وتدور سلاسل من الفوانيس الورقية حول قمم رفوف الكتب. موسيقى هادئة وكلاسيكية تصدر عن الفونوغراف ويشغل موقد النار معظم الجدار المقابل للباب، وتتقد النيران في موضعها بمواجهة الحرير فيظهر الضوء المتلألئ بلون خمري. يميل غصن مكنسة قديمة على الحائط القريب وسيف كبير حقيقي معلق فوق رف يحتوي على عدة كتب، قرون وعُل، وقط آخر حي ولكنه نائم، وعدة أوانٍ زجاجية مختلفة الأحجام ملأنة بالمفاتيح.

جلس الرجل خلف مكتب كبير مغطى بأوراق ودفاتر وزجاجات حبر وبدا أكثر راحة، بينما زاكري ما زال متشنجاً يغمره التوتر، يشعر بالسوء بشكل غريب أكثر مما شعر به في أي وقت سابق.

- حسناً، قل لي الآن أين كان بابك؟

قال الرجل بينما تجلس القطة البنية على زاوية المكتب، تتنأب وعيناها الصفراوان تحدقان إلى زاكري.

- سنترال بارك.

شعر أن لسانه ثقيل، وأصبح من الصعب تجميع الكلمات.. وتابع:

- لقد دمره هؤلاء... أناس من ناد ما. أعتقد سيدة معطف الفرو الشبيه بالدب القطبي هي زعيمتهم. دعنتي بطريقة غريبة لتناول الشاي

والرجل الذي قال إن اسمه دوريان ربما يكون في مشكلة، لقد جعلني
أخذ هذا الكتاب من مقرهم، ولم يذكر السبب.

أخرج زاكري الكتاب من معطفه، أخذه الرجل عابساً، فتحه وقلب بعض
صفحاته متأملاً إياه تفصيلاً، بدا لزاكري أن النص العربي كأنه بالإنجليزية،
لكن عينيه على الأرجح تخدعانه ذلك أن عدساته اللاصقة تحكّانه، حدّث نفسه
بأنه ربما يعاني حساسيةً تجاه القطط. أغلق الرجل الكتاب مرة أخرى قبل
أن يتيقن منه وقال:

- هذا الكتاب ينتمي إلى هنا، لذا شكراً لك على ذلك، ويمكنك الاحتفاظ به
لصديقك إذا أردت.

نظر زاكري إلى الكتاب المصنوع من الجلد البني وقال:

- هل ينبغي لأحد أن ينقذه؟ أنا حقاً لا أعلم.

- أنا متأكد أنه ينبغي لأحدهم فعل ذلك، ولن تكون قادراً على المغادرة
دون مرافق، لذا سيتعين عليك انتظار عودة ميرابيل. سأحرص على
تحضير مكان لإقامتك في هذه الأثناء، تبدو بحاجة لقسط من الراحة
وأنا أحتاج إلى بعض المعلومات الإضافية منك قبل أن أمضي قدماً. ما
اسمك؟

- أه! زاكري، زاكري إزرا رولينز.

انحنى زاكري باحترام بدلاً من طرح أحد الأسئلة العديدة التي تجول في
خاطره.

- يسعدني التعرف إليك سيد زاكري.

قال الرجل وهو يكتب اسم زاكري في أحد الدفاتر على المنضدة ويتحقق
من الوقت في ساعة الجيب، ثم أضاف ذلك إلى الدفتر أيضاً، وتابع:

- يدعونني الحارس.. حسناً، لقد قلت إن دخولك المؤقت كان في سنترال
بارك، أظنك تقصد المدخل الموجود في مانهاتن، نيويورك، في الولايات
المتحدة الأمريكية؟

- نعم، ذلك سنترال بارك.

- جيد جداً.

وسجل شيئاً آخر في الدفتر، ثم وضع علامة على وثيقة أخرى، ربما خريطة، قبل أن ينهض من المكتب إلى إحدى الخزائن ذات الأدراج الصغيرة خلفه. أخرج شيئاً من أحد الأدراج وقلّبه بين يديه، ثم سلّمه إلى زاكري، قلادة ذهبية مستديرة معلقة بسلسلة طويلة، على أحد جانبيها نحلة، وعلى الآخر قلب. وقال:

- إذا ما كنت بحاجة إلى العودة لهذه البقعة، التي يدعوها معظم الناس بالقلب، فهذا سيحدد طريقك.

فتح زاكري القلادة لتظهر له بوصلة بعلامة واحدة؛ حيث سيكون الشمال فقط، وإبرتها تدور بشكل متقطع. قال الحارس:

- هل ستحتاج إلى معرفة موقع القبلة إن كنت ترغب بالصلاة؟

- لا شكراً، أنا لا أصلي!

هزّ الحارس رأسه، ثم استأنف زاكري موضحاً:

- إنني شخص معنيّ بالروحيات ولكنني لست دينياً.

لم يقل زاكري ما يفكر فيه، وهو أن كنيسته تكتم الأنفاس، تقضي على القصص وتحجب صوت الحفلات في آخر الليل وتقرع أجراسها في أقصى أشكال المثالية، وأن الدين الذي نشأ عليه مدفون في صمت الثلج المتساقط حديثاً، في كوكتيل مصنوع بعناية، بين صفحات كتاب في مكان ما بعد البداية، لكنه قبل النهاية.

تساءل زاكري ماذا يوجد بالضبط في ذلك الشيء الذي شربه سابقاً.

هز الحارس رأسه موجهاً انتباهه إلى الخزائن، ثم فتح درجاً آخر وأخرج شيئاً ثم أغلقه. وقال وهو يخرج من الغرفة:

- لو سمحت تعال معي يا سيد رولينز.

ونظر زاكري وإلى القطة غير المبالية وهي تغلق عينيها ولا تدري بما يجري حولها.

أغلق الحارس باب المكتب وقاد زاكري إلى أسفل إحدى قاعات الكتب. تبدو هذه المساحة متغلغلة أكثر تحت الأرض، مثل النفق، مضاءة بالشموع والفوانيس على مسافات، مع سقف منخفض مستدير ومنعطفات لا تتبع أي نمط واضح. شعر زاكري بالامتنان لبوصلته بعد الانعطاف الثالث عبر متاهة

من الأبواب والكتب؛ حيث تتفرع إحدى القاعات إلى أخرى وتنتفتح على غرف أكبر، ثم تتحول إلى قاعة تشبه النفق مرة أخرى. تتوزع الكتب على أرفف تنحني مع الأحجار أو مكدسة على طاوولات وصناديق وكراسي، مثل متجر التحف الأدبية. يمران بتمثال نصفي من الرخام يعتمر قبعة حريرية وقطة أخرى نائمة على كرسي بذراعين منجد ومطو في الكوة. توقع زاكري مقابلة أشخاص آخرين ولكن لا يوجد أحد. ربما كان الجميع نائمين والحارس في وردية الليل والوقت قد فات الآن.

يتوقفان عند باب محاط بأرفف كتب ملائمة بالفوانيس الصغيرة المتوهجة. يفتح الحارس الباب ويشير إلى زاكري للدخول.

- أعتذر عن هذه الحالة.

يتوقف الحارس ويتجهم وجهه، وينظر إلى غرفة لا تتطلب أي اعتذار مثلما فعل سابقًا.

كانت أروع غرفة فندق يمكن أن يتخيلها زاكري، إلا في كهف. وفرة من المخمل، معظمه أخضر داكن، مثبت على الكراسي ويتدلى من الستائر فوق سرير مغطى بأربعة مفارش مرتبة تحسبًا لوصول الضيف. يوجد مكتب كبير وزوايا قراءة متعددة. الجدران والأبواب حجرية تطل من بين أرفف الكتب ولوحات فنية مؤطرة وسجاد غير متطابق، بدت الغرفة أكثر حميمية من غيرها. النار تتوهج في موقد النار والمصابيح بجانب السرير مضاءة، كما لو أن الغرفة بانتظاره.

- أمل أن يكون هذا مناسبًا لك.

قال الحارس بوجهه العبوس، فأجاب زاكري:

- هذا رائع!

قال الحارس مشيرًا إلى الجزء الخلفي من الغرفة:

- الحمام عبر الباب الخلفي، ويمكن الوصول إلى المطبخ عبر الممر بالقرب من الموقد. سيرتفع مستوى الضوء في القاعة صباحًا. من فضلك لا تطعم القطط. هذا هو مفتاحك.

منح الحارسُ زاكري مفتاحًا في سلسلة طويلة أخرى.

- إذا كان هناك أي شيء تحتاجه، فالرجاء عدم التردد في السؤال، فأنت تعرف أين تجدني.

أخذ الحارس قلمًا وقطعة صغيرة مستطيلة من الورق من ثوبه وكتب شيئًا ما، وتابع:

- ليلة سعيدة، مستر رولينز وأمل أن تستمتع بإقامتك.

وضع قطعة ورق في لوحة صغيرة بجانب الباب وانحنى لزاكري، ثم اختفى مرة أخرى نزولًا باتجاه القاعة.

شاهده زاكري وهو يذهب ثم استدار لينظر إلى الورقة الموجودة على اللوحة. سطر مكتوب بالخط العربي على ورق بلون العاج وضع في لوحة من النحاس الأصفر: (ز. رولينز).

أغلق زاكري الباب متسائلًا عن عدد الأسماء التي احتلت تلك البقعة من قبل وكم مضى على آخر واحد منها. وبعد بضعة ثوانٍ من التردد أقفل الباب. وضع رأسه على الباب وتنهَّد.

«هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا، ماذا يمكن أن يكون كل ذلك؟» سأل الصوت في رأسه، بلا إجابة.

خلع معطفه الملطخ بالطلاء وألقاه على كرسي، ثم شق طريقه إلى الحمام، وألقى نظرة حوله على البلاط الأسود والأبيض وحوض الاستحمام قبل غسل يديه وإزالة العدسات اللاصقة، متابعًا انعكاسه يهوي بعيدًا عن التركيز في المرآة فوق الحوض. رمى العدسات في سلة المهملات، متسائلًا كيف ستسير حياته دونها، غير أن مخاوف أخرى لديه الآن كانت أكثر إلحاحًا.

عاد إلى الداخل؛ حيث ضبابية المخمل والأضواء في الغرفة الرئيسية، خلع حذاءه وهو يمشي وتمكن من خلع سترته وصداره قبل أن يصل إلى السرير، لكنه نام قبل أن يتمكن من التعامل مع الأزرار الإضافية وأغطية الكتان، بينما ابتلعته وسادات صوف الخروف مثل السحابة واحتضنها بدورها، أفكاره الأخيرة قبل النوم كانت مزيجًا من أحداث ذلك المساء الذي انتهى أخيرًا، وأسئلة ومخاوف بشأن كل شيء بدءًا من كيفية إزالة الطلاء من شعره، ثم تبخر كل شيء من رأسه، آخر خيط من التفكير كان سؤاله لنفسه: «كيف تذهب إلى النوم إذا كنت تحلم بالفعل!»

جامع المفاتيح وخرافاته

كان هناك رجل يجمع المفاتيح، مفاتيح قديمة ومفاتيح جديدة ومفاتيح مكسورة، يجمع المفاتيح المفقودة والمفاتيح المسروقة والمفاتيح المهمة الرئيسية. حملها في جيوبه ولبسها بسلاسل متناثرة، بينما كان يتجول في المدينة.

كل شخص في البلدة يعرف جامع المفاتيح، يعتقد بعض الناس أن عادته غريبة ولكن جامع المفاتيح كان ودودًا، وكان له جو مدرّوس خاص به وابتسامة سريعة.

إذا فقد شخص ما مفتاحًا أو كسر مفتاحًا، فيمكنه أن يطلبه من جامع المفاتيح وعادة ما يكون لديه بديل يناسب احتياجاته. غالبًا ما كان لديه خطة أسرع من صنع مفتاح جديد.

احتفظ جامع المفاتيح بأشكال وأحجام المفاتيح الأكثر شيوعًا وتداولًا، كان وجهة أي محتاج لمفتاح باب أو خزانة أو صندوق.

جامع المفاتيح لم يكن يمتلك مفاتيحه الخاصة، إذ تبرع بهم لشخص آخر. على الرغم من أن الأشخاص غالبًا ما يفضلون صنع مفتاح جديد، ويعيدون المفتاح الذي استعاروه.

أعطاه الناس مفاتيح عثروا عليها أو مفاتيح احتياطية كهدايا لإضافتها إلى مجموعته. عندما يسافرون، يجدون مفاتيح ما يعيدونها معهم، مفاتيح ذات أشكال غير مألوفة بأسنان غريبة.

أطلقوا على الرجل نفسه اسم جامع المفاتيح، لكن عددًا كبيرًا من الناس ساعد في الجمع.

في النهاية، كان لدى جامع المفاتيح عدد كبير جدًا من المفاتيح ليحملها ويعرضها في جميع أنحاء منزله. علقها على النوافذ بشرائط كالستائر ورتبها على رفوف الكتب وأطرها على الجدران. أروعها كان يحتفظ به تحت الزجاج أو في صناديق مخصصة للمجوهرات. تم تكديس البعض الآخر مع مفاتيح مماثلة، وحفظها في دلاء أو سلال.

تبعد سنوات عديدة، أصبح المنزل بأكمله على وشك أن ينفجر بالمفاتيح. كانوا معلقين من الخارج أيضًا، فوق الأبواب والنوافذ ويتدلون من المزاريب. منزل جامع المفاتيح واضح للعيان بسهولة من الطريق.

ذات يوم طرق أحد ما بابيه، فتح جامع المفاتيح الباب ليجد امرأة جميلة في عباءة طويلة على عتبة بابيه. لم يسبق له أن رآها من قبل، كما لم ير تطريزًا من النوع الذي كان يقطع عباءتها، أزهار على شكل نجمة في خيط ذهبي على قطعة قماش داكنة. لم ير حصانًا أو عربة، وافترض أن المرأة ربما تركتهم في الخان لأنه لم يمر أحد عبر هذه البلدة دون البقاء في النزل ولم يكن بعيدًا عن منزله.

- لقد قيل لي إنك تجمع المفاتيح.

- نعم! أنا أفعل ذلك.

ما قاله جامع المفاتيح كان واضحًا. كانت هناك مفاتيح معلقة فوق المدخل؛ حيث وقفت المرأة ومفاتيح على الجدران خلفه، ومفاتيح في جرار وأوعية، ومزهريات على الطاولات.

- أنا أبحث عن شيء مقفول عليه بعيدًا في مكان ما، أتساءل عما إذا كان أحد مفاتيحك قد يفتحه؟

- أهلاً بك، يمكنك التفضل وتفقد المفاتيح.

دعا جامع المفاتيح المرأة إلى الداخل، فكر في سؤالها عن شكل المفتاح الذي تبحث عنه حتى يتمكن من مساعدتها في البحث، لكنه كان يعلم مدى صعوبة وصف مفتاح. للعثور على مفتاح، عليك فهم القفل.

لذلك سمح جامع المفاتيح للمرأة بالبحث في المنزل. أظهر لها كل غرفة، كل خزانة ورف وكتب مبطنة بالمفاتيح. المطبخ مملوء بأكواب الشاي وأكواب النبيذ المتخمة بالمفاتيح، باستثناء القليل منها الذي تم استخدامه بشكل متكرر ومن الأكواب ما هو فارغ للنبيذ أو الشاي.

عرض عليها كوبًا من الشاي لكنها رفضت بأدب. تركها للبحث عن المفتاح وجلس في الردهة الأمامية؛ حيث يمكنها أن تجده إذا احتاجت إليه، ثم بدأ بقراءة كتاب ما.

بعد عدة ساعات عادت المرأة إلى جامع المفاتيح وقالت له:

- لم أعثر عليه، شكرًا لك لأنك سمحت لي بالبحث عنه.

- يوجد المزيد من المفاتيح في الحديقة الخلفية.

وأرشد المرأة إلى الخارج.

كانت الحديقة مزينة بمفاتيح معلقة من شرائط بألوان قوس قزح. والمفاتيح مربوطة بأقواس معلقة من الأشجار، كما عرضت أزواج من المفاتيح في أوان ومزهريات زجاجية. أقفاص العصافير مع المفاتيح معلقة على الأراجيح الصغيرة بالداخل ولا طيور بداخلها فقط مفاتيح. مفاتيح مثبتة في حجارة الأرضية على طول ممرات الحديقة. احتوت النافورة أيضًا على أكوام من المفاتيح تحت الماء، غارقة مثل الأمنيات. كان الضوء يتلاشى لذا أضاء جامع المفاتيح الفوانيس.

- المكان جميل هنا!

وبدأت تتفقد مفاتيح الحديقة والمفاتيح التي تمسك بها التماثيل والمفاتيح الملتفة حول الشجيرات. ثم توقفت أمام شجرة كانت قد بدأت للتو في الارتفاع، ووصلت إلى أحد المفاتيح، وهو أحد المفاتيح العديدة المعلقة بشرائط حمراء.

- هل يناسب هذا المفتاح القفل الخاص بك؟

- أوه! بل هو أكثر من ذلك، هذا هو مفتاحي. لقد فقدته منذ وقت طويل جدًا. أنا سعيدة لأنه وجد طريقه إليك.

- أنا سعيد بإعادته إليك.

ومد يده ليفك الشريط من أجلها ووضعه في يدها.

- لا بد أن أجد طريقة ما لأردّ معروفك لي.

- لا داعي لذلك، إنه لمن دواعي سروري أن أساعد في لَمِّ شملك بالشيء الذي تبحثين عنه.

- إنه ليس شيئًا، إنه مكان.

حملت المرأة المفتاح بيدها أمامها مباشرة على ارتفاع ما فوق خصرها؛ حيث قد يكون ثقب المفتاح إذا كان هناك باب ما أمامها، واختفى جزء من المفتاح، أدارت المرأة المفتاح وفتح باب غير مرئي في منتصف حديقة جامع المفاتيح، ثم دفعت المرأة الباب وفتحته.

ظل المفتاح وشريطه معلقين في الهواء، ونظر جامع المفاتيح من الباب إلى غرفة ذهبية ذات نوافذ عالية مقنطرة بعشرات الشموع الموضوعة على طاولات تتجهّز لاحتفال كبير. عزف موسيقى وضحكات مسموعة تأتي من مكان بعيد غير مرئي. من خلال النوافذ كان يرى جامع المفاتيح شلالات

المياه والجبال، وسماء مضاءة بقمرين، ونجومًا لا حصر لها تظهر على بحر متلائي.

دخلت المرأة عبر الباب، وعبأتها الطويلة تتدلى فوق البلاط الذهبي، بينما وقف جامع المفاتيح في حديقته يحدق إلى ما حوله، أخذت المرأة المفتاح مع شريطه من الثقب وأعادته إلى جامع المفاتيح ورفعت يدها في حركة تدعوه بها إلى الدخول، تبعها جامع المفاتيح وأغلق ذلك الباب خلفهما ولم يره أحد مرة أخرى بعدها.

* * *

استيقظ زاكري بعد فترة طويلة في مكان بعيد جدًا، أو على الأقل هذا ما يبدو عليه الأمر. مرتبكا والصداع يطبق على رأسه، عقله وكأنه مفصول عن جسده وكأنه أغرق نفسه في وحل لا تشوبه شائبة. كأنه لا يزال في حالة سكر ولكن بطريقة سيئة.

المرّة الأخرى الوحيدة التي غمره فيها شعور مماثل كانت ليلةً تمنى لو ينساها، ليلةً مليئةً بخمر العنب الصافي، ما دفعه لربط شعوره الآن بتلك الليلة، إحساس بلوري مشرق ممزوج بالنبيد الأبيض مع وخز حاد، فنهض ولم يتذكر أنه سقط من قبل.

فرك عينيه بكلتا يديه، ونظر حوله إلى ضبابية الغرفة، مرتبكا من كونها كبيرة جدًا، تذكر أنه في فندق، وبما أن أحداث الليلة السابقة قد وجدت طريقها إليه عبر الضباب، فقد وجد الغرفة تتجمد في رؤيته الضبابية، وبدأ يتذكر أنه ليس في فندق على الإطلاق، فبدأ الذعر ينتابه. «تنفس!» قال الصوت في رأسه وهو يستمع له، تنفس شاكرا، وحاول أن يبقي تركيزه على الشهيق والزفير والتكرار فيما بينهما.

أغلق زاكري عينيه، بينما الحقيقة تتسرب عبر حواسه الأخرى. تفوح من الغرفة رائحة خشب الصندل المحترق بالنار من مدة، وشيء مظلم وعميق وغير معروف يطبق عليه. ضجّ رنين بعيد، لا بد أنه ما أيقظه. السرير والوسائد ناعمة كحشوة الحلوى. يشن فضوله حربًا صامتة مع قلقه مما يجعل تنفسه أكثر صعوبة، ولكن عندما يجبر رئتيه على التنفس ببطء وثبات، ينتصر الفضول ويفتح عينيه.

أصبحت الغرفة أكثر إشراقًا الآن، تسرب الضوء عبر ألواح من الزجاج الكهرماني الموضوعة في الحجر فوق الباب والمتوزعة في القاعة. ضوء بدا له كأنه وقت متأخر بعد الظهر أكثر من كونه ضوء الصباح. هناك أشياء في الغرفة الآن أكثر مما يتذكره، حتى دون نظارته يمكنه أن يميز آلة تشغيل الموسيقى بجانب الكراسي، والشموع المتساقطة على الرف ولوحة لسفينة في البحر معلقة فوق موقد النار. يفرك زاكري عينيه لكن الغرفة تبقى كما هي. لا يعرف ماذا يفعل، يسحب نفسه على مضض من بين السرير المنخفض والوسائد الوثيرة ويبدأ روتينه الصباحي.

وجد ملابسه التي نزعها عنه بالأمس في الحمام ممزوجة بالطلاء والأوساخ، وتساءل عما إذا كان هذا المكان به خدمات غسل الملابس. لسبب ما، تدفعه مخاوف الغسل إلى العودة إلى حقيقة الموقف، ربما لا تنطوي الأحلام أو الهلوسة على مثل هذه المشكلات الدنيوية. يحاول أن يتذكر حلمًا واحدًا تضمن التفكير «قد أحتاج إلى جوارب جديدة» وفشل.

الحمام مملوء بأشياء أكثر مما يتذكره: خزانة بمرآة تحتوي على فرشاة أسنان ومعجون أسنان في أنبوب معدني وعدة علب وأوان وكريمات وزيوت مرقمة بدقة، أحدها عطر ما بعد الحلاقة برائحة القرفة والبوربون.

وقعت عينا زاكري على مرش ماء منفصل بجوار الحوض، بذل قصارى جهده لغسل الطلاء الذهبي من شعره، ونجح في كشط البعض من جلده. لاحظ وجود صابون في الأطباق الفاخرة، جميعها برائحة الخشب أو الصمغ، كما لو أن كل شيء قد تم ترتيبه حسب تفضيلاته العطرية.

تفقد بقية الغرفة وهو يلف نفسه بمنشفة، باحثًا عن شيء ليرتديه وبالتأكيد ليس بدلته الممزوجة بالعرق والملطخة بالطلاء.

لاحظ له غرفة ملابس فوق أحد الجدران بجانب خزانة غير متطابقة. ليس هناك شيء لارتدائه فحسب، بل هناك أيضًا خيارات. الأدراج ملأته بالسترات والجوارب والملابس الداخلية، وخزانة الملابس ملأته بالقمصان والسرراويل. كل شيء يبدو مصنوعًا يدويًا وطبيعيًا وبدون علامات تجارية. ارتدى زاكري سرورالًا من الكتان البني وقميصًا أخضر دون ياقة بأزرار خشبية مصقولة. وأخذ سترة رمادية محبوكة تُذكره بإحدى ستراته المفضلة. يوجد في الجزء السفلي من خزانة الملابس عدة أزواج من الأحذية، وهي بالطبع مناسبة أكثر من الملابس؛ حيث إن معظمها فضفاض وغير قابل للتعديل، كل شيء مناسب

لكنه نحيف نوعًا ما، انتعل زوجًا من الأحذية المصنوعة من جلد الغزال البني الذي بدا مصممًا خصيصًا له.

«ربما لديهم أقزام يقيسون الأقدام ويصنعون الأحذية في أثناء نومك». قال الصوت في رأسه.

«اعتقدت أنك صوت العقل المنطقي». فكر زاكري مرة أخرى ولم يتلق ردًا كالمعتاد.

وضع زاكري بوصلته ومفتاح الغرفة في جعبته، وبعد لحظة من التردد، وضع سيف دوريان حول رقبته. كان يحاول دفع قلقه بشأن ما حدث هناك في أثناء وجوده هنا في الجانب الخلفي من ذهنه. يخفف انتباهه المفرط بتفقد أنحاء الغرفة، على الرغم من أنه لا يستطيع رؤية كل شيء جيدًا. تبدو الأشياء القريبة واضحة بدرجة كافية، ولكنها تحتاج المشي باتجاهها بضع خطوات في كل مرة، أو قطع المسافة إليها في قفزات صغيرة.

أخذ زاكري كتابًا من أحد الرفوف متذكرًا قصة، ربما كانت فيلم منطقة الشفق، لديه الكثير ليقرأه لكن توجد نظارة معه، فتح الكتاب على صفحة عشوائية وكانت الكلمات المطبوعة واضحة ونقية.

نظر حوله: السرير، واللوحات على الجدران، موقد النار، كل شيء ضبابي جدًا، فكر في طب العيون وقصر وحسر البصر وصبّ جام غضبه على العالم، ثم عاد ونظر إلى الكتاب في يديه.

كان مجلدًا من الشعر، يعتقد أنه لـ(ديكنسون). بدا مقروءًا من قبل كثيرًا، الورق حاد على الرغم من أن الخط صغير وأطرافه مثقوبة بالدبابيس مع فواصل صغيرة.

وضع الكتاب جانبًا والتقط آخر، جميعها متشابهة ويمكن قراءتها بدقة. فأخذ زاكري يتفقدتها على الرف. ذهب إلى المكتب؛ حيث الكتاب المصنوع من الجلد البني الذي أخذه من نادي الجبابة لدوريان. كان يحاول معرفة ما إذا كانت هذه الحيلة ستركز على الرسوم التوضيحية واللغة العربية أيضًا، ولكن عندما فتح الكتاب على صفحة العنوان، لم يجد الزخارف المتعرجة واضحة فحسب، بل وجد العنوان باللغة الإنجليزية: «حظوظ وخرافات».

كان واضحًا أنه يقرأ نصًا خياليًا ولكن بالإنجليزية، سأل نفسه عما إذا كان قد تمت طباعته بلغات مختلفة، ولم يلاحظ ذلك من قبل، ولكنه في تنقله بين الصفحات وجد كل واحدة منها تظهر بالأبجدية المألوفة.

وضع زاكري الكتاب جانبًا، مشوش الذهن مرة أخرى ولا يستطيع أن يتذكر متى أكل آخر مرة. هل كان في الحفلة؟ هل كانت تلك الليلة السابقة فقط؟ تذكر أن الحارس قد أتى على ذكر المطبخ بالقرب من موقد النار.

بجانب موقد النار المشتعل، والذي لا يزال ضبابيًا بالنسبة إلى زاكري، يستطيع أن يخمن من المسافة التي يقف بها أن السفينة الموجودة في اللوحة أعلاه طاقمها كله من الأرانب وهم من يقودونها في مشهد بحري يبدو واقعيًا، كانت لوحة مثبتة في الحائط، مثل باب خزانة متناسقة مع الحجر وبها زر صغير بجانبها.

فتح زاكري الباب ليجد مكانًا أشبه بمصعد نقل الطعام، وبداخله كتاب سميك صغير وصندوق، وبطاقة ملاحظات مطوية موضوعة في الأعلى، فالتقطها وقرأ فحواها:

(تحياتي سيد رولينز، مرحبًا بك هنا، نأمل أن تستمتع بإقامتك، إذا ما كنت تحتاج أو ترغب في أي نوع من الضيافة، فلا تتردد في طلب الخدمة فكل شيء مصمم ليكون مريحًا قدر الإمكان.

• سجل طلبك على بطاقة، يحتوي السجل على مجموعة مختارة من العروض ولكن من فضلك لا تشعر أنك مجبر بالقائمة الموجودة، سنكون سعداء بإعداد أي شيء ترغب فيه إذا كان في حدود إمكانياتنا.

• ضع بطاقة الطلب في مصعد نقل الطعام وأغلق الباب واضغط على الزر لإرسال طلبك إلى المطبخ.

• سيتم تحضير الضيافة الخاصة بك وإرسالها إليك وسيعلمك الرنين بوصولها.

• يرجى إعادة الأطباق التي لم تستخدمها أو تأكل منها بنفس الطريقة التي حصلت بها عليها عند الانتهاء.

• يتوفر مدخل إضافي في جميع أنحاء المرفأ في مناطق مخصصة للاستخدام عندما لا تكون في غرفتك.

إذا كانت لديك أي أسئلة فلا تتردد في تضمينها مع طلباتك وسنبذل قصارى جهدنا للإجابة عليها. شكرًا لك وأهلاً بك، ومرة أخرى نتمنى أن تستمتع بإقامتك.
المطبخ).

داخل الصندوق عدد من بطاقات الملاحظات المماثلة وقلم حبر. راجع زاكري السجل الذي يحتوي على أطول قائمة شاهدها على الإطلاق: فصول وقوائم بالأطعمة والمشروبات منظمة وموضوعة بطريقة مرجعية حسب الأسلوب والمذاق والملمس ودرجة الحرارة والمأكولات الشعبية حسب القارة. أغلق السجل والتقط بطاقة وبعد بعض التفكير كتب:
- مرحبًا وشكرًا على الترحيب.

وطلب قهوة مع الكريمة والسكر وكعك محلى أو كرواسون، أو ما هو متوفر لديهم، وضع البطاقة في مصعد نقل الطعام وأغلق الباب وضغط على الزر وصدر عنه ضوء مع ضوء بسيط كما لو أنه نسخة مصغرة من ضجة مصعد كبير.

أعاد زاكري انتباهه إلى الغرفة والكتب، وبعد دقيقة سمع رنين جرس من الحائط وفتح الباب وتساءل عما إذا كان قد فعل شيئًا غير صحيح أو إذا كان من المحتمل أنهم سيخبرونه أنه لا يوجد لديهم كعك محلى أو كرواسون، لكن مع فتحه لباب مصعد الطعام وجد بداخله صينية فضية تحتوي على قدر من القهوة على البخار، وكوب فارغ ووعاء من مكعبات السكر وإبريق صغير من الكريمة الدافئة مصحوبة بسلة من المعجنات الطازجة مكونة من ثلاث فطائر مختلفة، كرواسون مع الزبدة ومجموعة متنوعة من الشوكولاتة، بالإضافة إلى فطيرة مطوية يبدو أنها تحتوي على التفاح وجبن الماعز، ويوجد أيضًا زجاجة مياه فوارة مبردة، وكأس ومنديل قماش مطوي بداخله وردة صفراء. بطاقة أخرى تخبره أن فطيرة بذور الخشخاش بالليمون خالية من الغلوتين، وإذا كان لديه أي حمية غذائية، فيرجى إخبارهم بذلك أو إذا ما كان يريد المربى أو العسل.

حدق زاكري إلى سلة المعجنات وهو يسكب قهوته ويضيف قطرة من الكريمة ومكعب سكر واحد. القهوة كانت أكثر مرارة مما اعتاده، لكنها سلسة وممتازة وكذلك كل شيء جربه من سلة المعجنات الرائعة. حتى الماء طعمه

شهبي، رغم اعتقاده الدائم أن الماء الفوار يُشعره بالبهجة بسبب الفقاعات. «ما هذا المكان؟» قال الصوت في رأس زاكري.

أخذ زاكري معجناته التي رغم لذتها تبدو مريرة بعض الشيء، وقهوته إلى المكتب في محاولة لتصفية رأسه بمساعدة الكافيين والكربوهيدرات. فتح كتاب دوريان مرة أخرى. وقلب الصفحات ببطء. هناك رسوم توضيحية قديمة وصفحات جميلة بالألوان الكاملة متناثرة في كل مكان، والعناوين جعلته يبدو كأنه كتاب حكايات خرافية، قرأ بضعة أسطر من فصل يسمى «الفتاة والريشة» قبل أن يعود إلى البداية، ولكن بينما يفعل ذلك، إذ سقط مفتاح من حيث لا يدري أسفل ظهر الكتاب واستقر على المكتب.

مفتاح طويل ورفيع مع هيكل برأس مستدير وأسنان بسيطة صغيرة. كان لزجاً، كما لو أنه قد تم لصقه في ظهر الكتاب، خلف الصفحات وتحت الجلد. تساءل زاكري عما إذا كان الكتاب أم المفتاح هو الذي كان دوريان يسعى وراءه أو كليهما معاً.

فتح الكتاب مرة أخرى وقرأ القصة الأولى، والتي تتضمن بداخلها نسخة من نفس الحكاية التي رواها دوريان في الظلام في الحفلة. إنه لا يشرح بالتفصيل للأسف ما فعله الفأر بقلب القدر. قراءة القصة تعيد مشاعر أكثر تعقيداً لا يعرف زاكري كيف يتعامل معها في هذا الصباح الباكر، لذلك أغلق الكتاب ووضع المفتاح والسلسلة جنباً إلى جنب مع مفتاح غرفته، ثم سحب السترة ذات الياقة المدورة الرمادية والنسيج الثقيل لدرجة أن المفاتيح والبوصلة والسيف لا تصدر عنهم أي قعقة. توقع زاكري أن تكون رائحة السترة مثل خشب الأرز، ولكن بدلاً من ذلك انبعثت منها رائحة خفيفة من الفطائر المحلاة.

توقف زاكري للحظة وكتب ملاحظة إلى المطبخ، يسأل فيها عن الغسيل ليأتي الرد في لمح البصر:

- من فضلك أرسل لنا أي شيء يحتاج إلى التنظيف سيد رولينز.
حشر زاكري بدلته المكسوة بالطلاء في مصعد نقل الطعام بأقصى قدر ممكن من الرتابة وأرسلها إلى الأسفل.

بعد ثوان قليلة، دق الجرس، وفي هذه المرحلة لن يتفاجأ زاكري إذا كانت ملابسه نظيفة بطريقة ما بالفعل، ولكن بدلاً من ذلك، عادت المحتويات

المنسية من جيوبه: مفتاح الفندق ومحفظته وقطعتان من الورق، واحدة ملاحظة من دوريان والأخرى تذكرة مطبوعة بكلمة مكتوبة كانت ذات يوم من البوربون، وأصبحت الآن مجرد لخرة، ترك زاكري كل شيء على الرف، تحت لوحة الأرانب القراصنة.

وجد حقيبة للاستعمال، حقيبة عسكرية قديمة بلون الزيتون الأخضر باهتة مع عدد من المشابك. وضع كتاب الحظوظ والخرافات بداخلها مع فطيرة ملفوفة بعناية في منديله، ثم رتب السرير المجدد كيفما اتفق وغادر الغرفة وأغلق الباب خلفه محاولاً أن يجد طريقه عائداً إلى المدخل الرئيسي أو إلى القلب كما سمّاه الحارس.

قام بثلاث دورات قبل أن يلجأ لاستشارة بوصلته؛ حيث تبدو القاعات مختلفة وأكثر إشراقاً من ذي قبل، إذ تغيرت درجة الضوء. هناك قناديل مدسوسة بين الكتب، وخيوط من المصابيح تتدلى من الأسقف. الأضواء تشبه مصابيح الغاز عند التقاطعات. هناك سلالم لكن زاكري لا يتذكرها لذا لم يسلك أيّاً منها. مر من خلال غرفة كبيرة مفتوحة بها طاولات طويلة ومصابيح زجاجية خضراء تشبه المكتبة باستثناء حقيقة أن الأرضية بأكملها غارقة في حوض عاكس، مع ممرات مرتفعة وجافة لاجتياز المكان أو للوصول إلى طاولة الجزر. لمح زاكري قطة تحديق باهتمام بالغ إلى الماء وتتبع سمكة برتقالية اللون كيفما اتجهت. هذا المكان ليس كما تخيله عندما قرأ الأحزان العذبة.

هذا أكبر مما يجب أن يكون بداية، لم يستطع زاكري قط أن يحدق بعيداً بشكل دقيق في اتجاه واحد، وهو ما سيستمر معه إلى الأبد في عينيه. لا يستطيع زاكري حتى التفكير في كيفية وصف المكان إنه يشبه متحفاً فنياً أو مكتبة زائدة على الحاجة نُقلت إلى مترو أنفاق.

وأكثر من أي شيء، يذكره هذا المكان بحرم جامعته مع الامتدادات الطويلة للممرات التي تربط مناطق مختلفة، ورفوف الكتب التي لا نهاية لها، وشيء لا يستطيع وصفه بدقة لكنه أكثر من مجرد ميزة معمارية متقنة مع مكان الجلوس للتعلم وقراءة القصص والحديث عن الأسرار. ويبدو زاكري أنه الطالب الوحيد أو الشخص الوحيد الذي ليس لديه قطة.

بعد ردهة غرفة القراءة التي تضم المسبح وقاعة متخمة بكتب كلها ذات أغلفة زرقاء، أخذ زاكري منعطفاً أعاده إلى مدخل الكاتدرائية المكسو بالبلاط،

والذي توجد فيه ساعة الكون كما اعتقد زاكري. الثريا أكثر سطوعًا، على الرغم من أن بعضها انهار على الأرض وتم تعليقها بواسطة حبال وسلاسل طويلة تشبه الأوتار، بالأزرق والأحمر والأخضر، لم يكن قد لاحظ ذلك من قبل، وبدت معها قطع البلاط أكثر تلوّنًا ولكنها متقطعة وباهتة، تبدو بعض القطع مثل اللوحات الجدارية، ولكن لا توجد قطع كافية في أماكنها الصحيحة لتشكيل لوحة كاملة مفهومة.

يتأرجح رقاص الساعة في منتصف الغرفة، الباب الذي يقود إلى المصعد مغلق، ولكن باب مكتب الحارس مفتوح على مصراعيه، القط البني يجلس على كرسي بذراعين ويحدق إلى زاكري.

- صباح الخير يا سيد رولينز، أتمنى أن تكون قد نمت جيدًا!

قال الحارس دون أن يرفع نظره عن مكتبه وقبل أن يطرق زاكري الباب المفتوح.

- نعم، نمت جيدًا، شكرًا لسؤالك.

كان لدى زاكري الكثير من الأسئلة ولكن عليه أن يجد شيئًا ما ليبدأ به حديثه.. فقال:

- أين الجميع؟

أجاب الحارس وهو يواصل الكتابة:

- أنت الضيف الوحيد في الوقت الحالي.

- لكن، ألا يوجد مقيمين هنا؟

- ليس حاليًا، كلاً لا يوجد أحد، هل تحتاج شيئًا آخر؟

لم يحرك الحارس عينيه عن دفتر ملاحظاته، لذا حاول زاكري أن يطرح أسئلةً محددة أكثر:

- عذرًا لهذا السؤال الغريب، لكن ما إمكانية أن تكون لديك نظارة احتياطية في مكان ما هنا؟

نظر الحارس إلى زاكري، ووضع قلمه على الطاولة ونهض عابراً الغرفة إلى مجموعة من الخزانات ذات الأدراج المتعددة.

- أنا آسف للغاية، أتمنى لو سألتني مباشرةً الليلة الماضية، أعتقد أنه يجب أن يكون لدي شيء مناسب، تريد واحدةً لقصر البصر أم مدّ البصر؟

- قصر البصر لو سمحت، تشوش رؤية في كلتا العينين، ولكن من المفترض أن تساعدني نظارة بعدسات قوية لقصر البصر.

فتح الحارس بضعة أدرّاج، ثم سلم زاكري صندوقًا صغيرًا يحتوي على عدة أزواج من النظارات، معظمها بإطار مع حبال تتدلى على الجانب والقليل منها به بإطارات نحيفة وأقل سمكًا، مع نظارة بحواف عظيمة.

- أمل أن تلقى ما يناسبك بينها.

وعاد الحارس إلى المكتب وإلى كتابه، بينما كان زاكري يحاول تجريب أزواج مختلفة من النظارات، متخليًا عن الأولى لكونها ضيقة جدًا ولكنها تشبه بشكل مدهش ما يريد، واستقر أخيرًا على زوج نحاسي مع عدسات مستطيلة.

- هذه رائعة بالنسبة إليّ، شكرًا لك.

ثم أعاد الصندوق إلى الرجل.

- تستطيع الاحتفاظ بها طيلة فترة إقامتك هنا، هل يمكنني مساعدتك في أي شيء آخر لهذا الصباح؟

- هل عادت ميرابيل؟

وتجهّم وجه الحارس مرة أخرى موحياً بأن السؤال قد يكون مصدر إزعاج خفيف له، لكن التجهّم يختفي بسرعة لدرجة أن زاكري لا يستطيع أن يحدّق إليه، وخبّن أن الحارس وميرابيل قد لا يكونان على وفاق.

قال الحارس بلهجة صارمة:

- ليس بعد! مرحب بك لاستكشاف المكان في وقت فراغك في أثناء الانتظار، ولكن أطلب منك أن تبقى الأبواب المغلقة على حالها، وسأخبر ميرابيل بوجودك هنا حال وصولها.

- شكرًا لك!

- أتمنى لك يومًا سعيدًا سيد رولينز.

غادر زاكري متوجّهاً إلى القاعة وملاحظاً التفاصيل أكثر بعد أن أصبح لديه نظارة لمساعدته. بدا المكان بعيداً عن كونه خراباً متداعياً، عقد متداخلة حوله مع كواكب تدور وتدور وساعات تدقّ بروية.

جزء منه يريد استجواب الحارس أكثر لكنه يفضل ألا يفعل مبقياً على حسن التواصل الذي ساد بينهما. ربما ستكون ميرابيل أكثر صراحة بشأن أي شيء حالما تأتي. تذكر زاكري ملك الأشياء البرية المقنع، ولم يتمكن من استرجاع صورة المرأة في ذهنه كاملةً.

اختار قاعة مختلفة للتجول فيها، قاعة تحتوي على رفوف منحوتة في الحجر، وكتب مكدسة في أكواب غير منتظمة جنباً إلى جنب مع أكواب الشاي والزجاجات وأقلام التلوين.

تحتوي هذه القاعة أيضاً على لوحات، من المحتمل أن يكون عدد منها قد رسمه نفس الفنان الذي رسم الأرناب البحرية في غرفته، وهي واقعية للغاية ولكن بتفاصيل غريبة الأطوار. صورة لشاب يرتدي معطفاً به العديد من الأزرار ولكن الأزرار كلها ساعات صغيرة، من الياقة إلى الأكمام، كل منها يشير لوقت مختلف. صورة أخرى عبارة عن غابة عارية بضوء القمر ولكن شجرة واحدة حية بأوراق ذهبية. والثالثة عبارة عن وضع ثابت من الفاكهة والنبيد وبعض التفاح منقوش في أقفاص عصافير وطيور حمراء صغيرة بالداخل.

حاول زاكري فتح بعض الأبواب التي لا تحتوي على بطاقات أسماء، ولكن معظمها مقفل. وتساءل عن مكان بيت الدمى إن كان حقيقياً، وجاء الرد بأن لاحظ دميةً على الرف بمجرد تفكيره في الأمر.

دمية خشبية مستديرة على شكل امرأة ملفوفة برداء من النجوم. عيناها مغلقتان لكن فمها الملون البسيط يشي بابتسامة، بضع ضربات من طلاء القمر الفضي تخلق تعبيراً كاملاً عن الهدوء، عيناها كما لو أنهما تُغلقان قبل إطفاء الشموع فوق كعكة عيد الميلاد. هيئة الدمية تذكره بمجموعة كوكيشي الخاصة بوالدته، لكنه اكتشف بعد ذلك درزةً محبوبكةً جيداً حول خصرها المستدير وأدرك أنها تشبه إلى حد كبير دمية ماتريوشكا الروسية، قلب الدمية بعناية، وفصل النصف العلوي عن النصف الأسفل، فرأى داخل المرأة التي ترتدي رداء النجوم بومة، وداخل البومة امرأة أخرى من الذهب عيناها

مفتوحتان، وداخل المرأة الذهبية قطة وعيناها تملكان ذات الانعكاس الذهبي للمرأة الأولى.

يوجد داخل القطة فتاة صغيرة ذات شعر طويل مجعد وفستان أزرق سماوي، عيناها مفتوحتان وتنظران إلى الجانب، وهي أكثر اهتمامًا بشيء آخر يتجاوز الشخص الذي ينظر إليها، أما أصغر دمية فهي عبارة عن نحلة بالحجم الحقيقي للنحل.

تحرك شيء ما في نهاية القاعة؛ حيث يكسو الحجر ستائر مخملية حمراء، شيء أكبر من قطة، ولكن عندما نظر زاكري لم يجد شيئاً. وجمع بعدها كل الدمى معاً بشكل منفصل وتركها واقفة في صف على طول الرف، بدلاً من تركها محاصرة جميعاً في شخص واحد وتابع رحلة اكتشافه للمكان.

هناك الكثير من الشموع لدرجة أن رائحة شمع العسل تتغلغل في كل شيء، تختلط ناعمة وحلوة مع الورق والجلد والحجر مع لمسة من الدخان. «من يضيء كل هذه الشموع إننا لم يكن هناك أحد آخر هنا؟» تساءل زاكري وهو يمر على شمعدان يحمل أكثر من اثنتي عشرة شمعة مشتعلة بأطوال تدريجية، ويتساقط الشمع على الحجر الذي يحتوي على العديد من الشمع المتكدس والذي من الواضح أنه تقطّر هنا سابقاً من شموع كثيرة منذ زمن مضى.

أحد الأبواب مفتوح على غرفة مستديرة ذات جدران منحوتة بشكل معقد مع قنديل واحد على الأرض، وبينما يسير زاكري حوله يلقي القنديل الضوء على أجزاء مختلفة من المنحوتات، ويكشف عن الصور والنصوص، لكن زاكري لم يستطع قراءة القصة كاملة.

مشى زاكري حتى نهاية القاعة المفتوحة على حديقة، مع سقف مرتفع مثل الرخام بالقرب من المصعد، يلقي وهجاً شبيهاً بأشعة الشمس على الكتب المهجورة وعلى المقاعد والنوافير المكدسة بالقرب من التماثيل. يمر بتمثال ثعلب وآخر يشبه كومة غير مستقرة من كرات الثلج. يوجد في وسط الغرفة مساحة مغلقة جزئياً تذكره بمقهى وفي الداخل مقاعد وتمثال بالحجم الطبيعي لامرأة جالسة على كرسي حجري وثوبها ينسدل حول الكرسي في قطعة قماش منحوتة بشكل واقعي، ومنحوت في حضنها وعلى ذراعيها وفي ثنايا ثوبها وتجعيدات شعرها نحل، النحل منحوت بلون حجر مختلف عن لون السيدة التي يملأ تفاصيلها، لون متفرد وأكثر دفئاً. التقط زاكري نحلة

ما ثم أعادها مكانها، تنظر المرأة إلى الأسفل ويدها في حجرها مع راحتها إلى أعلى كما لو كانت تقرأ كتاباً.

عند قدمي التمثال المحاط بالنحل والذي يستقرّ في مكانه مثل قربان يوجد كوب نصفه مملوء بسائل داكن.

- كنت أعلم أنني سأفوت هذا!

استدار زاكري، فإن لم يتعرف على صوتها لن يخمن من تكون، قد تكون نفس المرأة من الحفلة. شعرها دون الباروكة الداكنة، كثيف ومموج ومصبوغ بدرجات مختلفة من اللون الوردي بداية من لون الرمان عند الجذور ثم يبهت تدريجياً وصولاً عند كتفيها. هناك آثار لمعان ذهبي حول عينيها الداكنتين وهي أكبر سنّاً مما كان يظن، فقد خَمّن أنها أكبر منه ببضع سنوات وربما أكثر، ترتدي الجينز وتنتعل وحذاءً أسود طويلاً بأربطة طويلة وسترة بلون الكريمة، وتبدو وكأنها قضت أقل وقت ممكن في الانتقال من رعي الأغنام إلى الملابس، ومع ذلك فإن ثيابها بأكملها تتمتع بشيء من الأناقة البسيطة. عدة سلاسل ملفوفة حول رقبتها تحمل عددًا من المفاتيح وقلادة مثل بوصلة زاكري وشيء يشبه جمجمة طائر مصبوبة بالفضة. إنها بطريقة ما، حتى دون ذيل السترة لا تزال تبدو مثل ماكس.

سأل زاكري:

- سيّدة...؟

- كل عام في هذا الوقت تقريباً يترك لها شخص ما كأساً من النبيذ، لم أستطع أن أعرف قط من يفعل ذلك، ولسنة جديدة سيبقى هذا الأمر لغزاً.

تجيبه السيدة ذات الشعر الوردي، وهي تشير إلى الكأس الزجاجية عند قدمي التمثال.

- هل أنت ميرابيل؟

- سمعتي تسبقني، لطالما أردت أن أقول ذلك. لم يكن لدينا مقدمات مناسبة للحديث، أليس كذلك؟ أنت زاكري إزرا رولينز وسأطلق عليك اسم إزرا، لأنني أحب ذلك.

- إذا ما دعوتني إزرا سأناديك ماكس.

- اتفقنا.

قالت ميرابيل مع ابتسامة تشبه ابتسامة نجمات السينما:

- لقد استرجعت أغراضك من فندقك إزرا، تركتها لك في المكتب عندما جئت لأعثر عليك، لذا ربما تجلس قطة عليها الآن وتبقيها آمنة. كما قمت بتسجيل انتهاء إقامتك من الفندق المذكور وأنا مدينة لك بالرقص منذ مقاطعة رقصتنا من قبل، ماذا كان اسمه؟

- دوريان.

- قال لك إن اسمه دوريان؟ كيف سيسامحه (أوسكار وايلد) على استعارة اسم أحد شخصياته؟ اعتقد أنه كان سيئاً بما فيه الكفاية بحاجبيه الدراميين والعبوسين. قال إنني يجب أن أدعوه السيد (سميث)، أعتقد أنه أحبك أكثر مما أحبني!

- حسناً، مهما كان اسمه، فهو ليس هنا، أعتقد أن هؤلاء الناس أخذوه.

اختفت ابتسامة ميرابيل وتضاعف القلق الذي يحاول زاكري إخفائه في الجزء الخلفي من عقله.

- من أخذه؟

سألت ميرابيل وكان زاكري متيقناً أنها تعرف بالفعل من قام بذلك.

- الأشخاص الذين يرتدون الرداء الملطخ بالطلاء، نادي الجبابة، أو أيًا من كان هؤلاء الناس.

أضاف زاكري وسحب قلادة السيف الفضي من تحت سترته، متممًا بعض الشتائم عندما تشابك ببعضه، فأدرك أن استيائه أكبر مما يبدو عليه.

لم تقل ميرابيل شيئاً لكنها استهجنّت الأمر ونظرت إلى ما وراء زاكري لتمثال المرأة مع نحلها والكتاب الذي ينقصها.

قال زاكري غير راغب بسماع الإجابة:

- هل يمكن أن يكون ميتاً؟

قالت ميرابيل ولا تزال محدقةً إلى التمثال:

- إذ لم يكن كذلك، فحتمًا لا يزال حيًا لسبب ما!

- وهو؟

- إنهم يستخدمونه طعامًا!

مشت ميرابيل إلى التمثال، التقطت كأس النبيذ الغامضة وتأملتها للحظة ورفعتها إلى شفيتها، وتجزعتها عن آخرها، ثم أرجعتها مكانها ناظرة نحو زاكري، وقالت:

- هل نذهب لإنقاذه يا إزرا؟

الفتاة والريشة

ذات مرة، رفضت أميرة الزواج من أمير، بعدما كان من المفترض أن تصبح عروسه. تبرات منها عائلتها وغادرت مملكتها، تخلت عن مجوهراتها وقصت شعرها الطويل لإعطائهما للمملكة التالية، ثم التي تليها، ثم الأرض التي تعقبها، والتي ليس بها ملك وبقيت هناك.

كانت ماهرة في الخياطة، فأنشأت متجرًا في بلدة ليس بها خياطة. لم يكن أحد يعرف أنها كانت أميرة، وكان هذا المكان من النوع الذي لا يطرح أسئلة عما كنت عليه من قبل.

- هل كان لهذه الأرض ملك من قبل؟

سألت الأميرة أحد أفضل زبائننها، وهي امرأة عجوز عاشت هنا لسنوات عديدة لكنها لم تعد قادرة على الرؤية جيدًا بما يكفي لإصلاح ثيابها بنفسها. - أوه نعم، وهو لا يزال على عرشه.

فاجأ هذا الأميرة لأنها لم تسمع مثل هذا الشيء من قبل.

تابعت المرأة العجوز:

- ملك اليوم، إنه يعيش على الجبل خلف البحيرة ويرى المستقبل.

أدركت الأميرة أن السيدة العجوز كانت تمازحها، إذ إنه لم يكن هناك شيء في الجبل وراء البحيرة سوى الأشجار والثلج والذئاب. بالتأكيد قصة ملك اليوم هذه قصة ما قبل نوم الأطفال مثل قصة ذات الرداء الأحمر أو قصة «بحر بلا نجوم»، فلم تطرح الأميرة أي أسئلة أخرى حول النظام الملكي السابق.

بعد عدة سنوات، أصبحت الأميرة مقربة جدًا من الحداد، وبعد ذلك بقليل تزوجا وفي إحدى الليالي، أخبرته أنها كانت أميرة وحدثته عن القلعة التي نشأت فيها، والكلاب الصغيرة التي تنام على وسائد مطرزة من الحرير، والأمير ذي الوجه السليط من المملكة المجاورة التي رفضت الزواج به.

ضحك الحدّاد ولم يصدقها، أخبرها أنها كان يجب أن تكون شاعرة لا خياطة، ثم قبّل المنحنى بين خصرها ووركها ودعاها بعد ذلك الأميرة.

كان لديهما طفلة، فتاة بعينين كبيرتين دائمة البكاء وتصرخ كثيرًا، وقالت القابلة التي ساعدت على إنجابها: إنها كانت صاحبة أعلى صوت لطفل تسمعه على الإطلاق، ولدت الفتاة في ليلة بلا قمر، كان حظها سيئًا.

بعد أسبوع مات الحدّاد، وشعرت الأميرة بالقلق حينها كما لم تشعر به من قبل بشأن سوء الحظ واللعنات ومستقبل الطفلة. طلبت النصيحة من المرأة العجوز واقترحت عليها أن تأخذ الطفلة إلى ملك البوم، الذي يمكنه رؤية مثل هذه الأشياء، فإذا كانت الطفلة صاحبة حظ مشؤوم، فسيعرف ما يتوجب فعله.

أمنت الأميرة أنه اقتراح سخيف، لكن مع تقدم الطفلة في السن، كانت تصرخ حيال أي شيء وتحقق لساعات طويلة بعينها الكبيرتين إلى مساحات فارغة.

- أميرة!

قالت الفتاة لوالدتها ذات يوم عندما بدأت تتعلم الكلمات، وكررت الكلمة كثيرًا «أميرة» وهي تربت على ركبة والدتها بيدها الصغيرة.

- من علمك هذه الكلمة؟

- بابا.

وأخذت الأميرة في ذلك الوقت الفتاة لرؤية ملك البوم.

استقلت عربة إلى قاعدة الجبل خلف البحيرة وتسلقت الطريق القديم من هناك على الرغم من احتجاجات سائق العربة. كان التسلق طويلًا ولكن ذلك اليوم كان مشمسًا، والذئاب نائمة، أو ربما كانت الذئاب شيئًا يتحدث عنه الناس وليس حقيقيًا. توقفت الأميرة من حين إلى آخر لتستريح ولتلعب الفتاة في الثلج. في بعض الأحيان كان من الصعب رؤية الطريق، لكنهما استطاعتا تمييزه بالحجارة المكسدة واللافتات الباهتة التي ربما كانت ذات يوم ذهبية. بعد فترة من الوقت، وصلت الأميرة وابنتها إلى مساحة خالية، مختبئة في مظلة من الأشجار العالية.

ربما كان الهيكل الموجود في المكان قلعةً ذات يوم، ولكنه أصبح خراباً، وأبراجه محطمة باستثناء برج واحد، وجدرانه المتداعية مغطاة بالجذور المتسلقة عليه وحوله.

اشتعلت الفوانيس الموجودة بجانب الباب وفي الداخل بدت القلعة تماماً مثل تلك التي عاشت فيها الأميرة ذات مرة في وقت كان أكثر ضبابية وظلاماً. كانت التحف المتنوعة بين المخلوقات الأسطورية والزهور والنحل تتدلى من الجدران.

قالت الأميرة للفتاة:

- ابقِي هنا!

ووضعتها على سجادة مغبرة محاطة بأثاث ربما كان فخماً ومثيراً للإعجاب ذات يوم.

بينما كانت والدتها تنظر إلى الطابق العلوي، إذ كانت الفتاة الصغيرة تسلي نفسها باختلاق قصص عن التحف والتحدث إلى الأشباح، ذلك أن القلعة كانت ملانة بالأشباح التي لم تشاهد طفلاً منذ وقت طويل وتزاحموا حولها.

ثم لفت شيء من الذهب أنظار الفتاة، فاستدارت نحو اللعة التي شدتها، شاهدتها الأشباح وهي تلتقط ريشة مخبأة وتعجبت من أن فتاة صغيرة جداً يمكن أن تمارس مثل هذه التعويذة السحرية، لكن الفتاة لم تكن تعرف ما تعنيه كلمة طلّاسم أو كلمة تعويذة لذلك تجاهلت الأشباح، حاولت أولاً أكل الريشة، لكنها وضعتها بعد ذلك في جيبها بعد أن أدركت أنها ليست صالحة للأكل.

في أثناء حدوث ذلك، وجدت الأميرة غرفة بها باب عليها تاج.

فتحت الباب إلى البرج الذي لا يزال قائماً، فوجدت غرفة مظلمة، يتدفق الضوء من أعلاها، تاركاً بقعة مشرقة ناعمة في وسط الأرضية الحجرية. دخلت الأميرة إلى الغرفة وتوقفت في الضوء.

- ماذا تتمنين؟

جاء صوت من الظلمة من كل مكان.

- أتمنى أن أعرف مستقبل ابنتي؟

معتقدة أنها لم تكن حقًا إجابة عن السؤال؛ لأنها كانت تتمنى الكثير من الأمنيات الأخرى، لكن هذا ما أتى بها إلى هنا، لذا كان هذا ما سألت عنه. قال الصوت:

- دعيني أرى الفتاة!

زهبت الأميرة وأحضرت الفتاة التي بكت عندما أخذتها أمها من أصدقائها الأشباح الجدد، لكنها ضحكت وشفقت وهم يتبعونها محتشدين على الدرج، حملت الأميرة ابنتها إلى غرفة البرج.

قال الصوت من الظلام:

- دعها وحدها!

ترددت الأميرة لكنها بعد ذلك وضعت الفتاة في الضوء وعادت إلى القاعة منتظرة بغضب، محاطة بأشباح لم تستطع رؤيتها، حتى وهم يربتون على كتفها طالبين منها أن تهدئ من روعها.

داخل غرفة البرج، نظرت الفتاة الصغيرة إلى الظلام، وكان شيء ما في الظلام يحدّق إليها بدوره.

عبر الظلال؛ حيث كانت الفتاة تحدّق، ظهرت هيئة ما، جسد رجل طويل برأس بوم وعيون مستديرة كبيرة تحدّق إلى الفتاة.

قالت الفتاة:

- مرحبًا!

- مرحبًا!

بعد مرور بعض الوقت، انفتح الباب وعادت الأميرة إلى الداخل لتجد الفتاة جالسة بمفردها في بركة الضوء.

قال الصوت من الظلام:

- هذه الطفلة ليس لها مستقبل!

تجهمت الأميرة ناضرةً نحو الفتاة، محاولةً تفسير الإجابة التي سمعتها ولم تكن تتمناها. كانت تتمنى وللمرة الأولى أنها لم تغادر مملكتها على الإطلاق، وأنها لم تقدم على شيء مما فعلته على الإطلاق. ربما يمكنها أن تترك الفتاة هنا في هذه القلعة وتخبر سكان البلدة أن الذئب أخذتها. يمكنها أن تحزم أغراضها وتتحرك بعيدًا وتبدأ من جديد. قال لها الظلام:

- اقطعني لي وعدًا!

- نعم، أي شيء مهما كان!

وندمت الأميرة حالًا على ما قالته.

- أعيديها إلى هنا عندما تكبر!

أخذت الأميرة نفسًا عميقًا وهزّت رأسها، ثم أخذت الطفلة الراغبة بالبقاء بعيدًا عن القلعة، عائدة إلى أسفل الجبل؛ حيث منزلهما الصغير.

في السنوات التي تلت ذلك، كانت الأميرة تفكر أحيانًا في وعداها وتنسى ذلك أحيانًا أخرى، وتتساءل أحيانًا عما إذا كان كل هذا حلمًا. لم تكن ابنتها طفلة سيئة الحظ بعد ذلك، ونادرًا ما كانت تصرخ بمجرد أن أصبحت كبيرة كفاية، وقادرة على المشي، ولم تعد تحرق إلى العدم الفارغ، إضافةً إلى أنها قد أصبحت أكثر حظًا من معظم الناس.

كان لدى الفتاة علامة مثل الندبة بين خصرها ووركها تشبه الريشة، لكن والدتها لم تستطع أن تتذكر من أين أتت أو كم مضى على وجودها.

في الأيام التي فكرت فيها الأميرة بذكرى القلعة، وأنّ الوعد كان حقيقيًا، أخبرت نفسها أنها ستعود يومًا ما إلى أعلى الجبل وتأخذ الفتاة إلى هناك، وإذا لم يكن هناك شيء، فستكونان قد قامتا بتسلق جميل، وإذا كان هناك قلعة فستدرك ما ستفعله عندما يحين الوقت.

قبل أن تبلغ الفتاة السن المطلوبة، مرضت الأميرة وماتت. ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى اختفت الفتاة، ولم يتفاجأ أحد من سكان البلدة بحدوث ذلك.

- كانت تلك الفتاة متوحشةً جدًا.

قالت بعض النساء اللواتي عشن طويلاً وكنّ كُبرياتٍ في السنّ وشهدن حياة الفتاة ووالدتها.

لم يعد العالم الآن كما كان في ذلك الوقت، لكنهم يواصلون سرد القصص عن القلعة الموجودة على الجبل في تلك البلدة بالقرب من البحيرة.

في إحدى هذه الحكايات، وجدت فتاة طريقها إلى قلعة تتذكر نصفها، ظنت أنها ربما قد حلمت بها، ذهبت إليها فوجدتها خاوية مهجورة.

في نسخة أخرى، عادت فتاة إلى قلعة تتذكر شيئاً ما عنها واعتقدت أنه حلم، ذهبت إليها وقرعت الباب، تمايل الباب وفتح لها من قبل أشباح ترحب بها سعيدةً بها، لكنها لم تعد قادرةً على رؤيتها، يغلق الباب خلفها ولم يسمع أحد أي شيء عنها بعد ذلك.

في غالبية القصص التي نادراً ما تروى، تجد الفتاة طريقها إلى قلعة تتذكرها بشكل جزئي كما لو كانت تفاصيل من حلم، مكان وعدت بالعودة إليه يوماً ما على الرغم من أنها لم تكن من أعطى ذلك الوعد. تضاء الفوانيس عند وصولها ويفتح الباب قبل أن تطرقه.

تتسلق درجاً مألوفاً وتعرف لحظتها أنه لم يكن حلمًا على الإطلاق. تمشي في القاعة التي اجتازتها مرة من قبل وتصل إلى الباب المفتوح الذي يعتليه، وتخطو عبره للداخل.

قال الصوت من الظلام:

- لقد عدت!

لم تقل الفتاة شيئاً، هذا الجزء لم يكن حلمًا على الإطلاق كان يطاردها أكثر من الأشباح، هذه الغرفة، وهذا الصوت، لكنها ليست خائفة.

يظهر من الظلام الرجل ذو رأس البوم، إنه ليس طويل القامة كما تتذكر.

الفتاة:

- مرحباً!

- مرحباً!

حدقا إلى بعضهما صامتتين لبعض الوقت، وكانت الأشباح تنظر إليهما عبر القاعة متسائلة عما قد يحدث، متعجبة من الريش الموجود في قلب الفتاة والذي لا تستطيع هي رؤيته رغم أنها تشعر به يرفرف.

قال ملك البوم للفتاة التي لم تعد فتاة:

- ابقِي ثلاث ليال في هذا المكان.

- إذن هل تسمح لي بالذهاب؟

سألت الفتاة، رغم أن هذا ليس ما تعنيه على الإطلاق.

- لن ترغبي في المغادرة بعد الآن!

قال الملك والجميع يعلم أن ملك البوم لا يقول إلا الحقيقة.

قضت الفتاة ليلةً ثم قضت ليلةً أخرى، وبحلول نهاية الليلة الثانية تمكنت مجددًا من رؤية الأشباح، وفي الليلة الثالثة لم ترغب في المغادرة، فمن سيغادر منزله بعد أن يجده؟
وبقيت الفتاة هناك.

تبع زاكري إزرا رولينز السيدة ميرابيل عابرين ممرات حادة الزوايا بين القاعات التي لم يلاحظها من قبل ومرا من خلال أبواب لم يدرك أنها أبواب في حقيقتها. أبطأ في المشي عندما مرا فوق باب زجاجي وحدق إلى رواق آخر مملوء بالكتب تحت أقدامهما، لكنه بعد ذلك سارع للحاق بها، عادا إلى القلب في نصف الوقت الذي توقعه زاكري، ولم تمش ميرابيل إلى المصعد كما كان متوقعًا، بل ذهبت إلى أحد الثريات المتدلية؛ حيث يوجد سترة جلدية رمادية باهتة وحقيبة فندق سوداء.

- هل يجب أن أحضر معطفي؟

سأل زاكري، بينما ترتدي ميرابيل سترتها، متسائلًا عما إذا كان يجب أن يستعيد سترته المكسوة بالطلاء من غرفته، قبل أن يدرك أنه نسي أنه أرسلها إلى المطبخ لتنظيفها. سمع مواءً على يساره، فاستدار ليرى القط البني جالسًا في مدخل مكتب الحارس وخلفه يجلس الحارس ويكتب، كان يراقبهما باهتمام من فوق نظارته، مع استمرار حركة قلمه على الورق. وكاد زاكري أن يرفع يده إليه ملوِّحًا قبل أن يتراجع عن ذلك.

- آه حسنًا، لنجد لك واحدًا. يجب أن تترك حقيبتك هنا.

قالت ميرابيل لزاكري متجاهلة كلاً من القطة والحارس، وهي تفكر في سروال زاكري المصنوع من الكتان والسترة ذات الياقة المدورة.

وضع زاكري حقيبته أرضًا بينما انعطفت ميرابيل سريعًا إلى أسفل القاعة القريبة من المصعد وفتحت بابًا كشف عن فوضى هائلة لخزانة مكسدة بالمعاطف والقبعات والآلات الكاتبة وصناديق أقلام الرصاص وأقلام الحبر وقطع غريبة من التماثيل المكسورة.

التقطت معطفاً يشبه معطف الصيادين من الصوف الأخضر مع بقع بنية على المرفق، أخذته من بين الفوضى مثل كنز من متجر عتيق بحالة ممتازة

وسلمته إلى زاكري وهي تخطو برشاقة فوق تمثال نصفي متهدم على الأرض بعين وحيدة من الجص، تحديق بائسة إلى حذائها.

- لا بدّ أن يناسبك هذا، وأجزم أنه كذلك.

تبع زاكري ميرابيل عبر الباب إلى غرفة الانتظار المضاءة، ضغطت على زر المصعد الذي أضاء على الفور وأشار السهم بالداخل إلى الأسفل.

بينما ينتظران المصعد، إذ سألت ميرابيل زاكري:

- هل شربته؟

- شربت ماذا؟

أشارت ميرابيل إلى الحائط؛ حيث توجد الكأس الصغيرة التي تحتوي سائلًا مقابل أحجار النرد.

أعادت ميرابيل السؤال:

- هل شربت ذلك؟

- نعم، لقد شربته!

- حسنًا، جيّد!

- هل كان لدي خيار آخر؟

- كان بإمكانك سكبهُ على الأرض، أو وضع الكأس في الجانب الآخر من الغرفة، كان بإمكانك فعل العديد من الأمور، لكن لم يوجد أحد هنا من قبل إلا وشربه!

أصدر المصعد صوتًا وانفتحت الأبواب.

- ماذا فعلتِ بالشراب؟

جلست ميرابيل على أحد المقاعد المخملية وجلس هو في مواجهتها، وهو متأكد من أنه نفس المصعد، ومتأكد أيضًا من أنه يقطر الطلاء في كل مكان وأن المقاعد المخملية بالية ولكنها نظيفة.

- أنا؟ لم أفعل شيئًا!

- هل تركته هناك؟

- لم أفعل أي شيء مما فعلته أنت، لا رمية النرد ولا تناول الشراب ولا الاختبار في البداية.

- كيف تدبرت أمرك؟

- لقد ولدت هنا.

- حقاً؟

- بالطبع لا، لقد فقست من بيضة ذهبية جلست عليها قطة غابة نرويجية لمدة ثمانية عشر قرماً، وتلك القطة ما زالت تكرهني.

توقفت ميرابيل لحظةً قبل أن تضيف:

- نعم، حقاً!

- آه، أسف، حقاً... لا أدري!

- كلاً، أنا آسفة، أودّ أن أعتذر لأنك وجدت نفسك في منتصف كلّ هذا، ولكن بصراحة أنا شاكرة لصحبتك.

وسحبت ميرابيل علبة سجائر من حقيبتها، وفتحتها وقدمت واحدةً منها لزاكري، وقبل أن يوضح لها أنه لا يدخن، لاحظ أن العلبة ملانة بالحلوى الصغيرة المستديرة، كل واحدة بلون مختلف.

- هل تريد قصة؟ قد يُشعركَ هذا بالتحسن ولن يحدث ذلك إلا في أثناء وجودنا في المصعد.

قال زاكري وهو يأخذ قطعة حلوى وردية شاحبة اللون تبدو وكأنها نعناع:

- لا بدّ أنك تمزحين!

ابتسمت ميرابيل وهي تضع العلبة جانباً دون أن تأخذ واحدة لنفسها. وضع زاكري الحلوى على لسانه وقد كان محقاً، إنها نعناع، أوه، كلاً إنها بطعم الفولاذ، الفولاذ القاسي.

تتكشف القصة في رأسه أكثر مما في أذنيه، كلمات لكن بلا صور ولا أحاسيس، والمذاقات تتغير من النعناع في البداية ثم المعدن ثم الدم والسكر وهواء الصيف ثم تختفي.

- ما هذا؟

- كانت تلك قصة، يمكنك محاولة قصّها عليّ لكنني أعلم أنه من الصعب ترجمتها.

- كانت...

توقف زاكري، محاولاً أن يستجمع ما في رأسه حول التجربة القصيرة والغريبة التي تركت بالفعل قصة في عقله، مثل حكاية خرافية نصف واضحة. وتابع:

- كان هناك فارس يرتدي نوعاً من الدروع اللامعة. أحبه كثير من الناس، لكنه لم يحب أيّاً منهم في المقابل، وشعر بالسوء تجاه كل القلوب التي كسرهما، لذلك نحت قلباً على جلده مقابل كل واحد قد فطره من قبل. صفوف و صفوف من ندوب القلوب على ذراعيه وساقيه وصدره. ثم التقى بشخص لم يكن يتوقعه، لا أتذكر ماذا بعد ذلك.

- الفرسان الذين يفطرون القلوب، والقلوب التي تكسر الفرسان.

- هل تعرفين القصة؟

- لا كل واحدة مختلفة عن غيرها. لكن لديها عناصر متشابهة. كل القصص لديها ذلك، بغض النظر عن الشكل الذي تتخذه، يكون هناك شيء ما، ثم يتغير شيء ما. التغيير هو محور القصة بعد كل شيء.

- من أين تأتي القصص؟

- لقد وجدت جرة ملأنة بها منذ سنوات، أحب الاحتفاظ بها في متناول اليد، مثل وجود كتاب معك دائماً، وأنا أفعل ذلك أيضاً.

نظر زاكري إلى هذه المرأة الغامضة ذات الشعر الوردي، والفارس وقلوبه المعلقة على لسانه.

- ما كلّ هذا؟

سأل زاكري وهو يقصد كل شيء، وكلّ ما جرى، واثقاً أنّ ميرابيل ستفهمه. قالت بابتسامة حزينة:

- لا إجابة مرضية على هذا السؤال يا إزرا. هذا هو جحر الأرنب، هل تريد أن تعرف سر البقاء على قيد الحياة بمجرد نزولك في حفرة الأرانب؟

أوماً زاكري برأسه وانحنت ميرابيل إلى الأمام وعيناها مطوقتان باللون الذهبي. همست له:

- كن أرنباً!

حدق إليه زاكري وفي لحظة خلال التحديق أدرك أن الهدوء يتسرب إليه أكثر قليلاً.

- لقد دهنت بابي في نيو أورلينز عندما كنت طفلاً.

- نعم لقد فعلت، وقد اعتقدت أنك ستفتحه، إنه اختبار حاسم فإذا كنت تؤمن بما يكفي لمحاولة فتح باب مطلي، فمن المرجح أن تؤمن أين سيقودك.

توقف المصعد، وقال:

- كان ذلك سريعاً.

إذا كان مفهومه عن الوقت لا يخذه، فإن نزول المصعد قد استغرق ثلاثة أضعاف الوقت، على الأقل وربما استغرقت قصته الناتجة عن الحلوى وقتاً أطول مما كان يعتقد.

- لقد قلتَ إننا في عجلة من أمرنا.

فتح باب المصعد، على ما يبدو أنه نفس سلم العمود الحجري بفوانيسه المعلقة التي يتذكرها زاكري من قبل.

- سؤال!

قالت ميرابيل وهما يصعدان السلام:

- سيكون لديك الكثير منها، قد ترغب في تدوينها عندك!

- أين نحن الآن بالضبط؟

- نحن في المنتصف، لسنا في نيويورك بعد، إذا كان هذا ما تعنيه. لكننا لم نعد في ذلك المكان أيضاً. إنه امتداد للمصعد، في طريق عودتي نهاراً؛ حيث كان هناك سلالم وواصلت المشي والسقوط. أو كان هناك باب فقط. لا أعلم، ليس هناك الكثير من السجلات. في بعض الأحيان لا توجد سلالم هنا ولكن المصعد موجود منذ فترة، مثل مكعب متناظر لكنه معنيّ بالحيّز المكاني بدلاً من الوقت. أم أن المكعب لكليهما؟ لا أتذكر، أشعر بالخجل من نفسي.

توقفا عند باب في أعلى الدرج موجود على صخرة، باب خشبي بسيط لا شيء يميزه، وبلا رموز. أخذت ميرابيل أحد المفاتيح من حول رقبتها وفتحت.

- أمل ألا يضعوا خزانة كتب أمامي مرة أخرى.

قالت ميرابيل وهي تدفع الباب بضع بوصات ثم توقفت ناظرةً عبر الفتحة قبل دفع الباب مسافةً أكبر.

- هيا، أسرع!

قالت ميرابيل لزاكري وهي تسحبه إلى الداخل، ثم أغلقت الباب خلفهما.
نظر زاكري إلى الخلف ولم ير بابًا، فقط كان يرى جدارًا!

- هيا، ابحث عنه!

قالت له ميرابيل، وبعد ذلك تمكن زاكري أن يميز الخطوط، خطوط قلم الرصاص على الحائط رقيقة، بينما تشققات الطلاء تشكل الباب، وهو عبارة عن تظليل دقيق ويوجد لطفة تشكل مقبضًا فوق العلامة التي هي أكثر وضوحًا وهي ثقب المفتاح.

- هل هذا باب؟

- هذا باب متخفٌ لحالات الطوارئ. لا أتوقع أن يجده أحد لكنني أبقيه مغلقًا على أي حال. أنا مندهشة من أنهم لم يروه، لكنني أوجد هنا كثيرًا، ربما يعتقدون أن ذلك لأسباب مختلفة متعلقة بالكتاب. تميل أماكن الاحتفاظ بالكتب إلى أن تكون أكثر تقبلاً للأبواب، وأعتقد أن السبب في ذلك هو اجتماع القصص كلها في مكان واحد.

نظر زاكري حوله، لجهة الجدار العارية المحشورة بين الرفوف الخشبية الطويلة الملانة بالكتب، بعضها مكتوب عليه بعلامات حمراء تبدو مألوفة لكنه غير متأكد من السبب. حثته ميرابيل على التقدم إلى الأمام وبينما كانا ينتقلان من الأكوام إلى مساحة أكبر بها طاولات كتب وأخرى مغطاة بسجلات الفينيل والمزيد من اللافتات، إذ مرا بعدد قليل من الأشخاص الذين يتصفحون بهدوء، فأدرك حينها سبب كون المكان مألوفًا.

- هل نحن في مكتبة ذا ستراند؟

سأل زاكري وهما يصعدان أجزاء كبيرة من السلالم.

- ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟ هل كانت تلك العلامة الحمراء الكبيرة التي تقول «ستراند» و «ثمانية عشر ميلاً من الكتب»؟ اعتقد أن هذا العدد غير صحيح، أراهن أن هناك أكثر من ذلك.

تعرف زاكري على الطابق الرئيسي الأكثر ازدحامًا للمكتبة الضخمة بطاولاته التي تضم الوافدين الجدد وأفضل البائعين وقسم اختيارات الطاقم الذي كان دائمًا مولعًا به، والكثير من حقائب اليد. أذهله أنه يشعر إلى حد ما بالمساحة الملانة بالكتب في مكان ما تحتها، ولكن على نطاق أصغر وتبدو

الرائحة المنتشرة في المكان قابلةً للتذكر مرةً أخرى لكن ليس بنفس القدر الذي كانت عليه من قبل.

مشيا عبر الطاولات والناس الراغبين بالشراء وطابور طويل من الصرافين، لكنهما سرعان ما خرجا إلى الرصيف؛ حيث رياح شديدة البرودة، فأراد زاكري العودة إلى الداخل لأن الكتب موجودة، وأيضًا لأن سراويل الكتان لم يتم تصميمها لتلوج يناير وصقيعه.

- لن يمضي وقت طويل حتى نتحرك، أنا أسفة فاليوم على هيئة الشعر!

قال زاكري وكان غير متأكد أنه سمعها بشكل صحيح:

- وماذا إذا؟

قالت ميرابيل مجددًا:

- شعر، أشعار! الطقس اليوم مثل قصيدة شعرية؛ حيث إن كل كلمة تعني أكثر من شيء في وقت واحد وكل شيء مجازي. يتكثف المعنى في الإيقاع والصوت والمسافات بين الجمل. كل شيء قويّ وحاد ولاذع، مثل البرد والريح.

- ألا يمكنك فقط أن تقولي إنّ الجوّ بارد!

- نعم أستطيع.

خفّ وهج الضوء المتساقط على الشوارع بعد الظهر، كان زاكري وميرابيل يمشيان بين المازّة في طريقهما إلى برودواي، وبجوار ميدان الاتحاد قبل أن يتجها يمينًا فقد زاكري رؤيته للمعالم المألوفة في مانهاتن وتحولت خريطة المدينة في ذهنه إلى كتل شبكية تختفي في العدم حينًا، وتتدفق كنهر حينًا آخر، وكانت ميرابيل في هذه الأثناء أفضل منه في المراوغة والمرور عبر المشاة في الشارع.

- يجب أن نتوقف في مكان ما أولًا.

توقفت ميرابيل أمام مبنى وفتحت بابًا زجاجيًا، وظلت ممسكةً به مفتوحًا للسماح لزوجين يرتديان طبقات من المعاطف والأوشحة بالخروج.

قال زاكري وهو ينظر إلى لافتة حورية البحر الخضراء الموجودة في كل

مكان:

- هل أنت جادة؟ نتوقف لتناول القهوة؟

قالت ميرابيل وهما يدخلان وينضممان للطابور:

· - الكافيين سلاح مهم في ترسانتي العسكرية، ماذا ستأخذ أنت؟
- أنا سأشتري.

عقصته ميرابيل في ذراعه، لا يتذكر متى ارتدت القفازات المكشوفة الأصابع، لكن أطرافه المتجمدة كانت تحسدها عليها.

- لاتييه شاي الماتشا الأخضر المكثف بالحليب منزوع الدسم.

وبدا الانزعاج على زاكري من أن المشروبات الدافئة تبدو في الواقع فكرة جيدة نظرًا للطقس والشعر البارد.

- حسنًا!

ردت ميرابيل بإيماءة مدروسة وكأنها تخمن طلبه عبر ستاربكس وهو غير متأكد مما تعنيه الماتشا والرغوة.

كل شيء يبدو طبيعيًا، طابور لتناول القهوة، الأرض رطبة نتيجة الماء والطين، الصندوق الزجاجي مملوء بالسلع المخبوزة بعناية. أشخاص يجلسون في الزوايا ويحدقون إلى أجهزة الكمبيوتر المحمولة. هذا طبيعي جدًا، إنه أمر محبط وجعله يصاب بالدوار وربما بمجرد أن تذهب إلى أرض العجائب، من المفترض أن تبقى هناك لأنه لن يكون هناك شيء كما هو في العالم الحقيقي، في العالم الآخر، في الآخرة.

الآخرة! إنه يتساءل عما إذا كان الطلاب أو الكتاب الذين يكتبون على أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم سيصدقونه إذا أخبرهم أن هناك مجموعة دفيئة من الكتب والقصص تحت أقدامهم. لم يفعلوا ذلك. لن يفعل ذلك، إنه غير متأكد من ذلك. الشيء الوحيد الذي يمنعه من كتابة كل شيء على أنه هلوسة غير عادية هو السيدة ذات الشعر الوردي بجانبه. يحدق إلى مؤخرة رأس ميرابيل وهي تفتش في رف مملوء بأكواب السفر، أذناها منقوبة عدة مرات بأقراط فضية وهناك ندبة خلف أذنها بطول بوصة واحدة، عروقتها تظهر بالقرب من فروة رأسها، وهي بنية داكنة على الأرجح قريبة من لون الباروكة التي كانت ترتديها في الحفلة، وتساءل عما إذا كانت ترتديها بنفسها. حاول أن يتذكر ما إذا كان قد رآها تتحدث إلى أي شخص آخر أو إذا تكلمت مع أي شخص غيره.

لم يكن ليخترق هذا القدر من التفاصيل عن شخص ما، لا يمكن للسيدات المتخيلات طلب القهوة في ستاربكس على الأرجح، وزاد من شعوره بالارتياح

أن تنظر الفتاة الموجودة خلف السجل مباشرة إلى ميرابيل وتسألها عما تريده.

- كوب ستاردست مع الكثير من العسل دون كريمة مخفوقة ولاتيه شاي الماتشا الأخضر المكثف بالحليب منزوع الدسم.

ظنّ زاكري أنه سمعها تقول شيئاً خاطئاً، أخذت أمينة الصندوق الطلب وسألت ميرابيل عن الاسم.
- زيلا.

قالت الفتاة المبلغ الإجمالي لميرابيل ودفعت لها ميرابيل نقدًا، ووضعت الفكة في جرة البقشيش ثم تبعها زاكري إلى الطرف الآخر من العداد.

- ما الذي طلبته؟

- المعلومات.

ردت ميرابيل لكنها لم تشرح بالتفصيل.

- لا يطلع عدد كاف من الأشخاص على القائمة السرية، هل لاحظت ذلك من قبل؟

- إنني أذهب إلى المقاهي المستقلة التي تكتب قوائم بما لديها على السبورة.

- آه، لكن ومع ذلك، كان لديك طلب محدد جدًا من ستاربكس.

وضعت عاملة البار كوبيين على الطاولة ونادت:

- (زيلا)!

- هل تقصدين بـ (زيلا) الأميرة أم شيئاً من كتب الكاتب فيتزجيرالد؟

أخذت ميرابيل الكوبيين وأعطته الكوب الصغير وقالت له:

- القليل من كليهما، هيا دعنا نتشجع ونعود إلى الشعر مرةً أخرى.

يتضاءل الضوء في الخارج ويصبح الهواء أبرد، تمسك زاكري بكوبه وأخذ رشفة من الرغوة الخضراء شديدة السخونة.

- ما هذا الذي طلبته؟

تبدأ ميرابيل في المشي وتقول له:

- إنه في الأساس شاي إيرل غراي مع حليب الصويا والعسل والفانيليا.

ترفع ميرابيل فنجانها إلى أعلى وتقول:

- لقد طلبته بسبب ذلك.

ترفع ميرابيل فنجانها أكثر حتى يتمكن زاكري من رؤية السطر المكون من ستة أرقام والمكتوب بخط شاربي أسفل الكوب: 721909.

- ماذا يعني ذلك؟

- سوف ترى!

تلاشى الضوء بحلول الوقت الذي يصلان فيه إلى الشارع التالي، تاركًا خلفه توهج غروب الشمس.

- من أين تعرفين دوريان؟

سأل زاكري، محاولاً فرز أسئلته والتفكير في أنه ربما يجب عليه الحصول على دفتر ملاحظات أو شيء ما ليحتفظ بها ويدونها، فهي تدخل وتخرج من رأسه بسرعة كبيرة، أخذ رشفة أخرى من اللاتيه الذي يبرد بسرعة.

- لقد حاول قتلي ذات مرة!

- حاول ماذا؟!

توقفت ميرابيل في منتصف الرصيف وقالت:

- ها نحن أولاء قد وصلنا!

لم يتعرف زاكري حتى على الشارع المليء بالأشجار، يبدو المبنى الذي يحمل لافتة نادي الجبابة طبيعياً وهادئاً وربما ينذر بالسوء بعض الشيء، ولكن هذا يتعلق أكثر بنقص الأشخاص في هذا الشارع تحديداً.

- هل انتهيت من مشروبك؟

سألته ميرابيل مشيرةً إلى فنجانه، أخذ زاكري رشفة أخيرة وسلمه إليها. وضعت الكوبين الفارغين فوق بعضهما في كومة من الثلج على الدرج.

قالت ميرابيل وهي تقترب من الباب:

- هناك مكان آخر يسمى أيضاً نادي الجبابة ليس بعيداً عن هنا.

- حقاً؟

سأل زاكري، نادماً على عدم السؤال عما إذا كان لدى ميرابيل خطة ما.

- ذلك النادي لجامعي الطوابع.

أدارت ميرابيل مقبض الباب وتفاعاً زاكري عندما فتح، كانت غرفة انتظار صغيرة مظلمة، باستثناء الضوء الأحمر على الحائط بجوار شاشة صغيرة ونظام إنذار. تضغط ميرابيل (7 - 2 - 1 - 9 - 0 - 9) على لوحة المفاتيح، ويتحول الضوء الأحمر إلى اللون الأخضر وتفتح ميرابيل الباب الثاني.

البهو معتم، ولا يوجد سوى ضوء أرجواني عبر النوافذ الطويلة، ما يجعل الأشرطة مع مقابض الأبواب تظهر باللون الأزرق الباهت، كانوا أكثر مما يستطيع زاكري إحصاءه.

أراد سؤال ميرابيل كيف تمكنت من طلب الرمز في ستارباكس وما الذي قصدته بالتحديد بمحاولة دوريان قتلها ذات مرة، لكنه فضل الصمت. سحبت ميرابيل أحد شرائط مقابض الأبواب ومزقتها من المكان الذي تم ربطها فيه بالسقف المرتفع، فسقط مع صوت قعقة لمقابض الأبواب التي تدق وتصطدم بمقابض الأبواب الأخرى، مصدرًا نشازًا من نغمات منخفضة مثل الأجراس، وبعدها ساد الصمت.

- كان بإمكانك قرع جرس الباب.

- لن يسمحوا لنا بالدخول إذا فعلت ذلك، وقد ضبطوا جهاز الإنذار عند عدم وجود أحد في وردية العمل.

أمسكت ميرابيل بمقبض باب نحاسي ذي صدأ أخضر ونظرت إلى العلامة التي كتبت عليه. قرأها زاكري رأساً على عقب: توفينو، كولومبيا البريطانية، كندا، 8.7.05.

مشياً لمسافة أبعد في القاعة وحركت ميرابيل أصابعها على طول خط الشرائط، مثل أوتار القيثارة.

- هل يمكنك تخيل كل هذه الأبواب؟

- بصراحة! لا! إنها كثيرة جداً، يوجد العديد منها.

قبل أن يلمح في أثناء عبورهما في المكان:

مومباي، الهند، 2.12.13.

هلسنكي، فنلندا، 9.2.10.

تونس، تونس، 1.4.01.

- اندثر معظمها قبل أن يخلقه أحد، إذا كنتَ تعرف ما أعنيه! منسي ومقفول في مكان بعيد، لقد دمرها الوقت بالقدر الذي دمرها هم، إنهم يعقدون الأطراف الهائلة هنا وهناك.

- هل هذه هي كلّ الأبواب؟

- لديهم مبانٍ مماثلة في القاهرة وطوكيو، على الرغم من أنني لا أعتقد أن هناك أي ترتيب للذي سيستمر منها في العمل دوناً عن البقية. هذه مزخرفة، وهناك المزيد في الصناديق وكل القطع عسيرة على الحرق.

بدأت ميرابيل حزينة للغاية لدرجة أن زاكري لا يعرف ماذا يقول لها، بدأ في صعود الدرج في صمت، والقليل من الضوء يتسلل إلى الداخل عبر النوافذ فوقهما.

- كيف لك أن تعرفي حتى إنه هنا؟

وفجأة تساءل في قرارة نفسه عما إذا كانت هذه مهمة إنقاذ أم أن ميرابيل لديها أسباب أخرى لوجودها في هذا المكان تحت جناح الظلام، ثم بدأ الفراغ المريح بابتلاع الجو.

قالت ميرابيل وهما يستديران نحو الأسفل:

- هل أنت قلق من احتمالية كون هذا فخاً يا إزرا؟

- هل أنتِ ماكس؟

قالت ميرابيل وهي تتوقف بالقرب من أعلى الدرج:

- أنا متأكدة من أننا أذكى من ذلك بكثير.

تتبع زاكري عينيها، وهي تنظر إلى أعلى؛ حيث شيء أمامهما في الردهة الثانية، ظل واقفاً في الضوء الخافت، من الواضح تمامًا أنه جسد دوريان، معلق من السقف ومعرض مثل مقابض الأبواب أدناه، مقيد ومتداخل في شبكة من الأشرطة الباهتة اللون.

نُزْل على حافة العالم

عند مفترق طرق، وفي مكان غير مضياف، شيّد صاحب نزل منشأته. قريباً من قرية في أعلى الجبل بعيدة بعض الشيء، تحيطها مدن في اتجاهات مختلفة، وكان لمعظمها طرق ممهّدة للسفر نحوها أو بعيداً عنها، خاصة في فصل الشتاء.

لكن صاحب الفندق أبقى فوانيسه مضاءة للمسافرين طوال العام. في الصيف، سيكون النزل على موعد مع البهجة ومغطى بأشجار الكروم، غير أن الشتاء كان طويلاً في هذا الجزء من الأرض.

كان صاحب الفندق أرمل بلا أطفال، لذلك أمضى معظم وقته في النزل وحيداً. كان يغامر أحياناً بالذهاب إلى القرية للحصول على الإمدادات أو ليشرب الخمر في الحانة، ولكن مع مرور الوقت قلّ عدد مرّات ذهابه؛ إذ إنه في كل مرة يزور فيها شخصاً سيقترح عليه ويحسن نيّة امرأة في سنّ الزواج أو ربما رجلاً أو عدّة أسماء من المؤهلين لخوض علاقة، لذلك كان صاحب النزل يتجرع شرابه ويشكر أصدقاءه، ثم يعود إلى أسفل الجبل إلى مكانه وحده.

جاء فصل الشتاء مع عواصف أقوى من أي وقت مضى منذ سنوات، ولم يجرؤ مسافر على تحديّ الطرق أو امتلاك الشجاعة الكافية لعبورها، حاول صاحب الفندق إبقاء فوانيسه مضاءة على الرغم من أن الرياح كانت تطفئها كثيراً، وتأكد من وجود نار دائمة في الموقد الرئيسي تكفي ليكون الدخان مرئياً؛ في حال لم تسرق الريح ذلك أيضاً.

كانت الليالي طويلة والعواصف في أوجها، التهمت الثلوج الطرق الجبلية ولم يستطع صاحب النزل السفر إلى القرية، لكنه ولحسن حظه كان يملك مؤناً كافية. صنع الحساء وطبخ اليخنات. وجلس بالقرب من موقد النار يقرأ كتباً كان ينوي قراءتها منذ زمن.

كان يحافظ على غرف النزل معدة للمسافرين الذين لم يأتوا، شرب الويسكي والنيبيذ وقرأ المزيد من الكتب، وبعد مرور الوقت واستمرار العواصف لم يبق الرجل سوى عدد قليل من الغرف مجهزة، تلك الأقرب إلى موقد النار. كان ينام أحياناً على كرسي بجانبه بدلاً من الرجوع إلى غرفته، وهو شيء لم يكن يحلم بفعله قط في وجود ضيوف. لا ضيوف اليوم، فقط

الرياح والبرد. وبدأ النزول يتحول إلى منزل فخطر على بال الرجل بأنه بالفعل فارغ باعتباره منزلاً لا فندقاً، لكنه لم يطل التفكير في ذلك.

ذات ليلة عندما نام صاحب الفندق على كرسيه بجوار النار، وكوب من النبيذ بجانبه وكتاب مفتوح في حضنه، دوى صوت طرق على الباب.

في البداية، اعتقد صاحب الحانة الذي استيقظ حالاً أن هذا صوت الريح؛ حيث قضت الرياح معظم فصل الشتاء وهي تطرق على الأبواب والنوافذ والسقف، ولكن الطرق جاء مرة أخرى ثابتاً جداً بحيث لا يمكن للرياح أن تقوم به بنفس الطريقة.

فتح صاحب الفندق الباب بقدمه التي استغرقت وقتاً أطول من المعتاد؛ حيث أصرّ الجليد على إبقائه مغلقاً، عندما تراجعت قدمه إلى الوراء، دخلت الريح أولاً جالبة معها كومةً من الثلج وبعد الثلج ظهر مسافر.

لم ير صاحب الفندق سوى عباءة بقبعة قبل أن يغلق الباب مرة ثانية، وهو يتصارع مع الريح التي كانت تخطط لشيء آخر. أدلى المسافر بملاحظة حول الطقس، لكن الرياح غطت صوته بعوائها الغاضب وحنقها من السماح له بالدخول.

أغلق الرجل الباب وأوصده جيداً، ثم استدار لتحية المسافر بطريقة لطيفة. ولم يكن يعلم، وهو ينظر إلى المرأة التي وقفت أمامه ما كان سيصدر عن شخص شجاع أو أحمق بما يكفي لاجتياز هذه الطرق في هذا الطقس. امرأة شاحبة مثل ضوء القمر وعيناها مظلمتان مثل العباءة السوداء بلون الليل التي ترتديها وشفثاها زرقاء من البرد. حدق إليها صاحب الفندق واختفت من ذهنه كل تحياته المعتادة وملاحظاته اللطيفة للوافدين الجدد.

بدأت المرأة تقول شيئاً ما، ربما كان تحية خاصة بها، أو تعليقاً على الطقس، أو أمنية أو تحذيراً، ولكن أياً ما كان ترغب بقوله ضاع في التأتأة وبدون كلمة واحدة واضحة، فهرع الرجل بسرعة لأخذها إلى جانب موقد النار لتتال بعض الدفاء.

أجلسها على كرسيه وأخذ معطفها المبلل، ثم شعر بالارتياح لرؤيتها ترتدي رداءً آخر تحته، أبيض مثل الثلج الذي هربت منه. أحضر لها كوباً من الشاي الدافئ وأوقد النار بينما كانت الرياح تعوي في الخارج.

بدأت المرأة تشعر بالراحة وبدأت رجفاتها بالاختفاء ببطء، شربت الشاي وحدقت إلى اللهب وقبل أن يسألها صاحب الفندق أيًا من أسئلته الكثيرة غطت في سبات عميق. وقف صاحب الفندق وحدق إليها، بدت وكأنها شبح، شاحبة مثل رداؤها، نظر إليها بتمعن مرتين للتأكد من أنها تتنفس.

تساءل عما إذا كان نائمًا ويحلم، لكن يديه شعرتا بالبرد من فتح الباب وجرح صغير لاذع يشعر به جزاء إطباق أحد حدائد الباب على يده. لم يكن نائمًا، رغم أن هذا كان غريبًا مثل حلم.

وبينما كانت المرأة نائمة، إذ كان صاحب الفندق يشغل نفسه بتجهيز أقرب غرفة لموقد النار على الرغم من أنها كانت معدة بالفعل. أشعل الموقد الصغير وأضاف أغطية إضافية إلى السرير ووضع قدرًا من الحساء على نار هادئة، وخبرًا ليسخن قليلًا حتى يكون لدى المرأة ما تأكله إذا أرادت عندما تستيقظ. فكر في حملها إلى الغرفة ولكن كان الجو بجانب موقد النار أكثر دفئًا، فوضع عليها بطانية أخرى.

ثم بعد ذلك، ولعدم وجود أي شيء متبق يشغل نفسه به، وقف الرجل وحدق إليها مرة أخرى. لم تكن شابة جدًّا، كانت خيوط الشيب تتخلل شعرها، لم تكن ترتدي أي خواتم أو أساور للإشارة إلى كونها متزوجة أو مرتبطة بأي شخص أو أي شيء غير نفسها. استعادت شفاتها لونها وشعر الرجل أنه ينظر إليها كثيرًا لدرجة أنه ذهب لسكب كوب آخر من النبيذ لنفسه لمنع أفكاره من تشتيت انتباهه أكثر، لكن بلا فائدة، وبعد مضي بعض الوقت نام على الكرسي الآخر بقرب الموقد.

عندما استيقظ صاحب الحانة كان الجو لا يزال مظلمًا، ولم يستطع معرفة ما إذا كان الوقت ليلاً أو نهارًا مغطى بالثلوج والعواصف، والنار لا تزال متقددة لكن الكرسي الذي كانت المرأة تنام عليه أصبح فارغًا.

- لم أرغب في إيقاظك.

قال صوت من خلفه، فالتفت ليجد المرأة تقف وراءه، ليست شاحبة كما كانت من قبل وأطول الآن مما يتذكره، متحدثةً بلكنة لم يستطع تمييزها رغم أنه سمع لهجات العديد من البلدان قبل الآن.

- آسف... غرفتك!

اعتذر الرجل لأنه غطّ في النوم أولاً، ولأنه فشل في تقديم أعلى معايير الضيافة الخاصة به ثانيًا، واستدار نحو الباب المؤدي إلى الغرفة، لكنه رأى أن عباتها كانت مثنيةً بالأصل مقابل النار في الغرفة والحقيبة التي وضعها بجانب الكرسي موجودة بجانب السرير.

- شكراً لك بكلّ صدق، لم أكن أعتقد أن أي شخص سيكون هنا، لم تكن هناك فوانيس ولم أستطع رؤية لهب النار في الطريق.

كان لدى صاحب النزل قاعدة عامة توصي بعدم التطفل على أمور ضيوفه لكنه لم يستطع تمالك نفسه هذه المرة.

- ماذا كنت تفعلين بالخارج في مثل هذا الطقس؟

ابتسمت له المرأة ابتسامةً تشي بالاعتذار، وعرف من الابتسامة أنها ليست مسافراً أحرق ضلّ طريقه، رغم أنه يمكن أن يخمن ذلك بمجرد وصولها إلى المكان.

- من المفترض أن ألتقي بشخص ما هنا، في هذا النزل، عند مفترق الطرق، لقد تم الترتيب لهذا اللقاء منذ فترة طويلة ولم تكن العواصف في الحسابان.

- لا يوجد مسافرون آخرون هنا.

تجهم وجه المرأة للحظة لكنه عاد إلى طبيعته في غضون ثوانٍ، وقالت:

- هل يمكنني البقاء حتى يصلوا إلى هنا؟ يمكنني دفع ثمن الغرفة!

- كنت سأنصحك بالبقاء على أي حال في خضم هذه العواصف وعواء الرياح المجنونة، ولا حاجة لأن تدفعي ثمن غرفة.

قطبت المرأة حاجبيها واستمرت هذه المرة أكثر من سابقتها لكنها أومأت برأسها موافقةً.

عندما سألها صاحب الفندق عن اسمها فتحت الرياح النواذف المغلقة على مصراعها، وتدفق الكثير من الثلج عبر القاعة المفتوحة الكبيرة، فأزعج النار في موقدها. ساعدته المرأة في إغلاق النواذف مرة أخرى ونظر صاحب الفندق إلى الظلام الحالك متسائلاً كيف سيتمكن أي شخص من المرور عبره.

بعد أن أغلقت النواذف وعاد توهج النار قوياً كما كان، أحضر صاحب النزل الحساء والخبز الطازج والنبيد أيضاً، جلسا وأكلا معاً بجانب النار متحدثين

عن الكتب، طرحت المرأة أسئلة حول المكان، منذ متى هو هنا، وكم المدة التي مضت على حراسته للمكان! وكم عدد الغرف، وكم عدد الخفافيش في الجدران، لكن الرجل ندم على سلوكه السابق عندما باشر بطرح الأسئلة لأن المرأة لم تجب عن سؤاله بل بدأت هي في طرح الأسئلة.

تحدثا لفترة طويلة حتى نفذ منهما الخبز والحساء وفتحا زجاجة نبيذ أخرى وهدأت الريح وبدأت تنصت لهما.

شعر الرجل حينها أنّ العالم اختفى من حولهما بالخارج، لا رياح ولا عواصف ولا ليل ولا نهار، الشيء الوحيد الذي كان متيقناً من وجوده هو الغرفة والمرأة ولم يكن لديه مانع في ذلك.

وبعد فترة طويلة من الوقت مرت بلمح البصر، اقترحت المرأة بتردد أن تنام على سرير بدلاً من الكرسي، وتمنى لها صاحب الفندق ليلة سعيدة رغم أنه لم يكن يعلم ما إذا كان الوقت ليلاً أم نهاراً، رفض الظلام في الخارج توضيح الأمر.

ابتسمت له المرأة وأغلقت باب غرفتها وفي تلك اللحظة على الجانب الآخر من الباب شعر صاحب النزول بالوحدة لأول مرة في هذا المكان.

جلس بجانب موقد النار للتفكير لبعض الوقت، حاملاً كتاباً مفتوحاً لم يقرأه ثم عاد إلى غرفته الخاصة عبر القاعة وغطّ في سبات من دون أحلام.

مرّ اليوم التالي لطيفاً، رغم أنه غير معروف إذا ما كان نهاراً أو ليلاً، ساعدت المرأة المسافرة الرجل في صناعة المزيد من الخبز وعلمته كيف يصنع نوعاً من الكعك الصغير الذي لم يره من قبل على شكل هلال، وكانت السحب التي خلفها الطحين حولهما تروي قصصاً وأساطير وحكايات خرافية قديمة، روى صاحب الفندق للمرأة قصة سفر الريح صعوداً وهبوطاً على الجبل بحثاً عن شيء فقدته، وأن العواء هو حزن على خسارتها، وهي تبكي مفجوعة كل يوم ليعود إليها، وهكذا تستمر القصص.

- ماذا فقدت؟

هز صاحب النزول كتفيه وردّ عليها:

- القصص مختلفة، في بعض القصص تقول الحكاية إنها خسرت البحيرة التي كانت موجودة في الوادي؛ حيث يجري النهر الآن. وفي قصص أخرى يقال إنها فقدت شخصاً أحبته، كانت تعوي بصوت عال؛

لأن البشر لا يستطيعون أن يحبوا الريح كما تحبهم هي في المقابل. في القصة الأكثر شهرة، يقال إنها ضلت طريقها فقط، لأن تموضع الجبال والوادي بجانب بعضهما أمر غير معتاد، فاختلط الأمر على الريح وضاعت فبدأ عواؤها بسبب ذلك.

- أي القصص هي الحقيقية والصحيحة منها باعتقادك؟

توقف الرجل للحظة وفكر ملياً في السؤال:

- أعتقد أن الريح هي عواء فقط؛ لأن الريح تصدر صوتاً دائماً بالجبال والوديان وتعوي بينهما، وأعتقد أن الناس يحبون سرد القصص لشرح مثل هذه الأشياء.

- كأن تشرح للأطفال أنه لا يوجد ما يخشونه في صوت الريح، إنه حزن فقط.

- نعم، أفترض ذلك.

- لماذا إذاً برأيك يستمر سرد القصص عندما يكبر الأطفال؟

سألت المرأة ولم يكن لدى صاحب الفندق إجابة مقنعة عن هذا السؤال فسألها هو سؤالاً آخر.

- هل لديك قصص يروونها لشرح مثل هذه الأشياء من حيث أتيت؟

سأل الرجل، ومرة أخرى لم يستفسر عن المكان الذي أتت منه، ولا يزال غير قادر على تمييز لهجتها ولم يستطع التفكير في أي شخص قابله لديه نفس اللفظ اللطيف للهجة المحلية.

- يقصون الحكايا أحياناً عن القمر عندما يغيب عن السماء.

- إنهم يقصون مثل هذه الحكايات هنا أيضاً.

ابتسمت المرأة لتعليقه وسألته:

- هل يقولون أين تذهب الشمس عندما تغيب؟

هز صاحب النزل رأسه.

- من حيث أتيت، يقصون حكاية حول ذلك.

قالت المرأة، وانتباهها مترکز على حركة يديها على الأرض، ثم تابعت:

- يقولون إنه كل مئة عام، أو كل خمسمئة أو كل ألف عام تختفي الشمس من سماء النهار في نفس الوقت الذي يختفي فيه القمر من الليل.

يقولون إن غيابهما منسق بحيث يمكنهما الاجتماع في مكان سري، لا تراه النجوم، لمناقشة حالة العالم ومقارنة ما شاهده كل منهما على مدار المئة أو خمسمئة أو ألف سنة الماضية. يجتمعان ويتحدثان ثم ينفصلان مرة أخرى، ويعودان إلى مكانَيْهما في السماء حتى اجتماعهما التالي.

تذكر صاحب المكان قصة أخرى مماثلة، وسأل سؤالاً ندم عليه بمجرد خروجه من بين شفتيه.

- هل هم عشاق؟

سأل الرجل فاحمرت وجنتا المرأة، كان على وشك الاعتذار لكنها باشرت الحديث.

- في بعض القصص نعم هما عاشقان، على الرغم من اعتقادي أنه إذا كانت القصة صحيحة، فسيكون لديهما الكثير لمناقشته للحصول على وقت لمثل هذه الأشياء.

ضحك صاحب النزل ونظرت إليه المرأة متفاجئة، لكنها ضحكت أيضاً واستمرا في سرد قصصهما وصنع الخبز، بينما الرياح تحوم حول المكان، مستمعةً إلى حكاياتهما ناسيةً مؤقتاً ما الذي تفتقده.

مرت ثلاثة أيام، واستمرت العواصف وواصل حارس النزل والمرأة قضاء الوقت السعيد، في سرد القصص، وتناول وجبات الطعام وشرب أكواب النبيذ وملئها مرةً جديدةً عندما تفرغ. في اليوم الرابع سمعا طرْقاً على الباب وذهب الرجل إلى فتحه وظلت المرأة جالسةً بجوار النار.

كانت الرياح أهدأ حينها ودخلت كمية قليلة من الثلج جنباً إلى جنب مع هذا المسافر الثاني، وذابت رقاقت الثلج فور إغلاق الباب واختفى تعليق صاحب المكان حول الطقس على شفتيه عندما استدار نحو هذا المسافر الجديد.

كان لون عباءة المسافر رثاً، ولا بد أنه كان ذهبياً في يوم من الأيام لأنه لا يزال يلمع في بعض الأماكن، كانت امرأة ذات بشرة داكنة وعيون فاتحة، شعرها يشبه قصّة رائجة يعرفها صاحب النزل لكنه أقصر، ذو لون قريب من الأشقر ولا يبدو أنها تشعر بالبرد.

المرأة الجديدة:

- سأقابل مسافرًا آخر هنا!

كان صوتها مثل العسل، عميقًا وحلواً.

أوماً صاحب المكان برأسه وأشار إلى موقد النار في الطرف المقابل من القاعة.

المرأة الجديدة:

- شكرًا!

ساعدتها الرجل في إزاحة معطفها عن كتفها، ذاب الثلج وتساقت منها، فأخذه منها ليعلقها حتى تجف فوجدها ترتدي معطفًا آخر ذا طبقات مناسبة للطقس، وبلون ذهبي باهت.

مشت المرأة إلى موقد النار وجلست على كرسي آخر مع المرأة الثانية، كان الرجل بعيدًا جدًا عن سماعهما ولكن بدا وأنه لم يكن هناك أي ترحيب، وبدأ الحديث على الفور.

استمرت المحادثة لبعض الوقت وبعد مرور ساعة، وضع صاحب النزل طبقًا من الخبز والفواكه المجففة والجبن أمام السيدتين، مع زجاجة نبيذ وكوبين، فلاحظ توقفهما عن الحديث عندما اقترب.

قالت المرأة الأولى:

- شكرًا لك!

بينما كان يضع الطعام والنبيذ على المنضدة بالقرب من الكراسي، إذ وضعت يدها على يده للحظة ولم تكن قد لمستته من قبل، ولم يكن يستطيع الكلام لذا أوماً برأسه فقط قبل أن يتركهما لحديثهما، وابتسمت المرأة الأخرى دون أن يدرك صاحب الفندق سبب ابتسامتها.

ابتعد عنهما لتكملا حديثهما، لم تبرحا مكانيهما، بينما الرياح في الخارج هادئة.

جلس صاحب الفندق في الطرف البعيد من القاعة، قريبًا بما يكفي لأيّ إيماءة من المرأتين إذا كانت هناك حاجة إليه، وكان بعيدًا بما يكفي لدرجة أنه لم يستطع سماع كلمة واحدة منطوقة بينهما. رتب لنفسه صحنًا آخر لكنه لم يأخذ منه إلا كعكةً على شكل هلال ذاب على لسانه مباشرةً. حاول القراءة

ولكنه لم يستطع إنهاء أكثر من صفحة وممرت الساعات دون أن يتغير الضوء في الخارج.

غرق صاحب النزل في النوم، أو ظن ذلك، رمش بعينه فقط وكان الظلام قد حل في الخارج حتى أيقظه صوت المرأة الثانية وهي تنهض من كرسيها، قبّلت المرأة الأخرى على خدها ومشّت عبر الصالة.

قالت المرأة لصاحب الفندق عندما وصلت إليه:

- أشكرك على حسن ضيافتك.

- ألن تمكثي هنا؟

- لا، يجب أن أذهب.

أحضر الرجل معطف المرأة الذهبي الجاف والدافئ ولفه على كتفيها وساعدها على ربط المشابك وابتسمت له مرة أخرى، ابتسامة دافئة لطيفة.

بدت وكأنها ستقول له شيئاً ما، قد يكون تحذيراً أو أمنية، لكنها لم تقل شيئاً وابتسمت مرة أخرى عندما فتح الباب وخرجت لتختفي في الظلام، راقبها الرجل حتى غابت ثم أغلق الباب، بينما الرياح تستأنف عواءها مجدداً. مشى صاحب الفندق باتجاه النار، إلى المرأة ذات الشعر الداكن التي تجلس بجانبه، وأدرك حينها أنه لا يعرف اسمها.

قالت دون أن تنظر إليه:

- سأضطر إلى المغادرة في الصباح وأود أن أدفع لك مقابل الغرفة.

- يمكنك البقاء.

وأراح يده على جانب كرسيها، فنظرت إلى أصابعه ووضعت يدها على يده مرة أخرى.

قالت بهدوء:

- أتمنى لو أستطيع ذلك.

رفع صاحب النزل يدها إلى محاذاة شفثيه وطلب منها وفمه على راحة يدها:

- ابقِيْ معي، كوني معي!

كررت المرأة ودمعة انزلقت على خدها في هذه الأثناء:

- سأضطر إلى المغادرة في الصباح.

- من يستطيع أن يعرف متى يكون الصباح في هذا الطقس؟

سأل حارس النزل المرأة وابتسمت له بدورها.

نهضت المرأة من الكرسي الذي تجلس عليه، وسحبت صاحب النزل من يده إلى غرفتها نحو سريرها، والريح تعوي حول الفندق، تبكي على الحب الذي وجد طريقه هنا وتعلن الحداد على الحب الذي سيضيع، لا يمكن لأي إنسان أن يقع في حب القمر، ليس لوقت طويل.

كان زاكري إزرار رولينز متأكدًا إلى حد ما من أن شخصًا ما ضربه على الجزء الخلفي من رأسه، على الرغم من أنه يتذكر أن مقدمة رأسه في الغالب هي التي اصطدمت بالدرج، وهذا هو المكان الذي ظهر فيه الألم أكثر عندما استعاد وعيه. إضافة لتأكده من أنه سمع ميرابيل تقول شيئًا عن شخص، ولم يكن متأكدًا تمامًا من هويته. لم يعد متأكدًا تمامًا من أي شيء آخر غير حقيقة أن رأسه يؤلمه كثيرًا. وهو فعليًا مقيد على كرسي.

كان كرسيًا جميلًا، ذا ظهر مرتفع بذراعين مثبتتين حاليًا بأذرع زاكري بأسلاك عالية الجودة، حبل أسود ملفوف بعدة حلقات من معصميه إلى مرفقيه وقدماه مقيدتان، ولا يستطيع رؤيتهما تحت الطاولة.

الطاولة عبارة عن طاولة طعام طويلة من الخشب الداكن، في غرفة خافتة الإضاءة، ويفترض أنها موجودة في مكان ما في نادي الجبابة نظرًا لارتفاع السقف والتماثيل، غير أنها مظلمة أكثر وبلا ضوء إلا على الطاولة. تلقي الأضواء الصغيرة في السقف برًا موحدة من الضوء من أحد طرفي الطاولة إلى الطرف الآخر؛ حيث يوجد كرسي فارغ منجد من المخمل الأزرق الداكن يشبه المربوط به زاكري حاليًا، إذ تبدو غرفة من النوع الذي تتطابق كراسيها.

يستطيع زاكري ورغم صداعه سماع عزف موسيقى كلاسيكية ناعمة، ربما تكون موسيقى ليفالدي، ولكنه لا يستطيع معرفة مكان مكبرات الصوت. أو ربما لا وجود لمكبرات الصوت بالداخل، والمصدر خارج الغرفة. أو ربما يكون فيفالدي في خياله فقط، وربما الصوت هلوسة موسيقية ناتجة عن إصابة خفيفة في الرأس. لم يعد يتذكر ما حدث، أو كيف انتهى به المطاف في حفل العشاء الأزرق المخملي هذا لشخص واحد دون عشاء.

- أرى أنك انضمت إلينا مرة أخرى، يا سيد رولينز.

أتى الصوت من جميع أنحاء الغرفة من مكبرات الصوت والكاميرات. بحث زاكري في رأسه المهتز عن شيء ليقوله، محاولاً منع وجهه من إظهار مدى توتره.

- اعتقدت بأنه سيكون هناك شاي!

لم يتلق زاكري ردًا، وبدأ يحدق إلى الكرسي الفارغ. صوت موسيقى فيفالدتي يتناهى إلى مسمعه ولا شيء آخر، لا ينبغي لمانهاتن أن تكون هادئة بهذا الشكل! تساءل أين ميرابيل، وإن كانت في غرفة أخرى مربوطة بمقعد مختلف. تساءل إن كان دوريان على قيد الحياة، وهو أمر غير مرجح، وهو لا يريد أن يفكر في ذلك. أدرك أنه يتضور جوعًا أو عطشًا أو كلاهما، تساءل كم ستكون الساعة على أي حال؟ وأدرك أنه لأمر غبي أن يعرفه، وضربه الجوع مرة أخرى وبدأ يمشي فيه، مثل الحكة ويتنافس مع رأسه المرتج لينتبه له. خصلة شعر تسقط على وجهه ويحاول إعادتها إلى مكانها بإيماءات رأس إبداعية لكنها تظل عالقة على حافة نظارته التي استعارها قبلاً. تساءل عما إذا كانت كات قد أنهت حياكة وشاح رافينكلاور، وما إذا كان سيرى كات مرة أخرى، وكم من الوقت سيمضي قبل أن يقلق أي شخص في الحرم الجامعي بشأنه، أسبوع؟ اثنين؟ أكثر؟ ستعتقد كات أنه قرر البقاء في نيويورك لفترة من الوقت، ولن يلاحظ أي شخص آخر غيابه حتى تبدأ الصفوف من جديد، أو ربما تنتشر أخبار عن كونه أصبح ناسكًا متعبدًا!

تساءل عن احتمالية وجود أحواض استحمام ملآنة بالغسول في مكان ما في هذا المبنى، كان يخوض جدالًا محتدمًا داخل رأسه حول ما إذا كانت والدته ستعرف إن مات أم لا في حال حدوث ذلك، ليس بسبب حدس الأم فقط بل وبسبب قراءة الحظ عندما فتح الباب خلفه.

فجأة، دخلت فتاة عرفها زاكري، كانت الفتاة التي رآها في ليلة اجتماعه مع كات ورفاقها، تلك التي تظاهرت بأنها منشغلة بالحياسة في صف كات، دخلت بصينية فضية وضعتها على الطاولة، دون أن تقول أي شيء، حتى إنها لم تنظر إليه، ثم غادرت بنفس الطريقة التي أتت بها، بينما ينظر زاكري إلى الصينية، غير قادر على الوصول إليها ويدها مربوطتان بالكرسي. يوجد على الدرج إبريق شاي، ووعاء حديدي منحفض يرقد فوق مدفأة بشمعة واحدة مضاءة، وبجانبه كوبان فارغان من الخزف دون قبضات.

يفتح الباب على الطرف الآخر من الغرفة، ولم يتفاجأ زاكري برؤية سيدة الدب القطبي رغم أنها لا ترتدي معطفها. ترتدي الآن بدلة بيضاء، على الرغم من شعرها الفضي وبشرتها الزيتونية. حتى إنها ذات عينيْن بلونين مختلفين: واحدة بنية داكنة وأخرى زرقاء شاحبة بشكل مثير للقلق. شعرها مرفوع، ولون شفاهها أحمر مثالي، لكنه غامض يوحي بأنه تهديد بشيء ما، تعطي بدلتها ربطة عنق مربوطة بعقدة أكثر إتقانًا من أي ربطة تمكن زاكري من ربطها يومًا، أزعجته هذه التفاصيل أكثر من أي شيء آخر.

- مساء الخير يا سيد رولينز!

توقفت عند وصولها إليه، وتوقع منها أن تخبره ألا ينهض، ابتسمت له ابتسامة لطيفة كان من الممكن أن تشعره بالراحة لو لم يكن بعيدًا عن كل ما تعنيه الراحة في هذه المرحلة.

- لم نتعرّف جيدًا إلى بعضنا، أنا (أليغرا كافالو).

مدت يدها والتقطت الإبريق، وملأت الكوبين بالشاي الأخضر والبخار لا يزال يتصاعد منهما، ثم أعادت القدر على المدفأة.

- أنت أيمن اليد ولست أعسر، صحيح؟

- نعم!

أخذت أليغرا سكينًا صغيرًا من سترتها، ومررت طرف السكين على الحبال الموجودة على ذراعه اليسرى، وضغطت بطرف السكين على الجزء الخلفي من معصمه الأيسر لكن ليس بالشكل الذي قد يسبب نزيفًا ما.

- إذا حاولت فك قيود يدك الأخرى أو حاولت الهروب بطريقة ما، فستفقد يدك هذه، هل هذا مفهوم؟

- نعم!

مررت السكين بين الحبال والكرسي وحررت ذراعه بضربتين سريعتين، فسقط الحبل قطعًا مموجة على الأرض. أعادت أليغرا السكين إلى جيبها وأخذت أحد أكواب الشاي ماشيةً إلى طول الطاولة، ثم جلست على الكرسي في الطرف الآخر، بينما التزم زاكري عدم الإتيان بأي حركة

- يجب أن تكون عطشان، اطمئن فالشاي ليس مسمومًا، إذا ما كنت تتوقع مثل هذه التكتيكات الخطيرة، وتستطيع أن تلاحظ أنني ملأت فنجانني من نفس الإبريق، إنه شاي عضوي!

أخذت أليغرا رشفة من كوبها. حمل زاكري فنجانَه بيده اليسرى، وعارضه كتفه في أثناء قيامه بذلك، إضافة إلى الجروح التي تغطيه، أخذ رشفة من الشاي الأخضر العشبي الذي تشوبه بعض المرارة. على لسان زاكري فارس بقلب مكسور، أو بقلوب مكسورة، رأسه يؤلمه وقلبه محطم، وأخيرًا وضع فنجان القهوة على الطاولة.

راقبته أليغرا باهتمام مدروس من الطرف الآخر للطاولة، بالطريقة التي يشاهد بها المرء نمرًا في حديقة حيوانات أو ربما الطريقة التي يراقب بها النمر السيّاح.

- أنت لا تستلطفني، هذا صحيح سيد رولينز!

- لقد قيّدتني على كرسي!

- لقد قيّدتك، لكنني لم أفعل ذلك من تلقاء نفسي، أنا أيضًا أعطيتك الشاي، هل فعل واحد ينفي الآخر؟

لم يعلّق زاكري على حديثها، وتابعت أليغرا:

- أخشى أنني قد تركت انطباعًا أوليًا سلبيًا لديك، أعطاني تقييمًا سيئًا، الانطباعات الأولى مهمة للغاية، لقد حظيت بلقاءات أوليّة رائعة مع الآخرين، فلا عجب أنك تحبهم أكثر. لقد أطررتني في صورة الشرير!

- لقد قيّدتني إلى كرسي!

- هل استمتعت بحفلاتي؟

- ماذا؟

- في فندق ذا ألغونكوين، لم تنتبه كثيرًا إلى الصور والمطبوعات الرائعة، لقد تم تقديمها من قبل مؤسسة خيرية أديرها. وهي تروج للقراءة والكتابة للأطفال المحرومين في جميع أنحاء العالم، وتنشئ مكاتب، وتقدم المنح للكتّاب الجدد. نحن نعمل أيضًا على تحسين مكاتب السجون. الحفلة سنوية لجمع التبرعات، وهناك دائمًا ضيوف غير متوقعين، إنها تقليد سنوي نوعًا ما.

شرب زاكري الشاي بصمت وتذكر أن الحفلة لها علاقة بمؤسسة خيرية أدبية.

قال زاكري وهو يضع فنجانَه على الطاولة:

- إذًا تغلقين إحدى المكتبات لتفتحين مكتبة أخرى؟

جاوبت أليغرا بحدّة:

- هذا المكان ليس مكتبة، ولا يمتّ لكلمة مكتبة بأي صلة، إنه مكان ما تحت سطح الأرض في الإسكندرية، إذا كانت استنتاجاتك خاطئة، وهي أقدم من تخيلك، لا توجد مفاهيم لتصفه بالكامل ولا في أي لغة، ينشغل الناس كثيرًا بتسمية الأشياء!

- لقد أخفيت جميع الأبواب!

- أنا أحمي الأشياء يا سيد رولينز!

- ما الفائدة من مكتبة متحف إذا لم يتمكن أحد من قراءة هذه الكتب؟

- الحفاظ عليها! تعتقد أنني أريد إخفاءها، أليس كذلك! أنا أحميها من عالم واسع جدًّا عليها، هل يمكنك تخيل ما يمكن أن يحدث إذا أصبح هذا معروفًا للجميع؟ أن ينتشر خبر أنّ مثل هذا المكان موجود ويمكن الوصول إليه من أي مكان تقريبًا؟ أن مكانًا ما سحريًا - ولا أجد مصطلحًا أفضل للتعبير عن ذلك - موجود تحت أقدامنا؟ ماذا يمكن أن يحدث بمجرد وجود منشورات مدونة ووسوم وسيّاح؟ يجب أن نمضي قدمًا بتصرفنا مع ذلك، أودّ أن أخبرك أنك سرقت مني شيئًا يا سيد رولينز!

لم يقل زاكري شيئًا، لأنّ جملتها كانت جملةً عرضية أكثر من كونها اتهامًا فلم يحتجّ عليها.

- هل تعرف لماذا أراد دوريان هذا المجلد دونًا عن غيره؟ ذلك الكتاب الذي جعلك تكذب من أجل الحصول عليه في هذا المبنى؟ على الأرجح لا، أنت لا تعرف ولم يكن دوريان قط من النوع الذي يكشف عن معلومات أكثر من اللازم.

هزّ زاكري رأسه وتابع صمته.

- أو ربما لم يرغب في الاعتراف بأفعاله. عند انضمام أحد إلينا يمنح أول كتاب قام بحمايته في اختباره الأول هديةً. معظمهم لا يتذكر المواصفات لكنه يتذكر الكتاب، هكذا تسير الأمور. قبل عدة سنوات، قمنا بتعديل هذا الإجراء للاحتفاظ بالكتب هنا أو في أحد مكاتبنا الأخرى. من المؤسف أنه لن يستعيده بعد مروره بكل تلك المشكلات.

- أنتم أوصياء!

وتتسع عينا أليغرا، وأمل زاكري أنه قد ركّز على الكلمة جيدًا، حتى تدرك أنها مجرد ملاحظة وليست ربطًا بشيء ما.

- لقد كان لدينا العديد من الأسماء على مر السنين.

شرحت أليغرا وتمكن زاكري من ضبط تنهيدة تشي بالارتياح.

- هل تعرف ما الذي نفعله؟

- الوصاية؟

- أنت صفيق يا سيد رولينز، ربما تعتقد أن ذلك أمر جذاب، ومن المرجح أنك تستخدم هذه الدعابة كآلية دفاع، لأنك تشعر بعدم الأمان ولا تريد إبداء ذلك للآخرين.

- إذًا أنتم أوصياء ولكن لا تقومون بعملكم؟

- ما الذي يسترعي اهتمامك؟ كتبك وألعابك، هل أنا على صواب؟ أم قصصك؟

هز زاكري كتفيه وتعمد أن يبدو ذلك عدم اكتراث.

وضعت أليغرا فنجانها على الطاولة ناهضةً من كرسيها، ابتعدت عن الطاولة واتجهت نحو الظل على جانب الغرفة. حَمَن زاكري من الصوت أنها ربما تفتح خزانة ما لكنه لم يستطع رؤية أي شيء. تكرر الضجيج ثم توقف وتراجعت أليغرا إلى الضوء حول الطاولة، وألقت المصابيح ضوءها مرة أخرى على بدلتها البيضاء على النقطة اللامعة فيها تحديدًا.

مدت يدها ووضعت شيئًا على الطاولة بعيدًا عن متناول زاكري، لم يستطع أن يعرف ما هو حتى تحركت يدها. إنها بيضة!

- سأخبرك سرًا، سيد رولينز، أنا أتفق معك!

لم يقل زاكري شيئًا، غير مدرك تمامًا ما إذا كان يوافق على أي شيء تقوله وليس متأكدًا تمامًا مما إذا كان سيفعل ذلك أم لا.

- القصة مثل البيضة، الكون موجود في وسطها المختار، شرارة شيء ما جديد ومختلف لكنه مكتمل التكوين وهش، بحاجة للحماية. أنت تريد حمايتها أيضًا، ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك. تريد أن تكون بداخلها، يمكنني رؤية ذلك في عينيك. كنت أبحث عن أشخاص مثلك،

وأنا ضليعة في اكتشاف الرغبة حيال ذلك. تريد أن تكون في القصة، لا أن تراقبها من الخارج. تريد أن تكون تحت قشرتها. الطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي كسرها. ولكن إذا ما انكسرت، ستختفي.

مدت أليغرا يدها إلى البيضة وجعلتها تحوم فوق القشرة، ثم وضعتها في الظل. يمكنها سحقها بسهولة. هناك خاتم من الفضة على البنصر، وتساءل زاكري بالضبط ماذا يوجد داخل هذه البيضة تحديداً، لكن يد أليغرا ثابتة لا تتحرك.

- نحن نحمي البيضة من الانكسار.

قال زاكري وبصره معلق على البيضة على الطاولة:

- لست متأكدًا من أنني أفهم الاستعارات اللغوية بعد.

سحبت أليغرا يدها للخلف وعادت البيضة إلى الضوء مرة أخرى، خيّل إلى زاكري أنه رأى تشققًا أبيض على جانب البيضة، لكنه سريعًا ما أقنع نفسه أنه مجرد تخيّل.

قالت أليغرا وهي تتجول عائدةً إلى الظلال حول الطاولة:

- إنني أحاول أن أشرح لك شيئًا يا سيد رولينز، قد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تفهمه برمته. كانت هناك نقطة في التاريخ عندما كان هناك أوصياء ومرشدون داخل ذلك المكان الذي قمت بزيارته، ولكن ذلك الوقت قد مضى، كان هناك فشل في النظام. لدينا نظام جديد الآن وأطلب منك بكل احترام أن تلتزم به.

- ماذا يعني ذلك؟

سأل زاكري وقبل أن ينهي جملته، أمسكت أليغرا شعره وشدّت به رأسه إلى الخلف وشعر بطرف السكين تضغط خلف أذنه اليمنى.

قالت أليغرا بكلّ هدوء وروية:

- هل كان لديك كتاب آخر؟ كتاب وجدته في مكتبة مدرستك، أين هو؟

وجّهت أليغرا سؤالها إلى زاكري بطريقة لطيفة وحادة وهي نفس النبرة التي قد تسأل بها عما إذا كان يفضل العسل مع الشاي. في الأجواء شمعة موجودة تحت إبريق الشاي، ترتجف وتهتزّ لتتطفئ.

قال زاكري محاولاً عدم تحريك رأسه والذعر والارتباك يملأه:

- لا أعرف! كتاب الأحزان العذبة بحوزة دوريان، ربما لم يبحثوا عنه جيدًا بما يكفي لإخراج المفاتيح من تحت سترته العملاقة، لكنهم بالتأكيد كانوا سيعثرون على الكتاب مع دوريان أو على جسده.
- ابتلع زاكري طعم الشاي الأخضر في حلقه شاعرًا أن فؤاده محطم، ركز عينيه على البيضة فوق الطاولة. قائلًا لنفسه إن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا، لكن السكين التي تضغط على جلده جعلته يدرك أنه حقيقي جدًا.
- هل تركته هناك؟ أريد أن أعرف!
- قلت لك، لا أعرف، كان معي ولكنني فقدته!
- سحقًا! أفترض أن هذا يعني أنه لا يوجد شيء يبيحك هنا، إذ كان الأجدر بك أن تعود إلى فيرمونت.
- نعم، كنت سأعود.
- أصبحت العودة إلى المنزل فجأة أكثر جاذبية؛ لأن المنزل أفضل من عدم الخروج من هذا المبنى على الإطلاق، والذي بدأ يشعر وكأنه احتمال واضح.
- قال زاكري:
- لن أخبر أي شخص عن هذا، أو عن ذلك المكان العصي على التسمية، أو عن أي مما حدث على الإطلاق، ربما أنا اختلقت كل ذلك، ربما تناولت الكثير من الخمر!
- حذره الصوت الموجود في رأسه من المبالغة، وندم على الفور على الجمل والصيغات التي اختارها، وضغطت السكين مجددًا على الجلد خلف أذنه، فلم يستطع أن يحدد ما إذا كان الذي يجري على رقبتة عرق أم دماء.
- أعلم أنك لن تفعل، سيد رولينز، يمكنني أن أبتز لك يدك للتأكد من أنني جادة للغاية في هذا الأمر. هل سبق لك أن لاحظت عدد القصص التي تحتويها الأيدي المقطوعة أو المشوهة؟ ستحظى برفاق مميزين! لكنني أعتقد أنه يمكننا التوصل إلى اتفاق دون إحداث فوضى، هل توافق؟
- أومأ زاكري برأسه موافقًا، متذكرًا اليد الموجودة في الإناء الزجاجي وتساءل عما إذا كان مالکها السابق يشغل هذا الكرسي ذات يوم.
- أزالت أليغرا السكين عن رقبتة، وتنحت جانبًا لكنها ظلت جواره.

- ستخبرني بكل شيء تتذكره عن هذا الكتاب! سوف تقوم بتدوين كل التفاصيل التي يمكنك تذكرها، بدءًا من محتوياته إلى آخر صفحة فيه، وبعد أن تنتهي، سأحرص أن تستقل القطار إلى فيرمونت، ولن تطأ قدمك أبدًا على هذه الجزيرة المسماة مانهاتن مرة أخرى. لن نتحدث إلى أي شخص عن المرفأ أو عن هذا المبنى أو هذه المحادثة أو عن أي شخص قابلته أو عن هذا الكتاب. لأنني أخشى أنك إذا ما قمت بذلك أو إذا كتبت أو تحدثت أو إذا همست في حالة سكر عبارة «بحر بلا نجوم» في حانة مظلمة، فسأضطر إلى إجراء مكالمة هاتفية مع العميل القناص الذي تمركز قريبًا من مزرعة والدتك!

قال زاكري رغم الصحراء التي تجتاح حلقه:

- ماذا؟

- لقد سمعتني! إنه منزل جميل. يا له من حديقة جميلة مع عريشة العنب! يجب أن يكون جميلًا في الربيع! وسيكون من المؤسف، كسر إحدى تلك النوافذ ذات الزجاج الملون.

حملت أليغرا شيئًا أمامه، هاتف جوال يعرض صورة منزل مغطى بالثلج، بيت والدته. لا تزال أضواء الأعياد مضاءة على الشرفة.

وضعت الهاتف بعيدًا وعادت إلى الطرف الآخر من الطاولة وقالت:

- اعتقدت أنك قد تحتاج إلى مزيد من التشجيع، بعض الضغط على شيء تقدره، لم يكن لديك الوقت الكافي لتقييم الاثنين الآخرين حتى الآن بغض النظر عن مدى اندهاشك، أعتقد أن والدتك ستكون نقطة ضغط أفضل من والدك مع عائلته الجديدة الجميلة، سنضطر إلى تدمير المنزل بأكمله في هذه الحالة، انفجار عبوة غاز، مثلًا!

- لن تفعل ذلك!

قال زاكري لكنه توقف بعد ذلك، فهو ليس لديه أي فكرة عما ستفعله أو لن تفعله هذه المرأة.

- لقد وقع بعض الضحايا من قبل، وهناك المزيد، هذا مهم، إنه أهم من حياتي وأهم من حياتك. أنت وأنا عبارة عن هوامش، ولن يفتقدنا أحد إذا لم يتم تضميننا في هذه القصة. نحن موجودون خارج البيضة، وكنا دائمًا كذلك!

تبتسم أليغرا لزاكري بشفتين لا تصلان إلى عينيها غير المتطابقين وترفع
فنجان الشاي الخاص بها لتشرب منه.

- تلك البيضة ملآنة بالذهب.

ظن لوهلة أن التشقق كان شعرةً هاربة هوت على عدسة نظارته.

- ماذا قلت؟

توقف فنجان الشاي مؤقتًا في منتصف الطريق إلى فمها، وانطفتأت
الأنوار.

السيوف الثلاثة

كان السيف أعظم سيف صنعه الحداد على الإطلاق بعد سنوات من صنع
أفخم السيوف في كل الأرض. لم يقض وقتًا طويلًا في صنعه، ولم يستخدم
أجود المواد، ولكن لا يزال هذا السيف سلاحًا من العيار الذي تجاوز توقعاته.

لم يصنع لزبون معين، واحترار الحداد فيما يجب فعله به. كان بإمكانه
الاحتفاظ به لنفسه، لكنه كان أفضل في صنع السيوف من استخدامها. كان
مترددًا في بيعه، رغم علمه أنه سيحقق سعرًا جيدًا، وفعل حداد السيف ما كان
يفعله دائمًا عندما يشعر بأنه غير حاسم في قراراته، وزار العرّاف المحلي.

كان هناك العديد من العرافين في الأراضي المجاورة، بعضهم كان ضريزًا،
ولكن باستطاعتهم الرؤية بطرق لم يستطع الآخرون استخدامها، رغم عدم
قدرتهم على استخدام أعينهم، أما العرّاف المحلي فقد كانت معاناته فقط من
قصر النظر.

غالبًا ما يوجد هذا العرّاف في الحانة، على طاولة منعزلة في الجزء الخلفي
من الغرفة، كان يحكي عن مستقبل الأشياء أو الأشخاص إذا ما اشتريت له
مشروبًا، وكان أفضل في رؤية مستقبل الأشياء من مستقبل الناس.

كان حداد السيف والعرّاف صديقين حميمين لسنوات، في بعض الأحيان
كان الحداد يطلب من صديقه قراءة طالع السيوف. ذهب الحداد إلى الحانة
وأحضر السيف الجديد واشترى للعرّاف مشروبًا على حسابه.

رفع العرّاف كأسه وقال:

- بصحتك!

أجاب الحداد رافعًا كأسه بالمقابل:

- بصحتك!

تحدثنا عن الأحوال السائدة، وعن السياسة والطقس قبل أن يريه الحداد السيف، نظر العرّاف إلى السيف لفترة طويلة وطلب من الحداد مشروبًا آخر فأحضره له، أخذ العرّاف مشروبه الثاني ثم أعاد السيف إلى الحدّاد.

العرّاف:

- هذا السيف سيقتل الملك.

- ماذا يعني ذلك؟

هزّ العرّاف كتفيه وقال:

- سوف يقتل الملك!

ولم يقل العرّاف المزيد عنه، وضع الحداد السيف على جهة بعيدة، وناقش مع العرّاف أمورًا أخرى لبقية الليل.

في اليوم التالي حاول حداد السيف أن يقرر ماذا سيفعل بالسيف، مع العلم أنّ العرّاف من النادر ما يخطئ. فإنّ تحمّل المسؤولية اتجاه السلاح الذي سيقتل الملك لم يكن أمرًا جيّدًا بالنسبة للحدّاد، على الرغم من أنه سبق له أن صنع العديد من السيوف التي قتلت الكثير من الناس. كان يعتقد أنه يجب أن يدمره لكنه لم يستطع أن يجبر نفسه على تدمير تحفة كهذه.

وبعد الكثير من التفكير، صنع الحداد سيفين إضافيين، متطابقين ولا يمكن تمييزهما عن السيف الأول. حتى الحداد نفسه لم يستطع التفريق بينهم، وفي أثناء عمله تلقى العديد من العروض من الزبائن الذين أرادوا شراءهم لكنه رفض.

بدلًا من ذلك، أعطى الحداد سيفًا واحدًا لكل من أبنائه الثلاثة، دون أن يعرف من الذي سيحصل على السيف الذي سيقتل الملك، ولم يفكر في الأمر مرة أخرى لأنّ أيًا من أولاده لن يفعل مثل هذا الشيء، وإن وقع أي من السيوف في أيدي أخرى فالأمر حينها متروك للقدر والوقت، والقدر والوقت يمكنهما قتل العديد من الملوك كما يحلو لهما، وسيقتلانهم جميعًا في النهاية. لم يخبر حداد السيف أحدًا بما قاله العرّاف، وعاش كل أيامه دافئًا سره حتى مات.

أخذ الابن الأصغر سيفه وذهب في مغامرة، لم يكن مغامرًا جيدًا، وجد نفسه مشتتًا في زيارة قرى غير مألوفة ومقابلة أشخاص جدد، وتناول طعام مميز، وندارًا ما برح سيفه غمده. في إحدى القرى التقى رجلًا أحبّه بشدة، كان رجلًا مغرمًا بالخواتم. فأخذ الابن الأصغر سيفه إلى حداد وأذابه، ثم استأجر صائغًا ليصنع خواتم من المعدن، وأعطى الرجل خاتمًا عن كل عام يقضيانه معًا، في النهاية كان هناك الكثير من الخواتم.

بقي الابن الأكبر في المنزل لسنوات واستخدم سيفه في المبارزة، كان مبارزًا جيدًا وكسب الكثير من المال. مع مدخراته، قرر القيام برحلة بحرية وأخذ سيفه معه، على أمل أن يتعلم في أثناء سفره ويحسن مهاراته. درس مع طاقم السفينة وكان يتدرب على سطح السفينة عندما تهادأ الرياح، وذات يوم كان مجردًا من السلاح وسيفه ليس بحوزته، اهتزت السفينة وسقط سيفه في البحر غارقًا في القاع، وبقي غارزًا في المرجان والرمل حتى الآن.

الابنة الوسطى؛ وهي الفتاة الوحيدة، احتفظت بسيفها في صندوق زجاجي في مكتبتها. زعمت أنه كان مزخرفًا ويجب أن يبقى بعيدًا عن متناول أي أحد لأنه ذكرى من والدها الذي كان حدادًا كبيرًا للسيوف، وأنها لن تستخدمه أبدًا، ولكنها لم تلتزم بذلك طوال الوقت، فغالبًا ما كانت تخرجه من مكانه عندما تكون بمفردها في وقت متأخر من الليل، وتتدرب عليه. علمها شقيقها بعض فنون المبارزة لكنها لم تستخدم هذا السيف تحديدًا في المبارزات. احتفظت به مصقولًا، حفظت كل شبر فيه وكل خدش، تذكر أصابعها بتفاصيله عندما لا تكون في جواره. كان الشعور الذي يعطيها إياه حمل السيف في يدها مألوفًا لدرجة أنها حملت السيف معها حتى في أحلامها.

ذات ليلة، غطت في النوم على الكرسي بجوار النار في المكتبة، وعلى الرغم من أن السيف مستقر في علبته على الرف القريب، فإنها حملته في يدها عندما بدأت في الحلم. مشت في حلمها عبر غابة، كانت أغصان الأشجار ملأنة ببراعم الكرز، والفوانيس معلقة عليها وممثلةً بالكتب.

وبينما كانت تمشي، إذ شعرت بعيون كثيرة تراقبها لكنها لم تستطع رؤية أي شخص، كانت البراعم تتساقط حولها مثل الثلج.

وصلت إلى مكان فيه شجرة كبيرة مقطوعة حدّ الجذع، كان الجذع محاطًا بالشموع ومكدسًا بالكتب، وفوق الكتب كانت هناك خلية نحل، وعسل يقطر منها ساقطًا فوق الكتب وجذع الشجرة، رغم أنه لا وجود لأي نحل في الجوار.

لم يكن هناك سوى بومة كبيرة تجثم فوق خلية النحل، بومة بيضاء وبنية ترتدي تاجًا ذهبيًا، تطاير ريشها عندما اقتربت ابنة حدّاد السيف منها.

- لقد جئت لتقتليني!

- أنا؟

- لقد وجدوا طريقة لقتلي، دائمًا، لقد وجدوني، حتى في الأحلام.

- من؟

سألت ابنة حداد السيف لكن ملك اليوم لم يجب عن سؤالها.

قال ملك اليوم:

- سيأتي ملك جديد ليحل مكاني، تفضلي! هيا! هذا هو هدفك!

لم تكن ابنة حداد السيف ترغب في قتل اليوم، ولكن يبدو أنها كانت معنية بذلك بطريقة ما، لم تفهم، ولكنه كان حلمًا، ومثل هذه الأشياء منطقية في الأحلام.

قطعت ابنة حداد السيف رأس ملك اليوم، بضربة واحدة وسريعة وفي منتصف الهدف، أصابت العنق بشكل جيد ليتطاير معه الريش والعظم. سقط تاج اليوم عن رأسه المقطوع، وتناثر على الأرض بالقرب من قدمي الفتاة. مدت ابنة حداد السيف يدها إلى أسفل لأخذ التاج لكنه تفكك تحت أصابعها ولم يبق منه سوى غبار ذهبي.

ثم استيقظت وهي لا تزال جالسة على الكرسي بجوار النار في مكتبتها وعلى الرف حيث كان السيف، كانت هناك بومة بيضاء وبنية تجثم على العلبة الفارغة وبقيت البومة معها حتى آخر أيام حياتها.

زاكري إزرا رولينز، متجمد وجالس في الظلام، يستطيع سماع موسيقى فيفالددي، على الرغم من أنه لا يستطيع تذكر ما إذا كان هذا العزف موجودًا طوال الوقت خلال المحادثة والشاي. هناك صوت صرير يرجح معه زاكري أن أليغرا تدفع كرسيها للخلف. لا يزال زاكري ينتظر عينيه حتى تستعيدان النظر المألوف لكنهما لا تستطيعان ذلك، فالظلام كثيف ومتماسك مثل شيء يطبق على عينيه.

أدرك زاكري أنّ ذلك الصوت هو فتح لباب ما، وخبّن أن أليغرا قد تخلت عنه، وتركته عالقًا في كرسيه، ولكن تبعه صوت آخر، شيء يضرب الطرف الآخر من الطاولة بقوة كبيرة تردد معها صدى على طول الخط إلى الجانب الآخر، وصوت آخر لشيء يسقط على الأرض مصاحبًا لصوت تحطم كوب الشاي.

ثم سمع زاكري صوت خطى تقترب منه، حاول أن يحبس أنفاسه لكنه فشل، توقفت الخطى بجانب كرسيه وهمس أحدهم في أذنه.

- هل كنت تظن أنني سأدعها تتحدث معك حتى تقتلك؟ هل كنت تظن ذلك إزرا؟

- ما الذي يجري بحق السماء!

بدأ زاكري بالكلام، لكنّ ميرابيل حاولت أن تسكته وتحتّه على الهمس وليس الكلام.

- ربما كانوا يسجلون حديثنا، أطفأت الأضواء، ولكن للصوت والكاميرات نظام مختلف، مهمة الإنقاذ تسير بشكل أو بآخر كما هو مخطط لها، شكرًا لك على تشتيت انتباههم.

قامت ميرابيل بتحريره وفكت الحبال الموجودة على معصمه وسحبت الكرسي إلى الخلف حتى تتمكن من تحرير قدميه.

لا بدّ أنها تتمتع برؤية ليلية جيدة! أمسكت يده في الظلام وعلم أن كفه متعرقه لكنه لا يهتم لذلك، ضغط على يدها واحتضنها مرة أخرى واحتضنت هي بدورها وإذا كانت هناك نتائج لكل هذا فهو يشعر بالرضا عن الوقوف إلى جانب ملك الأشياء البرية.

تسلل ضوء الشارع للقاءة من خلال النوافذ، وهو ما يكفي للرؤية من خلاله.

قادته ميرابيل إلى أسفل الدرج، في حركة دائرية إلى درج القبو في الطابق السفلي شعر زاكري بالارتياح إلى حد ما لمعرفة إلى أين يتجه على الرغم من أنه لا يستطيع رؤية كل شيء جيدًا. ظلال متكدسة على ظلال مع لمحة بسيطة للون الأرجواني الوردية من شعر ميرابيل، لكن عندما وصلا إلى القبو لم يخرجوا إلى الحديقة المغطاة بالجليد، وقادته ميرابيل في الاتجاه المعاكس، أعمق إلى أسفل المنزل.

زاكري:

- إلى أين...؟

قال زاكري لكن ميرابيل أسكنته مجددًا، انعطفا إلى الأسفل نحو الرواق، وتلاشى ضوء الحديقة وانغمسا مرة أخرى في الظلام، ثم فتحت ميرابيل الباب في مكان ما في الظلام. في البداية، اعتقد زاكري أنه ربما يكون أحد أبوابها، ولكن مع ضبط تركيز عينيه تمكن من معرفة أنهما ما زالا في نادي الجبابة. الغرفة أصغر من تلك الموجودة في الطابق العلوي وبدون نوافذ، مضاءة بفانوس قديم الطراز مثبت على كومة من الصناديق الكرتونية والأضواء تتوهج فوق الجدران المغطاة بلوحات مؤطرة، مثل معرض مصغر مهجور.

كان دوريان مستلقيًا على الأرض بالقرب من الصناديق، فاقداً للوعي ولكن من الواضح أنه يتنفس، وشعر زاكري بشيء غير مطمئن في قلبه، لم يكن يدرك أنه كان مقيدًا في المقام الأول وهو منزعج قليلاً من الآثار المترتبة على ذلك، لكن بعد ذلك تشتت انتباهه بالباب الآخر. في وسط الغرفة يوجد باب في إطاره لا جدار يحيط به، تم تثبيته على الأرض بطريقة ما، ولكن هناك مساحة مفتوحة أعلاه وعلى كل جانب، والمزيد من الصناديق الكرتونية التي يمكن رؤيتها خلفه مقابل الجدار البعيد.

ميرابيل:

- كنت أعرف أن لديهم واحدًا! شعرت به في مؤخرة رأسي لكنني لم أستطع العثور عليه لأنني لم أكن أعرف مكانه، لا أعرف من أين أتوا به، إنه ليس أحد أبواب نيويورك القديمة.

يبدو الباب عتيقًا، مع مسامير مثبتة بأنماط مرصعة على طول الحواف، مع ترباس دائري وثقيل مثبت في فكي النمر وحامل مقوس بدلاً من مقبض الباب، إنه باب أكثر ملاءمة لقلعة ما، الإطار غير متطابق، ونهاياته لامعة، باب قديم في إطار جديد.

زاكري:

- هل سيفي بالغرض؟

- طريقة واحدة لنكتشف ذلك!

سحبت ميرابيل الباب لفتحه، وبدلاً من الحائط البعيد وصناديق الورق المقوى ظهر كهف مضاء بالفوانيس، يقع في المنتصف وبلا سلاّم، وباب المصعد يظهر في الجهة المقابلة بعيداً جداً كشيء صعب المنال.

خطا زاكري خلف الباب، من الورا يبدو إطاراً قائماً، يمكنه أن يرى ميرابيل من خلاله ولكن عند عودته إلى الأمام كان يجد الكهف والمصعد مرة أخرى واضحين كالنهار.

تمتم زاكري بصوت خافت:

- سحراً!

- إزرا، سأطلب منك أن تؤمن بالكثير من الأشياء المستحيلة، لكنني سأكون شاكرة لو امتنعت عن استخدام كلمة س...!

- بالتأكيد!

قال زاكري، وهو متيقن أنّ كلمة (س...) لا تشرح كل ما يحدث الآن على أي حال.

قالت ميرابيل وهي تتجه نحو دوريان:

- هلاًّ تساعدني يا زاكري، إنه ثقيل!

حملا دوريان معاً، كل منهما يمسك بذراع، لقد لعب زاكري هذه اللعبة مع العديد من الرفاق المخمورين والسكرارى، لكن هذا مختلف، الوزن الثقيل الكليّ لرجل طويل القامة فاقد للوعي تماماً. لا تزال رائحته طيبة. أمسكت ميرابيل بالجزء العلوي من الجسم، تمكنا معاً من إبقاء دوريان مستقيماً، وحذاؤه البالي يتدلى على الأرض.

ألقي زاكري نظرة على إحدى اللوحات الموجودة على الحائط وتعرف على المكان المرسوم داخلها. رقوف الكتب المبطنّة للقاعة تشبه النفق، امرأة ترتدي ثوباً طويلاً تتوارى عن الأنظار، وهي تحمل فانوساً يشبه إلى حد كبير ذلك الموجود بالقرب من صندوق الورق المقوى.

اللوحه الموجوده بجانبها هي أيضاً تصوير لمكتبه غير مألوفه تحت الأرض، جانب من الرواق المنحني، شخص يحجب الضوء حول الزاوية، ويلقي بظلال على الكتب ولكنه يبقى بعيداً عن الأنظار، الجزء السفلي مشابه، ركن به كرسي فارغ بذراعين ومصباح واحد، وظلام مغطى بالذهب.

ثم عبرا الباب، وبدأ زاكري يرى الجدران الحجرية بدلاً من اللوحات، وحملا دوريان عبر الكهف إلى المصعد.

سما ضجيجًا خلفهما، وأدرك زاكري متأخرًا أنه كان يجب غلق الباب، سمع صوت خطوات، شيء ما يسقط على الأرض، صوت بعيد لإغلاق باب، رنين وصول المصعد، فشعر لحظتها بالأمان. وفكر أنه من الأسهل وضع دوريان على الأرض بدلاً من المقعد. بقيت أبواب المصاعد مفتوحة، تنتظر. نظرت ميرابيل إلى الورا، إلى الطريق الذي جاؤوا منه، عبر الباب الذي لا يزال مفتوحًا على نادي الجبابة.

- هل تثق بي يا إزرا؟

أجاب زاكري دون أن يأخذ وقته في التفكير:

- نعم، أثق بك.

- سأذكرك يومًا ما أنك قلت ذلك!

مدت يدها إلى حقيبتها وسحبت شيئًا معدنيًا صغيرًا، واستغرق الأمر من زاكري لحظة ليدرك أنه مسدس، من النوع الفاره الصغير الذي قد تضعه امرأة قاتلة على حزام جلدي في قصة ما. رفعت ميرابيل المسدس، ووجهته عبر الباب المفتوح وأطلقت النار على الفانوس الموجود على كومة الصناديق الكرتونية.

شاهد زاكري الفانوس ينفجر في وابل من الزجاج والزيت والشرر المتطاير، منتشرًا على الورق المقوى وورق الجدران واللوحات، ومن ثم اختفى وراء أبواب المصعد التي أغلقت وبدأ العد التنازلي.

نحات القصة

ذات مرة كانت هناك امرأة تنحت القصص، لقد نحتتها من كل أنواع الأشياء، في البداية استخدمت الثلج أو الدخان أو السُّحب، لأن تفاصيلهم كانت مؤقتة وتذوب حالًا، يمضي الوقت عليها مرثيةً ومقروءةً فقط لأولئك الذين صادف وجودهم في الفترة ما بين النحت والذوبان، والنحاتة كانت تفضل ذلك؛ لأن هذا يعني أنه لا وقت للجدل حول التفاصيل أو العيوب، ولن تبقى الحكايات موضع تساؤل وانتقاد وإعادة تخمين من قبلها هي أو من قبل

الآخرين. تنحتها وتختفي، معظمها لم يقرأها أحد لأنها اختفت من الوجود قبل ذلك، وحدها النحاتة تتذكرها.

تم التلاعب بقصص الحب العاطفية عبر الفراغات من قبل قطرات المطر واختفت مع نهاية العاصفة. كانت المآسي تتدفق بشكل معقد من زجاجات النبيذ وترشف بعناية مع الكآبة والجبن الشهي. حكايات خرافية تشكلت من الرمال والأصداف البحرية على الشواطئ وجرفتها الأمواج بهدوء.

اكتسبت النحاتة التقدير واجتذبت الحشود لقصصها، وحضرت عروضاً مثل العروض المسرحية؛ حيث تنحت القصص وتذوب بعدها أو تنهار أو تنجرف أو تهيم بعيداً مع النسيم. عملت مع الضوء والظل والجليد، ونحتت مرة قصة من خصلات الشعر وانتزعت خصلة واحدة من كل فرد من أفراد جمهورها ثم نسجتها معاً وتوسل إليها الناس لتستمر بالنحت، وطلبت منها المتاحف معارض قد تستمر لدقائق أو ساعات. أصبحت النحاتة مشهورة بعد ذلك تدريجياً.

نحتت القصص من الشمع ووضعتها على الفحم الدافئ حتى تذوب وتقطر وتتلاشى.

نظمت أدواتاً للراغبين في المشاركة في مواعيد محددة، مع أطراف مصبوغة وأجساد مبرومة تدوم بقدر ما تستطيع القطع الحية أن تدوم، وتتغير القصة من كل زاوية ثم تتغير أكثر مع الإرهاق الذي يصيب المشاركين، وتنزل الأيدي على الفخذين في لفائف غير دقيقة. لقد نسجت أساطير من الصوف صغيرة بما يكفي لتحتفظ بها في الجيوب، على الرغم من أنها عندما تقرأ كثيراً ستنحل وتتشابك. دربت النحل على بناء أقراص العسل على إطارات معقدة تشكل مدناً بأكملها مع سكان بمذاق حلو وحالات مريرة.

نحتت القصص بأشجار مزروعة بعناية، وهي قصص استمرت في النمو والتكشف بعد فترة طويلة من التخلي لتتحكم بعدها بحكاياتها الخاصة ولا يزال الناس يتوسلون إليها للحصول على قصص يمكنهم الاحتفاظ بها.

قامت النحاتة بتجارب عدة، قامت ببناء فوانيس معدنية ذات أذرع يدوية صغيرة يمكن تحويلها إلى حكايات على الجدران عند وضع شمعة بداخلها. درست مع صانع ساعات لبعض الوقت وصنعت قصصاً متسلسلة يمكن

حملها مثل ساعات الجيب والجروح، ولكنها لم تأخذ في الحسبان أن الينابيع في نهاية المطاف سوف تنضب.

وجدت أنها لم تعد تمنع في تباطؤ بعض القصص، وأن البعض استمتع بها والبعض الآخر لم يستمتع ولكن هذه هي طبيعة القصة. لا تخاطب القصص جميع المستمعين لها، ولكن يمكن لجميع المستمعين العثور على قصة لها نفس التأثير، في مكان ما، في وقت ما بشكل أو بآخر.

عندما كبرت النحاتة وتقدمت في السن، وافقت على العمل بالحجر.

في البداية، كان الأمر صعبًا، لكنها تعلمت في النهاية التحدث بالحجر، والتلاعب به وتمييز الحكايات التي كانت ترغب في الخروج من الحجر، ونحتتها بنفس السهولة التي كانت تنحت بها المطر والعشب والغيوم.

نحتت الرؤى بالرخام، بقطع متحركة وملامح نابضة بالحياة، مربعات الألغاز والأحجيات غير القابلة للحل، نهايات متعددة محتملة تُركت غير موجودة وغير مرئية وكانت القطع التي تقف بثبات والقطع المستمرة في الحركة تتلف نفسها رويدًا رويدًا.

نحتت أحلامها ورغباتها ومخاوفها وكوابيسها ومزجتها مع بعضها، وضجت المتاحف بمعارضها لكنها فضلت عرض أعمالها في المكتبات أو في محلات بيع الكتب وفي الجبال وعلى الشواطئ.

نادرًا ما كانت تحضر هذه العروض وعندما كانت تفعل ذلك لم تكن تكشف عن هويتها، كانت تتوه وسط الحشد، لكن البعض كان يعرفها فتلقي التحية بإيماءة أو بإزاحة نظارتها. البعض كان يتحدث معها عن مواضيع أخرى غير القصص المعروضة، أو يخبرونها بقصصهم الخاصة أو ملاحظات عن الطقس.

في أحد هذه المعارض، ظل رجل يتحدث معها بعد رحيل الحشود، رجل أشبه بالفأر، هادئًا ومتوترًا في الوقت عينه، كان عالمًا بأهمية وجوده، كلماته ناعمة ولطيفة.

سأل الرجل الذي يشبه الفأر النحاتة:

- هلاً تخفين شيئًا ما في قصة من أجلي! هنالك من يسعون إلى ما يجب أن أخفيه وسيقلبون الكون رأسًا على عقب للعثور عليه.

كان طلبًا خطيرًا، وطلبت النحاتة ثلاث ليالٍ للنظر في إجابتها.

في الليلة الأولى لم تفكر في الأمر، فقد كان بالها منشغلاً بما يتعلق بنفسها، بعملها وراحتها والأشياء الصغيرة التي تجلب لها السعادة: العسل في الشاي، والنجوم في سماء الليل، والملاءات الكتانية على سريرها. في الليلة الثانية سألت البحر؛ لأن البحر أخفى في أعماقه أشياء كثيرة، لكنّ البحر ظلّ صامتاً.

في الليلة الثالثة، لم تنم، كانت تكوّن في رأسها قصة يمكن أن تخفي أي شيء، مهما كان، أعمق مما كان مخبئاً من قبل، حتى في أعماق البحر. وبعد ثلاث ليال عاد الرجل الذي يشبه الفأر.

- سأفعل ما طلبته، لكنني لا أريد أن أعرف ما الذي ترغب في إخفائه. سأوفر صندوقاً له. هل يفي الصندوق بالغرض؟
أوماً الرجل برأسه وشكر النحاة.

- لم يحن الوقت لتشكرني بعد، سيستغرق الأمر عامًا حتى نهايته. تعال بعد ذلك مع كنزك.

تجهم وجه الرجل ثم أوماً برأسه، وقال:

- إنه ليس كنزًا بالمعنى الحرفي للكلمة.

ثم قبّل يدها وهو يعلم أنه لن يتمكن أبدًا من دفع ثمن هذه الخدمة، تاركًا إياها لعملها.

كانت النحاة تكدح في عملها خلال هذه السنة، رفضت جميع الطلبات والأعمال الأخرى. لم تخلق قصة واحدة بل عدّة قصص. قصص داخل قصص. ألغاز ومنعطفات خاطئة ونهايات زائفة في الحجر والشمع والدخان. صنعت الأقفال ودمرت مفاتيحها. لقد نسجت روايات لما سيحدث، وما قد يحدث، وما حدث بالفعل، وما لا يمكن أن يحدث أبدًا، وطمستها جميعها مع بعضها. لقد جمعت بين عملها الحالي مع الحجر مع ما ابتكرته عندما كانت صغيرة، ومزجت العناصر التي من شأنها أن تصمد أمام اختبار الزمن مع العناصر التي قد تتلاشى بمجرد اكتمالها.

عندما انتهى العام عاد الرجل، سلمته النحاة صندوقًا منحوتًا ومزينًا بشكل متقن.

وضع الرجل الشيء الثمين الذي يحتاج إلى إخفائه بالداخل، ولم توضح له النحاة كيف يغلقه أو كيف يمكن أن يفتحه مرة أخرى. فقط هي التي عرفت ذلك.

- شكرًا لك!

وقبّل شفيتها هذه المرة، كأجر لها على عملها، وهو أقصى ما يستطيع دفعه، أخذت القبلة في المقابل واعتقدت أن ذلك عادل. ولم تسمع النحاة عن الرجل أي شيء بعد رحيله. وبقيت القصة في مكانها.

وبعد سنوات عديدة، وجد أولئك الذين كانوا يبحثون عما هو مخفيّ النحاة، وعندما أدركوا ما فعلته قطعوا يديها.

الفصل الثاني مكان آخر وزمان آخر

مدينة منسية الآن، منذ زمن بعيد جدًا

يقف القرصان -ربما كان هذا الوصف فقط كناية، إذ يبدو شخصًا عاديًا، ويواجه أحيانًا صعوبة في تجسيد الاثنين معًا- على الشاطئ، ويراقب السفن التي تبحر في بحر بلا النجوم بالقرب من هذا المرفأ.

لقد سمح لعقله بتصوير نفسه والفتاة بجانبه على متن إحدى هذه السفن، وتمكنا من الإبحار لمسافة بعيدة، ستصبح أبعد في المستقبل، بعيدًا عن هذا المرفأ ونحو مرفأ جديد. يتخيل ذلك بوضوح لدرجة اعتقاده أن هذا لا شك سيحدث. يمكنه أن يرى نفسه، بعيدًا عن هذا المكان، متحررًا من قواعده وقيوده، مقيدًا بشيء غيرها. يكاد يستطيع رؤية النجوم.

يسحب الفتاة بالقرب منه ليبقيها دافئة. يقبل كتفها، كأنه سيحتضنها مدى الحياة بينما في الحقيقة لم يتبق لهما سوى دقائق فقط. الوقت الذي يراه القرصنة في ذهنه ليس في المدينة الآن. ليس قريبًا حتى. السفن بعيدة عن الشاطئ، الأجراس خلفهما تدق ناقوس الخطر. يعلم القرصان، على الرغم من أنه لا يرغب في الاعتراف بذلك لنفسه، أنه لا يزال يتعين عليهما الابتعاد حتى الآن.

الفتاة -والتي تبدو كنايةً كذلك، متغيرة باستمرار تتخذ شكل فتاة في بعض الأحيان فقط- تعرف هذا أيضًا، ربما أفضل منه، لكنهما لا يناقشان مثل هذه الأشياء.

هذه ليست المرة الأولى التي يقفان فيها معًا على هذه الشواطئ كما أنها لن تكون الأخيرة. هذه قصة سيعيشانها مرارًا وتكرارًا، معًا وبشكل منفصل أيضًا.

القفص الذي يحتويهما كبير وبلا مفتاح، ليس بعد.

تسحب الفتاة القرصان بعيدًا عن وهج البحر الخالي من النجوم إلى الظل، لتحقيق أقصى استفادة من اللحظات المتبقية بينهما قبل أن يتدخل الوقت والقدر، ولمنحه المزيد من تذكرها.

بعد أن يتم العثور عليهما، عندما تقابل الفتاة موتها بعينين مفتوحتين ويتردد صدى صراخ عشيقها في أذنيها، قبل أن يدعوها الظلام الخالي من النجوم مرة أخرى، يمكنها أن ترى محيطات الزمن التي تبقى بين هذه النقطة وحريرتهما، واضحة وواسعة. وترى طريقة لعبورهما.

الكتاب الثالث

قصيدة سايمون وإليانور

تسمية الأشياء الجزء الأول

تحديق الفتاة الصغيرة بعيون بنية واسعة إلى كل شخص يأتي لمراقبتها. تحيط برأسها سحابة داكنة من الشعر المجعد والأوراق الشاردة مختبئة بداخله. تمسك بمطرقة الباب بالطريقة التي قد يتعامل بها طفل أصغر مع خشخاشة أو لعبة، بإحكام ووقاية.

وضعت على كرسي بذراعين في إحدى صالات العرض، وكأنها قطعة فنية. قدماها لا تلمسان الأرض، تم فحص رأسها وكان بعض القلق بشأن الإصابة، رغم أنها لا تنزف. تظهر كدمة بالقرب من صدغها، وينتشر لون مخضر على الجلد البني الفاتح. لا يبدو أنه يزعجها، تم إعطاؤها طبقًا من الكعك الصغير وأكلته على شكل قضمات صغيرة وشديدة.

سألوها عن اسمها، وبدا أنها لم تفهم السؤال، هناك بعض الجدل حول الكيفية التي يمكن أن تعمل بها الترجمات لشخص صغير جدًا - يتذكر القليلون الآن آخر مرة كان هناك طفل في هذا المكان - لكنها تتفهم الاستفسارات الأخرى: تهز رأسها عندما تسأل عما إذا كانت تشعر بالعطش أو الجوع. تبتسم عندما يجلب لها شخص ما دمية محشوة قديمة، أرنب بفرو رقيق وأذنين صغيرين. فقط عندما يتم تقديم الأرنب لها، تتخلى عن مطرقة الباب، ممسكة بالأرنب بنفس الشدة.

لا تتذكر اسمها أو عمرها أو أي شيء عن عائلتها. عندما سئلت عن كيفية وصولها إلى هناك، رفعت مطرقة الباب بنظرة شفقة في عينيها الكبيرتين، لأن الإجابة واضحة بشكل رهيب، لكن الناس لم يكتروا لذلك.

يتم تحليل كل شيء عنها، من صنع حذائها إلى لهجتها وذلك عندما يبدوون في إجبار الكلمات أو العبارات المنفردة على الخروج من فمها، لكنها نادرًا ما تتحدث وكل ما يمكن لأي شخص الاتفاق عليه هو أن هناك تلميحات عن أستراليا أو ربما نيوزيلندا، على الرغم من إصرار البعض أن اللهجة الطفيفة في لغتها الإنجليزية هي من جنوب إفريقيا. هناك عدد من الأبواب القديمة التي تركت غير مفهومة في كل بلد، ولم تغط الفتاة معلومات جغرافية موثوقة رغم أنها تتذكر الناس والجنيات والتنانين بنفس الوضوح. المباني الكبيرة والمباني الصغيرة والغابات والحقول وتصف المسطحات المائية ذات الحجم غير المعروف، والتي يمكن أن تكون بحيرات أو محيطات أو أحواض استحمام. ولا إشارة أو علامة واضحة عن أصلها.

خلال التحقيقات، كان هناك حقيقة غير معلنة؛ أنه لا يمكن بسهولة إعادتها إلى أي مكان سقطت منه إذا لم يعد بابها موجودًا.

هناك شائعات عن إعادتها عبر باب آخر، لكن لا أحد من السكان الذين يتناقصون شيئًا فشيئًا تطوع لمثل هذه المهمة، وتبدو الفتاة سعيدة بما فيه الكفاية، لا تشكو، ولا تطلب العودة إلى المنزل ولا تبكي على والديها أينما كانا.

تم إعطاؤها غرفة حيث كل شيء كبير جدًا بالنسبة إليها، وعثروا لها على ملابس ليست جيدة لكنها معقولة، ووفرت لها إحدى مجموعات الحياكة سترات وجوارب مغزولة من خيوط ملونة، إضافةً إلى أنه تم تنظيف حذائها وأعطوها زوجًا غيره من الأحذية؛ حيث تأكلت النعال المطاطية، حتى الثقوب المرقعة في حذائها تلفت مرة أخرى بعد الترقيع.

إنهم يطلقون عليها اسم الفتاة أو الطفلة أو اللقيطة، على الرغم من ذلك، يشير بعض السكان أصحاب المنطق، إلى أنها لم يتم التخلي عنها، ليس بقدر ما يعرف أي شخص، لذا فإن مصطلح اللقيط غير دقيق.

تفي نهاية المطاف، أطلق عليها اسم إليانور، ويقول البعض بعد ذلك إنها سميت على اسم ملكة أكيتاين، وزعم آخرون أن الاختيار كان مستوحى من جين أوستن، ولا يزال آخرون يقولون إنها استجابت ذات مرة لاسمي (إيلي) أو (أليرا) أو شيء من هذا القبيل. (في الحقيقة، فإن الشخص الذي اقترح الاسم انتزعه من رواية كتبها شيرلي جاكسون لكنه أهمل التوضيح بسبب المصير المؤسف لذلك الآخر، لإليانور في الرواية).

- هل لديها اسم؟

سأل الحارس دون أن يرفع عينيه عن مكتبه، وواصل قلمه التحرك عبر الصفحة.
- لقد اعتادوا مناداتها بإليانور.

وضع الحارس قلمه وتنفس الصعداء.

كرر الحارس إليانور، مشددًا على المقاطع الأخيرة، محوّلًا الاسم إلى تنهيدة أخرى.

التقط قلمه واستأنف كتاباته، كل ذلك دون إلقاء نظرة على الرسامة. ولم تتطفل الرسامة على الورق، ظنًا منها أن الاسم ربما يكون ذا معنى خاص بالنسبة إليه، لقد عرفت الحارس فقط منذ فترة قصيرة، وقررت أن تظل غير معنية في الأمر.

يتشرب هذا المرفأ الواقع على البحر الخالي من النجوم الفتاة التي سقطت عبر بقايا الباب بالطريقة التي امتصت بها الغابة الباب، فقد أصبحت جزءًا من المشهد، تتم ملاحظتها في بعض الأحيان، وفي الغالب كان يتم تجاهلها وتركها مع ما بحوزتها.

لم يتحمل أحد مسؤوليتها، وافترض الجميع أن شخصًا آخر سيفعل ذلك، وبالتالي لم يفعل ذلك أحد، إنهم جميعًا مشغولون بأعمالهم الخاصة، ومسلسلاتهم الدرامية الحميمة. إنهم يراقبون ويتساءلون بل ويشاركون ولكن ليس لفترة طويلة، ليس لأكثر من لحظات، لحظات هنا وهناك، متناثرة خلال الطفولة مثل الأوراق المتساقطة.

في ذلك اليوم الأول، على الكرسي، وقبل منحها الأرنب، أجابت إليانور على سؤال واحد فقط بصوت عال عندما سئلت عما كانت تفعله بمفردها.

قالت:

- أستكشف!

كانت تعتقد أنها تقوم بعمل جيد للغاية.

وجد زاكري إزرا رولينز نفسه في مصعد مع سيدة بشعر وردّي ومسدس، وهو متأكد تمامًا من أنها ارتكبت حريقًا متعمدًا بالإضافة إلى الجرائم التي ارتكبت بالفعل في ذلك اليوم، ورجل غير واع قد يكون قاتلًا أيضًا، وكان رأسه المتأرجح غير قادر على أن يقرر ما إذا كان يحتاج إلى قيلولة أو مشروب، أو

لماذا بالضبط يشعر الآن براحة أكبر مع هذه الصحبة في هذا المصعد أكثر مما شعر به من قبل.

- ماذا...؟

بدأ زاكري في الكلام، ثم لم يتمكن من فهم بقية الكلمات، لذا فهو يجيب عن سؤال ميرابيل بإيماءات يدوية تشير إلى البندقية في يدها وباب المصعد.

- سيجعل هذا الأمر الباب عديم الفائدة، أمل أن يستغرق الأمر بعض الوقت للعثور على باب آخر. لا تنظر إلي هكذا!

- أنتِ تصوبين مسدسًا نحوي!

تنظر ميرابيل إلى يدها، ثم تضع المسدس في حقيبتها:

- أنا آسفة، إنه قطعة أثرية مع رصاصة واحدة، وسينضب دمك معها! نظرت ميرابيل خلف أذن زاكري وأخرجت من جيبها منديلًا مطبوعًا عليه ساعات. مسحت به وكان متشاحًا بالدم أكثر مما كان يتوقع.

- الأمر بهذا السوء! فقط احتفظ بهذا، سنقوم بتنظيفه لاحقًا، قد يترك هذا ندبةً لديك، ولكن بعد ذلك سنكون توءمين.

رفعت ميرابيل شعرها لتظهر له الندبة خلف أذنها، والتي لاحظها في وقت سابق، ولم يسألها كيف أصيبت بها.

- ما الذي يجري هنا؟

- هذا سؤال معقد يا إزرا! أنت متوتر للغاية، أظن أن وقت الشاي لم يكن ممتعًا لك!

- أليغرا هددت بقتل والدتي!

وشعر زاكري أن ميرابيل حاولت تشتيت انتباهه لإبقائه هادئًا.

- هل فعلت ذلك؟

- لقد عنتُ ما تقول، أليس كذلك؟

- بلى، لكن هذا التهديد كان مرتبطًا بإخبار أي شخص عن وجهتنا، أليس كذلك؟

أومأ زاكري برأسه.

نظرت ميرابيل إلى دوريان:

- لديها أولوياتها، ربما يفضل أن نبقي هنا لبضعة أيام، يمكنني القيام ببعض الاستطلاع. لن تفعل أليغرا أي شيء إلا إذا شعرت أنه ليس لديها خيار آخر. لقد أتاحت لها فرصًا للتخلص منا نحن الثلاثة، ونحن على قيد الحياة ونتنفس.

- لكنها في الحقيقة تقتل الناس أليس كذلك؟

- إنها توظف أشخاصًا للقيام بالعمل الذي يتطلب إراقة الدماء، ودوريات مثال على ذلك.

- هل أنت جادة؟

مدت ميرابيل يدها إلى حقيبتها:

- هل تريد سماع قصة أخرى؟

- كلا، لست بحاجة إلى قصة أخرى.

قال زاكري بينما يعود طعم الفارس وقلوبه المحطمة إلى لسانه متذكرًا المزيد من التفاصيل: النقش المزخرف على درع الفارس، أمسية الصيف التي تزهو بالياسمين. جميعها مشوشة في ذهنه، كذكرى أو حلم أسير في السكر ويهدئه بشكل غير متوقع.

جلس زاكري مرة أخرى على المقعد المخملي الباهت، وأمال برأسه على جدار المصعد شاعرًا به يهتز، الثريا الموجودة في الأعلى تتحرك وتصيبه بالدوار، حتى يغمض عينيه وتخرجه ميرابيل من دوخة النعاس عندما تخاطبه.

ميرابيل:

- إذا أخبرني قصة، لماذا لا تبدأ من البداية وتخبرني كيف وصلنا إلى هنا. يمكنك تخطي جزء ما قبل الطفولة، فأنا أعرف ذلك الجزء بالفعل.

تنفس زاكري الصعداء وبدأ في الحديث.

زاكري:

- لقد وجدت هذا الكتاب في مكتبة.

وعاد زاكري إلى الوراثة للحظة عثوره على كتاب الأحزان العذبة.

ميرابيل:

- أي كتاب؟

تردد قليلاً لكنه بدأ بوصف الأحداث التي أدت إلى الحفلة منذ بداية عثوره على الكتاب، وحتى وقت الحفلة. رسم تخطيطي قصير للأيام السابقة وهو منزعج من ضالة الوقت الذي يستغرقه الحديث، وكيف أنه لا يبدو بهذا القدر من الأهمية عندما يتم تقطيعه في أحداث فردية.

ميرابيل:

- ماذا حدث للكتاب؟

قال زاكري ناظرًا إلى دوريان:

- اعتقدت أنه بحوزته.

يبدو دوريان الآن نائمًا أكثر من كونه فاقداً للوعي، ورأسه يستقر على حافة المقعد المخملي.

تبدأ ميرابيل التفتيش في جيوب دوريان، فتخرج مجموعة من المفاتيح، وقلم حبر جافاً، ومحفظة جلدية رفيعة تحتوي على مبلغ كبير من النقود، وبطاقة مكتبة نيويورك العامة باسم (ديفيد سميث) إلى جانب عدد قليل من بطاقات العمل بأسماء أخرى ومهن أخرى، والعديد من البطاقات الفارغة عليها صور نحل. لا بطاقات ائتمان ولا هوية ولا كتاب. تأخذ ميرابيل بضعة فواتير من محفظة دوريان وتعيد باقي أغراضه في جيوبه.

زاكري:

- لم أخذتها؟

- بعد كل ما قمنا به لإنقاذه، فإنه سيدفع ثمن قهوتنا. انتظر، كلانا تناول

النشاي، أليس كذلك؟ في كلتا الحالتين، الدفع مسؤوليته!

- ماذا تعتقد أنهم فعلوا به؟

- أعتقد أنهم استجوبوه، وأعتقد أنهم لم يحصلوا على الإجابات التي

يريدونها فخدروه وربطوه ليعطي هذا تأثيراً درامياً، ثم انتظرونا حتى

نظهر، لا تخف يمكنني مساعدته بمجرد أن ندخل.

توقف المصعد عند الإشارة التي ضغطوا عليها من قبل، وانفتحت الأبواب،

لتكشف عن غرفة الانتظار. حاول زاكري تحديد الشعور فور الوصول، ولم

يتمكن إلا بالتفكير في أنه إذا كانت الشقة الواقعة فوق متجر والدته في نيو

أورلينز لا تزال موجودة، فقد يشعر بهذا الشعور مرة أخرى، لكنه لا يستطيع

معرفة ما إذا كان ذلك هو الحنين إلى الماضي أو الارتباك، وحاول ألا يفكر في الأمر كثيرًا؛ لأن ذلك يؤذي رأسه أكثر.

رفع زاكري وميرابيل دوريان باستخدام نفس نظام موازنة الوزن غير المناسب كما فعلنا قبل. لم يساعدهما دوريان على الإطلاق في الحركة إلى الأمام. وسمع زاكري صوت إغلاق المصعد، تمنى لو يتوجه إلى أي مكان يقطن فيه لا يكون مشغولًا بالرجال الفاقدين للوعي والسيدات ذوات الشعر الوردي والسياح المرتبكين.

مدت ميرابيل يدها لمقبض الباب، وتحول المزيد من وزن دوريان على عاتق زاكري، وكان مقبض الباب لا يعمل.

أغلقت ميرابيل عينيها وأمالت برأسها وكأنها تستمع لشيء ما:
- اللعنة!

- ماذا يجري؟

وتوقع زاكري أن أحد المفاتيح العديدة الموجودة حول رقبتها قد يحل المشكلة.

أومأت ميرابيل برأسها نحو دوريان:

- لم يكن هنا من قبل، إنه جديد على المكان!

قال زاكري متفاجئًا:

- حقًا!

- عليه أن يؤدي امتحان القبول.

- مع النرد والشراب، كيف يفترض أن يفعل ذلك؟

- لن يفعل ذلك، سنقوم بذلك نيابةً عنه.

- سنذهب إلى...؟

لم يكمل زاكري سؤاله، وفهم ما عنته ميرابيل قبل أن ينهي السؤال.

- سأقوم بأحدهما، هلاً تقوم بالآخر!

- بالتأكيد، أعتقد أنني أستطيع ذلك.

غادر زاكري تاركًا ميرابيل ممسكةً بدوريان واستدار إلى التجويفين. اختار النرد، غالبًا لأنه يتمتع بخبرة أكبر في استخدام الزهر أكثر من السائل

الغامض، لم يكن متأكداً من رغبته في شرب المزيد من السائل الغامض، ولم يكن من الصواب سكبته مجدداً.

قالت ميرابيل عندما وصل زاكري للكوة الصغيرة لدرجته مجدداً:

- ركز على القيام بذلك من أجله، وليس من أجلك أنت.

أمسك زاكري بزهر النرد وأخطأ، وأمسك بالهواء بجانبهم بدلاً من ذلك. لا بد أنه مرهق أكثر مما كان يعتقد. حاول مرة أخرى وأخذ أحجار النرد في يده وفركها بين أصابعه. إنه لا يعرف الكثير عن دوريان، ولا يعرف حتى اسمه الحقيقي، لكنه أغلق عينيه واستحضر الرجل في ذهنه: مزيج من المشي في الشوارع في البرد مع الورد في طية صدر السترة، والورق ورائحة الليمون والتبغ في الظلام في الفندق، والنفس المارق على رقبتة، ترك أحجار النرد تتساقط من راحة يده، فتح عينيه، والأحجار تدور وتدور بين ناظريه لكنها استقرت بعد ذلك.

مفتاح، نحلة، سيف، تاج، قلب، وريشة واحدة.

استقرت أحجار النرد وتوقفت، وقبل أن يتوقف الأخير تمامًا عن التحرك سقط من الكوة واختفى في الظلام.

- على ماذا حدث؟ انتظر! دعني أؤمن: سيوف و... مفاتيح، ربما!

- واحد من كل واحد منها، أعتقد، ما لم يكن هناك أكثر من ستة أشياء.

- ها!

قالت ميرابيل بنبرة لم يستطع زاكري تفسيرها، كانت تسلمه حمل دوريان مجدداً، فهاجمته فجأة ذكرى القصص، طازجة في ذهنه وباغتته رائحة الليمون الباهتة. الجو هنا أكثر دفئاً مما يتذكره زاكري وأدرك أنه فقد معطفه المستعار في مكان ما.

على الجانب الآخر من الغرفة، التقطت ميرابيل الزجاج المغطى ونظرت إليه بعناية قبل كشفه وشربه، ارتجفت واستبدلت الزجاج في الكوة.

سألها زاكري وهي تلتقط ذراع دوريان مرة أخرى:

- كيف كان طعمها عندما شربتها؟

- ممم، عسل وتوابل وفانيليا زهر البرتقال.

ركلها ركلة خفيفة وقال:

- لكن لماذا؟

مستذكراً طعم المشروب الذي شربه وأن قائمة الملاحظات ليست عادلة.

- مذاقه مثل النبيذ والملح والدخان، لكنه كان سيشرّبها، دعنا نر ما إذا كان ذلك سيعمل.

وُفُتِحَ الباب هذه المرة.

ارتاح زاكري ارتياحاً مؤقتاً، وأدرك إلى أي مدى يتعين عليهم قطع الطريق عند دخولهم القاعة العملاقة.

- الآن سجّلنا دخوله، سنتناول أنت وأنا مشروباً حقيقياً، إننا نستحقه!

مشياً إلى مكتب الحارس، واسترعى مرورهما انتباه عدد قليل من القطط الفضوليّة التي تنظر من وراء أكوام الكتب والثريات لمشاهدتهما يتقدمان.

- انتظر هنا!

وقالت ميرابيل هذا، ونقلت وزن دوريان كله إلى كتف زاكري ومرة أخرى كان ثقيلاً بشكل مدهش، ولكن زاكري لم يكن يكثر حينها. سألت:

- دعنا نُقل تسلسلاً ورقياً. أليس كذلك؟

- لا أعتقد أن هذا المصطلح ينطبق على النرد.

هزت ميرابيل كتفيها وتوجهت إلى مكتب الحارس ولم يتأنّ لزاكري أن يسمع معظم المحادثة، فقد كانت الكلمات والعبارات توضح أنها أكثر من مجرد محادثة، ثم اهتزّ الباب ومشى الحارس باتجاهه.

لم يلق الحارس حتى نظرة واحدة على زاكري وركز انتباهه على دوريان، وسحب رأسه إلى أعلى ونظف شعره من الملح والفلفل الكثيف على صدغيه، ثم حدق إليه بفحص بصري أكثر شمولاً مما تلقاه زاكري بنفسه.

قال الحارس:

- ألقيت بأحجار النرد لأجله؟

- نعم.

- ألقيتها لأجله على وجه التحديد، لم تتركها تتساقط ببساطة؟

- نعم، هذا صحيح؟ هل كان ذلك جيداً؟

موجّهاً نصف سؤاله إلى الحارس والنصف الآخر إلى ميرابيل، التي تبعت الحارس خارج المكتب وحقائب زاكري معلقة على كتفها وبوصلة ومفتاح يتدليان من سلاسل في يدها.

- إن ذلك غير طبيعي!

قال الحارس لكنه لم يشرح بالتفصيل، وبدا أنه اختتم بإطلاعه دوريان على ما يريد قوله، واستقر رأس دوريان على كتف زاكري. ودون أي كلمة أخرى استدار الحارس ومشى متجاوزًا ميرابيل عائداً إلى مكتبه وأغلق الباب. تبادل الحارس نظرةً مع ميرابيل في أثناء مروره بها لكن زاكري لم ير سوى نظرة ميرابيل وتعبيرها الذي لا يعطي شيئاً واضحاً بما يكفي لتفسيره.

- عن ماذا كان ذلك؟

سأل زاكري وكانت ميرابيل تساعد في حمل دوريان مرة أخرى، بعد إضافة حقيبته إلى مجموعة الحقائب.

قالت ميرابيل، ولم تنظر إلى عيني زاكري مباشرةً:

- لست متأكدةً، رمية نرد خاطئة، مع احتمالية ضعيفة بتحقيق الهدف ربما، دعنا نأخذه إلى غرفته، انتبه ألا تتعثر بالقطط.

شقوا طريقهم إلى القاعات التي لم يرها زاكري من قبل: أحدها مطلي بالنحاس، وآخر به كتب معلقة بحلقات من الحبال، وبعضها ضيق جداً بحيث لا يستطيعون المشي ثلاثة جنباً إلى جنب، لذا تعين عليهم المرور من الجوانب. كل شيء يبدو أكبر وأكثر غرابة مما يتذكره زاكري، المزيد من الظلال التي تلوح في الأفق والمزيد من الأماكن والكتب لتضيع فيها. يبدو أن الممرات تتحرك وتتأرجح في اتجاهات مختلفة مثل الثعابين، وحاول زاكري أن يُبقي عينيه متاهبتين على الأرض أمامهم ليكون على استعداد لأي شيء.

وصلوا إلى قاعة ملانة بطاولات وكراسي مقهى، كلها سوداء ومكدسة بالكتب ذات الحواف المذهبة، تحتوي إحدى الطاولات على قطة وهي عبارة عن قطعة فضية صغيرة ذات أذنين مطويتين وعيون صفراء تنظر إليهم بفضول. الأرضية مرصوفة باللون الأسود والذهبي بنمط شبيه بالجدوع. تتسلق بعض أشجار الكرمة القرميدية الجدران، وتغطي الحجر حتى السقف المنحني. تسحب ميرابيل مفتاحاً وتفتح باباً بين جدوع الكرمة، وخلفها توجد غرفة تشبه غرفة زاكري تماماً ولكن باللون الأزرق، والأثاث مطلي باللون الأسود. الغرفة ليست ممزوجة تماماً بأنواع الفن والزخرفة ورائحتها تشبه الدخان. البلاط الموجود على الأرضية ذو مربعات لم تتم تغطيته بالسجاد.

موقد النار صغير ومقوس. يتدلى عدد من المصابيح غير المظلمة من الحبال المعلقة من السقف تتوهج بخفوت.

وضع زاكري وميرابيل دوريان على السرير، وقد لاحظا وسادة مغطاة بالزغب ومروحة، شعر زاكري بالدوار مرةً أخرى، جنبًا إلى جنب مع إدراكه مدى الألم في ذراعيه، وفهم من النظرة على وجه ميرابيل وهي تُدلك كتفها أنها من المحتمل أن تشاركه الشعور.

- نحن بحاجة إلى قاعدة حول فقدان الوعي هنا، أو ربما نحتاج إلى عربات يدوية.

تتوجه ميرابيل إلى لوحة بالقرب من موقد النار، خَمَن زاكري ما هي على الرغم من أنها أرفع، وأملس من الخزانة التي كانت لديه.

- هل لك أن تخلع عنه حذاءه ومعطفه!

سألت ميرابيل زاكري وهي تكتب على قطعة من الورق.

خلع زاكري حذاء دوريان عنه ليكشف تحته عن جوارب أرجوانية زاهية بأصابع قدم متماسكة بشكل فردي، ثم فك عنه معطفه بحذر ولاحظ أن الزهرة الورقية تالفة جزئيًا في طية صدر السترة. وبينما كان يضع المعطف على كرسي، إذ حاول أن يحافظ على الوردة كي لا يسحقها، مدرِّكًا أنه يستطيع قراءتها على الرغم من أنه يتذكر أن الكلمات كانت باللغة الإيطالية.

لا تخافوا! لا يمكن لقدرنا أن ينتزع منّا، إنه هبة!

بدأ يسأل ميرابيل عن الترجمات دون استخدام كلمة (س...)، وبينما يتأرجح النص من الإنجليزية إلى الإيطالية ويعود مرةً أخرى، إذ يشتدّ الدوار في رأس زاكري، نظر إلى أعلى وبدت الغرفة متموجة، وكأنه تحت الماء وليس فقط تحت الأرض. فقد توازنه، ومدَّ يده إلى الحائط ليثبت نفسه لكنه لم يقوَ على ذلك.

استدارت ميرابيل إثر سقوط المصباح.

- لم تشرب أي شيء وأنت مقيد، أليس كذلك؟

حاول زاكري أن يردَّ على سؤالها لكنه اصطدم بالأرض بدلًا من ذلك.

الفتاة ليست أرنبا، الأرنب ليس فتاة

تتجول الفتاة التي ترتدي قناع الأرنب في أزقة المرفأ، تفتح الأبواب وتزحف تحت المكاتب وتقف في منتصف الغرف، وتحقق إلى الأمام بهدوء أحيانا لفترات طويلة. تدهش أولئك الذين يتعثرون بها، رغم ندرة حدوث ذلك.

القناع شيء جميل وعتيق ومن المحتمل أن يكون من مدينة البندقية، على الرغم من أن لا أحد يتذكر أصله. أنف وردي باهت، محاط بشعيرات حقيقية ونقوش ذهبية. تمتد الأذنان فوق رأس الفتاة، مما يجعلها تبدو أطول مما هي عليه، لونها أحمر ناعم، وردي مذهب يعطي انطبعا بالإنصات، تلتقط الأذنان كل صوت يكسر الصمت حولها، ذلك الصمت الذي يستقر مثل ملاءة فوق هذا المكان في مثل هذا الوقت.

هي معتادة هذا المكان الآن. تعرف ضرورة أن تمشي بهدوء وخفة حتى لا يتردد صدى خطواتها، وهي مهارة تعلمتها من القطط رغم أنها لا تستطيع أن تجعل خطواتها صامتة تماما مهما حاولت جاهدة.

ترتدي سروالا قصيرا جدا وسترة كبيرة جدا، وتحمل حقيبة كانت تخص جنديا ميتا منذ فترة طويلة، لم يكن ليتخيل قط أن تنتهي حقيبته على أكتاف ضيقة لفتاة بزّي أرنب تستكشف غرقا تحت الأرض منعت علانية من دخولها.

يوجد في الحقيبة قربة ماء، حزمة من البسكويت ملفوف بعناية، منظار به عدسة مخدوشة، دفتر ملاحظات فارغ في الغالب، عدة أقلام، وعدد من النجوم الورقية المطوية بعناية من صفحات دفتر ملاحظات ملانة بالكوايبس.

أضاعت الفتاة النجوم في الزوايا البعيدة، تاركة مخاوفها وراء رفوف الكتب ومطوية في المزهريات، منثورة في تخيلات خفية، إنها تفعل ذلك بالكتب أيضا؛ حيث تزيل الصفحات التي لا تهتم بها وترسلها إلى الظل حيث تنتمي. تلعب القطط بالنجوم، وتلقي بالأحلام السيئة أو النثر غير المريح من مكان خفي إلى آخر، وتغير أنماط النجوم.

تنسى الفتاة الأحلام بمجرد أن تتركهم في حال سبيلهم، وتضيف إلى القائمة الطويلة للأشياء التي لا تتذكرها في غالب الأوقات: ما الوقت الذي من المفترض أن تذهب فيه إلى الفراش، أين تضع الكتب التي بدأت بقراءتها ولم تنهها، الوقت قبل مجيئها إلى هذا المكان.

في الماضي كانت تتذكر الغابة مع الأشجار والطيور، تتذكر أنها كانت مغمورة في ماء حوض الاستحمام تحديق إلى سقف أبيض مختلف عن الأسقف هنا. يبدو ذلك مثل تذكر فتاة أخرى، فتاة في كتاب قرأته وليست فتاة كانت هي نفسها يومًا ما.

الآن هي شيء مختلف باسم مختلف في مكان مختلف.

الأرنب إيانور مختلف عن إيانور العادية.

تستيقظ إيانور العادية في وقت متأخر من الليل وتنسى مكانها، تنسى الفرق بين الأشياء التي حدثت والأشياء التي قرأتها في الكتب، والأشياء التي تعتقد أنها ربما حدثت وربما لم تحدث، وتنسى إيانور العادية أحيانًا في حوض الاستحمام بدلًا من سريرها.

تفضل الفتاة أن تكون أرنبًا، نادرًا ما تزيل قناعها.

تفتح أبوابًا قيل لها ألا تفتحها وتكتشف غرفًا بجدران تحكي قصصًا وغرفًا بها وسائل لقيولة مطرزة بقصص ما قبل النوم، وغرفًا بها قسط وغرفة بها البوم وجدتها مرة واحدة فقط، وبابًا واحدًا لم ينبغ لها فتحه في المكان المحترق. وجدت المكان المحترق؛ لأن شخصًا ما وضع رفوفًا طويلة أمامه بما يكفي لإبعاد الأشخاص الكبار، ولكن ليس لإبعاد فتيات متنكرات بزّي أرنب، فكانت تزحف أسفل الرفوف وتمرّ.

احتوت الغرفة على كتب محترقة وغبار أسود وشيء ربما كان قطة في يوم من الأيام ولكنه لم يعد كذلك.

الباب كان عاديًا به ريشة نحاسية لامعة موضوعة في المنتصف، فوق رأس الفتاة. كان الباب هو الشيء الوحيد في الغرفة الذي لم يكن مغطى بالغبار الأسود. اعتقدت الفتاة أن الباب ربما كان مخبأً خلف جدار محترق مع بقية الغرفة، وتساءلت: لماذا يخفي أي شخص بابًا خلف الحائط!

رفض الباب أن يفتح، وعندما استسلمت إيانور بسبب الإحباط والجوع وعادت إلى غرفتها، وجدتها الرسامة مغطاة بالرماد والفحم وأخذتها إلى الحمام، لكنها لم تعرف ما الذي خاضته إيانور؛ لأن الحريق حدث منذ زمن بعيد قبل مجيء الرسامة نفسها.

تتابع إيانور الاقتراب من الباب جيئةً وذهابًا، تجلس وتحديق إليه، وتحاول الهمس عبر ثقب المفتاح لكنها لم تتلق ردًا.

تقضم البسكويت في الظلام، دون إزالة قناع الأرنب، ذلك أنه لا يغطي فمها، وهو أحد الأسباب العديدة التي تجعل قناع الأرنب هو أفضل قناع. تريح رأسها على الأرض الأمر الذي جعلها تبدأ بالعطاس لكنها استطاعت بعد ذلك رؤية أصغر شظية من الضوء. مر ظل عبر الباب ولكنه اختفى مرة أخرى مثل القلط التي تمر بغرفتها في أثناء الليل.

وضعت إليانور أذنها على الباب لكنها لم تسمع شيئاً، ولا حتى مواء قطة. أخذت دفترًا وقلماً من حقيبتها، وقررت ما ستكتبه ثم دوّنت رسالة بسيطة وقررت أن تتركها دون توقيع، لكنها غيرت رأيها بعد ذلك، ورسمت وجه أرنب صغير في الزاوية. الأذنان ليستا متساويتين كما تريد، ولكن يمكن التعرف عليهما كأذني أرنب وهو الجزء المهم.

مزقت الصفحة من دفتر الملاحظات وقامت بطيها، ضغطت على التجاعيد في الورقة ومسدهتها لتبقيها مسطحة قد الإمكان ومررت الورقة من تحت الباب، توقفت في منتصف الطريق، ودفعتها بقوة إضافية ومررتها إلى داخل الغرفة.

انتظرت إليانور، لكن لا شيء حدث رغم انتظارها، ملّت، فغادرت! إليانور الآن في غرفة أخرى، تعطي قطعة بسكويت لقطعة، كادت تنسى الملاحظة الورقية التي كتبتها. وفتح الباب، مستطيل من الضوء انسكب على المكان المغطى بغبار الفحم وظلّ الباب مفتوحًا للحظة ثم أغلق ببطء.

* * *

زاكري إزرا رولينز، نصف مستيقظ يسعل تحت الماء بسبب طعم العسل في فمه.

- ما الذي شربته؟

سمع زاكري صوت ميرابيل من بعيد ولكن عندما أغلق عينيه وفتحها كانت على بعد خطوة من وجهه، تحديق إليه، ولكن الصورة عنده ضبابية مشوشة، شعرها مضاء من الخلف بهالة من اللون الوردية، أدرك أن نظارته اختفت، وكررت ميرابيل سؤالها له:

- ماذا شربت؟

وتتكرر الضبابية تحت الماء وتساءل زاكري عمّا إذا كان لدى حوريات البحر شعر وردي.

قال زاكري الكلمات ببطء كالعسل المتقطر:

- لقد قدّمت لي الشاي، شايًا مريبًا.

سألته ميرابيل بتعجب:

- وهل احتسيته؟ هل ترغب بالمزيد من العسل؟

هزّ زاكري رأسه موافقًا.

وضعت ميرابيل على شفّتيه وعاء مملوءًا بالعسل، العسل وربما القرفة والقرنفل، إنه سائل يكفي للشرب، وطعمه مثل دواء السعال في ليلة عيد الميلاد. غالبًا لا يعرف الشتاء العطل غير الرسمية الطويلة، تذكر زاكري (نارنيا) بينما يستمر سعاله، ولكن بعد ذلك أجبرته الأميرة (بابلغم)، أو أجبرته ميرابيل، على شرب المزيد.

ميرابيل:

- لا أستطيع أن أصدق أنك كنت بهذا الغباء.

قال زاكري محتجًا بكلمات بوتيرة طبيعية:

- لقد شربت هي أولًا، لقد سكبت الكوبين.

- واختارت الكوب الذي حصلت أنت عليه. أليس كذلك؟

أوما زاكري رأسه موافقًا لما قالت ميرابيل.

ميرابيل:

- كان السم في الكوب وليس الشاي، هل شربت الكوب كله؟

- لا أعتقد ذلك.

أصبحت الغرفة أكثر وضوحًا، وأدرك أنه لم يفقد نظارته، فهي على وجهه وتلاشى الشعور بالضيق تحت الماء. جلس على كرسي بذراعين في غرفة دوريان الفنية المؤثثة بشكل لافت بينما دوريان نائم على السرير.

- منذ متى وأنا... هنا؟

بدأ زاكري في السؤال لكنه لم يجد الكلمة لإكمال سؤاله، على الرغم من أنه

يعرف أنها كلمة صغيرة: خ، خا، خخ.

- منذ بضع دقائق، يجب أن يكون لديك المزيد من ذلك!

خارجًا، كانت هذه هي الكلمة، كلمة صغيرة مختبئة، شرب زاكري من السائل مرة أخرى ولم يستطع أن يتذكر ما إذا كان يحب العسل أم لا.

خلفه كان يدق الجرس الصغير، ذهب ميرابيل للتحقق من ذلك، أزال صينية ملائنة بالقوارير والأوعية ومنشفة وعلبة أعواد ثقاب.

- أشعل هذا وضعه على المنضدة، من فضلك.

ثم أعطته أعواد الثقاب ومخروطاً من البخور بموقد خزفي. أدرك زاكري أنه اختبار فور محاولته إشعال الفتيل، فشل أولاً، واستغرق ثلاث محاولات حتى نجح في ذلك.

حمل زاكري عود الكبريت المضاء ليضعه في البخور، متذكراً جميع الأوقات التي قام فيها بنفس الإجراء مع والدته. ركز على تثبيت يده، وهو أمر أصعب مما ينبغي ثم ترك البخور يتقد مع النار قبل أن ينفخ برفق على اللهب، كانت الرائحة غنية وفورية الانتشار ولكنها غير مألوفة. حلوة ولها تأثير النعناع.

- ما هذا؟

سأل زاكري وهو يضعها على منضدة السرير الذي تطاير الدخان فوقه، خفّ اهتزاز يديه فجلس مرة أخرى وأخذ رشفة إضافية من خليط العسل، الآن أدرك أنه يحبه.

- لا فكرة لدي!

أجابته ووضعت سائلاً على المنشفة الصغيرة، ثم وضعتها على جبين دوريان.

- يوجد للمطبخ عربات نقل طعام، وهي جيّدة، هل تعرف شيئاً عن المطبخ؟

- نعم، لقد عرفته وطلبت منه.

- لا تحتوي طلباتهم على البخور عادة إلا إذا كان الطلب جيّداً.

تجهم وجه ميرابيل قليلاً بسبب الدخان المنتشر ونظرت إلى دوريان، وقالت:

- ربما يكون هذا لكليكما!

- لم حاولت أليغرا تسميمي؟

- هناك احتمالان: أولاً، كانت ستطردك وترسلك مرة أخرى إلى فيرمونت حتى تستيقظ بقلق خفيف، وإذا كنت ستتذكر أي شيء كنت ستعتقد أنه حلم.

- والسبب الثاني!

- كانت تحاول قتلك والتخلص منك.

- عظيم! وهل هذا ترياق؟

- لم أصادف قط سماً لا يمكن مواجهته، أنت تشعر بتحسن بالفعل، أليس كذلك؟

- مجرد تشويش قليل، لقد قلت إنّ دوريان حاول قتلك ذات مرّة!

- لم ينجح بذلك.

وقبل أن يطلب منها زاكري أن تشرح بالتفصيل سمعا طرّقاً على الباب المفتوح. توقع زاكري أن يكون الحارس لكنه وجدها امرأة شابة تبدو قلقة. هذه الفتاة في سنه تقريباً، مشرقة وقصيرة بشعر داكن مصفف على شكل صفائر توطر وجهها ولكنها تركت على حالها في الخلف.

ترتدي نسخة بلون عاجي من رداء الحارس ولكن أبسط، باستثناء التطريز المعقد باللون الأبيض على الأكمام والحاشية والياقة. تنظر بتساؤل إلى زاكري ثم تستدير إلى ميرابيل وترفع يدها اليسرى، ملوحة بكفها جانباً وتبسطها بعد ذلك. عرف زاكري دون أن تتكلم أنها تستفسر عما يجري.

قالت ميرابيل وتفاجأت الفتاة:

- لقد خضنا مغامرات يا رايم، كان هناك عملية إنقاذ جسورة وصعبة، وشاي ونار، وتسمم البعض منّا، هذا زاكري، زاكري هذه رايم.

وضع زاكري اثنتين من أصابعه على شفثيه وأمال برأسه للتحية تلقائياً، مع العلم أن هذه الفتاة يجب أن تكون مساعدة وتذكر إيماءة الأحزان العذبة، حالما فعل ذلك شعر بالغباء لافتراضه، لكنّ عيني رايم لمعنا وتلاشى العبوس عن وجهها. ووضعت يدها على صدرها وأمالت برأسها في المقابل.

- حسناً، يبدو أنكما تتماشيان معاً.

لاحظت ميرابيل، وألقت نظرة فضوليّة على زاكري قبل أن تعيد انتباهها إلى دوريان، ورفعت يدها لإجبار الدخان المتصاعد من البخور على الاقتراب، دوائر منه تلتفّ متتبعه حركات أصابعها وتنجرف على طول ذراعها. قالت:

- هناك شيء مشترك بينك وبين رايم، لقد وجدت رايم أبًا مطلقًا عندما كانت صغيرة، لكنها فتحت بابها، كان هذا قبل ثماني سنوات؟

هزّت رايم رأسها ورفعت جميع أصابعها دلالةً على عشر سنوات. فقالت ميرابيل:

- إنك تجعليني أشعر بالشيخوخة.

١٠ - ألم تعودي إلى المنزل؟

سأل زاكري، وندم على الفور مع تلاشي الضوء عن وجه رايم، وقاطعته ميرابيل قبل أن يتمكن من الاعتذار:

- هل كل شيء على ما يرام يا رايم؟

أومأت رايم برأسها مجددًا، وهذه المرة لم يستطع زاكري تفسير إيماءتها، حركات بالأصابع تنتقل من يد إلى أخرى، ومهما كانت تعني تلك الحركات فإنّ ميرابيل تفهمها على حد سواء. وقالت ميرابيل:

- نعم، إنها بحوزتي!

استدارت ميرابيل ناحية زاكري وقالت له:

- نرجو أن تعذرنا للحظة يا إزرا، وإذا لم يستيقظ دوريان في الوقت الذي ينطفئ فيه البخور، أرجوك أن تشعل بخورًا جديدًا، هلاً تفعل ذلك! لن أطيل غيابي.

- بالتأكيد!

وتبعت ميرابيل رايم خارج الغرفة، أخذت حقيبتها من فوق الكرسي وذهبت. حاول زاكري أن يتذكر ما إذا بدا على الحقيبة احتوائها على شيء كبير وثقيل في وقت سابق؛ لأنها بالتأكيد تحوي شيئًا ما الآن. لكن ميرابيل ذهبت بها قبل أن يتمكن من إلقاء نظرة أخيرة عليها.

بقي زاكري وحيدًا مع دوريان، شاغلًا نفسه بمشاهدة تموجات الدخان تطوف في الغرفة، تحوم فوق الوسائد وتصعد نحو السقف، حاول أداء نفس الإيماءة الساحرة الأنيقة التي استخدمتها ميرابيل لتحريك الدخان في الاتجاه

الأيمن، لكنه بدأ فقط يلف ذراعه بدلاً من ذلك ويلتف حول رأسه وكتفه التي لم تعد تؤلمه، حتى إنه لا يتذكر متى توقفت عن إيلامه.

انحنى زاكري فوق دوريان لضبط القماشة على جبهته، كان الزران العلويان لقميص دوريان مفتوحين، ولا بد أن ميرابيل فعلت ذلك ربما لتسهيل التنفس عليه. حدّق زاكري نهابًا وإيابًا عبر تموجات الدخان إلى ياقة دوريان المفتوحة ثم تغلب عليه فضوله.

بدا الأمر وكأنه تطفل، على الرغم من أنه يستطيع التعدي على زر واحد، ومع ذلك لا يزال زاكري مترددًا وهو يقوم بفك الزر، متسائلًا عما قد يفعله دوريان إذا قال له زاكري متذرعًا:

- كنت أبحث عن سيفك.

تفاجأ زاكري بعدم وجود سيف مزخرف على صدر دوريان وشعر بخيبة أمل. كان زاكري يتساءل كيف يبدو السيف أكثر من كونه غير موجود على الإطلاق. كشفت فتحة الزر الإضافي بضع إنشآت أخرى من الصدر ذي العضلات الجيدة المغطى بكمية لا بأس بها من الشعر، والعديد من الكدمات، ولكن دون حبر، ولا شيء يميزه كوصي. ربما لم يعودوا يدمون هذا التقليد، وتم استبدال السيوف الفضية بها، مثل ذلك الذي تحت سترته. ما مقدار حقيقة كتاب الأحزان العذبة، ومقدار حقيقة ما تغير؟ وكم تغير مع مرور الوقت؟

أغلق زاكري الزر الإضافي، ملاحظًا شيئًا من الحبر في الأعلى حول أكتاف دوريان. تغطي حافة الوشم ظهره ورقبته، لكنه تمكن فقط من تمييز أشكال تشبه الفروع في الضوء.

تساءل عن الخط الفاصل بين مراقبة شخص فاقد للوعي ومشاهدة شخص ما وهو ينام وقرر أنه ربما ينبغي له القراءة. إن فكر بالمطبخ فسيشرب حتمًا، لكنه ليس عطشان أو جائعًا، على الرغم من اعتقاده أنه يجب أن يكون كذلك.

نهض زاكري من كرسيه مرتاحًا؛ لأن الحركة لا تعيد إحياء الشعور الضبابي تحت الماء، ووجد حقائبه حيث تركتها ميرابيل بالقرب من الباب، ثم أدرك أنه تم لم شمله أخيرًا مع القماش الخشن. أخرج هاتفه، فوجد بطاريته فارغة حتى آخرها، رغم شكه في أنه سيكون هناك إشارة هنا على أي حال،

وضعه بعيداً واسترجع كتاب الحكايات الخرافية المصنوع من الجلد البني من الحقيبة.

عاد زاكري إلى الكرسي بجوار السرير وبدأ بالقراءة، إنه جزء من قصة عن صاحب نزل يقطن في نزله المغطى بالثلج المتكسد عليه، ومستغرق بالانتباه لدرجة أنه لا يسمع الريح إلا عندما يلاحظ أن البخور قد احترق.

وضع الكتاب على المنضدة، وأضاء مخروطاً آخر من البخور وتصادع الدخان حول الكتاب وهو ممسك به.

- على الأقل استرجعت كتابك وأنا لا أملك كتابي.

قال دوريان بصوت عالٍ خلفه، وأحس أنه بحاجة إلى أن يشرب، ربما كأس ماء ليخرج مذاق العسل من فمه، وذهب لتسجيل طلبه للمطبخ، كانت يده على القلم عندما سمع صوت دوريان خلفه وهو مستلقٍ لكن الصوت واضح.

- وضعت كتابك في معطفك.

الوقت العابر ليس كالنجم العابر

سايمون هو طفل وحيد، اسمه موروث من أخ أكبر مات عند الولادة. إنه بديل، تسأل أحياناً ما إذا كان يعيش حياة شخص آخر، منتعلاً حذاء شخص آخر واسم شخص آخر.

يعيش سايمون مع خاله (شقيق والدته المتوفاة) وخالته، ويذكرانه باستمرار أنه ليس ابنهما. يخيم عليه شبح والدته دومًا. خاله لا يذكرها إلا عند الشرب (وهي الفترة الوحيدة التي ينادي فيها سايمون بأنه لقيط)، لكنه يشرب كثيرًا. ينعنون (جوسلين كيتينغ) بكل شيء بدءًا بالمرأة القذرة وليس انتهاءً بالساحرة. لا يتذكر سايمون ما يكفي عن والدته ليعرف ما إذا كانت ساحرة أم لا. لقد تجرأ ذات مرة على طرح هذا الأمر على خاله، وبأنه قد لا يكون لقيطاً؛ حيث لا يوجد أحد متأكد من أصله ونسبه، وأن والدته كانت مع أي رجل قد يكون والده لفترة كافية ليكون هناك اثنان من سايمون، قد يكونان قد تزوجا سرًّا! وفي أثناء حديثه هذا شعر بكأس نبيذ ألقيت على رأسه بعدوانية شديدة، ولم يتحدث خاله عن الموضوع بعد ذلك، في النهاية أتت مدبرة المنزل وأزالَت الزجاج المكسور.

في عيد ميلاد سايمون الثامن عشر، حصل على مُغلف، مختوم بالشمع الذي يعطي شكله هيئة بومة، والورق أصفر عتيق يبدو عليه القَدَم. كُتِبَ على المُغلف من الأمام:

«إلى سايمون جوناثان كيتنغ بمناسبة الذكرى الثامنة عشرة لميلاده».

أخبره خاله أنه احتفظ بالمغلف في صندوق في مكان ما عندما تسلمه ذلك الصباح.

- ولكنه ليس عيد ميلادي!

- لم نكن متأكدين قط من تاريخ ميلادك، يبدو أنه اليوم، أتمنى لك عامًا سعيدًا.

وتركه خاله بمفرده مع المغلف، إنه ثقيل، يوجد أكثر من رسالة بالداخل، كسر سايمون الختم متفاجئًا من أن خاله لم يفتحه، أمل أن تكون والدته قد كتبت له رسالة تتحدث إليه عبر الزمن.

إنها ليست رسالة، لا توجد تحية أو كلام مباشر أو توقيع، يوجد عنوان فقط، في مكان ما في البلاد، ويوجد مفتاح، قلب سايمون الورقة ووجد كلمتين إضافيتين على ظهرها:

«احفظها عن ظهر قلب واحرقها».

قرأ سايمون العنوان مرة أخرى ونظر إلى المفتاح وأعاد قراءة ما كُتِبَ على المغلف من الأمام. لقد كتب له شخص ما عنوان منزل في الريف، أو إسطنبول، أو صندوق مغلق في حقل ما.

قرأ سايمون العنوان للمرة الثالثة، ثم الرابعة وأغلق عينيه وكرره لنفسه وتحقق من صحته، وقرأه مرةً أخيرةً لتأكيد المعلومة في رأسه ثم ألقى الورقة في موقد النار.

سأله خاله على العشاء:

- ماذا كان في ذلك الظرف؟

- مفتاح.

- مفتاح؟!

- نعم مفتاح، قد يكون تذكاريًا.

تذمر الخال ببضع الكلمات وأكمل شرب النبيذ.

- قد أזור أصدقائي في المدرسة في البلدة في نهاية الأسبوع المقبل.

قال سايمون بهدوء وعلقت خالته على الطقس، وتمتم خاله مرة أخرى ببضع كلمات، وبعد أسبوع مضطرب، ركب سايمون قطارًا والمفتاح في جيبه، محددًا إلى النافذة ومكررًا العنوان لنفسه.

عندما وصل إلى المحطة، بدأ يسأل عن الاتجاهات ودلّه الناس إلى طريق متعرج، متجاوزًا الحقول الفارغة.

لم ير الكوخ الحجري حتى وقف على عتبة بابه، لقد كان متخفيًا خلف اللبلاب والعشب، مع حديقة تُركت على سجيبتها الخاصة حتى تعدت على المبنى الذي يحيط بها. يفصلها جدار حجري منخفض عن الطريق، وبوابتها مغلقة أكلها الصدأ. تسلق سايمون الحائط، وشدت الأشواك سرواله، سحب مجموعة متدلية كستار من أغصان من اللبلاب للوصول إلى باب الكوخ. حاول وضع المفتاح في القفل، وفتّح بسهولة ولكن الولوج إلى الداخل مسألة أخرى، دفع وضغط بقوة وأزال المزيد من أغصان اللبلاب قبل فتح الباب أخيرًا بشكل كامل.

عطس سايمون وهو يدخل الكوخ، كل خطوة يخطوها تثير المزيد من الغبار في أثناء سيره، فيتطاير من خلال ضوء الشمس الذي يتناقص تدريجيًا بين ظلال تزحف على الأرض تشكلت من أوراق الشجر.

وجدت إحدى أجزاء اللبلاب القاسية طريقها اللولبي عبر شقوق نافذة، والتفت حول ساق الطاولة. فتح سايمون النافذة، مما سمح لهواء أكثر نقاء وإضاءة أكثر إشراقًا من الولوج إلى الداخل.

أكواب الشاي مكدسة في خزانة مفتوحة، وهناك إناء معلق على موقد النار. الأثاث عبارة عن طاولة وكراسي، كرسيان بأذرع موجودان قرب الموقد، وسرير نحاسي باهت مغطى بالكتب والأوراق. فتح سايمون كتابًا ووجد اسم والدته منقوشًا داخل الغلاف: (جوسلين سايمون كيتينغ)، لم يعرف اسمها الأوسط قط، وفهم الآن من أين جاء اسمه، إنه غير متأكد من حبه لهذا الكوخ، ولكن من الواضح أنه الآن يستطيع أن يكرهه أو يحبّ ما يجلو له.

فتح سايمون نافذة أخرى بقدر ما تسمح له أغصان اللبلاب، وجد مكنسة في الزاوية واستخدمها محاولاً إبعاد أكبر قدر ممكن من الغبار، بينما الضوء يبهت تدريجياً، ليس لديه خطة، وشعر بالحماقة.

كان سايمون يعتقد أن شخصاً ما هنا، ربما والدته، قد يتفاجأ بأنها لم تمت، قد يكون من الصعب قتل الساحرات، وهذا ما يتذكره من خلال قصصه بشكل صحيح، يمكن أن يكون في كوخ ساحرة، ساحرة مجتهدة مغرمة بالشاي. سيكون التنظيف أسهل بالمكنسة إذا قام بوضع ما جمعه خلف الباب، لذلك فكّ القفل وفتحه، ولم يجد حقلاً خلف المنزل، بل وجد نفسه ينظر إلى أسفل... إلى درج حجري حلزوني. نظر سايمون من النافذة المغطاة باللبلاب على يمين الباب وفي ضوء الشمس الباهت، نظر إلى الورا عبر الباب، المساحة أوسع من الحائط وتتداخل بسهولة مع النافذة. يوجد ضوء في أسفل الدرج.

مع المكنسة في يده، نزل سايمون حتى وصل إلى فانوسين متوهجين، يتناثر شعاعهما على حاجز حديدي، مثل قفص موضوع في الصخر، فتح سايمون القفص ودخل منه فرأى مسكة باب نحاسية، وضع يده عليها وسحبها، أغلق الباب ونظر إلى فانوس معلق من السقف ثم بدأ القفص يغرق ويغوص، وقف حائراً مع مكنسته بينما يهبطان وارتجّ القفص حتى توقف وفتح الباب.

خطا سايمون تجاه حجرة متوهجة، بداخلها قاعدتان وباب كبير، وفوق القاعدتين أكواب مثبتة عليها وعلى كلا الكوبين يوجد إرشادات.

شرب سايمون من أحد الكوبين، كان طعم الشراب بداخله مثل التوت والقرنفل ونسيم الليل. تدرجت أحجار النرد على القاعدة الأخرى، وراقبها سايمون وهي تستقر وغاصت كلتا القاعدتين في الحجر. فتح الباب على غرفة كبيرة مسدسة الأضلاع يتدلى من مركزها رقاص ساعة. يتوهج مع الضوء المتراقص المنبعث من عدد من المصابيح التي تنشر ضوءها على القاعات الخلفية المتشابكة بعيداً عن الأنظار ويوجد كتب في كل مكان.

- هل يمكنني المساعدة يا سيدي؟

استدار سايمون ليجد رجلاً بشعر أبيض طويل يقف في المدخل، في مكان ما بعيداً حيث يمكنه سماع الضحك والموسيقى الخافتة.

- ما هذا المكان؟

نظر الرجل إلى سايمون وإلى المكنسة في يده.

- هلاً تفضلت بمرافقتي يا سيدي!

قالها وأشار إليه بالتقدم.

نظر سايمون إلى الكتب حوله سائلاً الرجل:

- هل هذه مكتبة؟

- بطريقة ما!

تبعه سايمون إلى غرفة بها مكتب مكس بالأوراق والكتب، تصطف الدروج الصغيرة المطلية بالمعدن فيه ولافتات مكتوبة بخط اليد على الجدران، وقطة على المكتب تنظر إليه وهو يقترب.

قال الرجل وهو يفتح سجلاً ويغمس ريشة في الحبر:

- الزيارات الأولى يمكن أن تكون مربكة، ما الباب الذي دخلت من خلاله؟

- باب؟

أوماً الرجل برأسه.

- لقد كنت في كوخ ليس بعيداً عن أكسفورد، أحدهم ترك لي المفتاح.

كان الرجل قد بدأ الكتابة في السجل لكنه توقف ونظر إلى أعلى، وقال:

- هل أنت ابن (جوسلين كيتنغ)؟

أجاب سايمون بابتهاج شديد:

- نعم، هل تعرفها؟

- نعم، كنت على معرفة بها، أنا أسف لخسارتك.

سأل سايمون وهو ينظر إلى القطة على المكتب:

- هل كانت ساحرة؟

- لو كانت كذلك، لم تكن لتفصح عن مثل هذه المعلومات لي. ما اسمك

الكامل يا سيد (كيتنغ)؟

- (سايمون جوناثان كيتنغ).

وكتبه الرجل في السجل.

- يمكنك مناداتي بالحارس، ما الذي حصلت عليه برمية أحجار النرد؟

- عفواً؟

- النرد الخاص بك، في غرفة الانتظار.

- أوه، لقد كانوا جميعاً تيجاناً صغيرة.

شرح سايمون، متذكراً حجر النرد على قاعدة التمثال، لقد حاول رؤية الصور الأخرى لكنه رأى فقط قلباً وريشة.

- كلها تيجان؟

أوماً سايمون برأسه.

تجهم وجه الحارس وكتب على السجل، وكانت الريشة تمشي على طول الورقة ورفعت القطة قدمها على المكتبة لتضرب الريشة.

وضع الحارس الريشة على المكتب بعد استياء القطة ومشى إلى خزانة على الجانب الآخر من الغرفة.

قدّم الحارس لسايمون قلادةً وقال له:

- من الأفضل أن تكون الزيارات الأولى قصيرة، ومرحب بعودتك في أي وقت، سيوجهك هذا إلى المدخل إذا ضللت الطريق، والمصعد سيعيدك إلى كوخك.

نظر سايمون إلى البوصلة في يده وكانت الإبرة تدور في المنتصف، مشيرةً إلى كوخه باعتقاده.

- شكراً لك.

- الرجاء إخباري إذا كان بإمكانني تقديم أي مساعدة.

أشار سايمون إلى المكتبة:

- هل يمكنني ترك هذا هنا؟

- بالطبع يا سيد (كيتنغ).

قال الحارس مشيراً إلى الحائط بجانب الباب، وأسند سايمون المكتبة إليه. عاد الحارس إلى مكتبه وتناوبت القطة، وخرج سايمون من المكتب وهو يراقب رصاص الساعة متسائلاً عما إذا كان نائماً ويخوض حلماً ما.

أخذ كتاباً من كومة مكدسة بالقرب من الحائط وأعادته مكانه مرة أخرى، تجول في رواق تصطف على جانبيه رفوف مقوسة تحيط بها الكتب من

جميع الزوايا مثل النفق. ولم يستطع إدراك كيف لتلك الكتب التي تصطف في الأعلى ألا تسقط على الأرض.

حاول فتح الأبواب، بعضها موصل لكن العديد منها ليس كذلك، يكشف عن غرف ملأنة بالكتب والكراسي والمكاتب والطاولات بزجاجات حبر وزجاجات نبيذ وزجاجات البراندي. حجم الكتب الهائل بث في قلبه الهلع وتساءل كيف يمكن لشخص ما أن يختار ما سيقروءه.

سمع أصوات أناس أكثر مما رأى، خطى أقدام وهمسات قريبة ولكن غير مرئية، لاحظ شخصاً ما برداء أبيض يضيء الشموع، وامرأة منغمسة في الكتاب الذي تقرأه لدرجة أنها لا تنظر إلى أعلى عندما مر بها.

مشى في قاعة ملأنة باللوحات، كلها صور لمبانٍ يستحيل تصديق وجودها، قلاع عائمة وقصور مختلطة مع السفن، ومدن منحوتة في منحدرات. يبدو أن الكتب من حولهم كلها مجلدات عن الهندسة المعمارية. قاده ممر إلى مدرج مسرحي؛ حيث يبدو أن الممثلين يتدربون على مسرحية لشكسبير. تعرف عليها على أنها مسرحية الملك لير، وتمّ عكس الأجزاء بها، لذلك هناك ثلاثة أبناء مع امرأة عجوز ضخمة تؤدي دور والدتهم تنحدر شيئاً فشيئاً نحو الجنون، وراقبهم سايمون لبعض الوقت قبل أن يكمل تجواله. هناك موسيقى بيانو تعزف في مكان ما، تبع الصوت ولكن لم يتمكن من تحديد مصدره.

استرعى نظره باب ما، خزانة بكمية زائدة على طاقتها بالكتب تتموضع أمامه جزئياً، فتجعل الباب نصف مخفي نصف مرئي. يكسو الباب صورة نحاسية لقلب مضطرم باللهب، استدار المقبض بسهولة عندما حاول سايمون فتحه.

تشغل طاولة خشبية طويلة وسط الغرفة، ملأنة بالأوراق والكتب وزجاجات الحبر ولكن بطريقة توحى ببداية عمل جديد بدلاً من الإحياء بأن عملاً ما قد انتهى. الوسائد متناثرة على الأرضية وعلى أريكة للاسترخاء تجلس عليها قطة سوداء، تقف وتتمدد وتقفز إلى أسفل مغادرةً عبر الباب الذي فتحه سايمون.

قال سايمون للقطة:

- علي الرحب والسعة!

ولكن القطة لم تقل شيئاً، وأعاد سايمون انتباهه إلى الغرفة الخالية من القطط الآن. على طول الجدران خمسة أبواب أخرى. كل واحد مميز برمز مختلف، أغلق سايمون بابه من وراه ووجد قلباً متطابقاً على ظهر الباب، الأبواب الأخرى عليها مفاتيح وتاج وسيف ونحلة وريشة.

بين الأبواب هنالك أعمدة ورفوف كتب رفيعة معلقة من السقف مثل الأراجيح والكتب مكدسة على جوانبها. لم يستطع سايمون أن يفهم كيف يمكن للمرء أن يصل إلى أعلى الرفوف حتى أدرك أنها معلقة على بكرات يمكن رفعها أو إنزالها.

توجد مصابيح فوق كل باب، مشعة بسطوع باستثناء الباب الذي يحتوي على المفتاح فأعلاه مُطفأ تماماً، والباب الذي به ريشة باهت أيضاً.

تنزلق قطعة من الورق إلى الخارج من تحت الباب المزين بالريشة، التقطها سايمون، كان هناك غبار فحم خارجاً معها فاسودت أصابعه معه، كانت الكلمات الموجودة على الورقة مكتوبة بلغة ركيكة، مثل خط طفل يتعلم الكتابة حديثاً مع رسم أرنب أسفل الكلمات.

«مرحباً، هل يوجد شخص ما خلف هذا الباب، أم أنك مجرد قطة؟»

أدار سايمون مقبض الباب لكنه كان عالقاً، تفحص الأقفال ووجد قطعة حديدية على جانب الباب، أدارها وحاول مرة أخرى، وهذه المرة فتح الباب على غرفة مظلمة بجدران عارية، لم يجد أحداً هناك، ونظر أيضاً خلف الباب لكنه لم ير سوى الظلام.

أغلق سايمون الباب مرةً أخرى مرتبكاً، قلب الورقة على ظهرها، أخذ ريشةً من فوق الطاولة وغمسها في الحبر وكتب ردّاً: «أنا لست قطة».

طوى الورقة ومررها تحت الباب وانتظر، وفتح الباب مرةً أخرى. اختفت الورقة وأغلق سايمون الباب وحول انتباهه إلى خزانة الكتب.

بدأ الباب ينفتح خلف سايمون رويداً رويداً، وصرخ متفاجئاً، كان يوجد في المدخل امرأة شابة بشعر بنيّ متراكم على شكل تجعيدات وضمائر حول آذان أرنب فضية اللون، ترتدي المرأة قميصاً منسوجاً بشكل غريب، وتنورة قصيرة فاضحة فوق سروال أزرق، وحذاء طويل الرقبة، وعيناها مشعتان وجامحتان.

- من أنت؟

سألته الفتاة التي بزغت من العدم والورقة مع الملاحظة في يدها.

- أنا سايمون، وأنت من تكونين؟

فكرت الفتاة ملياً في هذا السؤال، وأمالت رأسها، وكانت أذنا الأرنب تتجهان نحو الباب المنقوش فوقه صورة السيف.

- أنا لينور.

أجابته إيانور مع لمسة خفيفة من الكذب، لقد قرأت هذا الاسم مرة في قصيدة واعتقدت أنه أجمل من إيانور، على الرغم من تشابههما وعلاوة على ذلك، لم يسألها أحد عن اسمها من قبل لذا تبدو هذه فرصة جيدة لتجربة اسم جديد.

- من أين أتيت؟

قالت إيانور:

- من المكان المحروق.

وكان ما قالته كافٍ ووافٍ ومشروح. حملت الورقة في يدها وسألت

سايمون:

- هل أنت من كتب ذلك؟

هزّ سايمون رأسه بالإيجاب.

- متى؟

- منذ لحظات، هل كانت هذه منك؟ الرسالة على الجانب الآخر؟

سألها سايمون على الرغم من أنه يعتقد أن خط اليد يبدو لأحد أصغر، وتساءل عن أذان الأرنب. قلبت إيانور الورقة ونظرت إلى الحروف الغريبة ورسمه الأرنب.

- لقد كتبت هذا قبل ثماني سنوات.

- إذا لماذا تمررين مثل هذه الورقة القديمة تحت الباب الآن؟

- لقد وضعتها تحت الباب بعد أن كتبتها مباشرة، أنا لا أفهم!

تجهم وجه إيانور وأغلقت الباب ذا رسمه الريشة، ومشت إلى الجانب الآخر من الغرفة، في لحظة عابرة لاحظ سايمون أنها جميلة جداً، على الرغم من الغرابة الظاهرة في خزنة ملابسها. عيناها داكنتان وشبه سوداء، بشرتها بنية فاتحة وهناك شيء ما يدلّ على وجود أصل أجنبيّ في ملامحها، لا تبدو

كالفتيات التي تستعرضها خالته له أحيانًا، حاول أن يتخيلها كيف ستبدو في ثوب ما، ثم كيف ستبدو دون ثوب، ثم سعل سعلًا خشنًا ناجمًا عن إحراج شعر به في قرارة نفسه.

نظرت إليانور إلى كلّ باب على حدة.

«أنا لا أفهم!» قالت إليانور لنفسها، واستدارت ناظرةً إلى سايمون مرة أخرى، حدقت إليه مدققةً من شعره إلى حدائه.

- هل يوجد نحل هنا؟

سألت إليانور سايمون وبدأت تبحث خلف رفوف الكتب وتحت الوسائد. نظر سايمون تحت الطولة وقال لها:

- كلا لا أعتقد، كانت هناك قطة قبل ذلك لكنها رحلت.

- كيف وصلت إلى هنا؟ أعني إلى هذا المكان وليس الغرفة.

سألته إليانور وجذبت عينيه من أسفل الجانب الآخر من الطاولة.

- عبر باب، في كوخ.

جلست إليانور على الأرض بين الكراسي في وضعية القرفصاء ونظرت إليه بترقب:

- هل لديك باب؟

- إنه ليس ملكي، على وجه التحديد.

أجابها سايمون على الرغم من أنه يفترض ذلك، إذا كان الكوخ له، فهو ميراث غريب. جلس مثلها أيضًا ودفع كرسياً بعيدًا عن طريقه، بحيث يواجه كل منهما الآخر في غابة من أرجل الكراسي مع مظلة منضدة.

- اعتقدت أن معظم الأبواب قد اختفت!

أخبرها سايمون عن والدته، وعن المغلف والمفتاح وعن الكوخ. استمعت إليه باهتمام وأضاف هو بدوره أكبر قدر ممكن من التفاصيل، ختم الشمع على الظرف، اللبلاب في الكوخ، وكسا وجهها تعبير فضولي بينما كان يصف لها المصعد الذي يشبه القفص ولم تقاطعه.

سألته إليانور عندما وصل بالقصة عبر الباب إلى الغرفة التي يجلسان فيها الآن:

- والدتك كانت هنا؟

- أعتقد ذلك.

ظنّ سايمون أن هذا قد يكون أفضل من رسالة، أن تكون لديها مساحات تشغلها وكتب تقرأها.

- كيف كانت تبدو؟

أجابها سايمون متمنياً أن تغيّر الموضوع:

- لا أتذكر، هل تعرفين، لم أقابل فتاة ترتدي سروالاً من قبل!

وتمنى سايمون ألا تأخذ كلماته على محمل الإهانة. شرحت إيانور قائلة وكأنها تمرر له أمرًا لا لبس به:

- لا يمكنني تسلق الأشياء وأنا أرتدي فستاناً.

- التسلق ليس للفتيات.

- أي شيء للفتيات.

كان تعبيرها شديد اللهجة لدرجة جعلته يفكر في الكلام. إنه يتعارض مع كل ما قاله خاله عن الفتيات، لكنه اعتقد أن خاله ربما لا يعرف الكثير عن الفتيات كما يجب، ولدى خالته أفكار خاصة جداً حول ما يمكن أن يكون تصرفات مهذبة خاصة بهن.

تساءل في سره عما إذا كان في مكان لا تلعب به الفتيات الألعاب؛ حيث لا توجد قواعد غير معلنة يجب اتباعها ولا توقعات ولا مرافقين، وتساءل عما إذا كانت والدته على هذا النحو وتساءل عن الأمر الذي يجعل المرأة ساحرة.

تابعا طرح الأسئلة والأجوبة ذهاباً وإياباً، وكان الكثير منها يخرج من كليهما في الوقت عينه بطريقة غريبة للإجابة عليها، ويحثان بعضهما للإجابة على أحدها ثم الآخر وما بينهما، أخبرها سايمون بأشياء لم يخبرها لأحد، تحدث عن مخاوفه بارتياح وكشف عما يقلقه، وتساقتط الأفكار من شفثيه لأول مرة، إذ لم يجرؤ على التحدث بصوت عال سابقاً، ولكن الأمر مختلف هنا، مختلف معها.

أخبرته عن المكان، عن الكتب والغرف والقطط، لديها جرة صغيرة من العسل في حقيبتها وسمحت له بتذوقها، توقع حلاوة ما، لكنها كانت أكثر من ذلك، زاخرة وذهبية ومفعمة بالدخان.

تاه سايمون في بحر الكلمات، ولعق العسل من أصابعه، وخطر له أفكار لم يستطع قولها، ومن المؤكد أنها ستكون غير مناسبة للإفصاح عنها إذا استطاع البوح بها.

لم تعرف إيانور كيف لها أن تتصرف مع هذا الصبي بمقيصه المزرکش وسترته المزيّنة بالأزرار، هل هو شاب أم رجل؟ ليست متأكدة من كيفية معرفة الفرق، يلفظ بعض الحروف بشكل غريب، وهي غير متأكدة مما إذا كان وسيماً أم لا، فمعرفتها ضئيلة بهذه الأشياء.

لكنها تحب وجهه، فيه راحة ما، تساءلت عما إذا لم يكن لديه أسرار، لديه عينان بنيتان لكن شعره أشقر، وقد قرأت الكثير من الكتب؛ حيث يتناسب الشعر الأشقر أكثر مع العيون الزرقاء لدرجة أنها ظنت ذلك غير مناسب، وجهه أكثر بكثير من كونه مجرد شعر وعيون ملونة، تساءلت لماذا لا تصف الكتب منحنيات الأنف أو طول الرموش، تفحصت شكل شفثيه، ربما يكون الوجه معقداً للغاية بحيث لا يمكن وصفه بالكلمات.

مدّت إيانور يدها ولمست شعره، بدا عليه الذهول لدرجة أنها سحبت يدها إلى الخلف فوراً.

- أنا آسفة!

- لا عليك، كل شيء على ما يرام.

مدّ سايمون يده وأخذ كفها ووضعها في راحة يده، أصابعه دافئة ولزجة جرّاء العسل، نبض قلبها بسرعة كبيرة، حاولت أن تتذكر الكتب التي تحتوي فتياناً بممصان مزخرفة لتخمن كيف ينبغي لها أن تتصرف، كل ما تذكرته كان الرقص، والذي يبدو غير لائق الآن، والتطريز الذي لا تعرف كيف تفعله، ربما لا ينبغي لها أن تحديق إليه لكنه كان يحديق إليها لذا لم تستطع أن تتوقف. استمرا في الحديث، جالسين يدًا بيد، تتبعت إيانور الدوائر الصغيرة في راحة يده بأطرافها وهما يتكلمان عن المرفأ والممرات والغرف والقطط والكتب.

- هل لديك كتاب مفضل؟

فكرت إيانور في السؤال الذي لم يطرحه أحد عليها من قبل، لكن كتاباً تبادر إلى ذهنها.

- نعم، نعم لديّ كتاب مفضّل.. إنه، آه! انتظر هل ترغب في قراءته؟

- سألته ذلك السؤال محاولةً التفسير، فقراءة الكتب دائماً أفضل من شرحها.
- نعم، أرغب بذلك كثيرًا.
- يمكنني الحصول عليه لأجلك، ويمكنك قراءته، ثم نستطيع التكم عنه بعد ذلك في حال أنك أحببته، أو حتى إن لم تشعر أنه جيد كفاية، فأنا أريد معرفة السبب بالضبط، إنه في غرفتي، هلاً تأتي معي!
- بالتأكيد.

فتحت إليانور الباب الذي عليه رسمة الريشة.

- أنا آسفة، إن المكان مظلم للغاية.

أخذت قضيباً معدنياً من حقيبتها وضغطت شيئاً جعله يتوهج بشكل لامع وثابت وأبيض. أضاءت في الظلام، وتمكن سايمون أن يرى بقايا الغرفة المتهدمة والكتب المحترقة، مع بقايا رائحة تشبه الدخان، تنقلت إليانور من غرفة إلى أخرى.

تبعها سايمون وسار مباشرة متلمساً الحائط، عندما ظهرت النجوم أمام عينيه جزأً تأثير الضوء، نظر إلى الظلام الذي رآه من قبل، فاخفتت الغرفة المحترقة والفتاة على حد سواء.

حاول سايمون أن يدفع بيديه اتجاه الظلام لكنه كان صلباً، قرع عليه وكأن العتمة باب ما وبدأ يصرخ:

- لينور!

قال لنفسه إنها ستعود، سوف تحضر الكتاب وتعود، إذا لم يستطع اتباعها يمكنه الانتظار، أغلق الباب وفرك جبهته.

وجه انتباهه إلى رفوف الكتب، تعرف على مجلدات (جون كيتس) و(دانتي) لكن الأسماء الأخرى غير مألوفة بالنسبة إليه، واستمرت أفكاره في العودة إلى الفتاة. مرر أصابعه فوق الوسائد المخملية المكدسة على الأريكة الطويلة.

فتح الباب مع صورة الريشة عليه، ودخلت إليانور وهي تحمل كتاباً في يدها، لقد غيرت ملابسها، وهي الآن ترتدي قميصاً أزرق داكناً مع وشاح وردي طويل، يلتف حول عنقها. عندما التقت أعينهما، بدأ الباب يتأرجح مغلقاً خلفها، ونظرت إليه بعينين واسعتين.

- ماذا حدث؟

- كم من الوقت مضى على ذهابي؟

- دقيقة؟

لم يفكر سايمون في قياس الوقت، فقد كانت أفكاره مشتتة.

- ليس أكثر من عشر دقائق، بالتأكيد.

يسقط الكتاب من يد إيانور ويهوي على الأرض، يفتح ثم يغلق مرة أخرى على الأرض بالقرب من قدميها، ترفع يديها إلى وجهها وتضعهما على فمها وسايمون يقف حائزًا، أخذ الكتاب من الأرض ونظر بفضول إلى غلافه المذهب.

- أيًا ما كان الأمر!

قال سايمون وقاوم رغبة الدخول عبر الصفحات، رغم الإغراء الذي اجتاحه.

- ستة أشهر!

لم يفهم سايمون ما تقوله، رفع حاجبه وعبست إيانور في إحباط، وكررت قائلة: ستة أشهر. بصوت أعلى هذه المرة. لستة أشهر كانت هذه الغرفة فارغة في كل مرة فتحت فيها ذلك الباب، واليوم ها أنت ذا مرة أخرى.

ضحك سايمون برغم هالة الجدية التي تحيط به:

- هذا سخيف!

- إنها الحقيقة!

- هذا هراء، أنت تمارسين حيلة ما! لا يختفي المرء للحظات ويدعي أنه اختفى لأشهر متتالية، انتظري سوف أريك!

استدار سايمون إلى الباب الذي عليه صورة قلب، ودخل في الرواق، والكتاب في يده.

- تعالي وانظري!

قال وهو يعود إلى الغرفة، لكنها كانت فارغة.

- لينور!

دخل سايمون الغرفة ولكن لا يوجد أحد، نظر إلى الكتاب بين يديه، أغلق الباب وفتحه مرة أخرى.

لم يكن يتخيل فتاة وعلاوة على ذلك، إذا لم تكن هناك فتاة، فمن أين أتى الكتاب؟ وأخذ يقلبه في يديه، وبدأ يقرأ، إذ إن القراءة تهدئ من روعه، وانتظر أن يفتح الباب مرة أخرى، لكنه بقي مغلقاً.

وجد زاكري إزرا رولينز كتاب الأحزان العذبة بالضبط حيث قال دوريان إنه سيكون، داخل جيب معطفه الملطخ بالطلاء، على ظهر كرسي في غرفته حيث تركه بعد وصوله.

لم يلاحظ ذلك حتى، الكتاب صغير بما يكفي لينزلق في جيب المعطف دون أن يلاحظ مرتديه ذلك، خاصةً إذا كان مرتديه باردًا ومشوشًا ومخمورًا، شعر زاكري أنه يجب أن يتذكر، الحميمية المفقودة تزعجه.

إنها الفرصة الأولى التي اضطر فيها إلى التحقق، عاد إلى غرفته بعد عدد من الساعات التي شاهد فيها دوريان، على الرغم من أنه لم يقل كلمة أخرى بينما جلس زاكري وتابع قراءة كتابه عن الحكايات الخرافية، وأصبح مرتبًا أكثر بذكر «بحر بلا نجوم» وما بدا وكأنه عدة ملوك بوم مختلفة. حررته رايم من تخيلاته لكنه لم يستطع متابعة شرحها للمكان الذي ذهبت إليه ميرابيل واعتقد الآن أنه كان يجب أن يطلب منها تدوينها لما تقوله وتساءل إذا كان ذلك مسموحًا به.

يسود غرفته جو من الراحة والألفة، موقد النار يشتعل بابتهاج مرة أخرى. اعتقد أنه ربما تم ترتيب السرير، ولكنه مملوء بالزغب لذا صعب تحديد ذلك. أعاد المطبخ ملابسه، بما في ذلك بدلته، مطوية ونظيفة. أرسل معطفه المنسي ليرى ما إذا كان بإمكانهم المساعدة في تنظيفه وقرر أنه ربما يجب أن يأكل شيئًا ما.

بعد لحظات، قرع الجرس وأخذ المطبخ بطلبه للحصول على كل الزلابية حرفيًا، لكن التشكيلة أثبتت أنها لذيذة بقدر ما هي متنوعة بشكل مخيف. يتم تقديم الزلابية المتفردة بأصناف لا حصر لها في أطباق فردية مغطاة، بعضها جاء مع الصلصات وكل غطاء خزفي له مشهد مرسوم: «شخص يسافر في رحلة، تتكرر نفس الطريقة البسيطة على كل قطعة محاطة ببيئة مختلفة. غابة ملانة بالطيور، قمة جبل، مدينة ليلية».

لم يتمكن زاكري من زيارة حتى نصف أماكن تناول الفطائر، لذا فإنه ترك البقية مغطاة، على أمل أن يحافظوا على حرارتها وتبقى طازجة.

بدأ بمجموعة من زجاجات المياه الفوارة ذات الزجاج الأزرق على طول الرف، ربما يمكنه العثور على شموع ليضعها فيها، إنه لا يعارض جعل نفسه مرتاحًا، وإنه مرتاح بالفعل. هذا النوع من الراحة الذي يتضمن أحيانًا الاستلقاء على بلاط الحمام وتذكير الشخص بأخذ نفس عميق.

في حقيبتة، رأى ملابسها الخاصة مرة أخرى، لكنها ليست لطيفة مثل الملابس التي في الغرفة. حتى مقارنة نظارته العادية بالنظارة المستعارة تعطي ميزة لطيفة للزوج الأحدث، لذلك استمر زاكري في ارتدائها أيضًا.

وجد مصدرًا كهربائيًا بجانب أحد المصابيح، فوضع هاتفه فورًا في أحد المقابس، على الرغم من أن الجهد المبذول لا طائل من ورائه.

جلس بجانب النار، وأخذ يقرأ صفحات من الأحزان العذبة مرة أخرى، مرتاحًا بلمّ شمله معها. هناك صفحات مفقودة أكثر مما يتذكره، ربما يجب أن يُري الكتاب لميرابيل. توقف قليلاً عند صفحات ابن العراف. وكلمات ليس بعد. حسنًا، إنه هنا الآن. لقد وصل إلى المرفأ وحتى لو لم يعثر على البحر الخالي من النجوم. ماذا الآن؟

ربما يمكنه تتبع الكتاب إلى الورا، أين كان من قبل؟ تذكر دليل مكتبته القديمة، من مكتبة أحد ما. أغلق عينيه وحاول تصوّر قطعة الورق التي قدمتها له إيلينا بعد فصل كات، أحد ما قدّم التبرع، مؤسسة ما، اللعنة! يعتقد أنه كان هناك حرف «ج» ربّما.

(كيتنغ)، عاد الاسم إليه لكنه لا يتذكر الأحرف الأولى، لا يصدق أنه نسي إحضار قطعة الورق معه. هناك شيء واحد مؤكد، وهو أنه لن يجد خطوته التالية هنا ما لم تكن خطوته التالية غفوة قصيرة هو بحاجة إليها.

وضع زاكري الأحزان العذبة في حقيبتة، وأرسل أطباقه مرة أخرى إلى المطبخ وطلب تفاحة وأرسلوا له وعاءً فضياً مليئاً بالتفاح الأصفر عليه بقع من اللون الوردي الخجول الناعم، وانطلق في متاهات الميناء مرة أخرى.

حاول عدم استخدام بوصلته، ولكن ليس لديه فكرة عن الاتجاه الذي يسير فيه في أي وقت. وجد غرفة ملآنة بالطاولات والكراسي بذراعين، بعضها في

تجاويف فردية حول الغرفة ومساحة فارغة كبيرة بها المزيد من الكراسي ونافورة متدفقة في المنتصف.

في قاع النافورة عملات معدنية، تعرّف على بعضها، والبعض الآخر غير مألوف، وتوجد أكوام من الرغبات والأمنيات تحت الماء الرقراق. فكر في النافورة الملانة بالمفاتيح وجامع المفاتيح من كتاب دوريان وتساءل عما حدث له.

لم يره أحد مرة أخرى.

تساءل عما إذا كان هناك من يتساءل عما حدث له بعد، على الأغلب لا يوجد أحد.

خلف النافورة توجد قاعة ذات سقف منخفض، مدخلها محجوب برف كتب وكرسي بذراعين. يجب عليه تحريك الكرسي للمضي قدمًا. القاعة مضاءة بشكل خافت وبها أبواب مغلقة، وبينما سار زاكري أدرك ما غريب فيها. لا يتعلق الأمر بالنقص النسبي في الكتب أو القطط، بل إن الأبواب على طول الصالة لا تحتوي على مقابض أو ترابيس تحتوي أقبالاً فقط. توقف زاكري عند واحد ودفعه لكنه لم يتزحزح، كشف الفحص الدقيق للخشب حول الباب عن خطوط من الفحم الأسود على طول الحواف، هناك انبعاث للدخان في الهواء، ورائحة مثل رائحة إطفاء لحريق منذ فترة طويلة. هناك نقطة على الباب تشير إلى مكان المقبض في السابق، مكان شاغر تم سدّه بقطعة خشب جديدة غير محترقة، وشيء ما يتحرك في الظل في الطرف الآخر من القاعة مرة أخرى، أكبر من أن يكون قطعة، ولكنه عندما نظر إلى الداخل لم يجد شيئاً هناك.

عاد زاكري في الطريق الذي جاء به نحو النافورة واختار قاعة أخرى. إنها أكثر سطوعًا ولكن «السطوع» مصطلح نسبيّ هنا. تحتوي معظم المساحة على ضوء كاف للقراءة وأكثر.

كان يتجول بلا هدف، متجنبًا العودة للاطمئنان على دوريان، ومنزعجًا إلى حد ما أن الكثير من عقله مشغول بالتفكير به.

مر بلوحة بها شمعة ويكاد يقسم أن اللهب يتطاير منها، وهو يمرّ بها وتتمايل بمحاذاته، لذا تحقق من الأمر وتبيّن أنها ليست لوحة على الإطلاق

بل إطار معلق على الحائط حول رف وشمعة في شمعدان فضي موضوعة بالداخل فتساءل من أشعلها!

قطع مواء قطعة خلفه جميع تساؤلاته، والتفت زاكري ليجد قطعاً فارسياً يحدق إليه، ووجهه المسحوق يلتوي بنظرة خاطفة.

- ما مشكلتك؟

وجه زاكري سؤاله إلى القط، الذي رد عليه بمواء يشي بتذمر، مما يعني أنه يعاني من العديد من المشكلات، حتى إنه لا يعرف من أين يبدأ.

- أنا أسمعك!

قال زاكري للقط، ونظر خلفه إلى الشمعة التي تتراقص بداخل الإطار ونفخ عليها.

ارتجف إطار الصورة على الفور وتحرك إلى أسفل، ثم تحرك الجدار كله، من إطار الصورة نزولاً وغرق في الأرض، وتوقف عندما وصل الجزء السفلي من الإطار إلى الأرض المبلطة، وتوقفت الشمعة المطفأة عند مستوى عين القط.

في الفراغ؛ حيث تموضع الإطار يوجد ثقب مستطيل في الحائط، نظر زاكري إلى القطة التي تهتم أكثر بالشمعة، وتضرب بيدها تموجات من الدخان.

الفتحة كبيرة بما يكفي ليخترقها ولكن بلا ضوء كاف، يأتي معظم الضوء هنا من مصباح محذب على طاولة عبر القاعة، سحب زاكري المصباح بالقرب من الفتحة المكتشفة حديثاً في الحائط بقدر ما يسمح به لسلكه، وتساءل كيف تعمل الكهرباء هنا وماذا يحدث إذا انقطعت.

تمكن من إدخال المصباح للفتحة، ولكن ليس على طول الطريق، وضعه على الأرض وأماله قليلاً، كانت حافة المصباح تبهج القط، قرّب المصباح نحو الفتحة وخطا نحو الأمام.

سحق حذاءه أشياء موجودة على الأرض معروفة فقط بالنسبة إلى الظلام، واعتقد زاكري أنه من الأفضل أن يسير الأمر على هذا النحو. يقوم المصباح بعمل رائع في تسليط الإضاءة لكنه يأخذ بعض الوقت ليضبط نظر عينيه من خلاله، فدفع نظارته المستعارة فوق أنفه.

أدرك أن الغرفة لا تزداد سطوعًا؛ لأن كل شيء بداخلها احترق، ما كان يظن أنه غبار هو رماد استقر فوق بقايا ما كان هنا، وزاكري يعرف بالضبط ما كان هنا من قبل، قبل بعض الوقت غير المحدد قبل وصوله. احترق المكتب الموجود في وسط الغرفة وبيت الدمى فوقه وتحولوا إلى سواد وأنقاض.

لقد انهار بيت الدمى على نفسه، وتحطم السقف في الفراغ أدناه، وتم حرق سكانه ومحيطه متروكين للذكريات. الغرفة بأكملها ملآنة بالورق المتفحم والأشياء المحروقة التي يصعب التعرف عليها.

وصل زاكري إلى الأعلى ليلمس نجمًا واحدًا معلقًا على خيط لم يحترق إلى حد ما من السقف وسقط على الأرض ضائعًا بين الظلال.

- حتى الإمبراطوريات الصغيرة تتداعى!

قال زاكري لنفسه وللقط الذي ينظر إلى أعلى إطار الصورة من القاعة، وردًا على ذلك، رحل القط بعيدًا عن الأنظار.

تأرجح حذاء زاكري على الخشب المحترق والأجزاء المكسورة من عالم كان قائمًا بحد ذاته فيما مضى، مشى نحو بيت الدمى. المفاصل الحديدية التي كانت سابقًا تفتح البيت مثل الباب، لا تزال سليمة وغير مطبقة، انكسرت المفاصل لحظة تحريكها وتساقطت الواجهة على الطاولة، تاركة الداخل مكشوفًا.

لم يتم تدميرها تمامًا مثل بقية الغرفة ولكنها محترقة وسوداء، لا يمكن تمييز غرف النوم عن غرف المعيشة أو المطبخ، سقطت العلية على الأرضية في الأسفل آخذة معها معظم السطح.

اكتشف زاكري شيئًا ما في إحدى الغرف المحترقة، وصل إليه ورفعها من تحت الأنقاض. كانت دمية واحدة، مسح الرماد عنها بسترته وحملها في الضوء، إنها دمية فتاة، ربما تكون ابنة عائلة الدمية الأصلية، مطلية ومصنوعة من البورسلان، متصدعة لكنها غير مكسورة فتركها زاكري واقفة في رماد المنزل.

كان يريد أن يرى كل شيء كما كان عليه سابقًا، المنزل والبلدة والمدينة عبر البحر، الإضافات العديدة والسرر المتداخل، ربما أراد أن يضيف شيئًا إليها، لترك بصمته الخاصة على القصة لم يدرك مدى رغبته في ذلك حتى

واجه حقيقة أنه لا يستطيع ذلك، لا يستطيع أن يقرر ما إذا كان حزينًا أو غاضبًا أو محبطًا، فالوقت يمضي والأشياء تتغير.

نظر في أرجاء الغرفة، الغرفة الأكبر التي تضم الآن فتاة شابة تقف في رماد عالمها، هناك خيوط كانت تتدلى منها النجوم أو الكواكب ذات مرة من السقف، خصلات صغيرة مثل شبكات العنكبوت. يمكنه الآن أن يرى أن هناك مزيدًا من الناجين من الاستهلاك الذي أطاح بالغرفة. حطام سفينة في زاوية كانت ذات يوم محيطًا، ومسار قطار على طول جانب الطاولة، ساعة جد تتدلى من نافذة المنزل الرئيسي، وغزال أسود من حوافره حتى قرونه الصغيرة ولكنه سليم، راقبه زاكري من الرف بعيون ثابتة من خلف زجاج النظارة.

الجدران مغطاة بورق حائط مستعمل سابقًا ملتف في دوائر مثل لحاء شجر البتولا. يوجد بجانب رف الغزال باب دون مقبض، فتساءل عما إذا كان هو نفس الباب الذي مر به سابقًا.

أصبحت الغرفة فجأة أشبه بمقبرة، وزادت رائحة الورق المحترق والدخان، سقط المصباح في القاعة إما بمحض إرادته أو بسبب القط، انكسرت اللمبة وتسببت بضوضاء ناعمة واختفى الضوء معها تاركًا زاكري وحيدًا في الظلام مع بقايا الكون المصغرة المتفحمة، أغمض عينيه وعدّ عكسيًا بدءًا من رقم عشرة.

هناك شيء بداخله توقع أن يفتح عينيه ويجد نفسه مرة أخرى في فيرمونت، لكنه بالضبط حيث كان قبل عشر ثوان، والآن يمكنه رؤية القليل من الضوء الذي يرشده إلى مكان ما.

تسلق من الفتحة في الحائط، حريصًا على عدم التعثر في المصباح المكسور. أزاله عن الطاولة وبذل قصارى جهده لدفع قطع الزجاج المكسور بعيدًا عن الطريق.

هناك عدد قليل من شموع النذور مطوية في رفوف الكتب، استخدم إحداها لإعادة إضاءة خيط الشمعة المستدقة في الإطار، تحرك الإطار إلى أعلى إلى مكانه بمجرد إضاءة الشمعة، وأغلق الجدار بعيدًا على بقايا عالم الدمى مرة أخرى.

فجأة سمع زاكري مواء القط الفارسي عند قدميه.

- مرحبًا أيها القطّ! سأذهب في هذا الاتجاه، يمكنك أن تأتي إذا كنت تريد، إذا لم تكن تريد، فلا مشكلة، افعل ما يحلو لك.

قال زاكري للقط وأشار إلى أسفل القاعة إلى اليسار، وهو قرار اتخذه لحظة النطق به، وهدق إليه القط وهز ذيله.

القاعة على اليسار صغيرة وخافتة وفتحت على غرفة محاطة بأعمدة مكونة من تماثيل رخامية، وهي عبارة عن أشخاص عراة يحملون السقف في مجموعات ملتوية من ثنائيات وثلاثيات، وتبدو التماثيل أنها تركّز على بعضها أكثر من مجرد كونها تؤدي وظيفتها المعمارية.

السقف مذهب ومجهز بعشرات الأضواء الصغيرة التي ترخي وهجًا ناعمًا على طقوس اللهو الجامحة من الرخام المتجمد تحتها. ألقى زاكري نظرة خاطفة إلى الوراء وكان القط يلاحقه، ولكن عندما نظر إليه توقف ولعق مخلبه بلا مبالاة، كما لو أنه لا يتبعه على الإطلاق وصادف أنه يسير في نفس الاتجاه.

واصل نزوله إلى قاعة أخرى تأخذه بعيدًا عن الغرفة التي تجمع تماثيل آخرين، أحد التماثيل يحدّق إلى فضاء الغرفة، والآخر مستدير للخلف يغطي عينيه بيديه الرخاميتين.

عثر القط على شيء في الأرجاء وأخذ يضربه ويشاهده يتدحرج على الأرض، حتى فقد جاذبيته في عينيه، فأعطاه ضربة نهائية واستمر في طريقه. اقترب زاكري ليرى ما هو الشيء فوجد نجمة أوريجامي من الورق بزاوية واحدة منحنية فوضعها في جيبه.

وجد زاكري نفسه في النهاية في القلب، بشكل أو بآخر عن طريق الصدفة، باب مكتب الحارس مفتوح، لكن الحارس لم يرفع نظره حينما طرق زاكري الباب.

- مرحبًا سيد رولينز، كيف تشعر؟

- أفضل، شكرًا لك.

- وكيف أصبح صديقك؟

- إنه نائم ولكن يبدو أنه بخير. لقد كسرت المصباح في إحدى الصالات، يمكنني تنظيفه إذا كان لديك مكنسة أو شيء من هذا القبيل.
ووقعت عينا زاكري على مكنسة قديمة الطراز تقف في الزاوية.

- لا ضرورة لذلك، سأهتم بالأمر، في أي قاعة كسرت المصباح؟

قال زاكري مشيرًا إلى الطريق الذي أتى منه:

- بعد هذا الطريق، في مكان قريب، بجانب إطار صورة به شمعة حقيقية.

- آه! لقد فهمت.

قال الحارس وكتب شيئاً ما، كانت نبرته غريبة بما يكفي لدرجة أن زاكري

حاول التحديق بإمعان، معتقداً أن تهذيبه الشديد هو قاعدة عامة.

- ماذا حدث لغرفة منزل الدمى؟

قال الحارس دون أن ينظر إلى زاكري وبدا غير متفاجئ من أن زاكري

قد وجده:

- لقد تعرّض لحريق.

- لقد توقعت ذلك، ما سببه؟

- تراكم الظروف غير المتوقعة، حادثة!

أضاف الكلمة الأخيرة عندما لم يتجاوب زاكري معه. وتابع:

- لا يمكنني وصف تفاصيل الحدث؛ لأنني لم أشاهده بنفسي، هل هناك

أي شيء آخر يمكنني مساعدتك به؟

- أين الجميع؟

سأل زاكري وكان الانزعاج واضحاً في صوته، لكن الحارس لم ينظر إلى

الأعلى واستمرّ في الكتابة.

- أنت وأنا هنا، صديقك في غرفته، من المحتمل أن رايم تراقبه أو أنها

تحضر واجباتها، ولا أعرف موقع ميرابيل الحالي، فهي تحتفظ بكل

شيء لنفسها.

- أهذا كل شيء؟ هناك خمسة مناً فقط؟ والقطط؟

- هذا صحيح يا سيد رولينز، هل تريد أن تعرف عدد القطط؟ قد لا يكون

دقيقاً، ومن الصعب إحصاؤها!

- لا، شكرًا لك، لكن... أين ذهب الجميع؟

توقف الحارس مؤقتًا ونظر إليه، وبدا أكبر سنًا وأكثر حزنًا، لم يستطع

زاكري معرفة أيهما، لكن ربما كلاهما.

- إذا كنت تشير إلى سكاننا السابقين، فقد غادر البعض، ومات البعض، وعاد البعض إلى الأماكن التي أتوا منها، والبعض الآخر سعى إلى أماكن جديدة، وأتمنى أن يعثروا عليها، وأنت تعرف الآن أولئك الذين بقوا منا.
- لماذا بقيت أنت هنا؟

- أنا باق هنا لأنها وظيفتي يا سيد رولينز، واجبي، مهمتي، سبب وجودي.
وأنت، لماذا أنت هنا؟

«لأنّ كتابًا ما قال إنه يفترض بي أن أكون هنا، لأنني قلق من العودة بسبب السيدات المجنونات في معاطف الفرو اللواتي يحتفظن بأيديهن في الجرار، لأنني لم أستوعب اللغز بعد، على الرغم من أنني لا أعرف ما اللغز. لأنني أشعر بأنني على قيد الحياة هنا أكثر مما شعرت به هناك في الأعلى». هذا ما قاله زاكري في سره.

- أنا هنا للإبحار في البحر الخالي من النجوم واستنشاق الهواء المسكون.
قال زاكري وجعل وقع صدى الكلمات الحارس يبتسم، بدا أصغر سنًا في ابتسامته.

- أتمنى لك كل التوفيق في ذلك، هل هناك أي شيء آخر يمكنني مساعدتك به؟
- هل تعرف أحدًا من السكان السابقين يدعى (كيتنغ)؟
تغيرت تعابير وجه الحارس إلى شيء لم يستطع زاكري قراءته.
- كان هناك العديد من حاملي هذا الاسم داخل هذه القاعات.
- هل كان لدى أي منهم مكتبة؟ في الطابق العلوي؟
- ليس على حد علمي.
- متى كانوا هنا؟
- منذ زمن بعيد سيد رولينز، قبل ظهورك حتى.
- آه! حسنًا.

حاول زاكري التفكير في أسئلة أخرى، ولم يعرف ماذا يسأل. الأحزان العذبة في حقيبته ويمكنه أن يريه للحارس ولكن شيئًا ما جعله يتردد، شعر بالتعب فجأة، وعندما كانت الشمعة تنتقد على مكتب الحارس أخذ الدخان أفكاره مرة أخرى إلى بيت الدمى والكون المدمر، وفكر أنه ربما ينبغي له الاستلقاء أو شيء من هذا القبيل.

- هل أنت على ما يرام؟

قال زاكري بلهجة تشي بالكذب:

- أنا بخير، شكرًا لك.

شق زاكري طريقه عبر القاعات التي تبدو الآن أكثر قتامة وفراغًا، شعر بالأرض تطبق على صدره، الكثير من الحجارة بين السماء وهنا، الكثير من الثقل معلق فوق رأسه.

تبدو غرفته وكأنها فسحة أمان عندما وصل لها، وبمجرد أن تجاوز العتبة، خطا على شيء انزلق من تحت بابه، حرك حذاءه وكان تحته قطعة ورق مطوية. مد زاكري يده وأمسكها، يوجد عليها حرف (ز) من الخارج، الحرف الرائع التشكيل يتقاطع مع خط في المنتصف ويبدو أنه من أجله.

هناك أربعة أسطر في الورقة، بخط يد لم يتعرف عليه، ولا يبدو رسالة أو ملاحظة، ففكر بأنها قد تكون جزءًا من قصيدة أو قصة أو لغز.

ملكة النحل في انتظارك..

حكايات مخبأة سيفصح عنها..

أحضِر لها مفتاحًا غير مزور..

ومفتاحًا آخر مصنوعًا من الذهب الخالص.

T telegram @tea_sugar استعارة الكتب

يعلم سايمون أن ساعات قد مرّت، فهو متعب وجائع وتذكر أنه أحضر طعامًا لهذا الغرض، وترك حقيبته في الكوخ وأحضر مكنسة بدلًا من ذلك، تلك التي تبدو الآن غير عملية. إنه لا يصدق ادعاء لينور بأن الكثير من الوقت قد مضى، لكنها لم تعد والآن هو نصف نائم وكتابها غريب تمامًا عنه وهو غير متأكد من أنه يحب أيًا من هذا.

فكر في والدته، وكيف أنها أخفت مثل هذا المكان في كوخ في الريف وتتبع على مضض بوصلته عائدًا إلى بهو المدخل، حاول فتح الباب لكنه مقفل وحاول مرة أخرى معطيًا المقبض دفعة إضافية.

قال صوت من ورائه:

- لا يمكنك أن تأخذ ذلك معك!

استدار ليجد الحارس واقفاً في طريقه، خلف الرقاص المتأرجح، واستغرق سايمون لحظة ليدرك أن الحارس يشير إلى الكتاب ذي الحواف الذهبية في يده.

- أردت أن أقرأه.

شرح سايمون على الرغم من أن الأمر يبدو واضحاً: ماذا يريد أن يفعل بكتاب غير ذلك؟ على الرغم من أن هذا ليس صحيحاً تماماً، يريد أن يفعل شيئاً أكثر من مجرد قراءته، يريد دراسته والغوص به، يريد أن يستخدمه نافذةً ليرى ما بداخل شخص آخر، يريد أن يأخذ الكتاب إلى منزله، إلى حياته، إلى سريره لأنه لم يستطع أن يفعل الشيء نفسه مع الفتاة التي أعطته إياه.

فكّر في أنه يجب أن تكون هناك عملية رسمية لإقراض الكتب هنا.

- أود استعارة هذا الكتاب، إذا جاز لي ذلك.

- يجب أن تترك شيئاً مكانه.

قطب سايمون حاجبيه وأشار إلى المكنسة التي لا تزال موجودةً على باب المكتب.

- هل ستجزي هذه؟

نظر الحارس إلى المكنسة وهزّ برأسه موافقاً.

توجه الحارس ناحية المكتب وكتب اسم سايمون على قطعة من الورق وربطها بالمكنسة، وبدأت القطة على المكتب تتنأب وتنأب سايمون ردّاً على ذلك.

- ما عنوان الكتاب؟

نظر سايمون إلى الغلاف على الرغم من أنه يعرف الإجابة:

- الأحزان العذبة، ولكن لا يوجد عليه اسم مؤلف.

- هل لك أن تريني إياه!

سلمه سايمون الكتاب، نظر إليه الحارس بتمعن، ثم تفحص الغلاف من الجانبين.

- من أين حصلت عليه؟

- أعطتني إياه لينور، لقد قالت إنه المفضل لديها.

وافترض سايمون أنه لا يحتاج إلى إخبار الحارس من هي لينور لأنها عصابة على النسيان.

كان التعبير على وجه الحارس غريباً وهو يسلم الكتاب إلى سايمون.
قال سايمون وهو يشعر بالارتياح لاسترجاعه الكتاب:
- شكراً لك، تفضل بوصلتك.

استجاب الحارس وفتح راحة يده، بينما سايمون يحدق لثانية قبل أن يزيل السلسلة الذهبية من رقبته، وكاد يسأل عما إذا كان هناك خطأ ما، أو عن لينور، أو أي من أسئلته العديدة، ولكنه اكتفى بالصمت.
- ليلة سعيدة.

قالها سايمون مكتفياً بها، وأوماً الحارس برأسه، ثم فتح الباب له دون ممانعة هذه المرة.

غطّ سايمون بالنوم وهو يقف في القفص الذي بدأ طريقه في الصعود، وانتصب نصف مستيقظ عندما توقف القفص، تبدو الغرفة الحجرية المضاءة بالفانوس كما كانت من قبل ولا يزال الباب المؤدي إلى الكوخ مفتوحاً.

يشعّ ضوء القمر عبر نوافذ الكوخ، لا يستطيع سايمون تخمين الوقت بالضبط، الطقس بارد وهو متعب جداً لدرجة أنه لا يستطيع إشعال النار، لكنه ممتن لمعطفه. انهار على السرير دون إزالة الكتب من يديه، وبقيت إحدى يديه تطبق على الأحزان العذبة ووقع على الأرض، بينما غطّ سايمون في النوم.

استيقظ مرتبكاً مصاباً بكدمات على شكل كتاب على ظهره، لا يتذكر مكانه أو كيف وصل إلى هنا، ضوء الصباح يطل من خلال فجوات اللبلاّب، ونافذة لا تزال مفتوحة تصدر صريراً بينما الريح تلعب بها.

تتسرب ذكريات عن المفتاح والكوخ والقطار إلى أفكاره الملبدة بالغيوم، لا بد أنه غرق في النوم، وحظي بأغرب حلم على الإطلاق.

جرب فتح الباب في الجزء الخلفي من الكوخ لكنه عالق، ويحتمل أنه مغلق بسبب جذوع العليق في الخارج. حاول أن يشعل النار في الموقد، إنه لا يعرف ماذا يفعل بهذا المكان ومع هذه الكتب، هذه الأشياء التي من المفترض أن والدته تركتها له.

وجد صندوقاً طويلاً ومنخفضاً خلف السرير، القفل مغلق ويحاوطه الصدأ من كل مكان، وبركلة قوية بكعب حذائه تمكن من كسرهما، في الداخل أوراق باهتة وكتب أكثر. إحدى الوثائق بين الأوراق هي صك ملكية الكوخ موقع

باسمه، بما في ذلك جزء كبير من الأرض المحيطة. فتش في بقية الأوراق باحثًا عن رسالة من والدته، منزعًا من أنها كانت تتوقع عيد ميلاده الثامن عشر ودلته على هذا المكان دون مخاطبته شخصيًا، ووجد معظم الأوراق الأخرى غامضة: قصاصات من الملاحظات والأوراق التي تبدو وكأنها حكايات خرافية، وقصص طويلة مشوشة عن التناسخ والمفاتيح والمصير. الرسالة الوحيدة الموجودة ليست واحدة من والدته بل هي رسالة مكتوبة إليها، وهي رسالة متقدمة بالمشاعر إلى حد ما، موقعة من شخص يدعى (عاصم) وخطر ببال سايمون أنه ربما يكون والده.

تساءل فجأة، عما إذا علمت والدته أنها ستموت، إذا كانت تستعد لهذا تحسبًا لغيابها، لم تكن فكرة استمتع بها ولم يحبها، لديه ميراث الآن، كتاب مملوء بالغبار وجذوع اللبلاب من حوله، هذه أشياء يطلق عليها لقب الأشياء التي تخصه. تساءل عما إذا كان يمكنه العيش هنا، إذا كان يريد ذلك، ربما مع سجاد وكراسي أفضل وسرير مناسب.

قام بفرز الكتب ومجلدات الأساطير والخرافات على جانب واحد من الطاولة، وكتب التاريخ والجغرافيا على الجانب الآخر، وترك مجلدات لم يستطع التفريق بينها في المنتصف. هناك كتب خرائط وكتب مكتوبة بلغات لم يستطع قراءتها والعديد منها مميزة بعدد من الشروح والرموز: التيجان والسيوف ورسومات اليوم.

وجد مجلدًا بحجم صغير بالقرب من السرير لم يكن الغبار يتكدس عليه مثل بقية الكتب، وعندما تعرف عليه أسقطه مرة أخرى، سقط منه على كومة من الكتب، وبالكاد يمكن تمييزه عن البقية.

لم يكن كل ذلك حلمًا، إذا لم يكن الكتاب حلمًا فالفتاة ليست حلمًا، ذهب سايمون إلى الباب الخلفي ودفعه بقوة ضاغظًا عليه، ألقي كل ثقله في كتفه لإجباره على الفتح، وقد لان بالفعل هذه المرة. ها هو الدرج الآن مرة أخرى، الفوانيس في الأسفل، القفص المعدني ينتظره، كان النزول بطيئًا جدًّا، لا توجد قواعد في غرفة الانتظار هذه المرة، وسمح له الباب بالدخول دونما سؤال.

كان مكتب الحارس مغلقًا وسمع سايمون الباب يفتح عندما كان يتجه نحو الممر لكنه لم ينظر خلفه، من الصعب تحديد مكان الباب بالقلب مرة

أخرى دون بوصلته، أخذ المنعطفات الخاطئة وعاد بها مرات ومرات، ثم صعد درجًا مصنوعًا من الكتب.

وجد أخيرًا منعطفًا مألوفًا، ثم زاوية مظلة والباب بقلبه المحترق، كانت الغرفة التي خلفه فارغة، جرب فتح الباب الذي يحتوي رسمة الريشة لكنه كان مصرًا على الانفتاح على العدم فقط فأغلقه سايمون مرة أخرى.

«قد تعود في أي لحظة

قد لا تعود أبدًا».

مشى سايمون حول الطاولة، وعندما تعب من دورانه جلس على الكرسي الطويل، وضبطه بزواوية حتى يتمكن من مواجهة الباب، متسائلًا كم من الوقت انتظرت تلك القطة في هذه الغرفة حتى فتح أحدهم بابًا لتحريرها، وكيف تركت بالداخل في المقام الأول! تعب من الجلوس وعاد للمشي، التقط ريشة من فوق الطاولة، كتب رسالة، ثم وضعها تحت الباب.

تساءل عن ماهية الذي سيكتبه، وإن كان سيصبح مفيدًا، اعتقد أنه يفهم الآن سبب عدم ترك والدته أي رسائل له. لا يمكنه حتى إخبار لينور بالوقت أو اليوم الذي كان ينتظر به هنا؛ لأنه لا يملك قياسات متاحة للوقت مثل ساعة أو أي شيء آخر، أدرك مدى صعوبة تحديد مرور الوقت دون ضوء الشمس ووضع الريشة من يده.

تساءل كم هو الوقت المناسب لانتظار فتاة قد تكون حلمًا أو لا، وتساءل ما إذا كان بإمكانه أن يحلم بفتاة في مكان حقيقي أو إذا كان المكان حلمًا، ألمه رأسه من كثرة التفكير، وربما يجب إيجاد شيء لقراءته بدلًا من الاستمرار في التفكير.

ندم لأنه ترك الأحزان العذبة في الكوخ، ونظر إلى الكتب المكومة على الرفوف، كثير منها غير مألوف وغريب، ومجلد ضخم به حواش سفلية وغراب على غلافه جذب انتباهه أكثر من الآخرين، وجد نفسه منجذبًا إلى قصة اثنين من السحرة في إنجلترا حتى إنه فقد إحساسه بمرور الوقت.

فجأة يفتح الباب الذي نقشت عليه ريشة وتظهر لينور.

وضع سايمون الكتاب جانبًا ولم ينتظرها لتقول أي شيء، لا يمكنه الانتظار، فهو خائف جدًا من اختفائها مرة أخرى وعدم ظهورها أبدًا، اجتاز المسافة بينهما بأسرع ما يمكن، قبلها بيأس وبقلب مكسور، قبلها بعد جوع

طويل، وبعد لحظة قبلته هي مرة أخرى بنفس القدر، وكانت إليانور مؤمنةً أن التقبيل لا ينصف في الكتب.

جرّد كل منهما الآخر من ملابسه، وشتم سايمون المشابك الغريبة على ملابسها، بينما ضحكت إليانور على عدد الأزرار الهائل على ملابسه، وترك عليها أذني الأرنب..

من الأسهل أن تقع في حالة حب في غرفة ذات أبواب مغلقة، أن يكون العالم كله في غرفة واحدة، في شخص واحد. تكثف الكون وأضاء واشتعل وجهه، وأصبح مشرقاً وحيّاً ومليئاً بالطاقة، لكن الأبواب لا يمكن أن تبقى مغلقة إلى الأبد.

وقف زاكري إزرا رولينز أمام تمثال لامرأة مغطاة بالنحل متسائلاً عما إذا كان الأمر يتطلب تاجاً لجعلها ملكة.

هذه هي الهوية الوحيدة التي يمكن أن يفكر فيها لملكة النحل في مهمته الجديدة (هل هذه مهمة جانبية أم مهمة رئيسية؟) قال الصوت في رأسه. لكنه لا يعرف كيف يعطيها المفاتيح. لقد بحث في التمثال الرخامي عن ثقوب المفاتيح ولم يجد سوى الشقوق، ولديه مفاتيح ليعطيها إياه. إنه عالق في الجزء الذي لم يتم تزويره مطلقاً وهو غير متأكد من مكان العثور على مفتاح ذهبي. ربما يجب عليه فرز جميع الجرار في مكتب الحارس، أو إيجاد الغرفة التي تحوي المفاتيح من كتاب الأحزان العذبة، أدرك أن المفاتيح الموجودة في الجرار قد تكون تلك المفاتيح نفسها، وتم تخزينها.

لقد قام بفحص كل نحلة، وفحص الكرسي الرخامي الذي تجلس عليه المرأة بالكامل، ولم يجد شيئاً. ربما هناك امرأة أخرى في مكان ما تحكم النحل. النحل ليس جزءاً من التمثال، لقد تم نحته من حجر مختلف بلون عسلي أكثر دفئاً ويمكن تحريكه. قد ينتمون جميعاً إلى مكان آخر. وقد تحرك بعضهم منذ المرة الأولى التي رأى فيها زاكري هذا التمثال.

حرك زاكري نحلة واحدة على كل من كفوف المرأة المفتوحة وتركها وحدها لتفكر في أي أفكار قد تخطر للتماثيل عندما تكون بمفردها تحت الأرض ومغطاة بالنحل.

اختار قاعة جديدة له، وتوقف عند أداة غريبة تبدو وكأنها آلة علكة كبيرة من الطراز القديم، ملائحة بأجرام معدنية ذات ظلال مختلفة. أدار زاكري المقبض المزخرف وأدارت الآلة كرة نحاسية، كانت أثقل مما تبدو، وبمجرد أن اكتشف زاكري كيفية فتحها، وجد لفافة صغيرة مدسوسة بالداخل تتكشف مثل شريط دائري مع قصة طويلة مذهشة، مكتوبة عليها عن الحب الضائع والقلاع والمصائر المتقاطعة. مكتبة .. سر من قرأ

أخذ زاكري الكرة النحاسية الفارغة والقصة المتشابكة في حقيبته واستمر على طول القاعة حتى وصل إلى درج كبير يؤدي إلى مساحة واسعة كانت قاعة احتفالات ضخمة فارغة تمامًا. لم يستطع منع نفسه من تخيل عدد الأشخاص الذين سيستمعون بالرقص والصخب هنا. إنها أطول من القلب، وتختفي أسقفها المرتفعة في ظلال يمكن أن يعتقد خطأ أنها سماء الليل. تصطف المواعد على الجدران، أحدها مضاء وبقية الضوء يأتي من الفوانيس المعلقة من سلاسل معلقة على طول الجدران. وتساءل عما إذا كانت رايم قد أضاءتها في حال مرور شخص ما في الغرفة، أو في حالة رغبة شخص ما في الرقص، أو إذا أضاءوا أنفسهم بأنفسهم، في ترقب شديد.

بينما كان يمشي عبر قاعة الرقص، إذ شعر زاكري بشكل أكثر حدة أن شيئاً ما فاته. لقد وصل متأخرًا، انتهت الحفلة وإذا كان قد فتح ذلك الباب المطلي منذ فترة طويلة، فهل كان قد فات الأوان؟ من المحتمل!

يوجد باب على الحائط البعيد، خلف موقد النار وما وراء امتداد الممرات المفتوحة المظلمة، فتح زاكري الباب ووجد شخصاً آخر في خضم فراغ ما بعد الحفلة.

كانت ميرابيل تقف بين الرفوف الملائحة بالزجاجات، في زاوية تشبه النافذة على الحائط دون نافذة في قبو نبيذ، نبيذ كاف لجميع الحفلات التي لا تحدث في قاعة الرقص. ترتدي فستاناً أسود بأكمام طويلة، يمكن وصفه على الأرجح بأنه رفيع إذا لم يكن بهذا الحجم الضخم. يحجب ساقها وأكوام النبيذ تحتها وجزءاً من الدور. بيدها كأس من النبيذ الفوار، وأنفها مدفون في كتاب وعندما اقترب زاكري منها تمكن من قراءة الغلاف: *تجدد في الزمن*.

ميرابيل:

- لقد شعرت بالضيق بسبب عدم تذكر تقنيات المربع.

قالت ميرابيل دون النظر إلى زاكري أو توضيح أي محددات تتعلق
بالمكان أو الزمان وتابعت:

- قد تكون مهتمًا بمعرفة أن الضرر الناجم عن حريق بالتيار الكهربائي
في قبو ناد خاص في مانهاتن كان كبيرًا، ولكنه تحت السيطرة ولم
ينتشر إلى المباني المجاورة. قد لا يضطرون حتى إلى هدمه.

وضعت كتابها على زجاجة نبيذ قريبة وتركته مفتوحًا لإبقاء صفحاتها
مميّزة ونظرت إليه، وأكملت:

- كان المبنى -حسبما ورد- غير مأهول في ذلك الوقت، أود أن أعرف
مكان أليغرا قبل أن أعود بك إلى منزلك، إذا كان هذا مناسبًا لك!

فكر زاكري أنه لم يعد يهم على الأرجح ما إذا كان كل شيء يناسبه أم لا،
ومرة أخرى، لم يجد نفسه في عجلة من أمره للعودة إلى السطح.

- من ملكة النحل؟

نظرت إليه ميرابيل بتساؤل بما يكفي لتتأكد من أنها لم تلتقط ما قال،
لكنها بعد ذلك هزت كتفها وأشارت خلفه.

استدار زاكري، حيث طاوولات خشبية طويلة بمقاعد مطوية بين رفوف
النبيذ، وزوايا أخرى شبيهة بالنافذة في الجدران الحجرية، أكبرها يحمل
اللوح الضخمة التي تشير إليها ميرابيل.

كانت صورة لامرأة ترتدي ثوبًا قصيرًا أحمر اللون تحمل رمانة في يد
وسيفًا في اليد الأخرى. الخلفية عبارة عن ظلام محكم مع ضوء قادم من
الصورة نفسها، وتذكّر زاكري لوحة الرسام رامبرانت بالطريقة التي تتألق
بها في الظل. يحجب وجه المرأة سرب من النحل توجه القليل منه إلى أسفل
للبحث عن ثمرة الرمان.

- من هذه؟

- تخمينك جيد مثل تخميني، لها إحياءات ثقيلة نوعًا ما مثل بيرسيفوني.

قال زاكري وهو يحدق إلى الرسم:

- ملكة العالم السفلي.

وحاول زاكري معرفة كيفية إعطائها المفاتيح وفشل، وتمنى أن يكون
للرمان ثقب مفتاح مرسوم عليه، سيكون ذلك غريبًا لكنه مناسب.

قالت ميرابيل وهي تنزلق عن مقعدها:

- إنك تقرأ جيداً يا إزرا.

قال زاكري مصححاً:

- أنا على دراية جيدة بالأساطير، عندما كنت طفلاً، اعتقدت أن هيكات وإيزيس وجميع الأوريشاس كانوا أصدقاء لأمي، مثل الأشخاص الحقيقيين، أفترض بطريقة ما أنهم كانوا كذلك، ولا يزالون، حسناً ذلك لا يهم.

رفعت ميرابيل زجاجة شمبانيا مفتوحة من دلو ثلج على إحدى الطاوات. رفعتها وقدمتها إلى زاكري.

- أنا رجلٌ يحتسي أكثر مما هو مجرد كوكتيلات.

على الرغم من أنه يعتقد أيضاً أن النبيذ الفوار هو مشروب في أي وقت وقد ر أسلوب ميرابيل.

سألته ميرابيل وهي تعيد كأسها:

- ما السمّ المفضل لديك؟ أنا مدينة لك بمشروب ورقصة وأشياء أخرى، أنا متأكدة من ذلك.

قال زاكري مشتتاً بأوراق اللعب الموجودة بجانب الشمبانيا:

- مشروب سايدكار من دون سكر.

مشت ميرابيل بخفة على جانب الحائط إلى الطرف الآخر من اللوحة وثوبها خلفها، نقرت على جزء من الجدار الذي انفتح ليكشف عن عربة نقل طعام ومشروب مخفية.

أعاد زاكري انتباهه للبطاقات:

- هل هذه لك؟

- أخلط بينها أكثر مما أقرأها، أنا مندهشة من عدم وجود المزيد هنا، إنها في الأساس قصص في أجزاء يمكن إعادة ترتيبها.

قلب زاكري بطاقة وتوقع أن تكون نموذجاً أصلياً لورقة تارو، ولكن الصورة على البطاقة كانت غريبة: رسم تشريحي بالأسود والأبيض وتحيط بها دوامة من الدم بالألوان المائية.

«الرثة» العنوان مناسب للشكل التوضيحي: رثة واحدة، وليس زوجًا، يبدو الدم بالألوان المائية وكأنه يتحرك ويدور في الرثة ويخرج مرة أخرى، وضع زاكري البطاقة على كومة الأوراق وأخافه صوت رنين صادر من الباب على الحائط.

- هل تقرأ والدتك البطاقات؟

سألته ميرابيل وهي تعطيه كأسه الزجاجية الباردة دون سكر على الحواف.

- أحيانًا، يميل الناس إلى توقعها أن تفعل ذلك، لذا ستضع بعض البطاقات عندما تقرأ لكنها في الغالب تحمل الأشياء وتحصل على انطباعات منها، إنه يسمى التكهن النفسي.

- إنها تتكهن بالأرواح.

- أعتقد ذلك، إذا كنت على علم في الترجمات المباشرة.

أخذ زاكري رشفة من مشروبه، ربما كان هذا هو مشروب السايديكار الأكثر كمالًا الذي تذوقه على الإطلاق، ما جعله يتساءل كيف يمكن للكمال أن يكون أمرًا مريبًا لهذا الحد.

- إن المطبخ ممتاز في خلطات الكوكتيل.

قالت ميرابيل ردًا على تعابير وجه زاكري بعد رنين الجرس، وتابعت:

- كما كنت أقول لك، يجب أن نبقي منخفضين، لكن ليس بالمعنى الحرفي للكلمة، لا تخبرني أنه لا يمكنك العثور على أي شيء أو أي شخص تشغل نفسك به، قد تفكر أنك يومها إذا كنت قد التقطت كتابًا مختلفًا من المكتبة فلن تكون هنا الآن. أنا أسفة لأنك فقدت الكتاب.

- أوه، لقد كان بحوزتي طوال الوقت، كان دوريان قد وضعه في معطفي.

أخرج زاكري كتاب الأحزان العذبة من حقيبته وأعطاه إلى ميرابيل، وتابع:

- هل تعرفين من أين أتى هذا الكتاب؟

قالت ميرابيل وهي تتصفح الكتاب:

- يمكن أن يكون أحد الكتب من الأرشيف، لست متأكدة، لا يسمح إلا للأتباع بالدخول في الأرشيف، ستعرف رايم المزيد لكنها ربما لن تخبرك، إنها تأخذ عهدها على محمل الجد.

- من كتبه؟ ولماذا أنا بداخله؟
- إذا كان من الأرشيف فقد كتب هنا، لقد سمعت أن السجلات المحفوظة في الأرشيف ليست مرتبةً زمنياً بشكل دقيق، يجب أن يكون أحدهم قد أزاله وجلبه إلى الأعلى، قد يكون هذا هو السبب الذي جعل أليغرا تبحث عنه، فهي تحب إبقاء الأشياء سرية.
- هل هذا ما تفعله، تحاول إبقائه سرياً؟
- إنها تعتقد أن الاحتفاظ به بعيداً سيبقيه آمناً.
- في مأمّن من ماذا؟
- استهجنت ميرابيل السؤال وقالت:
- من الناس؟ من التغيّر؟ من الزمن؟ لا أعلم. ربما تكون قد نجحت لو كان الأمر عائداً لي. لم يكن هناك سوى الأبواب الحقيقية ذات مرة، وقد أغلقت الكثير قبل أن أدرك أنه يمكنني رسم أبواب جديدة، وهي الآن تحاول إغلاقها أيضاً، إغلاقها وكتمان كل شيء عنها وحمايتها من الأذى.
- لقد تحدّثت كثيراً عن البيض وعن منعه من الانكسار.
- فكرت ميرابيل بالأمر وقالت:
- إذا انكسرت البيضة، فإنها تصبح أكثر مما كانت عليه، وما البيضة، إن لم يكن هناك شيء ينتظر أن ينكسر.
- أعتقد أن البيضة كانت كنايةً عن شيء.
- لا يمكن صنع العجة دون كسر بعض الكنايات.
- أغلقت ميرابيل الأحزان العذبة وأعادته إلى زاكري.
- إذا كان ينتمي إلى الأرشيف فلا أعتقد أن رايم سوف تمانع إذا احتفظت به ما دام هو هنا في الأسفل.
- وبينما كانت ميرابيل تستدير لاستعادة كأس النبيذ الخاصة بها، إذ لاحظ زاكري إضافةً إلى السلاسل العديدة الموجودة حول رقبتها، طبقات من السلاسل فوق بعضها مع سيف ذهبي يشبه إلى حد كبير الموجود حول رقبتة مصحوباً بمفتاح ونحلة.
- هل هذه القلادة من الذهب؟

سأل زاكري مشيرًا إلى عنقها ونظرت إليه ميرابيل بفضول ثم ألقت نظرة على المفتاح.

- أنا أعتقد ذلك، إنه مطلي بالذهب على الأقل.

- هل ارتديته في الحفلة العام الماضي؟

- نعم لقد ارتديته، لقد ذكرتني بالقصة التي تحدثت بها عن أصلك في المصعد، أنا سعيدة لأنها كانت مفيدة، المجوهرات المفيدة هي أفضل أنواع المجوهرات.

- هل... هل يمكنني استعارة المفتاح؟

- أليس لديك ما يكفي من المجوهرات؟

ونظرت ميرابيل إلى بوصلته ومفاتيحه وسيف دوريان معلقًا مثل تعويذة.

- انظروا من يتكلم عن المجوهرات!

تضغط ميرابيل على عينيها وترتشف نبيذها وتمد يدها خلف رقبتها لفك المشبك، ترخي تشابك السلسلة وتزيل المفتاح عن بقية القطع وتسلمه إلى زاكري.

تضع ميرابيل المفتاح في راحة يده وتقول له:

- احرص عليه!

- بالطبع سأفعل، سأعيده إليك.

أخذ زاكري السلسلة ووضعها في حقيبته.

- ماذا ستفعل يا إزرا؟

سألته ميرابيل وكاد يخبرها شيئًا ما لكنه لم يفعل.

- لست متأكدًا بعد، سأخبرك حالما أعرف.

تقول ميرابيل مع ابتسامة فضولية:

- أرجوك أن تفعل.

التقط زاكري كأس النبيذ الخاصة بميرابيل عن الطاولة وارتشف منها، مذاقها مثل شمس الشتاء والثلج الذائب، فقاعات لامعة وحادة ومتفجرة.

توجد قصة هنا، لكل فقاعة في كل زجاجة، في كل كوب، في كل رشفة وعندما ينفد النبيذ ستبقى القصص.

لم يكن زاكري متأكدًا مما إذا كان ذلك الصوت الذي قال الكلمات هو الصوت الطبيعي في رأسه أم صوت آخر، وإذا كان نبيذ ميرابيل مصنوعًا من قصص مثل قصصها الغريبة الملائنة بالنعناع.

لم يعد متأكدًا من أي شيء، إنه غير متأكد حتى من أنه يمانع في عدم التأكد من أي شيء، وضع ما تبقى من مشروبه ليذهب بأصوات القصة بعيدًا وعندما استقرت كان هناك سؤال واحد على لسانه.

- ماكس، أين البحر؟

- أين ماذا؟

- البحر... البحر الخالي من النجوم، الجسم المائي الذي يوجد عليه هذا المكان باعتباره مزفأ.

- أوه!

قالت ميرابيل عابسة عبر زجاجها الذي تملؤه الفقاعات، وانتظرها زاكري لتخبره أن البحر الخالي من النجوم هو قصة ما قبل النوم للأطفال، أو أن البحر الخالي من النجوم هو حالة ذهنية أو أنه لا يوجد «بحر بلا نجوم»، ولم يكن موجودًا على الإطلاق ولكنها لم تقل شيئًا.

- من هذا الطريق.

أزالت زجاجة الشمبانيا عن الطاولة وخرجت من قبو النبيذ إلى قاعة الرقص.

تبع زاكري ميرابيل، تاركًا كأسه الفارغة بجوار مجموعة أوراق من شأنها أن تخبره القصة بأكملها إذا قام بترتيبها بالترتيب الصحيح. قادته ميرابيل عبر الأقواس المظلمة بالقرب من الباب المؤدي إلى قبو النبيذ الداكن للغاية، الذي لم يلاحظ زاكري الدرج خلفه. لم يستطع أن يرى أكثر من ذراع أمامه وهما ينزلان. صعد درجتين خلف ميرابيل حتى لا يخطو على حافة ثوبها، وحتى في تلك المسافة ذات الدرجين وبالرغم من المسافة القصيرة تلاشت ميرابيل في الظل.

- إلى أي مدى سننزل إلى أسفل؟

بدأ زاكري في التساؤل، ولكن الظلام أخذ كلمة إلى فقط وأعادها: إلى إلى إلى إلى إلى....

وفهم زاكري عبر هذا الظلام والصدى مدى الاتساع الكبير.

انتهى الدرج عند جدار طويل منخفض منحوت في الصخر، وأعمدة قصيرة ترتفع من الأرضية الحجرية الخام.

ألقي زاكري نظرة عكسية على الدرج؛ حيث سته قناطر من الضوء تحدق إلى الظلام.

- إذا أنت تتمنى رؤية البحر.

بدأت ميرابيل بغناء تلك الكلمات وهي تنظر من فوق الحائط في الظلام، ولم يستطع زاكري أن يعرف ما إذا كانت تتحدث معه أو إلى نفسها أو إلى الظلام الذي افترض أنه كهف. وأجاب الكهف أو الصدى الكهف: «انظر... انظر... بحر... بحر... بحر!»

- أين هو؟

اقتربت ميرابيل من الجدار الحجري ونظرت خلفه، ووقف زاكري بجانبها ناظرًا إلى الأسفل.

التقط الضوء المنبعث من القاعة مساحة من الحجر الخام قبل أن تتلاشى الصخور إلى العدم والظل. كل ما أمكنه رؤيته كان خيالًا على الحجر بجانب ميرابيل لكن الضوء لم يسلط على أي شيء يشبه الماء أو الأمواج.

- إلى أي مدى سننزل إلى أسفل؟

ردًا على هذا السؤال، أخذت ميرابيل زجاجة الشمبانيا وألقت بها في الظلام. وانتظر زاكري أن تصطدم بصخرة أو تسقط في بحر لا يعتقد أنه موجود، ولا شيء يوحي بذلك، وواصل الانتظار والانتظار، بينما ترتشف ميرابيل من كأس نبيذها.

بعد وقت يكون من الأنسب قياسه بالدقائق وليس بالثواني، أحدث صوت ضعيف بعيدًا، بعيدًا في الأسفل، لدرجة أن زاكري لم يستطع معرفة ما إذا كان الصوت تكسر الزجاج أم لا، والتقط الصدى الصوت بفتور وحمله جزئيًا كما لو أن الجهد أكبر من أن يجلب مثل هذا الصوت الصغير إلى أعلى.

- بحر بلا نجوم.

قالت ميرابيل، وهي تشير بزجاجها إلى الهاوية السفلية والظلام في الأعلى، مجرد من النجوم.

حدّث زاكري إلى العدم، ولم يعرف ماذا يقول.

- كانت هذه شواطئ، كان الناس يرقصون على الأمواج المتكسرة خلال الحفلات.

- ماذا حدث؟

- لقد انحسرت

- هل هذا... هل هذا هو سبب رحيل الناس أم أنها انحسرت لأن الناس رحلوا؟

- لا هذا ولا ذاك، كلاهما، يمكنك محاولة التقاط لحظة واحدة بدأ النزوح بها، لكنني أعتقد أن الوقت قد فات. كانت الأبواب القديمة تنهار قبل وقت طويل قبل أليغرا، وبدأت الشركة في تحطيمها وعرض مقابض الأبواب مثل تذكارات الصيد، الأماكن تتبدل والناس تتغير.

وأخذت ميرابيل رشفة أخرى من نبيذها وتساءل زاكري عما إذا كانت تفكر في شخص معين لكنه لم يسأل. فتابعت:

- لم يبق الأمر على ما كان عليه، من فضلك لا تشعر بالسوء حيال تفويتك حضور الذروة، الذروة قد ولت، لقد انتهى المد والجزر قبل وقت طويل حتى قبل يوم مولدي.

- لكن... الكتاب!

تلعثم زاكري ولم يعرف ما يقوله تمامًا ثم قاطعته ميرابيل.

- الكتاب تفسير، تريد مكاناً يشبه ما كان عليه المكان في الكتاب، لكنه ليس مكاناً في كتاب، إنه مجرد كلمات، المكان في خيالك هو المكان الذي تريد الذهاب إليه، وهو مكان خيالي بينما هذا حقيقي.

وضعت ميرابيل يديها على الحائط وتشقق الحجر بالقرب من أصابعها، وظهر شرخ اندفع إلى أسفل بجانب الحائط مختلفاً في أحد الأعمدة.

- يمكنك كتابة صفحات لا نهائية، ولكن الكلمات لن تكون عن المكان المناسب أبداً، إلى جانب ذلك، هذا ما كان عليه، وليس ما هو عليه.

- يمكن أن يكون كذلك مرة أخرى، أليس كذلك؟ إذا قمنا أنت وأنا بإصلاح الأبواب، سيأتي الناس.

- أقدر لك استخدام كلمتي أنت وأنا يا إزرا، لكنني كنت أفعل هذا لسنوات، يأتي الناس لكنهم لا يبقون، يأتون ويرحلون، الوحيد على الإطلاق الذي بقي كان رايم.

- قال الحارس بأن جميع السكان القدامى غادروا أو ماتوا.

- أو اختفوا ولم يظهروا بعدها.

- اختفوا ولم يظهروا؟

كرر زاكري وتردد صدى صوته في الكهف من حولهما، وقسم الصدى الجملة إلى أجزاء واختار ما أحبه منها:

- يظهروا... يظهروا... يظهروا...

استدارت ميرابيل وقبّلت زاكري على وجنته، وقالت له قبل أن تصعد على

السلم:

- اصنع لي معروفاً يا إزرا، لا تتجول كثيراً في الأسفل.

ألقي زاكري نظرة أخيرة على الظلام ثم تبعها، كان يعرف أن محادثتهما انتهت قبل أن يصل إلى مبتغاه، لكنها أعطته نصيحة قراق عبر زجاجها الفارغ، عندما مشى بجوارها واستمر عبر قاعة الرقص الواسعة.

يمكنه أن يشعر أنها تراقبه وهو يمضي ولكنه لم يستدر، قام بحركة سريعة وقصيرة في منتصف قاعة الرقص الفارغة وسمع ضحكتها وهو يواصل مسيره.

كل شيء يبدو على ما يرام فجأة حتى فراغ قاعة الرقص وطققة الخشب الكثيرة في النار. ربما كل شيء يحترق، وقد احترق، وسيحترق. ربما لا ينبغي له أن يشرب الأشياء هنا، حيث هي قاعدة عامة. ربما، وراح يفكر وهو يصعد الدرج في نهاية قاعة الرقص، هناك المزيد من الألباز والأسرار هنا أكثر مما يمكن أن يأمل في حلها.

عندما وصل زاكري إلى قمة الدرج، مر ظل بنهاية الصلاة عرف من شعره أنها رايم، حاول اللحاق بها لكنها كانت تسبقه، راقبها وهي تخفت بعض المصابيح وتتجاهل البعض الآخر.

كان يشعر بالفضول بشكل عام حول المكان الذي تذهب إليه رايم عندما لا تتجول في القاعات وتضيء الشموع، فواصل متابعتها من مسافة بعيدة.

تبعها في قاعة ملآنة بالمنحوتات الدقيقة والتماثيل الكبيرة وهي تضيء الشموع الممدودة نحوها بأيدي رخامية.

توقفت رايم فجأة وتراجع زاكري إلى الكوة المظلمة، مدسوسًا خلف تمثال بالحجم الطبيعي لساتير وحورية مجمدة في حوض بهلواني مثير للإعجاب. يمكنه رؤية رايم من خلال نافذة عبر الفخذ والذراع. توقفت أمام جدار حجري منحوت ومدت يدها إلى أعلى وضغطت على شيء ما فانفتح الجدار. خبطت رايم إلى الداخل وانزلق الجدار مرة أخرى في مكانه خلفها، مثل الجدار خلف لوحة الشمعة.

ذهب زاكري لإلقاء نظرة على الحائط، لكنه لم يستطع رؤية الباب الآن بعد أن أغلق. النمط المنحوت في الحجر عبارة عن جذوع وزهور ونحل.

النحل، معظم المنحوتات مرتفعة، ولكن النحل منقوش ومفصل للغاية في أماكن شاغرة على شكل نحلة في الحجر. حاول أن يتذكر المكان الذي ضغطت فيه رايم على الباب وعثر على نحلة واحدة.

يجب أن يكون لديها نحلة لتضعها فيه مثل المفتاح. ربما تكون هذه طريقة الوصول الوحيدة إلى أرشيف المساعدين الذي ذكرته ميرابيل. تحرك الجدار مرة أخرى وتوارى زاكري خلف التمثال.

خرجت رايم من الحائط ولامست الباب مرة أخرى، كان لديها شيء في يدها، شيء صغير ومعدني بدا زاكري أنه على شكل نحلة وفي يدها الأخرى كتاب.

انتظرت رايم أن يغلق الباب ثم استدارت ونظرت إلى تمثال الحورية وساتير، وهي تحمل الكتاب واضعة إياه على إحدى الطاوات، نظرت رايم إلى التمثال مرة أخرى بتمعن ثم مشت بعيدًا وذهب زاكري لالتقاط الكتاب، ولم يستطع أن يقرر ما إذا كان هذا التحول في الأحداث جعله أفضل في متابعة الناس أم أسوأ.

الكتاب صغير ومذهّب يبدو للوهلة الأولى، مثل الأحزان العذبة، لكنه باللون الأزرق الداكن. لا توجد علامات على الغلاف أو الظهر أو أي إشارة إلى أي جهة معينة.

النص الداخلي مكتوب بخط اليد، اعتقد زاكري في البداية أنه قد يكون دفتر يوميات، ولكن بعد ذلك وجد عنوانًا للصفحة الأولى: «قصيدة سايمون وإليانور».

محاضرة قصيرة عن طبيعة الزمن

لا يمكنهما البقاء في هذه الغرفة إلى الأبد. يعرفان ذلك، لكنهما لا يتحدثان حوله، فهما مشتتا الانتباه بأطرافهما العارية المتشابكة، وكيفية فك تشابكها وإيجاد طرق جديدة لالتحامها معًا مرة أخرى. وجدا زجاجة نبيذ محشورة خلف كومة من الكتب، ولكن لا يوجد باب للمطبخ هنا وسيتعين على أحدهما الذهاب للبحث عنه.

تستمر المخاوف المعتادة بالانبثاق وتطفو على سطح البهجة التي يشعر بها سايمون، لكنه يدفعها إلى الورا في ذهنه قدر استطاعته. يدفن وجهه في رقبة إيانور ويضغط عليها وعلى بشرتها ويستنشقها ويسمعها تضحك، ويراقب الطريقة التي تشعر بها تحته وفوقه ويفقدان مسار الوقت النسبي. لكن عدم تتبع الوقت يؤدي إلى مشكلات ويسبب الجفاف والجوع.

إيانور:

- ماذا لو تمكنا من المغادرة معًا من خلال أحد الأبواب الأخرى؟

اقترحت إيانور وهي تسحب جواربها المخططة بشكل غريب، وتتنظر حولها إلى النحلة والمفتاح والسيف والتاج.

رفض باب النحلة التحرك من مكانه، وكان باب السيف بلا مقبض وهو شيء لم يلاحظه سايمون من قبل، فتح باب التاج على كومة من الحجر الصلب، وقد انهارت القاعة خلفه وتدرجت بعض الحصى الضالة إلى الغرفة، قبل أن يغلق سايمون الباب مرة أخرى.

الخيار الوحيد الباقي هو الباب برسمة المفتاح، كان مغلقًا لكن إيانور استخدمت القطع المعدنية على عقدها لفتحها بالقوة وكان يوجد خلفه قاعة مقوسة ملانة برفوف الكتب.

سايمون:

- هل تعرفين هذا المكان؟

- عليّ أن أنظر حولي أكثر، الكثير من القاعات تبدو متشابهة.

مدت يدها ولا شيء يمنع مرورها إلى الأمام.

- فلتحاول أنت.

اقترحت إيانور وكرر سايمون الإيماءة. مرة أخرى، ولا شيء منع يده من التحرك من غرفة إلى أخرى. نظرا إلى بعضهما، لا يوجد شيء آخر للقيام به، ليس هناك من خيارات أخرى.

مد سايمون يده وشبكت إيانور أصابعها بكفه ودخلا معًا إلى القاعة. تلاشت أصابعها داخل يد سايمون مثل الضباب وتأرجح الباب وأغلق خلفه بضربة قوية.

- لينور!

صاح سايمون لكنه يعلم أنها اختفت، جرب فتح الباب بمفتاح مطابق مرصع على الجانب، فوجده مغلقًا، وحين قرع عليه لم يتلقَ أي رد.

عقله يتسابق مع الخيارات ولا يستقر على أي شيء مُرضٍ. قرر محاولة إيجاد بابه، بابه مع رسمة القلب؛ لأن هذا الباب مفتوح.

اجتاز سايمون قاعات تشبه المتاهة، ولم ير شيئًا مألوفًا لبعض الوقت، وجد طاولة بها فواكه وجبن وبسكويت، توقف عن الأكل قدر استطاعته ووضع عدة قطع من البسكويت والخوخ في جيوب معطفه وسرعان ما وجد نفسه عائدًا إلى القلب.

يعرف كيف يصل إلى الباب الذي يحمل علامة القلب من هنا، أسرع إلى هناك ووجد أن مقبض الباب قد أزيل وسدادة من الخشب تشغل المكان الشاغر الذي سببه إزالة المقبض كما أنّ ثقب المفتاح محشو بنفس الطريقة. عاد سايمون إلى القلب، وكان باب مكتب الحارس مغلقًا، ولكنه فتح بمجرد أن طرقة سايمون.

- كيف لي أن أساعدك، سيد كيتنغ؟

- أنا بحاجة للدخول إلى غرفة.

شرح سايمون وبدا وكأنه يلهث، كما لو كان يجري. ربما كان كذلك لكنه لا يتذكر.

- هناك عدد كبير جدًا من الغرف هنا، ربما عليك أن تكون أكثر تحديدًا.

شرح سايمون مكان الباب، ووصف شكل القلب المشتعل عليه.

- آه، هذا الباب! الدخول إلى تلك الغرفة غير مسموح، اعتذر منك.

- هذا الباب لم يكن مغلقًا من قبل، أنا بحاجة للعودة إلى لينور.

- من؟

سأل الحارس وشعر سايمون أن الحارس يفهم جيداً ما يجري. لقد ذكر لينور من قبل، عندما أخذ الأحزان العذبة إلى المنزل وشك في أن ذاكرة الحارس سيئة للغاية.

كرر سايمون:

- لينور، إنها تعيش هنا، إنها بنفس طولي تقريباً، لديها شعر داكن وبشرتها بنية اللون، وهي ترتدي أذني أرنب فضية اللون، يجب أن تعرف من أعني. لا يوجد أحد مثلها، ولا في أي مكان.

- ليس لدينا مقيم بهذا الاسم، أخشى أن تكون مشتتاً بعض الشيء أيها الشاب.

- لست مشتتاً ولست في حيرة من أمري.

وكان صوت سايمون أعلى مما كان ينوي، واستيقظت قطة على كرسي في الزاوية من غفوتها وحدقت إلى وجهه قبل أن تتمدد وتقفز إلى أسفل وتخرج من المكتب.

كانت نظرة الحارس الساخطة أسوأ من نظرة القطة.

- سيد كيتنغ، ماذا تعرف عن الوقت؟

- عفواً!

عدل الحارس نظارته واستمر في الكلام:

- سأفترض أن ما تعرفه عن الوقت يعتمد على كيفية عمله أعلاه؛ حيث يمكن قياسه وهو موحد نسبياً. هنا، في هذا المكتب وفي الأماكن الأقرب إلى المرساة في وسط القلب، يعمل الوقت بنفس الطريقة التي يعمل بها هناك، لكن يوجد أماكن أبعد وأعمق من هذا الموقع تعتبر أقل فعالية.

- ماذا يعني ذلك؟

- هذا يعني أنك إذا صادفت شخصاً ليس لدي اسم له في السجلات، فذلك لأنهم لم يأتوا إلى هنا بعد في الوقت المناسب.

- هذا سخيف.

- إن سخافة الأمر لا تجعله أقل صحة.

قال سايمون متوسلاً:

- دعني أعود إلى تلك الغرفة، من فضلك، يا سيدي.

لم يعرف سايمون ما يتوجب فعله بكل هذا الحديث عن الزمن، إنه يرغب فقط في العودة إلى لينور.

- أتوسل إليك!

- لا أستطيع، أنا آسف يا سيد كيتنغ، لكنني لا أستطيع، هذا الباب مغلق.

- افتحه إذًا!

- أنت تسيء فهمي، إنه ليس موصداً فحسب، إنه مقفل، لن يفتح بعد الآن، ولا باستخدام أي مفتاح، لقد كان إجراء احترازيًا ضروريًا.

- إذًا كيف أجدها مرة أخرى؟

- يمكنك الانتظار، قد تكون فترة إضافية من الانتظار فقط، لا أستطيع أن أجزم.

لم يقل سايمون شيئاً وجلس الحارس على مكتبه، وقام بترتيب كومة من الكتب وبدأ بتنظيف طبقة من مسحوق الحبر الناشف الخارجة من دفتر السجلات.

- قد لا تصدقني يا سيد كيتنغ، لكنني أفهم ما تشعر به.

استمر سايمون في الاحتجاج والجدال مع الحارس، كان أكثر أنواع الجدل إثارة للغضب؛ حيث لا شيء يقوله، ولا يفعله، بما في ذلك ركل الكراسي ورمي الكتب لم يكن له أي تأثير على هدوء الحارس الراسخ.

- أقولها مجددًا... لا شيء يمكن القيام به.

بدا الحارس كما لو أنه يريد بشدة كوبًا من الشاي، لكنه لا يريد أن يترك سايمون لأفكاره الخاصة.

- لا بد أنك مررت بما يسمى صدعًا في الوقت، هذه الأشياء متقلبة ويجب إغلاقها.

- هل كنت أسافر عبر الزمن؟

سأل سايمون محاولاً الفهم، مكتبة سرية تحت الأرض شيء، والسفر عبر الزمن شيء آخر!

- ربما! على الأرجح أنكما عبرتما في حيز مكاني حرر نفسه من حدود الزمن، مكان لا وقت فيه!

- لا أفهم!

تنفس الحارس الصعداء، ورسم خطأً في الهواء بإصبعه، ويده الملائنة بالخواتم التي تشعّ في الضوء وقال:

- فكر في الوقت كأنه نهر، يتدفق النهر في اتجاه واحد. إذا كان هناك مدخل على طول هذا النهر، فإن المياه بداخله لا تتدفق بنفس الطريقة مثل باقي النهر، والمدخل لا يتبع نفس القواعد، لقد وجدت مدخلًا، في وقت ما، بعد شهور أو ربما سنوات من الآن، هذه الفتاة التي تتحدث عنها تجد نفس المدخل. كلاكما خرج من نهر الزمن إلى مكان آخر، مكان لا ينتمي إليه أي منكما.

- هل هناك أماكن أخرى من هذا القبيل؟ مداخل أخرى هنا؟

- طريقة تفكيرك ليست حكيمة مطلقًا.

- إذاً هناك طريقة للعثور عليها، هنالك احتمالية.

- أقترح عليك العودة إلى المنزل سيد كيتنغ، مهما كان الذي تبحث عنه هنا لن تجده.

قطب سايمون حاجبيه ونظر حوله إلى المكتب، إلى الأدراج الخشبية بمقابضها النحاسية والكراسي الجلدية بوسائدها الفاخرة. يوجد العديد من البوصلات بسلاسل في طبق على المكتب. مكنسته، مكنسة والدته على الحائط بجانب الباب. على وسادة تلتف قطة كما لو كانت نائمة ولكن عينها نصف مفتوحة ومثبتة عليه.

- أقدر نصيحتك يا سيدي، لكنني لن أعمل بها.

أخذ سايمون إحدى البوصلات من الطبق الموجود على المكتب وهرع راحلاً، مشى بخفة ولكن لم يركض، ومشى سحيقًا في الأعماق باتجاه البحر الخالي من النجوم، ناظرًا إلى الورا مرة واحدة فقط للتأكد من أن الحارس لم يتبعه، لا يوجد خلفه سوى الكتب والظلال.

استشار سايمون البوصلة وواصل مسيرته، على الرغم من توجيهه بواصل البوصلة بإصرار في الاتجاه المعاكس، بقي القلب خلفه وهو يتجه نحو المجهول، في الخارج حيث الوقت بلا فاعلية.

يجلس زاكري إزرا رولينز على أريكة جلدية باهتة أسفل سطح الأرض، في وقت قد يكون متأخرًا جدًا في الليل، بجوار نار متقدة ويقرأ كتابًا.

يقرأ زاكري الكتاب الذي تركته رايم له، مكتوب بالكامل بخط اليد، تمكن زاكري من قراءة بضع صفحات فقط حتى الآن، إنه بطيء في قراءة كتاب بخط اليد. بالإضافة إلى ذلك، فهو غير متأكد من اللغة المكتوب بها وإذا ما تاه تركيز عينيه للحظة، فإن الحروف تتداخل في لغة لا يعرفها، مما يسبب الصداع والإحباط، فوضع الكتاب جانبًا وحرك المصباح حتى يتمكن من الرؤية بشكل أفضل.

حاول تفسير ارتباط هذا الكتاب بكل شيء آخر، إنه متأكد من أن الفتاة التي هي أيضًا أرنب هي نفسها التي سقطت من ذاكرة باب في الأحزان العذبة، وقد انتقلت القصة للتو من مرفأ البحر الخالي من النجوم لتقديم شخصية كيتنغ، تتأب زاكري وفكر أنه إذا كان سيقراً الكتاب بأكمله، فإنه يحتاج إلى القهوة.

من المحتمل أن يكون قلم الكتابة الخاص به في المطبخ بسبب القطة، لذا بدأ يبحث عن قلم آخر، عادة ما يكون هناك عدد قليل من الأقلام على الرف تحت الأرانب القراصنة، حرك شمعة ونجمة ورقية وسقط شيء ما على الأرض. نزل على الأرض لالتقاط مفتاح الفندق البلاستيكي على شكل بطاقة وتجمدت يده في منتصف الطريق.

قال الصوت في رأسه: «استغرق ذلك وقتًا طويلاً».

تردد زاكري متأرجحًا بين كل الألغاز التي تحتاج إلى التحقيق، وضع المفتاح في جيبه وغادر الغرفة.

القاعات قاتمة، ولا بد أن الوقت متأخر عما كان يظنه، أخذ منعطفًا خاطئًا، محاولاً تذكر كيفية الوصول إلى وجهته، وجد نفسه في قاعة مرصوفة مألوفة وتوقف عند باب يغوص في الظلام ووقف أمامه مترددًا فلاحظ خطأ من الضوء مرئيًا تحته.

قرع زاكري باب دوريان مرارًا وتكرارًا، وهمّ بالمغادرة عندما انفتح الباب، نظر دوريان إليه، بل نظر من خلاله، عيناه واسعتان لكنه بدا متعبًا وظنّ زاكري أنه ربما كان نائمًا، غير أنه لاحظ ارتدائه ملابس للخروج، ولكنها بأزرار خاطئة، حافي القدمين وكوبًا من الويسكي في يده. قال دوريان:

- لقد جئت لتقتلني.

- أنا! ماذا؟

- قال ملك اليوم. أنا لديّ! ابنة حدّاد السيف سألت!

- هل أنت؟ هل أنت مخمور الآن!

ونظر زاكري خلف دوريان إلى الزجاجاة الفارغة على الطاولة.

- لقد وجدوا طريقة لقتلي دائماً، لقد وجدوني هنا، حتى في الأحلام.

- أنت حقاً مخمور وتهذي الآن.

تابع زاكري دوريان وهو يواصل السرد، جزئياً له وجزئياً إلى الغرفة بشكل عام، كان كتاب الخرافات والأساطير مفتوحاً على المكتب المجاور لزجاجاة الويسكي. نظر إليه زاكري ورأى أنه مفتوح على القصة المتعلقة بالسيوف الثلاثة، ورسمه بومة فوق كومة من الكتب على جذع شجرة مغطى بالشموع، وقد تجاهل الرسام الجزء المتعلق بخلية النحل.

- سيأتي ملك جديد ليحل مكاني، هيا! هدفك أمامك!

أمسك دوريان الزجاجاة واغتنم زاكري الفرصة لإزالتها من يده، ووضعها على المكتب بعيداً كي لا تسبب الأذى.

كان زاكري يريد في قرارة نفسه قصة أخرى عن الوقت مع دوريان، لكن ليس هذا ما دار في ذهنه. يقف ويراقب وينصت، عن قطع رأس البومة والتاج المتفكك وعلى الرغم من خصوصيات الحكاية وحالة الراوي، يبدو الأمر حقيقياً الآن أكثر مما كان عليه عندما قرأ نفس الكلمات على الصفحة، هذا كله حدث في الواقع ذات مرة.

- ثم استيقظت، وهي لا تزال على الكرسي بجوار النار في مكتبتها.

قال دوريان الجملة واستلقى على كرسيه بجانب النار، وتدلّى رأسه على ظهر الكرسي، وعيناه مغمضتان، وظلّتا كذلك.

تحرك زاكري للاطمئنان عليه، ولكن بمجرد وصوله إلى الكرسي انحنى دوريان إلى الأمام واستمر كما لو أن القصة لم تتوقف بعد.

دوريان:

- على الرف حيث كان السيف كان هناك بومة بيضاء وبنية تجثو على العلبة الفارغة.

وأشار إلى رف كتب خلف زاكري فاستدار الأخير، متوقعًا رؤية البومة، وهو يفعل ذلك وكان يوجد بين الكتب لوحة صغيرة لبومة ذات تاج ذهبي يحوم فوق رأسها.

دوربان:

- بقيت البومة معها بقية أيامها.

همس دوربان في أذن زاكري قبل أن يرتد إلى الكرسي، كان راويًا ممتازًا للقصاص حتى في ثماليته.

- من هو ملك البوم؟

رفع يده إلى فم زاكري ليسكته:

- ششش، لا يمكننا معرفة ذلك حتى الآن، حين نعلم، فهذا يعني أننا وصلنا إلى نهاية القصة.

بقيت أصابعه على شفتي زاكري للحظة قبل أن تسقط يده، وكانت لحظة مصحوبة بطعم السكوتش والعرق وتقليب الصفحات.

ارتكز رأس دوربان على الجزء الخلفي الطويل من الكرسي ذي الذراعين، وقد انتهى وقت القصة وهو مخمور في وقت متأخر من الليل.

أخذ زاكري حركة دوربان كونها إشارة للمغادرة، وتوقف عند المكتب لالتقاط كأس سكوتش فارغة تقريبًا. وشرب ما تبقى، حتى لا يتمكن دوربان من تناوله بنفسه إذا استيقظ لأنه ربما لديه ما يكفي، ولكن في الغالب لأن زاكري يريد تذوق ما كان دوربان يتذوقه. ناعم ودخاني ويوحى بشيء من الكآبة.

أغلق زاكري الباب بهدوء قدر استطاعته، تاركًا دوربان نائمًا في الغالب، وربما يحلم على كرسيه بجوار النار في زاويته في هذا المكان الذي ليس متأكدًا من كونه مكتبة، متمنيًا وجود قطة حوله لتراقبه.

لم يكن زاكري متأكدًا من وجهته على الرغم من أنها وجهة محددة في ذهنه، أو على الأقل كانت كذلك، عندما غادر غرفته في الأصل، منذ متى كان ذلك؟ لقد أربك وقت القصة إحساسه بالوقت الفعلي وربما أراد صحبة ما.

عندما وصل إلى القلب كان أكثر قتامة مما رآه من قبل، فقط عدد قليل من المصابيح على الثريات المختلفة مضاءة. كان مكتب الحارس مغلقًا، وجزء من النور يسقط في القلب المظلم.

تمكن زاكري من سماع الأصوات من الداخل وأذهله أنه لم يسمع قط محادثة في هذا المكان من قبل، أو أن أي شخص يمكنه سماع محادثاته الخاصة بهذا الشأن، على الرغم من الزوايا والممرات اللانهائية والمواقع المثالية للتنصت.

اقترب أكثر، إذ إنها الوجهة التي كان يتجه إليها على أي حال، متسائلًا عما إذا كان التنصت غير المقصود يعد تنصتًا.

- هذا لن ينجح!

سمع زاكري الحارس يقول ذلك وكان صوته منخفضًا، ويبدو شيء ما مختلفًا بشأن نبرته، لقد فقد الميزة الرسمية التي حملها في جميع محادثاته معه.

ميرابيل:

- أنت لا تعرف ذلك.

- هل تعرفين ذلك بشكل مختلف؟

- الكتاب بحوزته.

ردت ميرابيل، بينما قال الحارس شيئًا آخر، لكن زاكري لم يتمكن من سماع الرد.

اقترب زاكري من المكتب مختبئًا في الظل، مستمعًا بتيقظ أكبر ويمكنه أن يرى فقط قطعة صغيرة من المكتب، وقطعة من الرفوف وأجزاء من الكتب، وركن المكتب، وذيل القطة. تقطع الظلال الضوء القادم من المصابيح، فتنقل أجزاء من الغرفة من الظلام إلى النور إلى الظلام مرة أخرى، في خلال ذلك تمكن من تمييز صوت الحارس مرة أخرى.

قال الحارس:

- ما كان يجب أن تذهبي إلى هناك، ما كان يجب أن تورطي أليغرا.

قاطعته ميرابيل:

- أليغرا كانت متورطة بالفعل، تورطت منذ أن بدأت في إغلاق الأبواب والاحتمالات معها، نحن قريبون جدًا....
- كل هذا سبب إضافي لعدم استفزازها.
- لم تكن هناك طريقة أخرى، كنا بحاجة إليه، كنا بحاجة إلى ذلك.
- رأى زاكري جزءًا من ذراع ميرابيل وهي تشير إلى شيء ما عبر الغرفة، لكنه لم يستطع رؤية ماذا يكون.

- وقد تمت إعادة الكتاب، لقد استسلمت، أليس كذلك؟

- استمر التوقف لفترة طويلة لدرجة أن زاكري تساءل عما إذا كان المكتب يحتوي بابًا آخر، ربما غادرت ميرابيل من خلاله، ولكن بعد ذلك كسر صوت الحارس الصمت وتغيرت نبرته وكان صوته أخفض.
- لا أريد أن أفقدك مرة أخرى.

تفاجأ زاكري وتحرك قليلًا وانقلبت الجزيئة المكشوفة من الغرفة بالنسبة إليه.

كان يظهر له منحنى ظهر ميرابيل وهي تجلس على زاوية المكتب بعيدًا عنه، يقف الحارس في مواجهتها ويرفع يده ليمررها بعدها على رقبتها ثم على كتفها، مبعداً كمّ الفستان كلما اقترب منها أكثر وفي نفس الوقت كانت شفثيه تمسّ برفق الجلد العاري.

قالت ميرابيل بصوت ناعم:

- ربّما هذه المرة ستكون مختلفة!

تحرك القط البني وأصدر مواءً ناحية الباب، واستدار زاكري بعيدًا، ثم أسرع إلى أقرب قاعة، واستمر حتى تأكد من أن لا أحد يتبعه، متسائلًا عن مدى سهولة تفويت الأشياء حتى عندما تحدث أمام الشخص مباشرة. استدار ونظر من فوق كتفه، وهناك في منتصف الردهة رأى صديقه الفارسي ذا الوجه الخشن.

- هل تريد أن تبقى معي؟

سأل زاكري القط وبدأ الطلب حزينًا، جزء منه يريد العودة إلى سريره، وجزء منه يريد الالتفاف على كرسي بجوار دوريان، وجزء آخر منه لا يعرف

ماذا يريد. تمدد القط الفارسي واقترب وتوقف عند قدمي زاكري، ثم نظر إليه بترقب. قال زاكري:

- حسنًا!

وبرفقة القط بجانبه شق طريقه عبر القاعات والغرف الملائة بقصص الآخرين حتى وصلا إلى الحديقة الملائة بالمنحوتات.

قال زاكري للقط:

- أعتقد أنني استوعبت الأمر.

لم يجبه القط، كان منشغلاً بتفتيش تمثال للثعلب وقياس حجمه ووسطه المحنط، وذيله المتعددة تجتاح الأرض.

حول زاكري انتباهه إلى تمثال مختلف، ووقف أمام المرأة الجالسة مع نحلها الكثير متسائلًا عن من نحتها، وعن عدد الزوايا في هذا المكان الذي تجول فيه النحل، وكيف تموضعت في الجيوب أو كيف ساعدتها القطط في تنقلاتها. ثم تساءل أخيرًا عما إذا كان أي شخص قد نظر إليها، مخمّنًا أنها تريد شيئًا آخر غير الكتاب في كفيها المفتوحتين.

تساءل عما إذا كان لديها تاج في أي وقت مضى، وتساءل عن ترك لها كأس النبيذ هذه، قبل أن يضع المفتاح الذهبي لعقد ميرابيل في اليد اليمنى للتمثال، وبطاقة مفتاح الفندق البلاستيكية في يدها اليسرى، لم يحدث شيء، فتنفس بعدها الصعداء.

كان على وشك أن يسأل القطة عما إذا كانت جائعة وتساءل كيف يمكن أن تكون قاعدة (لا تطعم القطط) حاسمة وجدية عندما بدأ الطنين من حوله. بدأ صوت الطنين يأتي من داخل التمثال، وبدأت أصابع تمثال المرأة الحجرية بالتحرك وأطبقت على المفاتيح، بينما سقطت نحلة واحدة من ذراعها على الأرض. وبدأ يسمع صوت تجريف، يتبعه صوت ميكانيكي ثقيل، والمفاتيح مشبوكة بيد التمثال دون أن تتحرك مجددًا. مدّ زاكري يده ولمس يدها، وكانت مغلقة حول المفتاح كما لو أنه قد تم نحتها بهذه الطريقة.

لم يتغير شيء آخر، باستثناء بعض الضوضاء ودار زاكري حول التمثال فانزلق الجزء الخلفي من الكرسي الحجري على الأرض، فبدا التمثال أجوف وظهر درج تحت التمثال كاشفًا عن ضوء أسفل الدرج.

نظر زاكري إلى الورا حيث القطة التي كانت جالسة تحت أقدام الثعلب الرخامي الذي تحوم حوله، كان ملتفًا في عدد كبير من الذيول، والذيل الوحيد الذي ينتفض هو ذيل القطة، بدأت تموء في وجهه. ربما كل تلك اللحظات ذات معنى ما.

في مكان ما، خطأ زاكري داخل ملكة النحل ونزل إلى الأعماق.



تسمية الأشياء الجزء الثاني

لا تعرف إليانور ماذا تفعل بالرضيعة، الرضيعة تبكي وتأكل وتبكي أكثر وأحيانًا تنام. ليس لترتيب هذه الأنشطة أو مدتها أي إجراء منطقي.

توقعت أن يكون الحارس أكثر عونًا لكنه ليس كذلك، لم يكن يحب الرضيعة، يشير إليها على أنها الطفلة دون تسميتها، ربما كان خطأ إليانور نفسها، إذ إنها لم تعط الرضيعة اسمًا بعد.

(اعتادت إليانور أن تكون هي الطفلة نفسها، ولا تعرف متى توقفت عن كونها كذلك أو ما هي عليه الآن أو إذا كانت شيئًا آخر).

لا تحتاج الرضيعة إلى اسم، لا يوجد أطفال صغار آخرون لتختلط معهم، إنها الوحيدة، الخاصة، الفريدة، إنها الرضيعة. أحيانًا تكون الطفلة فقط، لكنها طفلة صغيرة جدًا.

قبل أن تولد الرضيعة، قرأت إليانور جميع الكتب التي يمكن أن تجدها عن الأطفال الصغار، لكن الكتب لم تعدها للطفل الحقيقي، الكتب لا تصرخ ولا تلوح ولا تثير الضجة ولا تحذق.

سألت إليانور الحارس أسئلة كثيرة لكنه لم يجب عليها، يبقى باب مكتبه مغلقًا، سألت الرسامة والشعراء وساعدها لساعات في كل مرة، الرسامة أكثر من الشعراء، مما سمح لها بالهروب في فترات نوم قصيرة بلا أحلام، لكنها في النهاية دائمًا وحدها معها، وحدهما معًا.

تكتب الملاحظات إلى المطبخ، هي غير متأكدة من أن المطبخ سيرد، كانت تكتب أحيانًا ملاحظات صغيرة عندما كانت أصغر سنًا، ولكنه لم يستجب قط، إذا كتبت (مرحبًا)، فسيكتبون لها (مرحبًا) في المقابل، ويجيبون عن الأسئلة،

ولكن بمجرد أن سألت إيانور من الذي كان هناك يطبخ ويحضر ويصنع الأشياء لم يتم الرد عليها.

أرسلت استفسارها الأول المتعلق بالطفلة بخوف، وشعرت بالارتياح عندما لمع الضوء وقدم المطبخ إجابات ممتازة على أسئلتها، قوائم مفصلة بالأشياء التي يجب تجربتها، وتشجيعات واقتراحات لطيفة، حتى إنهم أرسلوا زجاجات من الحليب الدافئ للطفلة وكعكًا لإيانور.

اقترح المطبخ أن تقرأ للطفلة وشعرت إيانور بالغباء لأنها لم تحاول ذلك من قبل، إنها تفتقد الأحران العذبة، وتأسف دومًا للتخلي عنها، شعرت بالأسف لاقتلاع بعض الصفحات وكل الأجزاء التي لم تعجبها عندما قرأتها لأول مرة.

تساءلت عما إذا كانت ترغب في الحصول على تلك الأجزاء بشكل أفضل الآن، إذا كان بإمكانها قراءتها مرة أخرى لكنها ضاعت، مطوية في نجوم ورقية وملقاة في زوايا مظلمة مثل كوابيسها القديمة.

حاولت أن تتذكر سبب عدم إعجابها بها، كان هناك الجزء المتعلق بالأيل في الثلج الذي جعل قلبها يعتصر، والقليل عن ارتفاع البحر وشخص ما فقد عينه، لكنها لا تتذكر من هو. فطنت الآن أنه من السخف أن تتزعج من مصير شخصيات غير موجودة إلى درجة تمزيق الصفحات وإخفائها بعيدًا، لكن ذلك كان منطقيًا بالنسبة إليها في ذلك الوقت. كان هذا المكان أكثر منطقية عندما كانت أرنبًا، تتسلل عبر الظلام كما لو كانت تملكه، كما لو كان العالم ملكها ولا تتذكر متى تغير ذلك. ربما هي نفسها صفحة تمزقت من قصة وطويت على شكل نجمة وألقيت في الظل لتنسى.

ربما لا ينبغي لها أن تسرق الكتب من الأرشيفات المخفية فقط لتمزيق صفحاتها ثم لتتخلى عنها، لكن الألوان قد فات لتغيير أي من ذلك الآن، والكتاب المحبوب لا يزال محبوبًا حتى لو سرق وبدا غير مكتمل وضاع بعدها، ما زالت تتذكر معظم كلمات الأحران العذبة جيدًا بما يكفي لتكرارها.

أجزاء منه للطفلة، قصص القرصان، بيت الدمى، والفتاة التي سقطت من الباب الذي يبدو مألوفًا جدًا، كثيرًا ما اعتقدت أنها عاشت ذلك، رغم أن كل ما في الأمر أنها قرأته عدة مرات، لكن الأمر بدا كما لو أنها عاشته.

أرسل المطبخ أرنباً محشواً بفراء بني ناعم وأذنين صغيرين، أحبت الطفلة الأرنب أكثر مما أحبت معظم الأشياء، وبين الأرنب والقراءة تمكنت إليانور من العثور على بعض الهدوء، حتى لو كان هدوءاً مؤقتاً في أغلب الأحيان.

إنها تفتقد سايمون، لقد بكت كثيراً، على الرغم من أنها أمضت الكثير من الليالي والأيام وهي تبكي بمجرد اقتناعها بأنه لا توجد إمكانية للعودة إلى الغرفة، وأنها حتى لو فعلت فلن ترى سايمون مرة أخرى.

كانت على يقين أنها لن تراه مرة أخرى؛ لأن الحارس أخبرها بذلك. لن تراه مرة أخرى أبداً، وبالتبعية لن يتمكن هو من ذلك، والحارس يعرف لأنه كان هناك، كان دائماً هنا، تمت بشيء عن الوقت ولوح لها بعيداً، ما زاد في اعتقادها أن الحارس يفهم الماضي بشكل أفضل مما يفهم المستقبل. لم تشعر قط بأنها تنتمي إلى هنا، زاد شعورها بذلك الآن بشكل مضاعف.

إنها تبحث عن سايمون في وجه الطفلة ولكنها لا تجد سوى تقاطعات صغيرة معه فقط. الطفلة لها شعر داكن على الرغم من شحوبها حين لا تصرخ، لقد أرادت بشدة أن يكون لدى الطفلة شعر سايمون الأشقر، لكن لا يوجد أي كتاب يشير إلى أن لون شعر الطفل يتغير من الأسود إلى شيء آخر بعد فترة زمنية معينة. قد يتغير لون العينين، ولكن في الوقت الحالي تبقى العيون مقفلة لدرجة أن إليانور ليست متأكدة من لونها، وفكرت أخيراً أنه يجب أن تعطىها اسماً.

إن إعطاء اسم لشخص آخر يبدو وكأنه مسؤولية كبيرة جداً.

- ماذا عليّ أن أسميها؟

كتبت إليانور إلى المطبخ، وعندما لمع الضوء وفتحت إليانور الباب، لم تكن توجد صينية أو بطاقة، ولكن قصاصة من الورق تبدو وكأنها ممزقة من كتاب مكتوب عليها كلمة واحدة: «ميرابيل».

فيرمونت، قبل أسبوعين

الحانة مضاءة بشكل خافت بمصابيح عتيقة تلقي بريقاً شبيهاً بالشموع على الأواني الزجاجية ورواد المكان. ينبعث ضوء إضافي من النوافذ على الرغم من أن الساعة متأخرة، وتضيء مصابيح الشوارع الثلج بسطوع يشبه النهار.

رجل ما، اسمه دوريان يجلس بمفرده على طاولة في زاوية وظهره إلى الحائط، يحتوي الجدار على زوج من قرون الغزلان، وطائر محنط، وصورة لشاب معلق يبدو وكأنه خائن في حرب لم يعد يتذكرها أحد.

اتجه الرجل الذي لا يزال حياً إلى اللوحة يواجه المكان بطريقة توحى بأنه يراقب الحيز بأكمله، وليس طاولة أخرى على وجه الخصوص أو شخص واحد على وجه الخصوص.

كان الشراب الذي يحتسيه مقترحاً من قبل النادلة، بعد أنا طلب شيئاً ما يدعى ويسكي سكوتش أو ما شابه ونسي اسمه ولكن هناك فيه القيقب.

لديه كتاب مفتوح لكنه لا يقرأ منه (لقد قرأه بالفعل). إنه يسمح له فقط بإبقاء نظرتهم مركزة في اتجاه طاولة من ثلاثة أفراد عبر الممر، المنظر محجوب جزئياً فقط من قبل المقطع الحجري العرضي العالق بالقرب من الحانة، والذي تعلوه قطعة ضخمة من الرخام تبدو كما لو تم إنقاذها من مبنى أقدم بكثير.

فتاتان: إحداهما رآها سابقاً، في الصباح في الثلج، ورجل أكبر منه سنّاً بشكل طفيف. لقد تساءل عن طبيعة العلاقة بينهم في وقت سابق، ولكن كلما تابع أكثر وزادت مشاهدته لهم، زادت رؤيته وزادت رغبتهم في معرفة المزيد. المرأتان ثنائيتان في علاقة، إذا كان يقرأ لغة الجسد والاتصال البصري بشكل صحيح. لمح يداً موضوعة على فخذ تؤكد شكوكه، وهو مسرور بنفسه على الرغم من حقيقة أنه فعل ذلك من قبل، مرات عديدة في العديد من الحانات، وقد تجاوز فترة طويلة من الشعور بالفخر بشخصيته المتطورة والماهرة، إنه جيد في هذا ولطالما كان جيداً فيه، في قراءة الناس مثل الكتب من جميع أنحاء الغرف ذات الإضاءة الخافتة.

المرأة التي يستطيع أن يقرأها، ذات الشعر القصير جداً تتحدث بسرعة، وتؤكد على نقاطها بيديها، وتنظر حولها في باقي أرجاء الحانة بشكل متكرر. المرأة الأخرى أكثر هدوءاً وراحة واسترخاء، لقد أخرجت قدميها من حذائها تحت الطاولة وحسدها دوريان للحظات. بدت وكأنها في المنزل في هذا المكان مع هؤلاء الأشخاص وعلى الرغم من أنها تستمع باهتمام خاص، ورغم معرفتها بالاثنتين الأخريين؛ ولكن الأمر لا يتم كما تريد.

ثم هناك ذلك الرجل، إنه بمواجهته بعيدًا تقريبًا، يلتقط الضوء معالمه عندما يرفع كأس الكوكتيل، وتتوه تعابيره تمامًا عندما يستدير، ظلّ مع شعر مجعد رطب بالثلج.

توقع دوريان أن يرى يافعًا أو طالبًا، لكنه كان رجلًا، شابًا برزانة رجل، رجل مثير للاهتمام، رجل يدرس ألعاب الفيديو ويربطها بكل شيء.

لم يستطع دوريان رؤيته بشكل واضح الآن، لم يستطع قراءة حفنة الحقائق عن الرجل الذي أمامه، لقد رأى سابقًا ناسكًا، ورأى أحد المرتابين من الأوساط الاجتماعية، ولكنهما لا يشبهان ما ينظر إليه الآن. كان الخجل إزعاجًا بسيطًا اختفى في منتصف الجولة الأولى من المشروبات. كان يستمع أكثر مما يتحدث ولكن عند تحدّثه لا تجد شيئًا مغلًا في أسلوبه، ومن حين إلى آخر يدفع نظارته إلى أعلى جسر أنفه، بدا أنه يشرب السايدكار على الرغم من أنه لا بد أنه طلبها دون حافة مشبعة بالسكر.

رجل لا يستطيع قراءته، إنه أمر مزعج مثل امتلاك كتاب لا يستطيع لمسه، إحباط مألوف للغاية.

- كيف حالك مع الكتاب؟

نظر دوريان إلى أعلى ليجد النادلة عند كتفه تعيد ملء كوب مائه، ومن المحتمل أنها انقضت للتحقق من مستوى شرابه: نصف ممتلئ أو نصف فارغ، حسب درجة البهجة. ألقى نظرة على الكتاب في يديه «التاريخ السري» لقد اشتاق إلى علاقات مكثفة من نوع أولئك الموجودين في صفحاته، بغض النظر عن القتل الوحشي بداخله، لكنه لم يعثر عليها مطلقًا وقد وصل الآن إلى عصر لا يتوقع فيه أن يفعل ذلك أبدًا. لقد قرأ الكتاب سبع مرات بالفعل لكنه لم يخبر النادلة بذلك.

ردّ على النادلة:

- جيّد جدًّا.

- قد بدأت بكتاب «ذلك الطائر» لكنني لم أستطع إكماله.

- هذا الكتاب أفضل.

قال دوريان مؤكدًا لها ومحاولًا بهدوء إنهاء الحديث الذي تودّ هي الخوض به لتتلاشى الابتسامة من فوق شفثتها.

النادلة:

- من الجيد معرفة ذلك، أخبرني إن كنت تريد أي شيء آخر.

أوما دوريان برأسه وأعاد انتباهه إلى أعلى كتابه مباشرة. وفكر أن المجموعة التي ينظر إليها لا تتمتع بنفس الصداقة الحميمة كحال الشخصيات في يده، لكن هذا لا يمنع وجود شيء ما بينهم.

فكل واحد منهم على حدة إذا لم يكن قادرًا على القتل فإنه على الأقل قادر على المشاركة، لكن على كل حال ليس هذا هو التجمع الصحيح، ليس تمامًا. استمر في مراقبة طاولتهم، وأخذ يشاهد إيماءات اليد والطعام القادم، ويشاهد شيئًا ما يجعلهم يضحكون جميعًا، ابتسم رغمًا عنه ثم أخفى ابتسامته في شرابه.

كل بضع دقائق يقوم بإلقاء نظرة خاطفة على الغرفة. حشد جيد، ربما لأنه لا يوجد سوى عدد قليل من الحانات في هذه المدينة. ويلقي نظرة على الرسم التوضيحي للأسد فوق الحانة متسائلًا عما إذا كان أي شخص قد أطلق على القضبان اسم السلحفاة الوهمية.

أسفل اللافتة، من بين مجموعة من رواد آخرين في الحانة، ترفع الفتاة -التي تبدو وكأنها مألوفة- ذراعها في إيماءة تهدف إلى جذب انتباه النادل، ومع حركة ذراعها فوق صينية من الكؤوس في انتظار تسليمها إلى طاولة يرى دوريان الغرض من الحركة. أثر المسحوق غير المرئي الذي يستقر في مشروب السايدكار دون سكر ويذوب في السائل.

غادرت الفتاة دون جذب انتباه النادل على الإطلاق، اقتربت أولاً من مجموعة مجهولة من المخمورين ثم خرجت من الباب، لم تبق للمشاهدة، هو يعرف ذلك، اعتاد كسر هذه القاعدة الخاصة من حين إلى آخر للتأكد. هؤلاء المجندون الجدد لا يأخذون الوقت الكافي لمعرفة الفروق الدقيقة حول الإرشادات، واليقين يستحق الانحناء للقواعد. يمكنه أن يتركها تذهب.

لقد قام بنفسه بأفعال مماثلة، مرات عديدة وقام بما هو أسوأ. فكر في المرة الأخيرة وبدأت يداه ترتجفان. للحظة، هو في مدينة مختلفة في غرفة فندق مظلمة وكل ما اعتقد أنه يعرفه وجده خطأ، يميل في عالمه ثم يجمع نفسه مرة أخرى ويضع كتابه جانبًا.

تساءل عما إذا كان المسحوق الموجود في تلك الكأس تحديدًا هو نسخة منخفضة الدرجة من فقدان الذاكرة أم أنه مادة خطيرة. إما أن يكون غير

قابل للاكتشاف، يترك شاربه يشعر بالدوار في غضون ساعة أو ساعتين، يليه إغماء واستيقاظ مخمور بشكل رهيب أو عدم الاستيقاظ على الإطلاق.

نهض دوريان من كرسيه، بينما تلتقط النادلة الصينية وبحلول الوقت الذي يصل إليه قرر أنه من المحتمل أن يكون الأمر خطيرًا وأنه لا يهم.

من السهل أن تضرب النادلة، وترسل الصينية ومحتوياتها إلى الأرض، من السهل الاعتذار عن الخرقات المفبركة، وعرض المساعدة والتلويح بعيدًا، والعودة إلى طاولته كما لو كانت هذه هي وجهته دائمًا وليست نقطة منشأه.

كيف أدى كل شيء إلى هذا؟ كتاب واحد ورجل واحد. سنوات من الغموض والملل والآن تصر الأشياء على الحدوث مرة واحدة. إنه مهتم جدًا؛ لأنه يعلم لماذا يجب أن يكون ممتعًا.

ينهض الشاب المثير للاهتمام بشكل غير متوقع من طاولته، تاركًا المرأتين تتحدثان. يستدير ويمشي إلى الجزء الخلفي من الحانة، يتغير شيء في وجهه بمجرد أن يغيب عن أنظار الطاولة. ليس مخمورًا بل حاليًا، ليس هناك تمامًا، ضائع في ضباب الفكر ربما مع القليل من القلق وأكثر فضولًا.

نظر دوريان مرة أخرى إلى الطاولة، وكانت إحدى النساء تنظر إليه مباشرة. قطعت الاتصال بالعين على الفور معه وواصلت الحديث، وكتبت شيئًا ما على منديل كوكتيل لكنها رآته يشاهدها وهي تكتب.

حان وقت الذهاب.

وضع كتابه بعيدًا ووضع نقودًا كافية لكوكتيله الفردي وبقشيشًا جيدًا تحت كأسه الفارغ. إنه في الخارج في الثلج متجنبًا برك الضوء من مصابيح الشوارع تزامنًا مع عودة زاكري إزرا رولينز إلى طاولته.

يمكن لدوريان رؤية الطاولة من هنا، ظل ضبابي من خلال لوح زجاجي بلوري ولكنه يختلف عن الظلال الأخرى التي تتحرك عبر المكان. إنه يعرف أكثر من هذا ويعرف أنه لا يجب أن يكون هنا وكان يجب أن يبتعد قبل عام، بعد ليلة مختلفة في مدينة مختلفة؛ حيث لم يسر أي شيء وفقًا للخطة.

كم عدد المسرحيات التي تدور حولنا في هذا الوقت الحاضر؟

مرة أخرى تبدأ يديه في الاهتزاز ويدفعهما في جيبي معطفه، شيء ما انكسر بعد ذلك لكنه هنا الآن وهو لا يعرف إلى أين يذهب وماذا يفعل.

يمكنه المغادرة، يمكنه الجري، استمر في الجري، استمر في الاختباء،
يمكنه أن ينسى كل هذا، هذا الكتاب، كتابه، البحر الخالي من النجوم، كل
شيء. يمكنه، لكنه لن يفعل ذلك.

بينما يقف دوريان في الثلج مع اهتزازات شبه متجمدة وأفكار دافئة،
شاهد زاكري من خلال الزجاج، فهو لا يفكر في كل شيء على وشك الحدوث
حتمًا. إنه يفكر، دعني أخبرك قصة.

الكتاب الرابع

مكتوب في النجوم

نجمة ورقية مطوية من صفحة تم إزالتها من كتاب..

هناك أيل في الثلج.. طرفة عين وسوف يتلاشى.. هل كان أيلًا دومًا أم كان شيئًا آخر؟ هل كان شعورًا معلقًا تائهاً على الألسن غير معلن، أو مسارًا لم يسلك أو بابًا مغلقًا غير موصل؟ أم أنه غزال، ظهر لوهلة بين الأشجار ثم ذهب، ولم يزعج أي غصن عند رحيله؟ الأيل هو صورة لم يلتقطها أحد، فرصة ضائعة، مسروق مثل القبلة.

في هذه الأوقات الجديدة المنسية مع دروبهم المتغيرة أحيانًا سيتوقف الأيل للحظة أطول إنه ينتظر على الرغم من أنه لم ينتظر قط، لم يحلم قط بالانتظار، أو بالانتظار ليحلم، لكنه ينتظر الآن. ينتظر شخصًا ما ليصوب، شخصًا ما ليخترق قلبه ليعرف أنه على البال.

نزل زاكري إزرا رولينز درجًا ضيقًا خلف تمثال، قط فارسي في أعقابه والصلالم الموجودة أسفل قدميه متهدمة وغير منتظمة، ينهار أحدها وهو يدوس عليه وينزلق معه لثلاث درجات بعده، فيمد يديه إلى الجانبين ليحقق توازنًا. خلفه يجلس القط وينتقل برشاقة عبر بقايا الدرج المكسور، ويتوقف مرة أخرى عندما يصل إليه.

- هل هذا تباه؟

قال زاكري للقط الذي لم يردّ عليه، تباه! تكررت الكلمة من مكان ما في الأسفل، وقال زاكري لنفسه أنّ ذلك مجرد صوت الصدى متأخر.

يكاد يصدق أن هذا مجرد صدى، لكنّ أذني القط انثنت للخلف وأصدرت صوت حفيف في الظل، وعاد زاكري إلى الجهل بما يجب تصديقه.

نزل السلام المتبقية بحذر، مرتاحًا عندما شعر بالقط يمشي معه، يوجد على الحافة السفلية مصباح، من النوع المتصل بمقبض الذي ربما كان يحتوي على جني في يوم من الأيام، ولكنه مشغول حاليًا بحرق الزيت فقط والسلاسل والبكرات تحيط به جنبًا إلى جنب مع الآلية التي تبدو مثل مكثف بالقرب من اللهب، ويجب أن يضيء تلقائيًا عند فتح الباب.

المصباح هو الضوء الوحيد في المكان لذلك التقطه زاكري بمقبضه المنحني، وفي أثناء رفعه ظهر قرص ذهبي أسفله وتحركت الأوتار والبكرات. وصدر صوت قعقة مكتومة أتت من داخل الجدران، ثم اشتعلت شرارة في الظل وأنير مصباح آخر في مكان ناء من القاعة المظلمة، بقعة مشرقة مثل يراعة تنير الطريق إلى الأمام.

سار زاكري في القاعة بالمصباح وتبعه القط، وفي منتصف الطريق أسفل القاعة وقع الضوء على مفتاح في حلقة معلقة في خطاف على الحائط، مدّ زاكري يده وأخذ المفتاح فأصدر القط مواءً ناحيته، لم يفهم إن كان موافقًا أو معارضًا أو لا مباليًا.

أخذ زاكري المفتاح والمصباح بعيدًا إلى أسفل القاعة وتبعه القط والظلام، وبالقرب من نهاية القاعة وجد كوة بها مصباح يطابق المصباح الموجود في يده، وخلف المصباح باب مقوس من الحجر الأملس بلا علامات باستثناء ثقب المفتاح.

وضع زاكري المفتاح مع الحلقة في ثقب الباب ونقر نقرةً، بينما يدير المفتاح، ثم ضغط الحجر، ففتح الباب وتطاير الشرر من المصباح في يده والمصباح على الجدار، وأصدر القط صوت هسهسة في المساحة الواقعة خلف الباب، فارتد الصوت إلى أسفل الردهة.

بينما استمع زاكري، إذ تراجع القط عن الدرج وهو يسمع ثقّت الحجر، ثم صمت! فأخذ نفسًا عميقًا ودخل الغرفة، ضربته رائحتها بمزيج من الأوساخ والسكر، مثل عطر ميرابيل.

سقط شعاع ضوء المصباح على قطع من الأعمدة الحجرية والجدران المنحوتة، وكان أمامه قاعدة ومنصة عليها قرص ذهبي، فوضع المصباح على القرص محاولًا تقليل الوزن، فتبعه صوت قعقة.

حول الغرفة يوجد مصابيح معلقة من الأعمدة تنبض بالحياة، لا يزال عدد قليل منها غير مضاء، فتيلها مفقود أو ربما نفدت من الزيت للتو، وخلف الأعمدة تظهر الغرفة بتجاويف أفقية طويلة، وتساءل زاكري لماذا تبدو المساحة مألوفة؟ ثم رأى يداً واحدة من عظام على حافة إحدى المساحات المظلمة.

إنه سرداب!

للحظة، أراد زاكري أن يتبع القط الذي يصعد الدرج، لكنه لم يفعل، شخص ما يريد أن يرى هذا، شخص ما -أو شيء ما- يعتقد أنه يجب أن يكون هنا.

أغلق زاكري عينيه، واستجمع قواه ثم بدأ يستكشف الغرفة، بدأ مع قاطني الغرفة، اعتقد في البداية أنها موميאות، لكن كلما اقترب منها رأى أن شرائط القماش الملفوفة بشكل غير محكم حول الجثث مغطاة بالنصوص، ومعظمها جفت وتلّفت مع مرتديها، لكن البعض منها لا يزال مقروءاً.

تغني لنفسها في اللحظة التي تظنّ بها أن لا أحد يسترق السمع..
تقرأ نفس الكتب مرارًا وتكرارًا حتى تصبح كل صفحة مألوفة تمامًا..
يمشي حافي القدمين عبر القاعات، هادئًا مثل قطة..
يضحك بكلّ يسر وفي كثير من الأحيان، كما لو أن الكون كله مسخر لإسعاده.

إنهم ملفوفون في الذكريات، ذكريات عمّن كانوا على قيد الحياة، قرأ زاكري ما استطاع دون إزعاجهم، قرأ الجمل المنفصلة والمشاعر التي تنيرها الأضواء وتسلط عليها.

لم يكن يرغب في البقاء هنا بعد الآن.

قرأ شريطاً واحداً من النص، ملفوفاً حول معصم، ليس أكثر من عظم الآن، وتساءل زاكري إذا كان ما قرأه يعني ما فكر به، وعلى الأرجح إنه كذلك.

في كوة واحدة هناك جرة، بلا ذكريات داخلها، والبقية فارغة أيضاً، فحول انتباهه إلى بقية الغرفة، وجد بعض الأعمدة منحوتة بتضاريس واضحة والأسطح منحدره، مثل المنابر تحت المصابيح، إحدى المنصات تحمل كتاباً ويبدو قديماً للغاية، ليس له غلاف فقط صفحات ممزقة فالتقطه بعناية قدر

استطاعته، ولم يكد يفعل حتى تفتت الأوراق القيّمة في يديه وتحولت إلى شظايا فوق المنصة.

تنفس زاكري الصعداء، وحمل المزيد من الشظايا من المنصة إلى الحجر عند قدميه، محاولاً ألا يشعر بالسوء حيال ذلك، ربما يكون الكتاب مثل الأشخاص المحيطين به قد اختفى بالفعل، نظر إلى الكتاب الذي سقط عند قدميه وحاول القراءة، ولكنه لم يوجد سوى أجزاء وبقايا متناثرة، لكنه رغم ذلك استطاع أن يجمع كلمة واحدة: «مرحباً».

رمش زاكري للحظة، وألقى نظرة على قطعة أخرى من الورق وقرأها: «ابن».

ووصل إلى قطعة أخرى، كبيرة بما يكفي لالتقاطها: «الطالع». تحول الورق إلى غبار في أصابعه، لكن الكلمات بقيت تحترق أمام عينيه. نظر زاكري إلى قطعة أخرى من الورق القديم المتشققة، على الرغم من أنه يعرف ما ستقوله قبل أن يقرأها: «قارئ - ابن قارئ الطالع».

أغلق زاكري عينيه مستمعاً للصوت في رأسه ليقول: إن هذا لا يمكن أن يحدث، ولكن الصوت في رأسه ظل صامتاً، الصوت يعرف أن هذا يحدث وهو يعرف ذلك أيضاً.

فتح عينيه، وهو ينحني ويغربل بقايا الكتاب على الأرض، ويركز على الجزء الأول من النص الذي عثر عليه ثم على آخر وآخر.

هناك ثلاثة أشياء

مفقودة

في الزمن

واصل زاكري البحث، بينما استمر الكتاب في التآكل، والقطع الوحيدة التي استطاع تمييزها هي كلمات مفردة.

سيف

كتاب

رجل

اختفت الكلمات بمجرد العثور عليها حتى بقيت اثنتان فقط في الغبار.

إيجاد

رجل

بحث زاكري في كومة الأوراق المفتتة عن إيضاح إضافي، لكن جلسة الكتاب المقدس قد انتهت. هذا الكتاب الذي لم يعد على شكل كتاب ليس لديه المزيد ليقوله.

أزال زاكري غبار الورق النبوي عن يديه: إيجاد الرجل. فكر في الرجل الضائع في الزمن من كتاب الأحزان العذبة، وليس لديه أي فكرة عن كيفية البحث عن شخص ضاع في الزمن بأمر من أشباح الكتب السابقة. وحدق إلى الجثث التي لا تكلف نفسها عناء التحديق إلى وجهه، فوقت التحديق لديها ولى منذ زمن بعيد.

أخذ زاكري المصباح من قاعدته، وأطفأت باقي الأنوار نفسها بنفسها، وخرج من الباب متوقفاً لسحب المفتاح من قفله فتأرجح الباب مغلقاً.

بدا الرواق بالخارج أطول، علق زاكري المفتاح على خطافه وأعاد المصباح على رفه، وغرق في مكانه فاختمى الضوء في الطرف الآخر من القاعة.

ألقي نظرة خاطفة على الردهة فاختمت في الظلام، لكن أبعد نقطة يصل إليها ضوء المصباح تضيء شكلاً في الظل، شخص ما يقف في وسط القاعة يحدق إليه.

رمش زاكري فاختمى الشخص فوراً، هرع زاكري صعوداً على الدرج المتهدم، ولم يجرؤ على النظر إلى الوراء، وكاد يتعثّر فوق القط الفارسي الذي كان ينتظره بصبر على القمة.

نجمة ورقية ذات زاوية منحنية واحدة

الكابوس رقم 113:

أجلس على كرسي كبير جداً ولا يمكنني الخروج منه، ذراعي مقيدان بأذرع الكرسي لكن يداي اختفتا. هناك أشخاص دون وجوه يقفون حولي ويطمعونني قطعاً من الورق بها كل ما يفترض أن أكتب عنه، لكنهم لا يسألونني أبداً عما أنا عليه.

زاكري إزرا رولينزر في منتصف الطريق إلى المصعد، في منتصف طريق عودته إلى فيرمونت وجامعته وأطروحته وحياته الطبيعية، في منتصف الطريق لنسيان هذا كله، وكل ما حدث من البداية. مهلاً، ربما سيأخذ القط معه، وفي يوم من الأيام سيقنع نفسه بأن أرض العجائب في مكتبة تحت الأرض بأكملها كانت قصة خيالية متقنة من المعجبين بالمكان الذي أتى منه القط، والذي أخبر نفسه مرات عديدة عنه حتى إنه بدأ في تصديق ذلك عندما كان القط بوجه شرس يحدق إليه ويتبعه إلى المنزل، أينما كان المنزل.

ثم تذكر أن الباب الذي دخل من خلاله آخر مرة في قبو نادي الجبابة قد احترق، ومن المحتمل أنه أصبح عديم الفائدة، لذا في منتصف الطريق إلى المصعد والقط لا يزال يتبعه، استدار زاكري عائداً إلى غرفته بدلاً من ذلك.

في وسط بابه توجد ملاحظة تم إلصاقها، والورقة باللون الأزرق الباهت بدلاً من الأصفر التقليدي بحروف صغيرة وأنيقة: **كل ما تحتاج إلى معرفته قد تم إعطاؤه لك.**

أخذ زاكري الملاحظة من فوق الباب، وقرأها أربع مرات، ثم قلبها ولم يجد شيئاً على الخلفية. قرأها مرة أخرى دون يقين من محتواها، ثم دخل الغرفة، النار تصدر صوت طقطقة في انتظاره وتبعه القط إلى الداخل فأغلق الباب خلفه.

لصق ورقة الملاحظة بإطار لوحة الأرناب القراصنة، ثم نظر إلى أسفل حيث معصميه، لم يعد يرغب في البقاء هنا بعد الآن، وحاول أن يتذكر آخر مرة تحدث فيها إلى شخص ما لم يكن قطعة. هل كانت قصة دوريان في حالة السكر قبل بضع ساعات؟ هل حدث هذا؟ لم يعد يعرف.

ربما هو متعب، ما الفرق بين التعب والنعاس؟ لبس البيجامة وجلس أمام النار، فالتف القط الفارسي عند أسفل السرير، مما أشعره بهدوء غمره بتحسن طفيف. من المفترض ألا تجلب كل هذه الدعة عدم الارتياح.

حدق زاكري إلى السنة اللهب، وتذكر ظل الشخص في الردهة وهو يحدق إلى وجهه في الفراغ الذي لا يوجد به شيء سوى الجثث.

«ربما عقلك يخدعك». قال الصوت الذي في رأس زاكري.

قال زاكري بصوت عالٍ:

- اعتقدت أنك عقلي!

وعلى السرير تحرك القط وتمدد مستقرًا مرة أخرى، بينما لم يستجب الصوت في رأس زاكري.

شعر زاكري فجأة أنه يريد بشدة أن يتحدث شخص ما معه، وفي الوقت نفسه لا يريد مغادرة الغرفة. فكر في إرسال الرسائل النصية إلى كات، فـ كات عادة ما تكون مستيقظة طوال الوقت على الرغم من أنه لا يعرف ما سيكتبه.

- مرحبًا كات، أنا عالق في زنزانة مكتبة تحت الأرض، كيف حال الثلج؟
لقد وجد هاتفه، وكان مشحونًا جزئيًا ليس بالقدر الكافي الذي يجب أن تكون به حالة الشحن طوال المدة التي وضع بها الهاتف بمقبس الشحن، ولكن يكفي لتشغيله.

لا تزال الصورة من حفلة فندق ذا ألغونكوين التي حفظها موجودة، ومن الواضح الآن أن المرأة المقنعة في الصورة هي ميرابيل، والأكثر وضوحًا له أن الرجل الذي يتحدث معها هو دوريان. إنه يتساءل عما كانا يهتمان به منذ حوالي عام، ولا يستطيع أن يقرر ما إذا كان يريد أن يعرف أم لا.

لا توجد مكالمات فائتة، ويوجد ثلاث رسائل نصية. صورة لوشاحه الذي أنهت كات حياكته، وتذكيرًا من والدته بأن عطارده سيتراجع قريبًا، ورسالة من أربع كلمات من رقم غير معروف: «تحرك بحذر، سيد رولينز».

أغلق زاكري هاتفه؛ لأنه لا توجد أي خدمة هنا على أي حال، وذهب إلى المكتب والتقط قلمًا وكتب كلمتين على بطاقة: «مرحبًا أيها المطبخ».

وضعها في مصعد النقل، وأرسلها في طريقها، وقد أقنع نفسه تقريبًا أن المطبخ والجثث المغطاة بالقصة والمكان نفسه وميرابيل ودوريان والغرفة التي يقف فيها وبيجامته كلها أشياء من خياله، ودق الجرس: «مرحبًا سيد رولينز، كيف يمكننا مساعدتك؟»

فكر زاكري لوقت طويل قبل أن يكتب ردًا: «هل هذا حقيقي؟»

كتب ذلك وبدأ ما كتبه غامضًا جدًا، لكنه أرسله على أي حال.

دق الجرس بعد لحظة، وأتت عربة الطعام إلى الداخل مع بطاقة أخرى، وقدح يتصاعد منه بخار متعرج مع صينية مغطاة بقبة فضية.

قرأ زاكري الملاحظة: «بالطبع هذا حقيقي يا سيد رولينز، نأمل أن تشعر بتحسن قريبًا».

كان الكوب مليئًا بحليب جوز الهند الدافئ مع الكركم والفلفل الأسود والعسل، وتحت القبة الفضية توجد ست كعكات صغيرة مخبوزة جيدًا.

كتب زاكري: «شكرًا لك أيها المطبخ».

أخذ الكوب الخاص به والكعك وجلس أمام النار مرة أخرى، تمدد القط وأتى ليجلس معه، شم الكعك ولعق القشدة من أصابع زاكري.

لا يتذكر زاكري النوم، يستيقظ ويجلس ملتفًا على نفسه على كومة من الوسائد أمام النار، ويحتضن القط الفارسي في ذراعه، دون أن يعرف التوقيت.

- ما التوقيت على أي حال؟

سأل زاكري القط الذي كان يتشاءب.

جاء صوت قرع عربة الطعام وتوهج الضوء على الحائط، ولم يستطع زاكري تذكر إن كان يقرع من تلقاء نفسه من قبل.

تقول الملاحظة بداخل العربة: «صباح الخير سيد رولينز، نأمل أن تكون قد نمت جيدًا».

هناك قدر من القهوة وعجة ملفوفة وشريحتان محمصتان من خبز العجين المخمر ووعاء خزفي من الزبدة مغطى بالعسل، ومغطى بالملح وسلّة مملوءة ببرتقال الماندرين. وبدأ زاكري في كتابة رسالة شكر لكنه كتب شيئًا مختلفًا بدلًا من ذلك.

- أنا أحبك أيها المطبخ.

لم يتوقع ردًا ولكن كان هناك رنين آخر.

- شكرًا لك سيد رولينز، نحن مغمومون بك أيضًا.

تناول زاكري فطوره وشارك الأومليت مع القط، متجاهلاً القاعدة المتعلقة بإطعام القطط وقد كسرهما بالفعل بكريمة الزبدة المتجمدة في الليلة السابقة، وأعتقد أن رأسه أهدأ مما كان عليه.

سأل زاكري القط:

- إذا كنت رجلًا ضائعًا في الزمن فأين ستكون؟

حدق القط إليه.

«كل ما تريد معرفته قد تم إعطاؤه لك».

قال زاكري مع بزوغ الفجر، وغاص في الكتب بالقرب من موقد النار ليجد الكتاب الذي أعطته رايم له، وصل إلى الصفحات؛ حيث توقف من قبل. أخذ الكتاب إلى المكتب وحرك المصباح، حتى يتمكن من الرؤية بشكل أفضل، جلس القط في حضنه وأخذ يصدر صوت خرخرة، وبدأ زاكري يقشر ويأكل برتقالة في أجزاء صغيرة مع ضوء الشمس بينما يقرأ.

قرأ وتجهم وقرأ أكثر ثم قلب الصفحة، ولم يجد شيئًا آخر وكانت باقي الصفحات فارغة. القصة، التاريخ، مهما كانت، تتوقف جميعها في منتصف الكتاب.

تذكر زاكري الرجل الضائع في الوقت الذي كان يتجول في مدن العسل والعظام في الأحزان العذبة، وتذكر البحر الخالي من النجوم في كتاب الأساطير والخرافات، وتساءل إذا كانت كل هذه القصص بطريقة ما هي نفس القصة. وتساءل أين يمكن أن يكون سايمون الآن، وكيف يذهب للبحث عنه كما تساءل عن المكان المحروق والمكنسة في مكتب الحارس وعمًا سيحدث على وجه التحديد لابن العراف.

على زاوية المكتب يوجد نجمة ورق أوريفامي، كان قد وضعها في جيبه، التقطها ونظر إليها من كئيب فلاحظ كتابة عليها، فكّ النجمة وامتدت إلى شريط طويل من الورق يحتوي على كلمات صغيرة جدًا تبدو كهمسات:

الكابوس رقم 83: أنا أسير في مكان مظلم وشيء كبير ولنزج ينزلق في الظلام قريبًا جدًا يمكنني الوصول إليه ولمسه، لكن إذا لمست الشيء اللزج، فسيعلم أنني هنا وسيأكلني ببطء شديد.

ترك زاكري الكابوس يرفرف على المكتب، والتقط الكتاب مرة أخرى. والتفت إلى آخر صفحة مكتوبة وأعاد قراءتها متوقفًا عند الكلمة الأخيرة في الكتاب غير المنتهي.

أزال زاكري القط من حجره برفق، ووضعها على الأرض والكتاب في حقيقته مع ولاعة السجائر حتى لا ينتهي به الأمر عالقًا في الظلام مرة أخرى وانتعل حذاءه، وارندى سترة عناية اللون فوق بيجامة وذهب للبحث عن ميرابيل.

محتويات مجمعة للعديد من النجوم الورقية (أحدها تم مضغه جزئياً بواسطة قط)

من حين إلى آخر، يختار المساعد أن يتخلى عن شيء آخر غير لسانه عندما يأخذ عهوده. هؤلاء المساعدون نادرون، لن يتذكر المرء الاستثناء الأخير الذي جاء من قبل، لن يخدموا لفترة كافية لمقابلة الشخص الذي يتبعهم.

لقد ضلت الرسامة طريقها. تعتقد -مخطئة- أن اختيار هذا المسار -أي مسار- سيقربها من هذا المكان الذي أحبته ذات يوم، هذا المكان الذي تغير من حولها كلياً مع تغير الوقت.

كانت ترغب في إحياء اللهب الذي انطفأ منذ فترة طويلة للعثور على شيء فقدته، ولم تستطع تسميته، ولكنها تشعر بغيابه في داخلها مثل شعور الجوع الذي ينخر الجسم.

اتخذت الرسامة قرارها دون إخبار أحد، فقط تلميذتها الوحيدة هي التي لاحظت غيابها، لكنها وكما تعلمت قبل ذلك تعتقد أن الناس يختلفون أحياناً مثل الأرناب في القبعات، وأحياناً يعودون وأحياناً أخرى لا يفعلون ذلك، ويسمح للمساعدين باتخاذ مثل هذا الامتياز النادر منذ أن بدأت أعدادهم تتضاءل.

تقضي الرسامة وقتها في العزلة والتفكير وتصنف الخسائر نادمة في محاولة إيجاد ما يمنع حدوث أي منها، أو على الأقل مرورها ببساطة عبر حياتها وخروجها منها مثل الأمواج على الشاطئ.

آمنت أنه إذا خطرت لها فكرة عن لوحة جديدة في أي وقت خلال فترة حبسها، فسوف ترفض هذا المسار وتعود إلى ألوانها وتسمح للنحل بالعثور على شخص آخر للخدمة.

لكن لا توجد أفكار جديدة. القديمة فقط انقلبت مراراً وتكراراً في ذهنها، فقط الأشياء الآمنة والمألوفة التي التقطتها واستعادتها بضربات الفرشاة مرات عديدة لدرجة أنها لم تجد شيئاً سوى الفراغ بداخلها. حاولت الكتابة، لكن راحتها كانت دائماً الصور أكثر من الكلمات. عندما فتح الباب قبل وقت طويل، وقبل توقع الرسامة ذلك، قبلت نحتها دون تردد.

سار المساعد والرسامة في القاعات الفارغة باتجاه باب غير مميز بعلامة، ولم يلاحظهما سوى قطة واحدة في هذه اللحظة، وعلى الرغم من أن القطة

تدرك هذا الخطأ على حقيقته إلا أنها لم تتدخل، إذ لم تكن هذه طريقة القبط للتدخل في القدر. توقعت الرسامة التضحية بكلتا عينيها، لكنهم اكتفوا بواحدة فقط، واحدة ستفي بالغرض وأكثر.

وكما كانت الصور تغرق بصر الرسامة، فقد تم قصفها بالعديد من الصور التي أخذت تتكشف في مثل هذه التفاصيل، بحيث لا يمكنها فصل أحدها عن الأخرى، لا يمكنها أن تحلم بالتقاط أجزاء منها حتى بالزيوت على القماش، حتى عندما تمسك أصابعها بالفرشاة. فأدركت أن هذا المسار لم يكن مخصصاً لها.

لكن قد فات الأوان الآن لاختيار شخص آخر.

سار زاكري في أروقة الميناء، مدرِّكاً أنه لا يعرف في الواقع مكان غرفة ميرابيل، لم يفكر في سؤالها عنها. تجول عبر قاعة الرقص الكهفية إلى حيث رآها آخر مرة، ولكن قبو النبيذ فارغ تماماً من أي أحد. تلوح رسمة السيدة ذات الوجه المغطى بالنحل فوق رفوف النبيذ، وقبل أن يغادر زاكري مرة أخرى، اختار زجاجة ذات مظهر مثير للاهتمام ليضعها في حقيبته، باللون الأحمر دون اسم مع فانوس ومفاتيح متقاطعة مرسومة عليها.

أخذ زاكري جولةً مختلفةً في الصالة دون أن يعرف مكانه، لقد تجول من المألوف إلى المجهول مرة أخرى وتوقف مؤقتاً، محاولاً إدراك اتجاهاته من خلال زاوية قراءة مصطفة بالكتب، مع كرسي بذراعين وطاولة صغيرة مكونة من عمود مكسور، ذات فنجان شاي فوقها، مع شمعة مشتعلة؛ حيث الشاي يجب أن يكون.

بين رفوف الكتب كانت صفيحة نحاسية صغيرة بها زر، مثل مفتاح الإضاءة القديم، ضغط زاكري عليه فانزلق رف الكتب إلى الخلف، وانفتح إلى غرفة مخفية.

«سيستغرق الأمر وقتاً بحجم الأبد للعثور على كل الأسرار هنا». قال الصوت في رأسه لحل جزء من الألغاز ولم يجادله زاكري.

تبدو الغرفة التي خلفها جزءاً من منزل مزرعة قديمة، أو موقع لغز أو جريمة قتل. ألواح خشبية داكنة ومصابيح زجاجية خضراء، مع أرائك جلدية وسجاد شرقي متداخل وجدران مغطاة برفوف كتب، أحدها انفتح وسمح

لزاكري بالولوج للداخل. بين الرفوف توجد لوحات مؤطرة مضاءة بأضواء صالة عرض وباب مناسب مفتوح يؤدي إلى القاعة.

لوحة ضخمة معروضة على الحائط المقابل فيها مشهد غابة ليلي يبرز هلاًلاً مرئياً بين الفروع، وداخل الغابة قفص طائر هائل الحجم، العصا داخله -والمخصصة لوقوف الطائر- كبيرة جداً لدرجة وجود رجل يجثم عليها يدير ظهره عما ينظر إليه، يجلس بائساً في سجنه.

الأشجار المحيطة بالقفص مغطاة بالمفاتيح والنجوم، تتدلى بشرائط من الفروع وتدخل في أعشاش ثم تسقط على الأرض تحتها. جعل ذلك زاكري يفكر في الأرناب القراصنة، ربما تم رسمها من قبل نفس الفنان، وربما كان صاحب لوحة سيدة النحل في قبو النبيذ أيضاً.

يقف دوريان أمام لوحة ويحدق إليها، يرتدي معطفاً طويلاً من الصوف بلون أزرق منتصف الليل، دون ياقة ومصمم بشكل مثالي مع أزراره المصقولة التي قد تكون خشبية أو من عظام على شكل نجوم، فبدا مطابقاً للوحة، المعطف يفتقد لبعض التناسق ودوريان حافي القدمين.

استدار عندما أغلق رف الكتب خلف زاكري.

- أنت هنا!

وبدا الأمر أشبه بملاحظة حول المكان بشكل عام أكثر من ظهور زاكري خلف رف الكتب بشكل خاص.

- نعم، أنا هنا.

- أظن أنني حلمت بك.

ليس لدى زاكري أي فكرة عن كيفية الرد على هذا التعليق، وشعر بالارتياح عندما حوّل دوريان انتباهه مرة أخرى إلى اللوحة. من المحتمل أنه يعتقد أن وقت القصة في حالة السكر كان أيضاً حلمًا، وربما يكون ذلك أفضل. مشى زاكري ووقف بجانب دوريان ولاحظًا جنبًا إلى جنب الرجل في قفصه.

- أشعر وكأنني رأيت هذا من قبل.

- يذكّرني ذلك بحديقة جامع المفاتيح من كتابك، فقد قرأته أنا أسف.

قال زاكري والتفت إليه دوريان متفاجئًا. اعتذر زاكري تلقائيًا، رغم أنه لم يكن أسفًا في الواقع.

- لا عليك، لا تعتذر.

قال دوريان وعاد للنظر إلى اللوحة.

- كيف تشعر اليوم؟

- أشعر كما لو أنني أفقد عقلي، ولكن بطريقة بطيئة وجميلة بشكل مؤلم.

- نعم، فهمت ذلك، إذا أنت أفضل الآن؟

ابتسم دوريان، فتساءل زاكري: «كيف يمكن أن تفوتك ابتسامه شخص ما، رأيته مرة واحدة فقط من قبل».

- نعم أفضل شكرًا لك.

- أنت لا تنتعل حذاء.

- أنا أكره الأحذية.

- الكراهية عندك شعور قوي وطاق تجاه الأحذية.

- معظم مشاعري قويّة وطاقية.

ومرة أخرى عجز زاكري عن الرد، فأنقذه دوريان من الموقف.

خطا دوريان خطوة نحو زاكري، اقترب منه فجأة وبشكل غير متوقع، مد يده ووضعها على صدر زاكري فوق قلبه تمامًا، استغرق زاكري لحظة ليدرك ما يفعله دوريان. «إنه يتأكد من وجوده هنا». تساءل مجددًا: «كم من السهل أن يشعر بضربات القلب من فوق السترة!»

قال دوريان بهدوء:

- أنت هنا حقًا، كلانا هنا حقًا.

لم يدر زاكري ماذا يقول فأومأ برأسه، بينما يحدقان إلى بعضهما. هناك دفع يحيط بهالة اللون البني لعيون دوريان لم يكن زاكري قادرًا على رؤيته من قبل، وهناك ندبة فوق حاجبه الأيسر، الكثير من التفاصيل حول إنسان واحد، والعديد من القصص الصغيرة بلا فرص حقيقية لقراءتها. «أود أن أهدق إليك» قال الصوت في رأس زاكري وبدا وكأنه طلب محرج.

شاهد زاكري عيني دوريان وهما تتحركان مخترقتان جلده بطريقة مذهلة، متسائلًا عن عدد أفكارهما المشتركة، نظر دوريان إلى يد زاكري وأطلق تنهيدةً ما، وقال:

- هل ترتدي بيجاما؟

- نعم.

قال زاكري مدرِّكًا أنه لا يزال يرتدي بيجاما مخططة باللون الأزرق، ثم بدأ في الضحك على سخافة كل ذلك وبعد تردد قصير، انضم إليه دوريان في موجة ضحكاته.

تغير شيء ما مع ضحكهما، فقد شيء ما، وعثر على شيء آخر. وعلى الرغم من أن زاكري لا يملك تعليقًا عما حدث، إلا أن هناك سهولة بينهما لم تكن موجودة من قبل.

- ماذا كنت تفعل بين رفوف الكتب؟

- كنت أحاول معرفة ما يجب فعله بعد ذلك، كنت أبحث عن ميرابيل لكنني لم أتمكن من العثور عليها ثم تهت، لذا بدأت في البحث عن شيء مألوف ووجدتك.

- هل أنا مألوف؟

سأل دوريان ورغب زاكري بأن يقول (نعم)، أنت أكثر الأشخاص المألوفين ولا أفهم السبب، لكنه شعر أن هذه حقيقة كبيرة جدًا للكشف عنها الآن، فحوّل الحديث إلى شيء آخر.

- إذا كنت رجلًا تائهاً في الزمن فأين ستكون؟

- هل تقصد متى سأكون؟

- هذا السؤال أيضًا.

قال زاكري مبتسمًا، على الرغم من إدراكه أن البحث عن مكان رجل ضائع في الزمن قد يكون أكثر صعوبة بكثير مما كان يعتقد وعاد إلى النظر إلى اللوحة.

- هل أنت على أفضل ما يرام؟

سأل دوريان زاكري، حين لاحظ بعض الانزعاج أو الإحباط في تعابير وجهه.

- ماذا لو فقدت عقلي بالفعل وحياة ما بعد العقل هي لغز تلو الآخر.

ثم نظر إلى الرجل في القفص، بدا قفصًا حقيقيًا، والقفل ثقيل وملفوف عبر القضبان على سلسلة، لقد بدا حقيقيًا بما يكفي لخداع العين.

للحظة شعر وكأنه ذلك الفتى الذي كانه مرة أخرى، يقف أمام باب مطلي
لن يجرؤ على فتحه، ما الفرق بين الباب والقفص؟ بين ليس بعد وبعد فوات
الأوان؟

- أي نوع من الألباز؟

- منذ أن وصلت إلى هنا كل شيء يتمحور حول الملاحظات والقرائن
والألباز. في البداية كانت هناك ملكة النحل لكنها قادتني للتو إلى
سرداب مخفي مملوء بأموات ملفوفين بالذاكرة؛ حيث تخلى عني قطي،
وأخبرني كتاب أن هناك ثلاثة أشياء ضاعت في الزمن، ومن فضلك لا
تنظر إلي هكذا.

- أخبرك كتاب!

- تفتت الكتاب إلى أجزاء صغيرة، لكنني لم أعرف ما يعنيه، كنت محاطًا
بالجثث فلم أرغب في الالتفاف حولها وإخراج الكتاب، لاحقًا كان هناك
أيضًا شبح في القاعة، أظن ذلك.

- هل أنت متأكد من أنك لم تكن تتخي....

قاطعه زاكري قبل أن يتمكن من قول الكلمة.

- هل تعتقد أنني أخلقها؟ نحن في مكتبة تحت الأرض، ورأيت أبوابًا
مطلية تفتح على جدران صلبة، وتعتقد أنني أتخيل الكتاب وربما
الأشباح؟

- لا أعرف، أنا لا أعرف ما ينبغي تصديقه الآن.

وحدّق الاثنان إلى بعضهما في صمت مليء بصور متعددة من التوتر، لم
يستطع زاكري تحمله أكثر من ذلك.

- اجلس!

قال زاكري لدوريان مشيرًا إلى أحد الأرائك الجلدية، يوجد مصباح للقراءة
فوقه غطاء زجاجي أخضر، وتوقع من دوريان أن يعارضه لكنه لم يفعل
ذلك وجلس وفقًا للتوجيهات، ولم يقل شيئًا على الرغم من أن تعبيره ينم عن
انزعاجه.

- إنه قراءة هذا!

قال زاكري وأخرج الأحزان العذبة من حقيبته وأعطاه إلى دوريان وأكمل:

- عند الانتهاء منه، أبدأ بقراءة هذا.

ووضع أمامه قصيدة سايمون وإليانور على طاولة قريبة وتابع:

- هل معك كتابك؟

أخرج دوريان كتاب الحظوظ والخرافات من جيب معطفه:

- لن تكون قادرًا على القراءة... قلت إنك قرأته بالفعل.

سأل زاكري وراقب ملامح دوريان مع توجيهه لهذا السؤال:

- نعم لقد قرأته، اعتقدت أن إعادة القراءة قد تكون مفيدة، ما هذا؟

- على حد علمي، أنت تتحدث الإنجليزية والفرنسية فقط.

- لن أسمى ما أتلظ به بالفرنسية بالقدرة على التحدث بها.

قال زاكري موضحًا ومحاولًا قياس مدى جنونه فتلاشى الغضب حينها

وجلس على الأريكة الأخرى وفتح برفق كتاب الحظوظ والخرافات:

- الكتب تترجم نفسها هنا، أعتقد أن الكلام مفيد أيضًا، لكنني كنت أتحديث

فقط إلى الأشخاص باللغة الإنجليزية أو عبر إيماءات اليد. دعنا نفكر

في الأمر، ربما كان الحارس لا يتحدث لي باللغة الإنجليزية، وذلك

فضاظة كبيرة!

- كيف يعقل هذا!

- كيف يمكن أن يعقل أي من هذا؟ أنا حتى لا أفهم طبيعة رفوف الكتب.

- لقد سألتك ذلك بلغة الماندرين.

- هل تتحدث لغة الماندرين؟

- إنني أتحديث الكثير من اللغات.

قال دوريان وزمّ زاكري شفثيه، إذ لا تطابق الكلمات التي تصل إلى أذنيه،

مثلما يحدث عندما تكون ترجمات الكتاب ضبابية قبل أن تصبح مفهومة مرة

أخرى. وتساءل زاكري عما إذا كان سيلاحظ حتى الفرق إذا لم يكن يبحث

عنه.

- هل قلت ذلك بلغة الماندرين أيضًا؟

- قلت ذلك بالأردو.

- أنت تتحدث الكثير من اللغات.

تتهد دوريان ونظر إلى أسفل الكتاب في يديه ثم إلى الرجل الموجود في القفص على الحائط ثم عاد ونظر إلى زاكري.

قال زاكري:

- يبدو أنك تريد المغادرة.

تحول تعبير دوريان على الفور إلى تعبير المفاجأة.

- ليس لدي أي مكان أذهب إليه.

قال دوريان بينما علق نظر زاكري للحظة قبل أن يوجه انتباهه إلى الأحزان العذبة. وصل تصفحه إلى كتاب الحظوظ والخرافات للنصف تقريبًا، وتساءل عما إذا كان هناك أكثر من ملك يوم واحد عندما نظر دوريان إليه فجأة.

دوريان:

- هذا... هذا الصبي في المكتبة والمرأة ذات الوشاح الأخضر، هذا الصبي أنا.

- لديك رد فعل هادئ نسبيًا لكونك في كتاب، هادئ أكثر من رد فعلي أنا فيما سبق.

- كيف...!

وبدأ دوريان يتكلم ويتوقف، ولا يزال يقرأ، أضاف بعد ذلك:

- إنه ذلك الجزء فقط في البداية، لم أقم بأي من هذه الاختبارات الأخرى. كأنك كنت وصيًا.

- لا، لقد كنت عضوًا مرموقًا في نادي الجبابة، أعترف أن النادي هو تطور لهذا. هناك تشابه.

ونظر دوريان من فوق الكتاب وحول الغرفة، إلى رفوف الكتب واللوحة والباب الذي يؤدي إلى القاعة، ومرّ قط دون أن يلقي نظرة خاطفة على الداخل.

دوريان:

- قالت أليغرا دائمًا إنه يتعين علينا الانتظار حتى يصبح الوضع آمنًا ومضمونًا. قالت لي ذلك لسنوات وأنا أصدقها. آمن ومضمون، كان ذلك هدفًا متحركًا باستمرار. دائمًا المزيد من الأبواب تتجه إلى الإغلاق

والمزيد من الأفراد الأكثر إشكالية للتخلص منهم. دائماً (قريباً) وليس (الآن).

- هل هذا ما يؤمن به نادي الجبابة بأكملهم؟

- إذا فعلوا ما تخبرهم به أليغرا لفترة كافية، فسوف يكسبون مكانهم في الجنة التي - كما افترض بورخيس - هي نوع من المكتبات، نعم، إنهم يؤمنون بذلك.

- يبدو هذا وكأنه عبادة.

وضحك دوريان لدهشته وأقرّ:

- إنه كذلك حقاً.

- هل تصدق كل هذا؟

فكر دوريان في السؤال قبل أن يجيب:

- نعم فعلت، أنا آمنت بثبات، قبلت الكثير من الأمور على أساس الإيمان حتى كانت ليلة جعلتني أشك في كل شيء وهربت، اختفيت. لم يمر تصرفي بسلام. جمّدوا بطاقتي تحت جميع الأسماء المستعارة الخاصة بي، وجعلوا بعض النسخ الخاصة بي غير موجودة، ووضعوا البعض الآخر في قوائم المراقبة، والقوائم الرقمية، وجميع أنواع القوائم. لكن كان لدي قدر كبير من المال وكنت في مانهاتن، من السهل أن تظل تائهاً في مانهاتن، كان بإمكانني أن أتجول في وسط المدينة ببدلة وبحقيبة أوراق وأختفي وسط الحشد، على الرغم من أنني كنت أذهب عادة إلى المكتبة.

- ما الذي غير رأيك؟

- ليس ما الذي غير رأيي، بل من غير رأيي، إنها ميرابيل قد غيرت رأيي. قال دوريان وقبل أن يتمكن زاكري من الاستفسار أكثر، أعاد دوريان انتباهه إلى الكتاب، وتوقفت المحادثة بشكل واضح وصريح.

قرأ كلاهما في صمت لبعض الوقت، واختلس زاكري من حين إلى آخر بعض النظرات إلى دوريان، محاولاً تخمين مكانه في الكتاب بناءً على رد فعل الحاجب.

في النهاية، أغلق دوريان الأحزان العذبة ووضعها على الطاولة، قطب حاجبيه ومد يده فأعطاه زاكري قصيدة سايمون وإليانور دون أن ينبس ببنت شفة، وعادا إلى القراءة.

ضاع زاكري في إحدى القصص الخيالية، وتساءل عن نوع الصندوق الذي أخفى فيه نحات القصة ما كان يظن أنه قلب القدر الذي بداخله. في اللحظة التي أغلق دوريان فيها الكتاب.

حاولا ببطء ربط وتحليل الآلاف من الأسئلة، مقابل كل تقاطع يربطانها بين كتاب وآخر، وهناك العديد مما لم يتناسب معهما. تبدو بعض القصص منفصلة تمامًا عن بعضها والبعض الآخر مرتبطة ارتباطاً صريحاً بالقصة التي وجدا أنفسهما فيها معاً الآن.

- كان هنالك...!

بدأ دوريان بالكلام ثم توقف، وعندما استمر في الكلام خاطب الرجل على الحائط بدلاً من الرجل الجالس المواجه له:

- كانت هناك منظمة يشار إليها باسم مؤسسة (كيتنغ)، لم تكن للعوام قط، فقد كانت مصطلحاً داخلياً، لم أعرف قط أصلها، ولم يطلق على أحد اسم (كيتنغ) من قبل، لكن لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل الصدفة! قال زاكري وهو يحمل الأحزان العذبة:

- تلقت المكتبة هذا الكتاب هدية من مؤسسة (كيتنغ)، كيف كانوا مرتبطين بناذي الجباة؟

- لقد عملوا مع المعارضة، كانوا الأهداف التي سيتم القضاء عليها. توقف دوريان، وبدأ يمشي في الغرفة وشعر زاكري فجأة بأن القفص في اللوحة لا يقتصر على الجدار فقط.

سأل دوريان، وتوقف لالتقاط قصيدة سايمون وإليانور وبدأ بقراءتها في أثناء تجواله في الغرفة:

- ماذا أخبرك كتاب التشفير الخاص بك مرة أخرى؟

- هناك ثلاثة أشياء تائهة في الزمن: كتاب وسيف ورجل، يجب أن يكون كتاب الأحزان العذبة هو الكتاب؛ حيث أعطته إليانور لساييمون ثم أمضت مئة عام على السطح ربما؟ التعليمات تقول: إيجاد الرجل،

وليس: إيجاد الرجل والسيف. لذلك ربما تم إرجاع السيف أيضًا، هناك سيف في مكتب الحارس معلق بشكل واضح على مرأى من الجميع.

- سايمون هو الرجل التائه في الزمن؟

- لا بد أنه كذلك، الرجل التائه في الزمن في كتاب الأحزان لديه معطف ذو أزرار.

أمسك دوريان بالأحزان العذبة وأخذ يقلب بين الكتابين:

- من برأيك هو القرصان؟

- أعتقد أن القرصان كناية.

- كناية عن ماذا؟

- لا أعرف.

تنهد زاكري ونظر إلى الرجل في قفصه الملون محاطًا بالعديد من المفاتيح.

دوريان:

- من الرسام؟

سأل دوريان في نفس الوقت الذي كان فيه الصوت في رأس زاكري يطرح نفس السؤال.

زاكري:

- لا أعرف، لقد رأيت مجموعة من اللوحات، ربما تعود إلى نفس الرسام وهناك واحدة لأرانب قراصنة في غرفتي.

- هل بإمكانني رؤيتها؟

- بالطبع يمكنك ذلك.

وضع زاكري الأحزان العذبة وقصيدة (سايمون وإليانور) في حقيبته وأعاد دوريان وضع كتاب الحظوظ والخرافات في جيبه، وانطلقا مشيًا عبر القاعة، تلك التي يعرفها زاكري بعض الشيء، على شكل نفق؛ حيث تنحني رفوف الكتب مع كل منعطف.

سأل زاكري وهما يمشيان، وشاهد دوريان ببطء يحدق إلى محيطهما:

- كم رأيت؟

- بضع غرف فقط.

ونظر إلى أسفل لما وراء قدميه العاريتين، الأرضية في هذه القاعة زجاجية، تكشف عن غرفة في الأسفل ملانة بشاشات متحركة مع قصص مطبوعة عليها، رغم أنها من هذا المنظور قصة عن قطة في متاهة.

دوريان:

- الأشخاص الوحيدون الذين رأيتهم هم أنت والفتاة التي تشبه الملاك مع شعرها الغزير، تلك التي ترتدي الجلباب الأبيض ولا تتكلم.

- إنها رايم، إحدى المساعدين.

- هل لديها لسان؟

- لم أسألها؛ ظننت أنّ ذلك سيكون فظًا.

توقف دوريان عند تلسكوب مزخرف واستراح بجوار كرسي بذراعين موجه نحو نافذة مثبتة في الجدار الحجري المجاور لها، فكّ الأقفال وفتح النافذة، وكان المنظر خلفه ظلام يشوبه ضوء خافت في المدى.

عاد دوريان إلى التلسكوب ونظر من خلال النافذة، كان زاكري يراقبه ورأى ابتسامة على زاوية شفّتيه، وبعد لحظة تنحى دوريان جانبًا وأشار إلى زاكري لينظر.

بمجرد أن وضع زاكري عينيه على عدسات التلسكوب تمكن من رؤية المدى البعيد عبر مساحة غائرة. توجد نوافذ في غرف أخرى في جزء آخر من المرفأ، منحوتة في جدار من الصخور الخشنة التي تتماهى مع الظلال، على مساحة من الحجر المضيء توجد بقايا سفينة كبيرة، بدنها متصدع إلى قسمين، والبحر منحسر من تحتها. يتدلى علم رث وممزق من ساريتها وأكوام من الكتب مكدسة على السطح المنحدر.

- هل تعتقد أنه كان يوجد صفارات إنذار هنا؟ وبحارة يغنون لحطام سفينة؟

سأل دوريان وكان صوته قريبًا جدًا من أذن زاكري، فأغلق زاكري عينيه محاولًا تخيل هذه السفينة فوق الأمواج.

استدار وأزال عينيه عن عدسات التلسكوب، متوقعًا أن يكون دوريان بجواره، لكن دوريان مشى بعيدًا في القاعة.

عندما وصل زاكري إلى دوريان قال له:

- هل أستطيع أن أسألك سؤالاً؟

- بالطبع.

- لماذا ساعدتني في نيويورك؟

كان هذا شيئاً لم يتمكن زاكري من إدراكه، معتقداً أنه يجب أن يكون هناك ما هو أكثر من مجرد استعادة كتابه.

- لأنني أردت ذلك، لقد أمضيت قدرًا كبيرًا من حياتي أفعل ما يريده

الآخرون، وليس ما أريده أنا، وأنا أحاول التغيير، قرارات لحظية، لا أحمية مثلًا، ذلك منعش بطريقة مرعبة!

بعد عدة أدوار وقاعة ملائمة بقصص من الزجاج الملون، وصلا إلى باب غرفة زاكري، وهمّ زاكري بفتحه لكنه مقفل، لقد نسي أنه أقفله ووضع مفاتيحه تحت سترته.

- ما زلت ترتديه!

قال دوريان وهو ينظر إلى السيف الفضي، ولم يعرف زاكري كيف يرد على ذلك بخلاف التأكيد الرهيب الواضح على أنه لا يزال يرتديه ونادرًا ما يخلعه. فتح الباب وتشتت انتباهه على الفور بسبب عواء القط الفارسي الذي نسيه بالداخل عن طريق الخطأ.

قال زاكري للقط:

- أوه، أنا آسف!

لم يقل القط شيئاً، نسج طريقه بين ساقيه قبل أن يتجه إلى أسفل الردهة.

قال دوريان:

- منذ متى كان هنا؟

- أعتقد بضع ساعات.

- حسنًا على الأقل كان مرتاحًا.

وحول انتباهه إلى اللوحة فوق الرف، بدا منظرًا بحريًا كلاسيكيًا لسفينة شاهقة، مع غيوم مشؤومة وأمواج متقطعة، واقعية تمامًا باستثناء القراصنة.

دوريان:

- هل تعتقد أنها مصادفة؟ فتاة تتظاهر بأنها أرنب تعرف رسامةً ثم لوحات مع الأرانب؟

- هل تعتقد أن الرسام رسمها من أجل إيانور؟

- أعتقد أنه احتمال، أعتقد أن هناك قصة هنا.

- أعتقد أن هناك الكثير من القصص هنا.

وضع حقيبته على الأرض وصدر صوت طرقة زجاجة النبيذ على الحجر، فأخرجها ونفض الغبار عن الفانوس والمفاتيح الموجودة عليه متسائلاً من قام بتعبئتها ومدة بقائها في القبو، منتظرةً شخصاً ما لفتحها، لماذا ليس الآن؟

نظر زاكري إلى الزجاجة المغطاة بالفلين وقطب حاجبيه.

- لا تطلق عليّ أحكاماً.

قال لدوريان وهو يأخذ قلمًا من فوق المكتب، ويستخدمه لدفع الفلين من عنق الزجاجة، وهي خدعة استخدمها مرات عديدة عندما كان طالباً جامعياً يفترق إلى أدوات الحانة المناسبة.

لاحظ دوريان العملية غير الأنيقة التي قام بها زاكري:

- كان من الممكن أن نجد مفتاح نبيذ في مكان ما.

أجاب زاكري ممسكاً بالزجاجة التي تم فتحها بنجاح:

- لقد كنت منبهراً قليلاً بمهاراتي الارتجالية.

بينما ضحك دوريان إذ أخذ زاكري جرعة من قارورة النبيذ، كان من الأفضل سكبها في كؤوس، لكنه ارتشف على الفور من المشروب الزاخر والشهي والمشرق. مضيء بطريقة ما، مثل الفانوس الموجود عليه. وشعر زاكري بالامتنان؛ لأنه لا يهمس بالثر أو القصص حول لسانه وفي رأسه لكنه طعمه أقدم من القصص، طعمه مثل الأسطورة.

قدم زاكري الزجاجة إلى دوريان وأخذها، وترك أصابعه تستقر مرتاحة على زاكري كما فعل هو أيضاً.

سأل دوريان فجأةً:

- لقد عدت من أجلي، أليس كذلك؟ أنا آسف لأنني لم أذكر ذلك سابقاً، لا يزال كل شيء ضبابياً.

- كانت في الغالب ميرابيل. لقد رُبِطَتْ ثم قُيِّدَتْ على كرسي وتسممت، كل شيء يبدو بعيدًا الآن، على الرغم من أنه كان حديثًا جدًا، لقد تحسنت.
- شكرًا لك، لم يكن عليك القيام بذلك، أنت لا تدين لي بشيء وأنا أشكرك. اعتقدت أنني لن أستيقظ على الإطلاق وبدلاً من ذلك استيقظت هنا.
- على الرحب والسعة.

وشعر زاكري أنه يجب أن يقول المزيد.

- منذ متى كان ذلك؟ أربعة أيام؟ خمسة؟ أسبوع؟ أشعر أن الوقت كان أطول من ذلك.

نظر إليه زاكري بصمت ودون تقديم إجابة مناسبة، يعتقد أنه قد يكون أسبوعًا أو عمرًا أو لحظة. فكر أن يقول: إنني أشعر أنني عرفتكم منذ الأزل، لكنه لم يقل ذلك، لذلك استمر فقط في التحديق إلى بعضهما ولم يقلوا شيئًا. سأل دوريان بعد أن أخذ رشفة من الزجاجاة:

- من أين حصلت على هذا؟

- من قبو النبيذ، إنه في أقصى نهاية قاعة الاحتفالات؛ حيث كانت في الماضي في المكان الذي كان فيه البحر الخالي من النجوم.

نظر دوريان إليه بتعبير ألف سؤال في عينيه، لكن بدلًا من أن يسأل أيًا منها، أخذ جرعة أخرى من النبيذ وأعاد الزجاجاة إلى زاكري.

- لا بد أنه كان شيئًا غير عادي، في الماضي.

- لماذا تعتقد أن الناس أتوا إلى هنا؟

سأل زاكري وأخذ رشفة أخرى مشوية بالأساطير قبل تسليم الزجاجاة إلى دوريان، غير قادر على معرفة ما إذا كان الاندفاع في رأسه ونبضه ناتجًا عن النبيذ أو الطريقة التي تتحرك بها أصابع دوريان عليه.

قال دوريان وأمال الزجاجاة ناحية زاكري:

- أعتقد أن الناس أتوا إلى هنا لنفس سبب مجيئنا، بحثًا عن شيء ما حتى لو لم نكن نعرف ما هو. شيء ما أكثر مما نملك، شيء يدعو للتعجب، مكان ما للانتماء. نحن هنا للتجول في قصص الآخرين والبحث عن قصصنا، للسعي إليها.

قال زاكري وأخذ رشفة وردّ الزجاجاة إلى دوريان:

- للبحث!

- أحببت أنك قرأت كتابي، شكرًا لك مرة أخرى على مساعدتي في استعادته.

- على الرحب والسعة.

- إنه غريب، أليس كذلك؟ أن تحب كتابًا. عندما تصبح الكلمات الموجودة على الصفحات ثمينة جدًا لدرجة أنك تشعر معها أنها جزء من تاريخك؛ لأنها كذلك. من الجيد في النهاية أن يكون لدي شخص ما يقرأ القصص التي أعرفها بحميمية، ما القصة المفضلة لديك؟

نظر زاكري في السؤال بينما فكر أيضًا في الاستخدام الخاص لكلمة حميمية. فكر في القصص، ومقتطفات من الصور تعود إليه لأنه يتيح لنفسه اعتبارها مجرد قصص بدلاً من محاولة تفريقها بحثًا عن أسرارها. نظر إلى الزجاجاة في يديه، والمفاتيح والفايروس، وفكر في العرافين في الحانات والزجاجات المشتركة في الفنادق المغطاة بالثلوج، وقال:

- لا أعلم، أحببت تلك القصة عن السيوف، كان الكثير من القصص حزينًا نوعًا ما. أعتقد أن صاحب النزل والقمر كانتا القصص المفضلة لدي، لكنني أردت...!

توقف زاكري، غير متأكد مما يريده من القصة، المزيد ربما، وسلم الزجاجاة إلى دوريان.

- هل أردت نهاية سعيدة أكثر؟

- لا! ليس بالضرورة أكثر سعادة، أردت المزيد من القصة، أردت أن أعرف ما حدث بعد ذلك، أردت أن يجد القمر طريقة للعودة حتى لو لم يستطع البقاء. كل هذه القصص هي من هذا القبيل، تشعر وكأنها أجزاء من قصص أكبر. كأن هناك المزيد من الأحداث خارج الصفحات. أوما دوريان برأسه.

- هل هذه خزانة ملابس؟

سأل دوريان مشيرًا إلى قطعة الأثاث الموجودة على الجانب الآخر من الغرفة.

- نعم.

- هل تفقدتها؟

- لماذا؟

سأل زاكري ولكنه أدرك عندما ارتفع جبين دوريان غير المصدق فتابع:

- أوه أوه لا، لم أفعل.

فكر زاكري أنها الخزانة المناسبة الوحيدة التي يمتلكها على الإطلاق، وبعد فترة طويلة من الوقت أمضاها جالساً في الخزانات بشكل أدبي وعقلاني لا يمكن تصديق أنه لم يتحقق بعد من هذا الباب بحثاً عن باب لـ(نارنيا).

سلمه دوريان زجاجة النبيذ واتجه نحو خزانة الملابس.

- لم أكن قط مولعاً بنارنيا بشكل خاص، الكثير من الرموز المباشرة لذوقي، على الرغم من أنه يحتوي على بعض الرومانسية، الثلج، وساتير النبيل.

قال دوريان وهو يمرر أصابعه فوق الأبواب الخشبية المنحوتة وفتح الأبواب وابتسم، على الرغم من أن زاكري لم يستطع معرفة ما يبتسم له.

مد ذراعه واقتطع الصفوف المعلقة من الكتان والكشمير ببطء وبعناية، كان يخطو إلى الخارج والداخل بدلاً من الوصول مباشرة إلى الجزء الخلفي من خزانة الملابس، وأخذ وقته متفحصاً بعناية.

«إنه لا يحتاج حتى إلى كلمات ليروي قصة». قال الصوت في مكان ما في رأس زاكري.

وفجأة تمنى بشدة أنه لو كان يشغل حالياً مكان السترة التي يضع دوريان يده عليها وهو مشتمت للغاية بسبب هذه الفكرة، لدرجة أنه استغرق لحظة ليدرك أن دوريان قد دخل خزانة الملابس واختفى.

* * *

نجم ورقي شوهته الظروف، وفي المدة الزمنية التي جعلته كذلك يمكن حينها فقط التعرف عليه كونه نجماً بشكل غامض.

وجد رجل للحظات يقتحم القاعة، ووجد طريقه إلى الخروج من الزمن مرة أخرى.

الشمعدانات المتساقطة ليست شيئاً غير عادي، يتوقعها المساعدون، فليدهم طريقة لمعرفة متى قد ينطفئ اللهب، هناك طرق لتجنب الحوادث.

لا يستطيع المساعدون التنبؤ بأفعال الرجل الضائع في الزمن، لا يمكنهم معرفة أين ومتى سيظهر، هم ليسوا هناك في المكان والوقت الموجود هو بهما. لا يوجد عدد كبير من المساعدين كما كان في السابق، وهم جميعًا في هذه اللحظة، يهتمون بأمور أخرى.

تزحف النار في البداية ثم تلقي بالسنة اللهب على كل شيء، فتسحب الكتب من رفوفها بورق ملفوف وتحول الشموع إلى برك من الشمع المنصهر. تزمجر وتتناثر في القاعات، وتتحرك مثل البحر فوق كل شيء في طريقها، تجد الغرفة مع بيت الدمى وتدعي أنها خاصة بها، ويضيع الكون كله في اللهب، ترى الدمى السطوع فقط ثم لا شيء أبدًا.

يحدق زاكري إزرا رولينز إلى خزانة ملابس تحتوي فقط على قدر كبير من السترات والقمصان والسراويل الكتان ويشاور عقله مرة أخرى.
- دوريان؟! -

يبحث عنه ويفكر أنه لا بد أنه يختبئ في الظل، ملتفًا تحت الملابس المعلقة بالطريقة التي جلس بها زاكري مرات عديدة في عالم وحيد مضغوطًا ومنسيًا.

مد زاكري يده عبر السترات والقمصان، متسائلًا لماذا يقبل الظلال على أنها ظلال في مكان يوجد فيه الكثير من الأشياء، أكثر مما يبدو، وحيث يجب أن تلمس أصابعه الخشب الصلب ولا تلمس شيئًا آخر بدلًا عنه.

يضحك وتقف الضحكة وسط حلقة، يخطو إلى دواب الملابس، ويصل إلى مسافة أبعد، حتى وصل إلى فراغ؛ حيث يجب أن يكون الظهر أبعد من المكان الذي كان من الممكن أن يلتقي فيه الجدار بأصابعه.

يخطو خطوة ثم أخرى، والكشمير يمسك بظهره ويتلاشى الضوء من غرفته بسرعة، ويمد يده إلى جنبه ويضرب حجرًا صلبًا منحنيًا قليلًا ربما يكون نفقًا، مشى إلى الأمام حتى وصل إلى الظلام أمامه وشعر بيد ما تمسكه.

يهمس دوريان في أذنه:

- دعنا نرَ أين سيقودنا هذا، هلاً نذهب!

أمسك زاكري بيد دوريان، وتشابكت أصابعهما ومضيا عبر النفق، عابرين زاويةً إلى غرفة أخرى. هذه الغرفة مضاءة بشمعة واحدة موضوعة أمام مرآة بحيث يتضاعف حجمها.

- لا أعتقد أن هذه نارنيا.

بدأت عينا زاكري بالتكيف مع الضوء، دوريان محق، إنها ليست نارنيا، بل غرفة ملانة بالأبواب. كل باب محفور بالصور، سار زاكري نحو الأقرب، ووضع قبضته على يد دوريان وتأسف لذلك، لكن فضوله يغلبه في كل مرة. على الباب، توجد فتاة تحمل فانوسًا عاليًا مقابل سماء مظلمة تعج بالملخوقات المجنحة، تصرخ وتتخبط وتصفر في وجهها. قال زاكري:

- دعنا لا نفتحها.

- حسنًا أوافقك الرأي.

انتقلا من باب إلى آخر، هنا مدينة منحوتة ومشبعة بأبراج منحنية، وهناك جزيرة تحت سماء مقمرة.

يصور أحد الأبواب شكلًا خلف القضبان يمد يده لشخص آخر في قفص منفصل، وذُكر ذلك زاكري بالقرصان في القبو فذهب لفتحه لكن دوريان لفت انتباهه إلى باب آخر.

يوجد على هذا الباب احتفالية منحوتة بدقة، العشرات من الصور المجهولة الهوية ترقص تحت الرايات والفوانيس وتحتوي إحدى اللافتات على سلسلة من الأقمار منقوشة عليها، وقمر مكتمل محاط بأقمار على شكل هلال تتناقص شيئًا فشيئًا.

فتح دوريان الباب، وكان المكان خلفه مظلمًا، خطأ إلى الداخل وتبعه زاكري ولكن بمجرد دخوله اختفى دوريان.

- دوريان!

قال زاكري وعاد إلى الغرفة بأبوابها المتعددة، لكنه وجد نفسه قد اختفى مجددًا واستدار مرة أخرى، وهو يقف في رواق جيد الإضاءة تصطف على جانبيه الكتب.

اثنتان من النساء اللواتي يرتدين عباءات طويلة تنتقلان في الأرجاء، من الواضح أنهما مهتمتان ببعضهما أكثر منه، وتضحكان في أثناء مرورهما.

- مرحبًا؟

قال زاكري، لكنهما لم تلتفتا إليه.

نظر خلفه، لا يوجد باب، فقط كتب ورفوف طويلة مكدسة بشكل فوضوي وغير مرتب، لكنها غير مستهلكة، بعضها مفتوح وهناك عدد قليل من الرفوف في الأسفل، بالإضافة إلى شاب وسيم بشعر بني لامع تميل حوافه للون الأحمر ويظهر من خلف أحد المجلدات.

- معذرة!

قال زاكري لكن الرجل لم ينظر من فوق كتابه، مد يده ليلمس كتفه فشعر بلمس القماش غريبًا تحت أصابعه، لمس كتف الرجل الذي يرتدي السترة، ولكن الإحساس الفعلي للمس لم يترد إليه، شعر بالنسخة التي تعمل باللمس من فيلم لم يتم دبلجته بشكل صحيح وسحب يده في ذهول.

نظر الرجل ذو الشعر البني إلى الأعلى، لم يكن نظره مركزًا عليه تمامًا، وقال له:

- هل أنت هنا من أجل الحفلة؟

- أي حفلة؟

ولكن قبل أن يجيب الرجل، صوت ما قاطعهما:

- (وينستون)!

صوت رجل ينادي من حول المنعطف التالي في الردهة، في الاتجاه الذي كانت تتجه فيه الاثنتان من النساء اللواتي يرتدين العباءات. أنزل الرجل ذو الشعر البني المحمر كتابه ومنح زاكري انحناء صغيرة قبل الذهاب لتتبع الصوت.

- أعتقد أنني رأيت شبّاحًا.

سمع زاكري تعليقًا عرضيًا لرفيقه قبل أن يختفي في القاعة، ونظر زاكري إلى يديه فوجدهما متشابهتين كالعادة، التقط الكتاب الذي وضعه الرجل على الرف وشعر بأنه صلب ولكنه ليس صلبًا تمامًا في يديه، مثل دماغه الذي يخبره أنه يحمل كتابًا دون وجود كتاب بالفعل هناك.

رغم ذلك كان هناك كتاب، فتحه ودهش أنه يتعرف على شذرات الشعر على الصفحة التي تعود إلى الشاعرة سافو:

شخص ما سوف يتذكرنا..

أنا أعرف ذلك..

حتى لو كان ذلك في زمن آخر.

أغلق زاكري الكتاب ووضعه مرة أخرى على الرف، وزنه لا يناسب محتواه، لكنه وجد نفسه متوقعًا لتناقضات اللمس في هذا المكان.

تناهى إلى مسمعه صوت ضحكات من قاعة أخرى يخالطه صوت موسيقى في الأرجاء. وتأكد زاكري أنه بلا شك داخل مرفأه المؤلف على البحر الخالي من النجوم، لكن كل شيء نابض بالحياة وحيوي وهناك الكثير من الناس.

مشى بجانب شيء اعتقد أنه تمثال ذهبي لامرأة عارية، حتى تحركت وأدرك أن الذهب مرسوم بدقة على امرأة عارية حقيقية، مدت يدها ولمست ذراعه في أثناء مروره، تاركةً خطوطًا من المسحوق الذهبي على كفه.

بينما تابع مشيه قلة من الآخرين اعترفوا بوجوده، إذ بدأ أن الناس يدركون وجوده فهم يبتعدون عن الطريق في أثناء مروره، لاحظ ازدياد تواتر الناس في أثناء سيره، ثم أدرك إلى أين هم ذاهبون.

منعطف آخر قاده إلى السلم الواسع الذي يؤدي إلى قاعة الرقص، والسلام مزينة بالفوانيس وأكاليل الورق المغموسة بالذهب. قصاصات في موجات مذهبة فوق الدرجات الحجرية تتشبث بأطراف العباءات وأكمام السراويل، وهي تنجرف وتدور مع نزول الحشد.

تابع زاكري مسيره مجتاحًا موجة الحفلات وبدأت قاعة الرقص التي يدخلونها مألوفة وغير مألوفة في الوقت عينه.

المكان الذي عهده فارغًا وأجوف يعجّ الآن بالناس، جميع الثريات مضاءة وتلقي بضوء راقص فوق القاعة والسقف مملوء ببوالين معدنية، تتدلى منها شرائط متلائة طويلة، وعندما اقترب زاكري رأى أنها مثقلة باللالئ. كل شيء متموج، ولامع وذهبي. رائحته مثل العسل والبخور والمسك والعرق والنبیذ.

الواقع الافتراضي ليس حقيقيًا تمامًا إذا لم يكن له رائحة.

قال الصوت في رأس زاكري.

ستائر البالونات شبيهة بالمتاهة، المساحة الهائلة مقسمة ومجزأة بجدران شبه شفافة. مساحة واحدة تبدو كثيرة: غرف مرتجلة، تجاويف،

صور صغيرة للكراسي، سجاد بألوان مرصعة بالحيوية تغطي الأرضية الحجرية، وطاولات مغطاة بحرير من سماء الليل الداكنة المنقطة بالنجوم ومزدانة بأوعية ومزهريات نحاسية مكدسة بالنبيذ والفاكهة والجبن.

وبجانبه امرأة شعرها معقود في وشاح وترتدي أردية رفيعة تحمل وعاء كبيراً مليئاً بسائل ذهبي. راقبها زاكري وكان الضيوف يغمسون أيديهم في الوعاء، ويخرجونها مرة أخرى مغطاة بالذهب المتلألئ وهي تقطر على الأذرع والأكمام، وتجسس زاكري على بصمات أصابع ذهبية خلف الأذنين وأسفل مؤخرة العنق، وأثار ما على خطوط العنق وأسفل الخصر.

بالقرب من مركز قاعة الرقص، تفتح ستائر الشريط، مما يسمح للغرفة بالتوسع في نطاقها الكامل. يحتل مكان الرقص معظم المساحة، وتمتد إلى القناطر في الجانب البعيد. تحرك زاكري حول الحافة وكانت الراقصات تدور بالقرب من العباءات حتى تنحني على ساقيه. وصل إلى موقد النار الذي يلوح في الأفق، ووجده مغطى بالشموع المكدسة في الموقد والمبطن على طول الرف، والشمع يقطر في برك على الحجر.

ما بين الشموع هناك زجاجات ملأنة بالرمال الذهبية والمياه التي تحتوي على سمكة بيضاء صغيرة مع ذيل باهر يلمع مثل اللهب في الضوء، وفوق أسنة اللهب والسمكة يوجد رمز يدلّ على السحر والشعوذة، وقمر مكتمل محاط بأهلة تكتمل وتتضاءل.

تجذب حركة بالقرب من يد زاكري انتباهه، وحين نظر إلى الأسفل وجد شخصاً يضغط بقطعة ورق مطوية في راحة يده. ألقى نظرة على رواد الحفلات من حوله فوجدهم جميعاً مستغرقين في عالمهم الخاص، فتح الورقة وهي مغطاة بنص مكتوب بخط اليد بالحبر الذهبي.

لم يطلب القمر قط هبة الموت أو الوقت، لكن كان هناك شيء يتمناه، ويريده، ويرغب به أكثر مما يرغب في أي شيء من قبل.

مكان ما أصبح ثميناً بالنسبة إليه، وأصبح الشخص بداخله غالباً أكثر على قلبه. عاد القمر إلى هذا المكان قدر استطاعته، في لحظات مسروقة من الوقت المستدان لقد وجد حُباً مستحيلاً، لقد عقد العزم على إيجاد طريقة للحفاظ عليه.

نظر زاكري إلى بحر البشر من حوله يرقصون ويشربون ويضحكون، لم يتمكن من رؤية دوريان في أي مكان، ولكن من المفترض أن يكون هو من كتب هذا، وعليه فلا بد أن يكون في مكان قريب. أعاد زاكري طيّ الورقة، ووضع جزءاً من القصة في جيبه، واستمرّ ماشياً في الصالة.

خلف موقد النار بعيداً توجد طاولات تعلوها زجاجات، وخلفها تقف امرأة ترتدي بدلة، تسكب السوائل وتخلطها وتوزعها على المارة في أكواب رقيقة، راقبها زاكري بينما تجمع السوائل والأدخنة والرغوة وتغير اللون من الشفاف إلى الذهبي إلى الأحمر إلى الأسود لتتضح السوائل مرة أخرى.

يسمع خلاصة ما تقوله، تتمنى لشخص ما سنة قمرية جديدة مباركة، بينما تمنحه كأساً مغطاة بطبقة من أوراق الذهب التي يجب كسرها، حتى يتناول المشروب، وتابع زاكري مسيره قبل أن يتعكر صفو السطح.

في زاوية هادئة، يوجد رجل يسكب رمالاً على الأرض بدرجات اللون الأسود والرمادي والذهبي والعاجي في أنماط معقدة، ودوائر تشبه رسوم الماندالا ذات أشكال راقصة وبالونات كبيرة مع دائرة خارجية من القلط ودائرة خارجية بعيدة من النحل. يحفر التفاصيل في الرمال بحافة ريشة، فاقترب زاكري ليحصل على رؤية أفضل، ولكن بمجرد اكتمال المشهد تخلص الرجل من كل شيء وبدأ من جديد.

في الجوار، امرأة ترتدي شرائط بلا أي شيء آخر تستلقي على أريكة، الشرائط تحتوي على قصائد تلتف حول حلقها وخصرها وتتدلى بين ساقينها، ولديها الكثير من المعجبين يقرؤونها، لكنها تذكر زاكري بالكثير من الجثث في القبو، بدأ في الابتعاد عندما لفت انتباهه أحد سطور النص: *في البداية، ذهب القمر ليتحدث مع الموت.*

اقترب زاكري لقراءة القصة التي تتابع أحداثها على ذراع المرأة وحول معصمها:

سألت عمّا إذا كان الموت يدخر روحاً أخرى.

كان الموت سيمنح القمر أي رغبة داخل حدود قدرته.

الموت لا شيء إن لم يكن كريماً، كانت هذه هدية بسيطة، تم تقديمها بسهولة.

انتهى الشريط عند تلك الكلمات، ملتفًا حول خاتم المرأة وقرأ زاكري شرائط أخرى لكنه لم يجد شيئًا آخر عن القمر.

مشى زاكري ليجد جزءًا آخر من قاعة الرقص مع مئات الكتب المعلقة من السقف، والأشواك مترامية هنا وهناك، مد يده ليلمس أحد الكتب الموجودة فوق رأسه مباشرة، ففاضت صفحاته ردًا على ذلك، قبل أن يعيد مخزون الكتب بأكمله ترتيب نفسه، وتغير تكوينه مثل الإوز.

اعتقد أنه رأى دوريان على الجانب الآخر من أرضية الرقص، فحاول شق طريقه في اتجاهه متحركًا مع الحشد، كان هناك الكثير من الناس، لم يفعل أحد شيئًا أكثر من إلقاء نظرة عليه على الرغم من شعوره بأنه ليس شبكًا بالكامل، ويبدو أن المكان والأشخاص من حوله أكثر صلابة، رغم ذلك بالكاد شعر بالأصابع التي خدشته أو لمستته.

- ها أنت ذا!

قال صوت بجانبه لكنه ليس دوريان، إنه الشاب ذو الشعر البني المحمر الذي رآه من قبل. لقد فقد سترته، وذراعه مغطاتان بالذهب حتى أطراف أصابعه. اعتقد زاكري أنه لم يسمعه وأن الرجل يخاطب شخصًا آخر لكنه نظر إليه مباشرة.

- أين أنت؟

سأل زاكري وما زال غير متأكد من أن الرجل يتحدث معه:

- ماذا؟

- أنت، لست الآن.

ورفع الرجل يده الذهبية على وجه زاكري ومسح خده بلطف بأصابعه، شعر زاكري بذلك، شعر به حقًا هذه المرة، وهو مندهش جدًا لأنه لا يستطيع الإجابة، تحرك الرجل ذو الشعر البني المحمر ليجذبه إلى الحفلة الراقصة لكن الحشد تحرك من حولهما، وفصلهما عن بعضهما، ثم اختفى الرجل مرة أخرى.

حاول زاكري العثور على حافة الغرفة بعيدًا عن الزحام، أدرك أن الموسيقيين وراءه ولكن المزمار أمامه الآن، وهناك طبول في مكان ما على يساره. الأضواء منخفضة، وربما كانت البوالين تغرق ولاحظ انكماش

المساحة كلما تحرك نحو الأطراف، لقد مر بثوب ذهبي مهجور على كرسي بذراعين مثل جلد الثعبان.

عندما وصل زاكري إلى الحائط وجده مغطى بنص مكتوب بضربات فرشاة من الذهب على الحجر الداكن، كانت الكلمات صعبة القراءة، فالصبغ المعدني يلتقط الكثير أو القليل من الضوء، رغم ذلك تابع زاكري القصة وهي تتكشف على طول الجدار.

تحدث القمر إلى الزمن..

كان قد مر وقت طويل على آخر مرة تحدثنا فيها..

طلب القمر من الوقت مغادرة مكانٍ ما، وتترك روحٍ في حالها دون المساس بها..

جعل الوقت القمرَ ينتظر الإجابة، عندما حصل القمر عليها كان هناك شرطٌ..

وافق الوقت على مساعدة القمر فقط إذا كان القمر سيساعد الوقت بدوره في إيجاد طريقة للتمسك بالمصير..

وعد القمر القدر بذلك، على الرغم من أنه لا يعرف بعد كيف يجبر ما تم كسره أصلاً..

وهكذا وافق الوقت على إبقاء المكان مخفياً بعيداً عن النجوم..

الآن في هذا المكان، تمر الأيام والليالي بشكل مختلف، بغرابة، وببطء، بروعة وجمال.

هنا تتوقف الكلمات على الحائط، نظر زاكري إلى الحفلة وشاهد البالونات تنجرف عبر الثريات، والراقصات وهي تدور حولها وفتاة قريبة ترسم خطوطاً من النثر على الجلد العاري لفتاة أخرى بطلاء ذهبي، من المحتمل أن يكون قد اقترض سابقاً لكتابة الجدار. ومرّ رجل بصينية ملأته بالكعك الصغير مجمدة بالقصائد، أحد ما سلم زاكري كأساً من النبيذ ثم ذهب دون أن يدرك وجهته.

زاكري مسح الحشد وحدّق إليه جيداً بحثاً عن دوريان، متسائلاً عما إذا كان بطريقة ما تمكن من أن يضيع في الوقت الذي يمر حالياً بغرابة وببطء، وكيف يجب أن يتحول إلى مكان آخر، ثم تقع نظرتة على رجل عبر الغرفة متكئاً على الحائط، رجل ذي صفائر شاحبة متقنة مغموسة بالذهب، ولكن بخلاف ذلك يبدو قريباً للحارس بيوم أصغر أو أكبر فقط، كان يراقب

شخصًا في الحشد لكن زاكري لا يرى من هو، كان يبحث عن أدلة حول تاريخ هذا العام، ولكن الأزياء متنوعة للغاية ومن الصعب تخمينها. العشرينيات؟ الثلاثينيات؟ بينما ظل تساؤل زاكري الأبرز عما إذا كان الحارس قادرًا على رؤيته، وعن عمره كذلك، وإلى من يحدق الآن بشكل دقيق.

حاول أن يتبع تجاه تحديق الحارس، ومشى عبر ممر يؤدي إلى درج مغطى بالشموع والفوانيس التي تلقي بالوميض على كل مكان، وخلال ذلك تحول الضوء الذهبي فوق الأمواج التي تمتد إلى الظلام.

توقف زاكري وحدق إلى الأمواج المتلاثلة للبحر الخالي من النجوم، وأخذ خطوة نحوها، ثم خطوة أخرى قبل أن يسحبه شخص ما، ذراع امتدت حول صدره ويد أغلقت عينيه، هدأت الحركة من حوله وغاب الضوء الذهبي الملتهب.

صوت يعرفه زاكري في أيّ وفي كلّ مكان همس في أذنه:
- وهكذا وجد القمر طريقة للحفاظ على حبه.

قاده دوريان إلى الورا حيث الحفلة الراقصة، وتمكن زاكري من الشعور ببحر المحتفلين من حولهم على الرغم من أنه لا يستطيع رؤيتهم، شعر بهم حقًا دون أي تقطع في الإحساس، على الرغم من أن حواسه في الوقت الحالي تتناغم تمامًا مع الصوت في أذنه والنفث على رقبتة، مما يسمح لدوريان بأخذه وأخذ القصة أينما شاء.

دوريان:

- إن النزل الذي كان يقع على مفترق طرق يقع الآن في مكان آخر، في مكان أعمق لن يجده إلا القليلون، على ضفاف البحر الخالي من النجوم.

رفع دوريان يده عن عيني زاكري وأداره إليه دورة سريعة؛ فتواجهها، يرقصان في وسط الحشد، شعراً دوريان مخطط بالذهب ويمتد أسفل رقبتة وفوق كتف معطفه.

قال دوريان:

- إنه لا يزال موجودًا.

ثم توقف لفترة طويلة لدرجة أن زاكري اعتقد أن القصة ربما تكون قد انتهت، لكنه بعد ذلك مال إليه أكثر وتابع:

- هذا هو المكان الذي يوجد فيه القمر عندما لا يمكن رؤيته في السماء.

ونفخ دوريان ببطء كل كلمة على شفتي زاكري.

تحرك زاكري ليغلق جزء المسافة المتبقي بينهما، ولكن قبل أن يتمكن من ذلك، صدر صوت طقطقة مثل الرعد، اهتزت الأرض تحت أقدامهما وفقد دوريان توازنه فأمسك بذراع زاكري لتثبيته، ولمنعه من الاصطدام بأي من الراقصين الآخرين، رغم أنه لا وجود لراقصين آخرين، لا وجود لأحد، لا بوالين ولا حفلة ولا قاعة رقص.

يقفان معًا في غرفة فارغة بياب منحوت سقط من دعاماته، والاحتفال المنقوش عليه مجمد ومكسور، وقبل أن يتمكن زاكري من أن يسأل عما حدث، انفجار آخر تبع الانفجار الأول، مرسلًا وابلًا من الصخور فوق رأسيهما.

نجمة ورقية مع بقع طلاء ذهبي

البحر الخالي من النجوم يرتفع

تراقب البوم حركة المد والجزر ببطء في البداية.

إنها فوق الأمواج التي تخترق الشواطئ المهجورة منذ فترة طويلة، كانوا ينادون بالتحذيرات والتمجيد.

قد حان الوقت، لقد انتظروا طويلًا.

يصرخون ويحتفلون حتى أصبح البحر مرتفعًا لدرجة أنه يتعين عليهم أيضًا البحث عن مأوى.

يستمر البحر الخالي من النجوم في الارتفاع.

الآن يغرق الميناء، يسحب الكتب من رفوفها ويطلب بالقلب لنفسه.

لقد حانت النهاية.

ها هو ملك البوم الذي يحمل المستقبل على جناحيه.

يسقط زاكري إزرا رولينز من خلال ستارة من الكشمير والكتان، يسحبان السترات والقمصان في أثناء تصادمها - هو ودوريان - عبر خزانة الملابس وانهار النفق خلفهما، مما أدى إلى تناثر سحابة من الغبار.

في غرفة زاكري، سقطت معظم الكتب من رفوفها، وسقطت زجاجة النبيذ المتروكة سابقًا، فانسكبت محتوياتها على جانب المكتب، وتحطمت لوحة الأرناب القراصنة على الأرض بجانب موقد النار.

هزة أخرى تسببت في انهيار خزانة الملابس وركض زاكري نحو الباب فتبعه دوريان مسرعًا، بينما أمسك زاكري حقيبته ووضعها على كتفه.

اتجه زاكري إلى القلب، دون أن يعرف إلى أين يذهب متسائلًا عن المكان الذي من المفترض أن يذهب المرء إليه عند وجوده تحت الأرض في أثناء الزلزال.

توقفت الهزات ولكن الضرر واضح، يتعثران فوق الرفوف والأثاث المتساقط، قبل أن يتوقفا مؤقتًا لتحرير القط من تحت الطاولة المنهارة، فخرج دون أن يشكرهما.

- لم أكن أعتقد أنه سيفعل ذلك.

قال دوريان وهو يشاهد القط يقفز فوق الشمعدانات الساقطة، ويجمع شمع العسل على الحجر قبل أن يختفي في الظل.

- يفعل ماذا؟

سأل زاكري قبل أن ينشغلا بحادث تحطم أمامهما، فاستمرا في الاتجاه المعاكس للقط، وشعر زاكري حياله بالصمت كونه فألاً سيئًا.

قبل أن يصلا إلى القلب مباشرة، نما إلى سمعهما صراخ شخص ما، ولكن الضوضاء المعدنية منعت زاكري من تمييز مكان الصراخ، سحب دوريان ووضع ذراعه على الحائط مانعًا إياه من التقدم إلى الأمام.

دوريان:

- أريدك أن تعرف شيئًا.

وصدر من القلب صوت تحطم آخر فنظر زاكري بعيدًا في الاتجاه الذي أتى منه، لكن دوريان أدار وجه زاكري إليه، شابكًا أصابعه في شعر زاكري. بالكاد كان زاكري يسمعه مع الصخب المستمر.

دوريان:

- أريدك أن تعرف أن ما أشعر به من أجلك حقيقي، أظنك لديك الشعور نفسه، لقد فقدت الكثير من الأشياء ولا أريد أن أفقد هذا أيضًا.

سأل زاكري غير متأكد من أنه سمع بشكل صحيح، أراد معرفة المزيد عن طبيعة المشاعر التي يشير إليها دوريان، كما أنه فضوله يقتله أيضًا، لماذا بالضبط اختار دوريان وقتًا غير مناسب تمامًا لإجراء مثل هذه المحادثة، ولكن اتضح أنها ليست محادثة على الإطلاق، إذ حدق إليه دوريان للحظة، ثم أطلقه من يديه وابتعد.

لا يزال زاكري على الحائط في حالة ذهول، والمزيد من الكتب تتساقط من الرفوف القريبة بينما تهتز الأرض مرة أخرى.

- ماذا يحدث الآن؟

سأل زاكري بصوت عالٍ ولا أحد لديه إجابة، ولا حتى الصوت في رأسه، فعدّل حقيبته على كتفه وتبع دوريان.

بينما هما وصلا إلى القلب، إذ ظهر سبب صوت القعقة، لقد انهار رقاص ساعة الكون، وتأرجح متشابكًا حول حلقات كبيرة من المعدن، وشيء فوقها يحاول تحريكها بلا جدوى، يصعد ويهبط بلا انتظام، ويطرق على الأرض محطمًا البلاط المتصدع بالفعل في الغبار. العقارب الذهبية سليمة، واحدة منها فقط مالت نحو البلاط المنكسر، والنقاط الأخرى تجمعت على كومة الصخور حيث كان باب المصعد.

يعلو صوت الصراخ قادمًا من مكتب الحارس، حدق دوريان إلى الساعة المنهارة وأدرك زاكري أن دوريان لم ير القلب قط كما كان، وأن كل شيء يتكشف من حوله يشعره بالظلم الشديد والإزعاج وللحظة - فقط للحظة - تمنى لو لم يأتيا إلى هنا قط.

صوت الحارس كان أول صوت تمكّنا من تمييزه:

- لم أسمع بأي شيء! أنا أفهم...

قال الحارس وصرخ على شخص ما لم يتمكن زاكري من رؤيته:

- أنت لا تفهم!

قال صوت مقاطعًا وتعرف عليه زاكري أكثر؛ لأن دوريان يتجمد بجانبه، بدا الصوت أنه صوت أليغرا.

- أنا أفهم لأنني رأيت إلى أين سيقودني هذا، ولن أسمح بحدوثه.

قالت أليغرا ثم ظهرت في مدخل المكتب مرتدية معطف فروها، تواجههما بطلاء شفاهها الأحمر الغامض، قبل أن يتبعها الحارس ورداؤه مغطى بالغبار.

- أراك ما زلت على قيد الحياة، يا سيد رولينز.

قالت أليغرا بهدوء كما لو أنها لم تكن تصرخ قبل لحظة، كما لو أنها لم تكن واقفة بين المعدن المكسور والقعقعة والصفحات المحررة من غلافها. وأكملت:

- أعرف شخصًا سيسعد بذلك.

- ماذا؟

قال زاكري رغم أنه يقصد (من)، غير أن سؤاله انكتم بالضجيج خلفه فلم تجاوبه أليغرا.

عينها تتنقلان بينه وبين دوريان، العين الزرقاء الأكثر إشراقًا مما يتذكره زاكري، توحيان إليه بأنه ينظر إليه حقًا للمرة الأولى، ثم اختفى الانطباع.

- أنت لا تعرف حتى، ليس لديك أدنى فكرة لم أنت موجود هنا أو كلاكما.

قالت أليغرا ولم يستطع زاكري معرفة ما إذا كانت تتحدث إليه أم إلى دوريان، إذ كانت توجه انتباهها بشكل مباشر إلى دوريان. وتابعت:

- أنت وأنا لدينا عمل غير منته.

قال دوريان:

- ليس لدي ما أقوله لك.

- ومن أخبرك أنني أريد التحدث؟

ومشت أليغرا تجاه دوريان و فقط عندما أصبحت في مواجهة بعضهما وجهاً إلى وجهه، رأى زاكري المسدس في يدها، محجوبًا جزئيًا بواسطة طرف فرو معطفها.

تصرف الحارس قبل أن يقوم زاكري بشيء، وأمسك بمعصم أليغرا ساحبًا ذراعها إلى الخلف، ثم أخذ المسدس من يدها، ولكنها كانت قد سبقته بالضغط على الزناد. انتقلت الرصاصة إلى أعلى بدلًا من الأسفل؛ حيث كانت موجهة مباشرة إلى قلب دوريان. ارتدت الطلقة عن إحدى الأيدي الذهبية المعلقة فوقها مما جعلها تتأرجح وتلتف للخلف وتحطم التروس، ثم انتهى بها المطاف مستقرة في الجدار المكسو بالبلاط، وسط لوحة جدارية كانت

في يوم من الأيام تصويرًا لزنزانة بداخلها فتاة على أحد جانبي القضبان، وقرصان على الجانب الآخر، لكنها تشققت وتلاشت، وزاد الضرر بقطعة معدنية صغيرة مضافة لا تقارن بالضرر الذي سيحدث بمرور الوقت.

في الأعلى، تتأرجح الكواكب وتسقط مرة أخرى، وهذه المرة تستسلم الأرضية المبلطة للضغط، مما يؤدي إلى تكسير الحجر أسفل البلاط، وينفتح على قاعة أخرى ملائمة بالكتب كما توقع زاكري ولكن في كهف، كهف كبير من الصخور التي تمتد إلى أسفل عميقًا في الظلال والظلام.

يبدو أنك نسيت أننا تحت الأرض، انس ما يعنيه ذلك.

علق الصوت في رأسه ولم يعد زاكري متأكدًا من الصوت في رأسه بعد هذا كله.

هبط الرقاص متحررًا من المعدن المتشابك، أنصت زاكري إلى القاع متذكرًا زجاجة شمبانيا ميرابيل، لكنه لم يسمع شيئًا.

انتقل التشقق والصوت من صدع إلى صدع إلى فجوة بسرعة؛ حيث سحب الحجر والبلاط والكواكب والثريات المكسورة والكتب، واقترب من النقطة التي يقفون فيها مثل الموجة.

أخذ زاكري خطوة إلى الوراء؛ حيث مدخل المكتب، فوضع الحارس يده على ذراعه لتثبيته وشعر أن كل ما يلي يحدث ببطء، رغم أنه في حقيقته لم يستغرق إلا لحظة واحدة فقط.

انزلقت أليغرا، وانهارت الأرض تحت كعبيها، وأصبح تشقق الحافة قريبًا منها جدًا فمدت يدها بحثًا عن شيء، أي شيء تتمسك به بينما تسقط.

استقرت أصابعها على صوف منتصف الليل الأزرق من معطف دوريان ذي الأزرار النجمية وسحبت كلاً من المعطف والرجل الذي بداخله إلى الخلف، وسقطا معًا في الهوة.

لجزء من الثانية بينما يسقطان، إذ التقت عينا زاكري بعيني دوريان، وتذكر ما قاله دوريان قبل دقائق وثنان ولحظات: لا أريد أن أفقد هذا.

واختفى دوريان فأوقف الحارس زاكري قبل حافة الهاوية بينما صراخه يملأ الظلام بالأسفل.

نجمة ورقية، كشف عن محتواها وأعيد طيها..

أعيد طيها على شكل حيوان خرافي صغير..

لكن الحيوان الخرافي يتذكر الوقت الذي كان فيه نجمًا..

ويتذكر وقتًا سابقًا كان فيه جزءًا من كتاب..

وأحيانًا يحلم الحيوان الخرافي بوقت سابق قبل أن يكون كتابًا،

بوقت كان فيه شجرة..

وقد كان الوقت أطول من الآن، عندما كان نوعًا مختلفًا من النجوم.

يمشي ابن العراف عبر الثلج، يحمل سيفًا صنعه أفضل حداد للسيوف على الإطلاق قبل ولادته بوقت طويل، فقد السيفان التوءمان له: أحدهما أكلته النار، والآخر غرق في البحار وأصبح منسيًا.

يقبع السيف الآن في غمد كان يرتديه ذات مرة مغامر لقي حتفه في محاولة لحماية من أحبته وفقدت كل من سيفها وحبها مع بقية قصتها.

لفترة من الوقت كانت الأغاني تغنى عن هذا المغامر، لكن القليل من الحقيقة بقيت في القصائد النثرية.

ابن العراف، يرتدي التاريخ والأسطورة وينظر نحو نور من بعيد معتقدًا أنه على وشك الوصول إلى هناك، لكن ما زال أمامه الكثير ليقطعه.

مكان آخر زمان آخر

في طريقها إلى (وفي) سردينيا، إيطاليا، قبل عشرين عامًا.

كان الثلاثاء عندما حزمت الرسامة حقائبها وأوراقها، ناويةً عدم العودة أبدًا. لا أحد سيتذكر بعد ذلك أنه كان يوم الثلاثاء، والقليلون يتذكرون المغادرة. إنه واحد من العديد من الأحداث التي تمت في السنوات القريبة في أيام الثلاثاء. يبدؤون في الاندماج معًا قبل وقت طويل من تجرؤ أي شخص على استخدام كلمة النزوح.

الرسامة نفسها لا تدرك إلا بشكل غامض اليوم أو الشهر أو السنة. بالنسبة إليها، يتميز هذا اليوم بمعناه وليس تفاصيله، تتويجًا لأشهر وسنوات

من المشاهدة والرسم ومحاولة الفهم، والآن بعد أن فهمت، لم يعد بإمكانها ببساطة أن تشاهد وترسم.

لا أحد ينظر إليها وهي تمر في معطفها مع حقيبتها، تتوقف مرة واحدة عند باب معين حيث تترك ألوانها وفراشيها، تضع الحقيبة بهدوء، لا تطرق الباب، وقطة رمادية صغيرة تراقبها.

قالت الرسامة للقطة:

- تأكد من حصولها على ذلك.

جلست القطة مطيعة فوق اللعبة بطريقة واقية، ولكنها تشبه القيلولة. ستندم الرسامة على هذا التصرف لاحقًا، لكنها ليست من الأشياء التي توقعتها. أخذت الرسامة طريقًا متعرجًا للقلب، كانت على دراية بأقصر الطرق، ولن تجد صعوبة في معرفتها وهي معصوبة الأعين. يمكنها أن تجد طريقها في هذا المكان عن طريق اللمس أو الرائحة أو أي شيء أعمق يوجه قدميها. مشت في جميع أنحاء الغرف المفضلة وتقوم بتصويب إطارات الصور المنحرفة وترتيب أكوام الكتب. وجدت علبة أعواد ثقاب موضوعة بجانب الشمعدان ووضعت أعواد الثقاب في جيبها. أخذت منعطفًا أخيرًا عبر ردهة الهمس وأخبرتها قصة عن أختين في مهمتين منفصلتين وخاتم مفقود وحب، تم العثور عليه لا يحل مشكلاته تمامًا، غير أن قصص الردهة المهمشة نادرًا ما تنجح.

عندما وصلت الرسامة إلى القلب رأت الحارس على مكتبه في غرفته، لكن انتباهه بقي على كتاباته. فكرت في أن تطلب منه العثور على مكان مناسب لتعليق اللوحة التي تركتها في معرضها الخاص، والتي اكتملت مؤخرًا، لكنها لم تفعل ذلك. تعرف أن شخصًا ما سيجدها ويعلقها. يمكنها رؤيتها بالفعل على حائط محاط بالكتب.

لا تعرف من هم الأشخاص في اللوحة، رغم أنها شاهدتهم مرات عديدة في صور متصدعة ورؤى نصف متشكلة. هناك جزء منها يأمل ألا يكونوا موجودين، وجزء آخر يعرف أنهم موجودون أو سيوجدون. هم هناك في قصة المكان الآن.

ألقت الرسامة نظرة على رقاص ساعة العالم المتغير برفق من خلال عين واحدة ورأته متلألئًا ومثاليًا، كل قطعة تتحرك كما ينبغي، لكنه يحترق ويتكسر في العين الأخرى.

يد ذهبية توجهها نحو المخرج، إذا كانت ستغير القصة، فهذا هو المكان الذي تبدأ منه. سينظر الحارس إلى صوت الباب عند إغلاقه خلفها، لكنه لن يدرك من رحل إلا بعد ذلك بكثير.

مرت الرسامة على البقعة في غرفة الانتظار؛ حيث دحرجت نردها عندما وصلت لأول مرة. أشارت جميع النتائج إلى السيوف والتيجان، وها هي ترى المزيد من السيوف والتيجان الآن. تاج ذهبي في غرفة مزدحمة وسيف قديم على شاطئ مظلم مبلى بالدماء.

لديها الرغبة في العودة إلى ألوانها، لكنها لا تستطيع رسم كل الأشياء التي تراها. لم تستطع رسمهم جميعًا قط، لقد حاولت. لا يوجد وقت كاف ولا يوجد طلاء كاف.

ضغطت الرسامة على زر المصعد ففتح على الفور كأنه بانتظارها فتركتها يأخذها بعيدًا. أصبحت الضبابية تغطي عينيها وبصرها، والصور تتلاشى، فغمرها ارتياح كبير ومرعب.

بحلول الوقت الذي وضعها فيه المصعد في كهف مألوف مضاء بفانوس واحد، لم يكن هناك سوى ضباب، وقد ولت الصور والأحداث والوجوه التي طاردها لسنوات، والآن بالكاد تستطيع أن ترى الباب المحدد في الصخرة أمامها.

لم تر نفسها تغادر قط وأقسمت ذات مرة أنها لن تغادر أبدًا، لقد قطعت نذرًا لكنها هنا، وكسرتة بشكل لا يمكن إصلاحه. إن تحقيق هذا الشيء المستحيل يشجعها. إذا تمكنت من تغيير هذا الجزء من القصة يمكنها تغيير المزيد منه.

يمكنها تغيير مصير هذا المكان، أدارت مقبض الباب ودفعته ففتح الباب على شاطئ ممتد من رمال مقمرة. الباب خشبي، وإذا تم طلاؤه فبمجرد تأمر الرمال والرياح سيتآكل الخشب. إنها مخبأة في منحدر محجوب بالصخور وقد أخطأ في تقديره كل من لمحها لسنوات، منذ آخر مرة على أنه خشب عائم، منذ الوقت الذي كانت فيه الرسامة هنا، قبل أن يتم مناداتها بالرسامة، عندما

كانت مجرد أليغرا، عندما كانت امرأة شابة في ذلك الوقت، حين وجدت بابًا ودخلت فيه ولم تعد حتى الآن.

تنظر أليغرا إلى أعلى وأسفل الشاطئ الفارغ، سماء شاسعة ممتدة، الضرب المتكرر للأمواج على طول الشاطئ هو الصوت الوحيد، الرائحة غامرة، والملح والبحر والهواء يصطدمون بها في هجوم عدواني ممزوج بالحنين والندم. أغلقت الباب خلفها، وتركت يدها على السطح البالي، ناعمة وطرية وباردة. وضعت أليغرا حقيبتها على الرمال وتبعتها بمعطف الفرو، الهواء الليلي ثقيل ودافئ جدًا على ارتداء الفراء.

أخذت خطوة إلى الوراء، وخلعت أحذيتها العالية وركلتها بعيدًا، ركلة صلبة تكفي لكسر الخشب القديم ومع ذلك كررت الركلة.

عندما لم تتمكن من إلحاق المزيد من الضرر باستخدام حذائها، وجدت صخرة لتحطيم الباب، فتشقق الخشب وجرح يديها تاركًا الشظايا متناثرة تحت جلدها. في النهاية تكونت كومة من الخشب وليست بابًا، لا شيء خلفه سوى الصخور الصلبة. لم يتبق سوى مقبض الباب الذي سقط في الرمال، ممسكًا بقطع الخشب الممزقة التي كانت ذات يوم بابًا وقبل ذلك كانت شجرة ولم تعد كذلك.

أخذت أليغرا أعواد الثقاب من معطفها وأشعلت بقايا الباب السابق وشاهدته يحترق.

إذا تمكنت من منع أي شخص من الدخول، فيمكنها منع حدوث الأشياء التي رأتها. سيكون الغرض الموجود داخل الجرة في حقيبتها: شيء رآته ورسمته قبل أن تفهم ما كان عليه وقبل أن يصبح مجرد شيء داخل جرة بوقت طويل. سيكون في مأمن. دون أبواب يمكنها منع عودة الكتاب وكل ما سيتبعه.

إنها تعرف عدد الأبواب الموجودة إنها تعلم أنه يمكن إغلاق أي باب. أدارت أليغرا مقبض الباب في يديها، وفكرت في رميها في البحر لكنها وضعتها في حقيبتها مع الإناء بدلًا من ذلك راغبة في الاحتفاظ بأي جزء من المكان.

ثم جثت (أليغرا كافالو) على ركبتيها على شاطئ فارغ بجانب البحر المغطى بالنجوم وشهقت.. «ملك اليوم».

سحب زاكري إزرا رولينز بعيدًا عن الصدع الذي مزق قلب هذا المرفأ إلى مكتب الحارس؛ حيث ظلت الأرض سليمة، ورجلاه تنزلقان على البلاط المكسور.

- اجلس!

قال الحارس مجبرًا زاكري على الجلوس خلف المكتب، وحاول زاكري الوقوف مرة أخرى، لكن الحارس حمله، ونصحه بالتنفس بهدوء غير أنه لم يعد يتذكر حتى كيف يتنفس بعمق. كرر الحارس:

- تنفس.

وأخذ زاكري نفسًا بطيئًا وهو يلهث بنفس تلو الآخر. لم يعد يفهم هذا الهدوء الغريب للحارس. لم يعد يفهم أي شيء يحدث الآن، لكنه استمر في التنفس، وبمجرد أن انتظمت أنفاسه سمح له الحارس بالذهاب، لكنه ظل في كرسيه.

أخذ الحارس زجاجة من رف الكتب وملأ كأسًا بسائل صاف ووضعها أمام زاكري.

- اشرب هذا.

قال له الحارس تاركًا الزجاجة، وذهب بعيدًا ولم يصف: (ستجعلك تشعر بتحسن). ولم يعتقد زاكري أنه كذلك، ليس هذا الكرسي بالمكان الذي سيشعر فيه بالتحسن على الإطلاق، لكنه شربه على أي حال وسعل، وكما توقع؛ لم يجعله هذا يشعر بالتحسن.

جعل هذا المشروب كل شيء أكثر وضوحًا وجدةً وسوءًا.

وضع زاكري الكأس بجانب دفتر ملاحظات الحارس وحاول التركيز على شيء ما، أي شيء غير آخر اللحظات الفظيعة التي تعيد نفسها مرارًا وتكرارًا في رأسه. نظر إلى دفتر الملاحظات المفتوح وقرأ، صفحة ثم أخرى.

«هذه رسائل حب». قال لنفسه مندهشًا بقدر ما تفاجأ بالحارس الذي لم

يستجب.

وواصل زاكري القراءة، كان بعضها قصائد والبعض الآخر نثر، ولكن كل سطر كان عاطفيًا وصريخًا ومكتوبًا بوضوح إلى ميرابيل أو عنها.

ألقي نظرة على الحارس الواقف في المدخل ونظر إلى الهوة التي سقط فيها الكون باستثناء نجم واحد يتدلى من السقف، ضرب الحارس إطار الباب بقوة لدرجة أنه تصدع، وأدرك زاكري أن الهدوء الظاهر بالكاد احتوى على غضب كبير، شاهد الحارس يتنهد ويضع يده على الإطار، أصلح الصدع نفسه، والتأم ببطء حتى تبقى أثر خط فقط.

بدأت الحجارة في القلب في الترنح والتحول، وأخذت الصخور المكسورة تتحرك فوق الفراغ الموجود في الأرض، وأعدت بناء السطح قطعة قطعة وعاد الحارس إلى المكتب ملتقطاً الزجاجاة.

- كانت ميرابيل في غرفة الانتظار، لن أتمكن من استعادة جثتها أو ما تبقى منها حتى يتم إزالة الحطام. ستستغرق الإصلاحات بعض الوقت. قال الحارس مجيباً عن السؤال الذي لم يجرؤ زاكري على طرحه، وهو يسكب كوباً لنفسه، وحاول زاكري أن يقول شيئاً ما، أي شيء، لكنه لم يستطع، وبدلاً من ذلك، وضع رأسه على الطاولة محاولاً الفهم.

لماذا هما فقط هنا في غرفة ملائنة بالضياء والكتب؟ لماذا كل شيء كان ينهار من قبل قد كسر الآن؟ ولماذا يبدو أن الأرض فقط هي التي يمكن إصلاحها؟ أين ذهب القط البني المحمر؟

- أين رايم؟

سأل زاكري عندما استعاد صوته مرة أخرى.

- من المحتمل أن تكون في مكان آمن، لا بد أنها سمعت عما هو آت. أعتقد أنها حاولت تحذيري لكنني لم أفهم ذلك في الوقت المناسب. لم يطلب زاكري من الحارس إعادة ملء كأسه ولم يفعل ذلك على أي حال. مد زاكري يده إلى الكأس، لكن يده كانت قريبة من شيء بجانبه، نرد واحد، أقدم من حجر النرد في امتحان الدخول، ولكن مع نفس الرموز المنحوتة على جوانبها، فالتقطه بدلاً من ذلك ودحرجه على المكتب. استقر، وكما كان يتوقع، على قلب واحد منحوت.

الفرسان الذين يكسرون القلوب والقلوب التي تكسر الفرسان.

- ماذا تعني القلوب؟

- تاريخياً، تم رمي النرد لمعرفة ما يقوله (كيزمت) عن واصل جديد إلى هذا المكان، لبعض الوقت تم استخدام النتائج لقياس إمكانات المسارات. كانت القلوب للشعراء الذين فتحوا قلوبهم وأضرموها بالنار قبل وقت طويل، قبل أن يستخدمها رواة القصص، وتدحرجت لدفع قصة نحو الرومانسية أو المأساة أو الغموض. لقد تغير هدفهم بمرور الوقت، ولكن كان هناك نحل قبل أن يكون هناك مساعدون، وسيوف قبل أن يكون هناك أوصياء، وكانت كل هذه الرموز موجودة هنا قبل أن يتم نحتها على النرد.

- هناك أكثر من ثلاثة مسارات إذًا.

- لكل واحد منا طريقه الخاص، سيد رولينز. الرموز للتفسير وليس التعريف.

فكر زاكري في النحل والمفاتيح والأبواب والكتب والمصاعد، مستعرضاً المسار الذي أوصله إلى هذه الغرفة وهذا الكرسي. كلما تتبع لحظات إلى الوراء كلما اعتقد أنه ربما فات الأوان حتى قبل أن يبدأ.

قال زاكري للحارس:

- لقد حاولت إنقاذه، حين حاولت أليغرا إطلاق النار على دوريان أوقفته أنت.

- لم أتمن لك أن تعاني كما أعاني، سيد رولينز. اعتقدت أنني قد أمنع اللحظة التي وجدنا أنفسنا فيها الآن. أنا آسف لأنني لم أنجح. لقد شعرت بما تشعر به مرات عديدة، الأمر لا يصبح أسهل إنه ببساطة يصبح مألوفاً.

- لقد فقدتها من قبل.

لقد بدأ يفهم حتى لو لم يكن متأكدًا بعد من أنه يصدق أي شيء.

- مرات... مرات عديدة، فقدتها، بسبب الظروف أو الموت أو غبائي وتمضي السنوات وتعود مرة أخرى. هذه المرة كانت مقتنعة أن شيئاً ما قد تغير، ولم تخبرني قط عن السبب.

- لكن...

بدأ زاكري ثم توقف، مشتتاً بذكرى صوت دوريان في أذنه.

من حين إلى آخر، يمكن أن يجمع المصير نفسه مرة أخرى ويكون الوقت منتظرًا.

- الشخص الذي تعرفه باسم ميرابيل، أو لا، أنا أسف، لقد ناديتها ماكس أليس كذلك؟ عاشت في أزمنة مختلفة على مر القرون. في بعض الأحيان تتذكر وغيرها... تم تسميتها قبل هذا بـ(سيفيا). كانت مبللة عندما خرجت من المصعد، لقد ذكرتني بها عندما وصلت أول مرة وكان الدهان يتساقط منك. لا بد أن السماء كانت تمطر بالقرب من ريكيفيك في تلك الليلة، لم أسأل قط. لم أتعرف عليها في البداية. نادرًا ما أفعل ذلك، وأتساءل كيف يمكن أن أكون أعمى في كل مرة، وينتهي الأمر دائمًا بالخسارة، تعتقد (سيفيا) أن ذلك يمكن أن يتغير أيضًا.

توقف الحارس وهو يحدق إلى كأسه وانتظر زاكري لحظة قبل أن يسأل:

- ماذا حدث لها؟

- ماتت، كان هناك نار. كانت هذه أول حادثة من نوعها في هذا المكان وكانت هناك، في وسطها تمامًا. جمعت ما يمكنني إحضاره إلى القبو، لكن كان من الصعب فصل ما كان يومًا امرأة عن قطع من الكتب والقطط السابقة. بعد ذلك اعتقدت أنها ربما كانت الأخيرة. بعد ذلك تغير كل شيء. ببطء في البداية، ولكن بعد ذلك أغلقت الأبواب الواحد تلو الآخر حتى تأكدت من أنها لا تستطيع العودة حتى لو رغبت في ذلك، وبعد ذلك ذات يوم نظرت إلى أعلى وكانت هنا بالفعل.

- منذ متى وأنت هنا؟

سأل زاكري محددًا إلى الرجل أمامه، وهو يفكر في القراصنة المجازيين في أقفاص السرداب والوقت والقدر والأماكن المحروقة، وتذكر كيف بدا الحارس عبر قاعة الرقص المذهبة. يبدو هو نفسه بالضبط الآن مع المزيد من اللؤلؤ في شعره.

وضع الحارس كأسه على الطاولة، والتقط النرد ووضعه في راحة يده:

- لقد كنت هنا دائمًا، كنت هنا قبل أن يكون هناك مكان لأكون فيه.

ألقي النرد على المنضدة ولم يشاهده يسقط.

- تعال، أود أن أريك شيئًا.

وقف الحارس، ومشى باتجاه الجزء بالخلفي من المكتب، إلى باب لم يلاحظه زاكري، محشورًا بين رفين طويلين للكاتب ونظر إلى أسفل حيث المكتب.

مواجهة الموت هو مفتاح واحد لكن زاكري لم يعرف ما المقصود بالقفل أو الفتح. وقف على قدميه، ووجد ساقيه أكثر ثباتًا مما توقع. حدق إلى القلب؛ حيث لا تزال الأرض تعيد تجميع قطعه المكسورة ببطء. تبع الحارس وتوقف عند رف كتب يحتوي على جرة ذات مظهر مألوف مع يد تطفو بداخلها، تلوح بالاستقبال أو الوداع أو بعض المشاعر الأخرى في اتجاهه. تذكر الشيء الثقيل الموجود في حقيبة ميرابيل بعد أن هربوا من نادي الجبابة وتساءل باقتضاب إلى من كانت تنتمي تلك اليد قبل أن توضع في إناء، ثم انتقل إلى الغرفة خارج المكتب.

أضاء الحارس مصباحًا، وأثار غرفة أصغر من غرفة زاكري، أو ربما ملأته كثيرًا بالكتب والفنون بحيث تبدو أصغر. السرير في الزاوية مغطى أيضًا بالكتب، والكتب مكدسة بعمق في صفيين على الرفوف، ومكدسة على جميع الأسطح المتاحة ومعظم الأرضية. نظر زاكري حوله بحثًا عن القط، ولكنه لم يجده. توقف عند رف تشغله دفاتر ملاحظات مطابقة لتلك الموجودة على المكتب. عليها أسماء على طول الغلاف الخارجي: لين، غريس، آشا، إتيان. العديد من الأسماء لها أكثر من دفتر ملاحظات والعديد من (سيفيا) تليها صفوف تردد صدى اسم ميرابيل.

استدار زاكري إلى الحارس الذي أضاء المصابيح الأخرى ليسأل عن الأسماء، ولكن السؤال تلاشى على شفتيه، خلف الحارس توجد لوحة كبيرة على الحائط.

ظنّ زاكري في الأول أنها مرآة لأنه بداخلها، ولكن مع اقترابه منها وجد نفسه ساكنًا في اللوحة، على الرغم من علمه بمثل هذه التفاصيل الواقعية شعر أنه يجب أن يتنفس.

إنها صورة بالحجم الطبيعي، تقف لوحة زاكري متطابقة مع اللوحة الفعلية، في نفس الأحذية المصنوعة من جلد الغزال، ذات سروال البيجامة الأزرق الذي نجح بطريقة ما في أن يبدو أنيقًا وكلاسيكيًا في الطلاء الزيتي. لكن اللوحة التي رسمت لزاكري بلا قميص، ويحمل سيفًا في يده يتدلى قليلاً على جانبه، وريشة في اليد الأخرى مرفوعة عاليًا.

يقف دوريان خلفه ويميل نحو رسم زاكري ويهمس في أذنه، وإحدى أذرع دوريان ملفوفة حوله، وتميل راحة اليد إلى أعلى مغطاة بنحل العسل الذي يرقص على أطرافه ومعصمه. يد دوريان الأخرى ممدودة إلى الجانب، مغطاة بالسلاسل وتتدلى منها عشرات المفاتيح، وفوق رأسيهما يطفو تاج ذهبي، وخلفهما توجد سماء ليلية شاسعة ملانة بالنجوم.

كل هذا واقعي بشكل مؤلم، باستثناء حقيقة أن صدر زاكري هذا مفتوح وقلبه مكشوف، والسماء المرصعة بالنجوم مرئية من خلفه، أو ربما هي قلب دوريان وربما كلاهما. وفي كلتا الحالتين فإنها تشريحياً صحيحة وصولاً إلى الأوردة والشريان الأورطي، ولكنها رسمت بلون معدني مذهب ومغطاة باللهب ومتوهجة مثل فانوس، مصبوبة بعناية وتعلوها شذرات من الضوء فوق النحل والمفاتيح والسيف وعلى وجوههم.

- ما هذا؟

- هذه هي آخر لوحة رسمتها أليغرا هنا، أليغرا الرسامة.

وتذكر زاكري غرفة القبو الملائنة بلوحات عن المرفأ في نادي الجبابة.

- متى رسمت هذا؟

- قبل عشرين عامًا.

- كيف يعقل ذلك؟

- أعتقد أن ابن العراف لن يحتاج إلى السؤال.

- لكن...

وتوقف زاكري، ورأسه يغرق أكثر من كونه يطفو.

- أُمي لا...

وتوقف مرة أخرى، ربما أمه عرفت هذا بوضوح لكنها لم ترسمه ولم يسأل قط.

هذا أغرب من القراءة عن نفسه في الأحزان العذبة، ربما لأنه لا يستطيع إلا

افتراض كونه الفتى الموجود في الكتاب عندما يكون هو الرجل في اللوحة.

- لقد عرفت من نحن.

قال وهو ينظر مرة أخرى إلى نسخة لوحة دوريان، متذكرًا الطريقة التي

فحصه بها الحارس عندما سقط.

- كنت أعرف وجوهكم، لقد نظرت إلى هذا الرسم كل يوم لسنوات، كنت أعلم أنك قد تصل يوماً ما، ولكني لم أكن أعرف ما إذا كان يوماً ما بعد شهور أو عقود أو قرون.

- كنت ستبقى هنا حتى لو مرت قرون، أليس كذلك؟

- قد أغانر فقط عندما يختفي هذا المكان يا سيد رولينز، أرجو أن يعيش كلانا بعد ذلك.

- ماذا يحدث الآن؟

- أتمنى أن أجيبك، أنا لا أعلم.

نظر زاكري إلى اللوحة والنحل والسيف والمفاتيح والقلب الذهبي، حاول تجنب النظر إليهم في البداية، ثم عاد إلى دوريان وقال:

- لقد حاول قتلي مرة.

متذكراً ميرايبيل على رصيف مغطى بالثلج منذ عمر مضى، وما قالته لاحقاً عندما سأل عن ذلك: (لم ينجح).

قال الحارس:

- أخشى أنني لا أفهمك.

- أعتقد أن شيئاً ما قد تغير.

وحاول ربط أفكاره المشتتة ببعضها.

أتى صوت من المدخل، فنظر الحارس واتسعت عيناه، شهقة صامتة هربت من بين شفثيه وارتفعت يده لتغطي تفاجؤه، فاستدار زاكري منتظراً ما سيراه، لكن ميرايبيل لا تزال مفاجأة؛ حيث تقف في المدخل مغطاةً بالغبار وتحمل القط بين ذراعيها.

قالت ميرايبيل:

- التغيير هو القصة يا إزرا، اعتقدت أنني أخبرتك بذلك سابقاً.

لقد كان يهوي لبعض الوقت، لم يعد يرى أليغرا، كانت ثقيلة على معطفه وهاجمته ضبابية من اللون الأبيض، ثم اختفت في وابل من الحجر والبلاط والمعدن المذهب. حلقة عابرة كان من الممكن أن تصبح قطعة من كوكب ضربته على كتفه بقوة، كان متأكدًا من أنها كسرت ولم يعد يرى سوى الظلام والهواء المتسارع، والآن هو وحده ولا يزال يسقط بطريقة ما دون أن يتذكر ما حدث بالضبط. يتذكر فقط تصدع الأرض ثم اختفاء الحطام، فقط الفوضى المنهارة.

يتذكر النظرة التي على وجه زاكري، والتي من المحتمل أن تكون قد انعكست من تلقاء نفسه. مزيج من المفاجأة والارتباك والرعب، ثم اختفت في أقل من لحظة.

كان شعورًا غريبًا، لم يألفه من قبل، إذ كان يسقط منذ أكثر من عام حتى الآن، أصبح ذلك واقعا، أو ربما كان سقوطًا أقدم من ذلك.

لم يعد يعرف أي اتجاه إلى الأعلى، السقوط الحر يجعله يشعر بالدوار ويمتلئ صدره بإحساس، وكأنه قد ينفجر إذا لم يتذكر كيف يتنفس. بدا التنفس شديد التعقيد. يعتقد أنه قد يكون قريبًا من مركز الأرض. قبل أن يرى ضوءًا في الاتجاه الذي من المحتمل أن يكون أدناه، إنه قاتم ولكنه يقترب بمعدل أسرع من اعتقاده.

الأفكار تشوش ذهنه، لدرجة أنه لا يمكن التركيز على واحدة منها، كما لو أنها جميعًا تتنافس على أن تكون مشهد النهاية. فكر أنه إذا كان على وشك الموت، فعليه أن يبدأ في جمع أفكاره النهائية مبكرًا. فكر في زاكري وندم على الكثير من الأشياء التي لم يقلها ولم يفعلها وعلى كتب لم يقرأها وقصص لم يروها وقرارات لم يتخذها. فكر في الليلة التي غيرت كل شيء مع ميرابيل حتى ولو لم يكن متأكدًا من ندمه على ذلك، حتى الآن.

اعتقد أنه كان سيحصل على ما يؤمن به قبل أن ينتهي كل شيء لكنه لم يفعل.

الضوء أدناه يقترب، إنه يسقط من عبر كهف، أرضيته متوهجة، تتخذ أفكار دوريان أشكال ومضات، صورًا ومشاعر، أرصفة مزدحمة وسيارات أجرة صفراء، الكتب التي شعر أنها أصدق من الناس، غرف الفنادق والمطارات

والغرفة الزهرية في مكتبة نيويورك العامة. يقف في الثلج ينظر إلى مستقبله من خلال نافذة حانة، بومة ترتدي تاجًا وغرفة مذهب، وربما قبله تقرأ.

آخر فكرة كانت تدق عقل دوريان قبل أن يصل إلى الأرض المضيفة أدناه، وهو يحاول التحرك حتى يصطدم بها حافي القدمين أولاً، الفكرة التي تفوز بمكانتها باعتبارها الفكرة النهائية لسقوط طويل ومدرّوس هي:

ربما لا يكون البحر الخالي من النجوم مجرد قصة أطفال لما قبل النوم.

ربما... ربما يكون هناك ماء تحته، ولكن مع اقتراب السقوط من نهايته واصطدام دوريان ببحر بلا نجوم، أدرك أنه لا يوجد ماء، إنه عسل.

يحدق زاكري إزرا رولينز إلى ميرابيل وهي تقف قادمة من المستحيل في المدخل، مغطاة بالغبار وبقايا الحجر تكسو ملابسها وشعرها، سترتها بها شق على طول كم واحد، الدم يتقطر باللون الأحمر على مفاصل أصابعها وفي خط أسفل رقبتها لكنها تبدو سليمة بخلاف ذلك. تضع القط جانبًا، تنفض الغبار بساقيها ثم تعود إلى كرسيها المفضل.

تمتم الحارس بشيء ما حابسًا أنفاسه ثم اتجه نحوها، متجهًا في طريقه عبر أكوام الكتب دون أن يرفع عينيه عن ميرابيل، عبر مشاهدتهما ينظران لبعضهما، شعر زاكري فجأة أنه يتعدى على ممتلكات الغير في قصة حب شخص آخر.

عندما وصل الحارس إلى ميرابيل، سحبها إلى دوامة عناق عاطفي ابتعد عنه زاكري، لكن الابتعاد وضعه وجهًا إلى وجه مع اللوحة مرة أخرى فأغلق عينيه. للحظة يمكنه أن يشعر بحدة وقوة دخول الهواء في رئتيه بكل ما سيخسره، وبما سيعثر عليه وبما سيفقده مجددًا، مرارًا وتكرارًا.

- ليس لدينا وقت لهذا.

فتح زاكري عينيه على صوت ميرابيل ليراها تستدير عائدة عبر الباب إلى المكتب والحارس يتبعها، تردد زاكري لكنه تبعهما بعد ذلك. كان يترنح باتجاه الباب ماشيًا وهو يشاهد ميرابيل تركل كرسي المكتب وتدفعه باتجاه النار، وإحدى الجرار الموجودة على الرف تنهار وتتناثر مفاتيحها.

جلست ميرابيل على الكرسي:

- لم تفكر أن لدي خطة، دائماً كان هناك خطة، لقد عمل الناس على هذه الخطة لعدة قرون. كان هناك ببساطة بعض... تعقيدات في تنفيذها. هل ستأتي يا إزرا؟

- أنا ماذا؟

وفي نفس الوقت سأل الحارس:

- إلى أين أنت ذاهب؟

تداخلت الأسئلة مع سؤال (ما أنت؟) الذي ظنّ زاكري أنه سؤال جيد بالتبعية.

- علينا إنقاذ صديق إزرا، من الواضح أن هذا ما يتوجب فعله الآن.

استلت السيف من مكانه فوق موقد النار، فانزلقت جرة أخرى من المفاتيح.

- ميرابيل!

بدأ الحارس في الاحتجاج، لكنها رفعت السيف ووجهته إليه واتضح من الطريقة التي تمسك بها السيف أنها تعرف كيفية استخدامه.

قالت ميرابيل محذرة ومتمنيةً ذلك:

- توقف، من فضلك، أنا أحبك لكنني لن أجلس هنا وأنتظر هذه القصة حتى تتغير، سأغيرها بنفسني.

حدقت مطولاً بالسيف، وبعد محادثة طويلة صامتة، خفضت السيف وسلمته إلى زاكري.

- خذ هذا.

- من الخطر أن تذهبي بمفردك.

قال زاكري رداً على تسليمها السيف له، مخاطباً إياها جزئياً، ولنفسه جزئياً، وللسيف في يده جزئياً. إنه سيف مستقيم ذو حدين، يبدو أنه ينتمي إلى متحف على الرغم من افتراض أن هذا هو المكان الذي كان فيه بطريقة ما. يحتوي الغمد على لفائف متقنة والمقبض مصنوع من الجلد، أدرك زاكري أنه تم إمساكه عدة مرات من قبل بالعديد من الأيدي الأخرى ولا يزال حاداً.

إنه نفس السيف الذي يحمله في اللوحة، على الرغم من أن نسخة الرسم كانت مصقولة أكثر، إنه أثقل مما يبدو عليه.

- أنا بحاجة إلى شيء آخر أردتيه، أعطني دقيقة وقابلني في المصعد يا إزرا.

قالت ميرابيل ونهضت عن الكرسي ونفضت الغبار عن ثيابها وقطبت حاجبها على الأكمام الممزقة، لم تنظر إلى زاكري قبل مغادرتها، ولم تقل كلمة أخرى للحارس.

حدّق الحارس خارج الباب بعد مغادرة ميرابيل رغم أنها ابتعدت عن الأنظار وشاهده زاكري وهو يراقب المكان الذي كانت فيه.

- أنت القرصان، كل القصص هي نفس القصة، في القبو، من الكتاب، وميرابيل هي الفتاة التي أنقذتك.

نظر الحارس إلى زاكري:

- كان ذلك منذ وقت طويل جدًا، في ميناء أقدم، والقرصان ليست ترجمة صحيحة، قد تكون المختال كلمة أصح، اعتادوا على مناداتي باسم سيّد الميناء حتى قرروا أن المواني لا ينبغي أن يكون لها أسياد.

سأل زاكري، وقد كان يتساءل منذ أن قرأ الأحزان العذبة للمرة الأولى: من الواضح أنّ القصة لن تنتهي هنا.

- ماذا حدث؟

- لم نستطع المضي بعيدًا، لقد أعدموها مكاني، أغرقوها في البحر الخالي من النجوم وجعلوني أشاهد ذلك

مد الحارس يده المغطاة بالخواتم على جبين زاكري ولمسه، وشعر زاكري أن شيئًا ما أو شخصًا ما يلمسه، أقدم بكثير مما قد يتخيله، انتقل الإحساس، مثل الأمواج من رأسه إلى أصابع قدميه، يرنّ ويطنّ فوق جلده.

- لتبارك الآلهة ولتحافظ عليك يا سيد رولينز.

قال الحارس بعد أن رفع يده بعيدًا.

أومأ زاكري برأسه وأخذ حقيبته والسيف وخرج من المكتب، تجنّب أجزاء الطابق التي لا تزال تصلح نفسها حتى الآن والتزم بحافة القلب دون أن ينظر إلى الخلف أو إلى الأسفل، بل نظر إلى الأمام فقط؛ حيث الباب المكسور الذي يؤدي إلى المصعد.

تقف ميرابيل في منتصف غرفة الانتظار، وتهز شعرها المتشابك، وتعود الألوان الوردية إلى درجات أكثر حيوية. لقد مسحت معظم الغبار عن وجهها، وارتدت نفس السترة الغامضة التي كانت ترتديها في المرة الأولى التي قابلت فيها زاكري.

- لقد باركك الحارس، أليس كذلك؟

- بلى.

أجاب زاكري وهو لا يزال يشعر بالأزيز على جلده.

- من المفترض أن يساعد ذلك، سنحتاج إلى كل المساعدة التي يمكننا الحصول عليها.

- ماذا حدث؟

سأل زاكري، ونظر حوله إلى الفوضى وتشققات جدران الكهرمان المتوهجة، بعضها متحطم تمامًا، وهناك دخان صادر من المصعد.

نظرت ميرابيل إلى الانقراض ودفعت شيئًا بمقدمة حذائها فتدحرجت أحجار النرد عند قدميها دون توقف، حتى سقطوا في صدع في الأرض واختفوا.

- إن أليغرا يائسة جدًا وبائسة بما يكفي لتحاول إغلاق الباب من الجانب الآخر، هل تحب هذا المكان يا إزرا؟

- نعم.

أجاب زاكري مرتبًا، ولكن حتى عندما قال الكلمة أدرك أنه لا يعني هذا المكان الآن، كما هو الحال مع قاعاته الفارغة وكونه المكسور. إنه يعني المكان الذي كان عليه من قبل، عندما كان على قيد الحياة، يعني قاعة مزدحمة: عددًا كبيرًا من الباحثين عن أشياء بلا أسماء، ويعثرون عليها في قصص مكتوبة وغير مكتوبة وفي بعضهم.

ميرابيل:

- ليس بقدر ما تحبه أليغرا. اختفت والدتي من هذا المكان عندما كنت في الخامسة من عمري، وبعد أن اختفت أتت أليغرا وربتني واهتمت بي، علمتني أن أرسم ثم غادرت عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري، وبدأت محاولاتها لإغلاق كل هذا وإبقائه بعيدًا. عندما بدأت في طلاء

الأبواب على أمل السماح لشخص ما بالدخول، حاولت بشتى السبل قتلي بواسطة أشخاص آخرين، عدة مرات، لأنها رأنتني خطرًا. توقفت ميرابيل قليلاً ولم يعرف زاكري ماذا يقول، لا يزال رأسه يترنح بالكثير من القصص والمشاعر المعقدة.

هناك لحظة، لحظة كان زاكري سيقول فيها أنه يشعر بالأسف الحقيقي، لكن المشاعر بدت ضئيلة جداً، تمنى أن يمسك بيدها دون أن يقول شيئاً تاركاً إيماءته تتحدث نيابة عنه، لكن يدها بعيدة جداً، فلم يفعل شيئاً.

- علينا أن نذهب الآن، لدينا أشياء نفعلها. ماذا تطلق والدتك على نقاط مثل هذه؟ لحظات ذات معنى؟ لقد قابلتها مرةً وقدمت لي القهوة.
- حقاً؟ لك أنت؟

سأل زاكري لكن ميرابيل لم تجب، ومشت إلى المصعد وانفتح الباب جزئياً وتوقف المصعد عدة بوصات تحت الأرض، ثم تحرك بمقدار بوصة واحدة إلى أسفل مع دخول ميرابيل إليه.

- لقد قلت إنك وثقت بي إزرا.

- لقد فعلت.

اعترف زاكري وهو يخطو بحذر في المصعد المجاور لها، الأرض غير مستقرة تحت قدميه والسيف ثقيل في يده وتوقف الشعور بالطنين، ثم شعر بهدوء غريب وشعر أن بإمكانه التعامل بحميمية مع أي شيء سيأتي بعد ذلك.

- إلى أين نحن ذاهبان، ماكس؟

- نحن في طريقنا إلى الأسفل.

أخذت خطوة إلى الوراء، وخلعت حذاءها وركلت جانب المصعد بقوة، اهتز المصعد وغرق بوضع بوصات أخرى، وتناثر الهدوء الكامن في معدة زاكري بينما انخفض فجأة إلى أسفل.

هوى دوريان غارقاً في بحر من العسل، سحبه تيار بطيء الحركة إلى أسفل، إنه سميك جداً بحيث لا يمكن السباحة فيه، شد ملابسه وضغطه إلى أسفل مغرقاً إياه في عسله.

هذا ليس حتى من بين أفضل مئة طريقة توقعها للموت، ولا حتى قريبة منها، لا يستطيع رؤية السطح لكنه مد يده إلى أقصى حد في الاتجاه الذي يعتقد أنه إلى أعلى قدر استطاعته، لم يشعر بهواء من حوله، إذا كان في أي مكان بالقرب من السطح. حدّث نفسه بكم هي طريقة شعرية غبية للموت، قبل أن يمسك شخص ما يده.

تم سحبه من البحر فوق شيء بدا مثل جدار، وضعه شخص ما على سطح أملس وصلب غير ثابت، وحاول دوريان التعبير عن امتنانه لكنه اختنق بحلاوة لزجة بمجرد فتح فمه.

قال الصوت بالقرب من أذنه:

- ابق منخفضًا.

وكانت الكلمات مكتومة وبعيدة، ولا يزال غير قادر على فتح عينيه، ولكن صاحب الصوت يدفعه إلى أسفل وظهره على الحائط. كل نفس هو شهقة سكرية والسطح الذي هو عليه يتحرك من حوله. الأصوات وراء أذنيه المسدودة غير منتظمة وتصرخ. شيء ما يضرب كتفه، ممسكًا به وقابضًا عليه. غطا رأسه بذراعيه فصعّب ذلك تنفسه للغاية، فمسح وجهه وأزال ما استطاع إزالته من العسل، ثم خفف من أنفاسه ملاحظًا شيئًا يحوم فوقه.

مال السطح الذي يجلس عليه فجأة وانزلق جانبًا. عندما استقر هدأت ضوضاء الصراخ. سعل دوريان ووضع أحدهم قطعة من القماش في يده ماسكًا بها وجهه بما يكفي لفتح عينيه والبدء في تجميع ما ينظر إليه بالضبط.

إنه على متن قارب! سفينة... لا قارب! قارب يطمح لأن يكون سفينة، به عشرات من الفوانيس الصغيرة معلقة على طول أشرعه العديدة المظلمة ربما هي سفينة مناسبة، أفاق من خيالاته على شخص ما يساعده في إزالة معطفه المبلل بالعسل.

قال صوت أوضح الآن:

- لقد ذهبوا الآن، لكنهم سيعودون.

استدار دوريان لإلقاء نظرة أفضل على منقذه، وهي تهز معطفه ذي الأزرار النجمية فوق حاجز السفينة، وتترك قطرات العسل تعود إلى البحر.

شعرها عبارة عن خصلة معقدة من الأمواج الداكنة والصفائير المربوطة إلى الخلف في قطعة من الحرير الأحمر. جلدها بني فاتح مع نمط مميز من النمش على جسر أنفها. عيناها داكنتان ومحاطتان بخطوط من الذهب الأسود المتلألئ، والتي تبدو أنها طلاء للحرب أكثر من كونها مساحيق تجميل. ترتدي شرائط من الجلد البني مربوطة، مثل سترة فوق ما كان يمكن أن يكون سترة ذات يوم، لكنها الآن ليست أكثر من خط عنق متعرج وأصفاة متشابكة معًا بفرز فضفاضة وخيوط طائشة، تاركة معظم كتفها وأعلى ذراعيها مكشوفين، وندبة كبيرة مرئية. تحت السترة تنورتها ضخمة ومقيدة في حلقات متعرجة مثل المظلة، شاحبة وعديمة اللون تقريبًا، وسحابة فوق حذائها الداكن.

تعلق المعطف فوق السكة ليواصل تقطره، مع التأكد من أنه آمن بدرجة كافية بحيث لا يسقط.

- من ذهب؟

بدأ دوريان في التساؤل، ولكنه نطق كلماته فقط قبل الاختناق مجددًا بالعسل، مدت له المرأة قربة ماء وعندما وضعه على شفثيه، كان الماء هو أفضل من أي شيء ذاقه سابقًا، نظرت إليه المرأة نظرة شفقة ثم أعطته منشفة أخرى.

- شكرًا لك.

قال دوريان مفرغًا القربة على ملابسه، وعلقت كلمة شكرًا حلوة على شفثيه.

- ذهب البوم، جاؤوا للتحقيق في الاضطراب، إنهم يحبون معرفة متى تتغير الأشياء.

مشت المرأة بعيدًا عبر سطح السفينة تاركة دوريان ليستجمع نفسه وسلاسل من الفوانيس المتوهجة تدور حول الصاري وأعلاه، وأبحرت السفينة فوق أمواج بلون النبيذ الأحمر. استمرت الأضواء على طول الدرايزين مثل اليراعات، متجهة إلى أعلى بجوار القوس؛ حيث يوجد رأس منحوت لأرنب أدناه مفرودتان على طول جوانب السفينة.

أخذ دوريان أنفاسًا طويلة عميقة، أقل حلاوة من أنفاس الماضي. لذا، لم يمت بعد. كتفه لم تعد تؤلمه ونظر إلى صدره وذراعيه العاريتين، وهو متأكد

من وجود بعض الإصابات المتبقية، أو بعض الخدوش والندوب على الأقل، لكن لا يوجد شيء، لا شيء على الإطلاق.

على صدره، فوق عظامه، وشم سيف ذي نصل مقوس ومقبضه ذهبي للغاية، ويتلألأ حبر معدني تحت جلده.

فجأة، أصبح التنفس صعبًا من جديد، وسحب دوريان نفسه على قدميه مثبتًا نفسه مقابل الحداثد، وناظرًا إلى البحر الخالي من النجوم، أجزاء من الكون النموذجي تغرق ببطء في العسل، ويشير عقرب ذهبي واحد إلى الأعلى يائسًا، ثم اختفى وهو يراقبه. يمتد الكهف في الظلال، والبحر متوهج بهدوء وفي المسافة تتحرك الظلال وتنطق مثل الأجنحة.

يقطر العسل من شعره وسرواله ويتجمع حول قدميه العاريتين خارجًا منه، السطح دافئ تحت أصابعه، سار نحو مقدمة السفينة، متتبعًا المرأة التي يفترض أنها قبطانها، وجدها جالسة بجانب شيء مغطى بالحريز، يتوافق مع الأشرطة الموضوعة على ظهر السفينة.

قال دوريان عندما أدرك ما هو:

- أوه!

من الصعب عليه معالجة كل ما يشعر به بالنظر إلى جسد أليغرا.

- هل تعرفها؟

- نعم.

أجاب دوريان ولم يضيف أنه يعرف هذه المرأة لنصف حياته، وأنها كانت أقرب إلى أم، وأنه أحبها وكرهها بنفس القدر، وأنه قبل لحظات كان سيقتلها بيديه، ومع ذلك وقف هنا يشعر بخسارة لا يستطيع تفسيرها، داهمه شعوره بأنه غير مقيد، يشعر بالضياع ويشعر بالحرية في الوقت ذاته.

- ماذا كان اسمها؟

- أليغرا.

قال دوريان مدرجًا الآن أنه لا يعرف ما إذا كان اسمها الحقيقي.

- لقد أطلقنا عليها اسم الرسامة، كان شعرها مختلفًا حينها.

قالت المرأة وهي تلمس بلطف أحد خصلات أليغرا الفضية.

- هل كنتِ تعرفينها؟

- سمحت لي باللعب بألوانها أحيانًا عندما كنت أرتبًا، لم أكن جيدة قط.

- عندما كنت ماذا؟

- اعتدت أن أكون أرتبًا، لم أعد كذلك بعد الآن، لا أحتاج أن أكون كذلك.

لم يفت الألوان قط لتغيير ما أنت عليه، لقد استغرق الأمر وقتًا طويلًا لإدراك ذلك.

- ما اسمك؟

سأل دوريان، رغم أنه يعرف بالفعل فلا يمكن أن يكون هناك العديد من الأرناب السابقة في مثل هذه الأماكن.

قطبت القبطان حاجبيها في وجهه، كان واضحًا أنه لم يطرح عليها مثل هذا السؤال سابقًا، فتوقفت قليلًا تفكر فيه.

- اعتادوا أن ينادوني بإليانور هناك في الأعلى، رغم أنه ليس اسمي الحقيقي.

حذق دوريان إليها، لم تكن كبيرة بما يكفي لتكون والدة ميرابيل، قد تكون أصغر منها حتى ولكنها تشبهها، ملامحهما متشابهتان لدرجة كبيرة، ما جعله يتساءل عن آلية عمل الوقت هنا.

- ما اسمك؟

- دوريان!

قال دوريان، وبدا الاسم أكثر صدقًا من أي اسم آخر استخدمه، لقد بدأ في الإعجاب به.

نظرت إليه إليانور وأومات برأسها ثم عادت ونظرت إلى أليغرا، عيون أليغرا مغلقة ويغطي جرح طويل جزءًا من رأسها قاطعًا رقبتها، على الرغم من عدم وجود الكثير من الدم. معظم جسدها مغطى بالعسل، ملتصق بالحريز، فقدت معطف فروها في مكان ما في البحر. صدم دوريان! كم كان محظوظًا في النجاة من السقوط، فتساءل إذا كان يؤمن بالحظ.

تراجعت ياقة سترة أليغرا بدرجة سمحت لدوريان بالبحث عن السيف المرسوم على صدرها غير أنه لم يجد سوى ندبة حساسة على شكل نحلة.

قبلت إليانور أليغرا على جبهتها ثم سحبت القماش الحريري لتغطي وجهها ووقفت ناظرة إلى دوريان.

قالت إيلانور مشيرةً بعيداً:

- يمكنني أن آخذك إلى هناك، إذا كانت هذه وجهتك، أعرف كيفية الوصول.

- تأخذيني إلى أين؟

- المكان الذي على ظهرك.

وضع دوريان يده على كتفه، ولامس الحافة العلوية للوشم الدقيق الذي يغطي ظهره. أغصان شجرة، مظلة غابة من أزهار الكرز ونجمة متلائة بالفوانيس والأضواء رغم أن ذلك كله لم يكن إلا خلفية القطعة المركزية: جذع شجرة مغطى بكتب يقطر العسل تحت خلية نحل مع بومة تجلس فوقها مرتدية تاجاً.

يرقص زاكري إزرا رولينز وسط ازدحام قاعة الاحتفالات، تلفه موسيقى صاخبة للغاية، لم يمنعه الازدحام من انسيابية رقصه، حركة مثالية مستمرة، يواصل شركاؤه تغيير رقصاتهم مقنعين، وكل شيء متلألئ وذهبي.

- إزرا! ارجع إليّ.

سمع زاكري صوت ميرابيل، بعيد وشديد النعومة، ووجهها قريب جداً. لا يريد العودة، بدأت الحفلة للتو، الأسرار هنا، الإجابات هنا، رقصة أخرى كفيلة بإفهامه كل شيء.

تفصله عاصفة من الرياح عن شريكه الحالي، وحصوله على شريك آخر مستحيل. شعر بانزلاق أصابع مغطاة بالذهب بين أصابعه، بينما تتابع الموسيقى صخبها في المكان.

تلاشت الحفلة فجأة، اختفت كأن لم تكن، ثم ظهرت ميرابيل، ووجهها على بعد بوصات من وجهه. يرمش في وجهها، محاولاً أن يتذكر مكانهما بلا فائدة.

- ماذا حدث؟

العالم حوله دائر في الضبابية، كما لو أنه لا يزال يرقص على الرغم من رقوده الآن في مثل هذا المكان الصعب.

- لقد كنت فاقداً للوعي، ربما كان ذلك تأثير تعرُّضك للرياح، لم يكن لدينا عمليات إنزال أفضل.

وأشارت ميرابيل إلى كومة من المعدن قريبة منهما، كانت بقايا مصعد وتابعت:

- هنا، خلعت هذه الأشياء عنك لتسهيل تنفسك، لحسن الحظ بقيت سليمة. أعطته نظارته فجلس وارتداها.

لقد انهار المصعد بطريقة أدهشته لأنهما نجوا من السقوط. ربما ساعدت صلوات الحارس ورعاية الآلهة، إذ لا يوجد عمود مصعد فوقه، فقط كهف كبير مفتوح، أفاق من خيالاته وساعدته ميرابيل في الوقوف على قدميه.

كانا في فناء محاط بستة أقواس حجرية كبيرة واقفة، معظمها مكسور لكن الرموز التي لا تزال قائمة عليها رموز منحوتة في حجر الأساس. تمكن زاكري فقط من تمييز مفتاح وتاج، وحاول تخمين البقية. ثم امتد نظره وراء الأقواس؛ حيث يرقد الخراب الذي كان مدينة يوماً ما.

أطلال بدت مثل حمى معمارية من الحجر والعاج والذهب. الأعمدة والمسلات والأسطح الأشبه بالمعابد. كل شيء يلمع كأن المدينة بأكملها والكهف الذي يحتويها مغطى بطبقة من الكريستال. تمتد الفسيفساء عبر الجدران وتتموضع في الأرض تحت قدميه، على الرغم من أن معظم الأرض مغطاة بالكتب. أكوام منها، تتراكم وتناثر في المكان، هجرها من كان هنا ذات مرة لقراءتها.

الكهف ضخم، يحيط بالمدينة بسهولة، وعلى الجدران البعيدة منحدرات منحوتة بسلاسل وطرق وأبراج مضاءة كالمنارات. على الرغم من أنها مجرد منارات معزولة، إلا أن كل شيء يضيء وكل شيء يبدو أكبر من أن يكون تحت الأرض، واسع جداً ومعقد جداً ومنسي جداً.

توجد نار تتقد بالقرب من المصعد في هيكل يشبه نافورة ماؤها لهب، وتقطر الأوعية منه ملفوفة مثل البلورات فوق ثريا، على الرغم من أن بعضها فقط هو المضاء. وتوجد نوافير مماثلة حول الفناء ولكن البقية مظلمة.

التقط زاكري كتاباً وكان صلباً وثقيلاً في يديه، وقد أغلقت صفحاته ببعضها بمادة لزجة اتضح أنها عسل.

- مدن ضائعة من العسل والعظام.

- من الناحية الفنية هو ميناء، على الرغم من أن معظم المواني شبيهة بالمدينة.

أوضحت ميرابيل بينما أعاد زاكري المجلد غير المقروء إلى مكان الراحة.
- أتذكر هذا الفناء، كان قلب المرفأ، وكانوا يعلقون الفوانيس من القناطر خلال الحفلات.

- هل تتذكرين ذلك؟

سأل زاكري ونظر إلى المدينة الفارغة، لم يكن أحد في هذا المكان لفترة طويلة جدًا.

- أتذكر ألف حياة قبل أن أتمكن من التحدث حتى، لقد تلاشى البعض مع مرور الوقت ويبدو معظمهم أشبه بأحلام شبه منسية، ولكنني أتعرف على الأماكن التي كنت فيها من قبل عندما كنت فيها، الأمر يشبه أن يطاردك شبحك.

راقبها زاكري وهي تحدق إلى المباني المكسورة، دقق فيها النظر محاولاً اكتشاف ما إذا كانت تبدو حقيقية هنا أكثر أم عندما كانت تنتظر في طابور لتناول القهوة في وسط مانهاتن، لكنه لم يستطع ذلك. تبدو هي نفسها، فقط مع كدمات ومغطة بالغبار ومتعبة ويتلاعب هواء النار بشعرها عبر درجات اللون الأحمر والبنفسجي الذي ترفض تركه يستقر على لون واحد.

- ماذا حدث هنا؟

سأل زاكري محاولاً لف أفكاره حول كل شيء، جزء من عقله لا يزال يدور في غرفة الكرة الذهبية يضغط على كتاب آخر بإصبع قدمه ويرفض فتح صفحاته المختومة.

- لقد حدث المد، هكذا تسير الأمور، تاريخياً، يغرق ميناء واحد ويفتح آخر جديد في مكان ما أعلى. يغيرون أنفسهم ليناسبوا البحر. لم ينحسر من قبل، ولكن حتى البحر يمكن أن يشعر بالإهمال. لم يعد أحد منتبهاً؛ لذا تراجعت عائدة إلى الأعماق التي أتت منها. انظر، يمكنك أن ترى أين كانت القنوات هناك.

وأشارت ميرابيل إلى مكان تتقاطع فيه الجسور إلى ما لا نهاية.

- لكن... أين البحر الآن؟

سأل زاكري وهو يفكر إلى أي مدى يذهب العدم.

- يجب أن يكون أبعد من ذلك، إنه أقل من اعتقادي، هذا واحد من أدنى الموانى، لا أعرف ما الذي سنجده إن تعمقنا أكثر.

نظر زاكري إلى بقايا مدينة غارقة مغطاة بالكتب، تخيل أنها ملآنة بالناس ويمكنه للحظة تصويرها في عقله، الشوارع تعج بالبشر، والأضواء تمتد على مسافة بعيدة ومن ثم تصبح خرابًا هامدًا مرة أخرى. لم يكن قط في بداية هذه القصة، هذه القصة أقدم بكثير مما هي عليه الآن.

- لقد عشت ثلاث مرات في هذا المرفأ، في البداية مت عندما كنت في التاسعة من عمري، وكان كل ما أردته هو أن أذهب إلى الحفلات لمشاهدة الرقص، لكن والديّ قالوا لي يجب أن أنتظر حتى أبلغ العاشرة من عمري، لكنني لم أبلغها قط، ليس في تلك الحياة. في العمر التالي وصلت إلى الثامنة والسبعين، وأخذت أكثر من نصيبي في الرقص، لكنني كنت سأصبح بشريةً دائمًا حتى تم تصوري خارج الوقت. حاول الناس الذين آمنوا بالأساطير القديمة بناء مكان لحدوث ذلك. لقد حاولوا ذلك في مرفأ بعد مرفأ. نقلوا النظريات والنصائح إلى خلفائهم، لقد تعبوا هنا وعلى السطح وكان لديهم الكثير من الأسماء على مر السنين، حتى مع تضائل أعدادهم، وفي الآونة الأخيرة تم تسميتهم على اسم جدتي.

خمن زاكري:

- مؤسسة كيتنغ؟

أومات ميرابيل برأسها وقالت:

- مات معظمهم قبل أن أشكرهم. وفي كل ذلك الوقت لم يفكر أحد فيما سيحدث لاحقًا. لم يفكر أحد في العواقب أو التداعيات.

التقطت ميرابيل السيف الموجود على الأرض، ولوحت به في يديها فبدأت كريمة استمرت في تدويرها بينما تتحدث:

- أنا - سابقًا - قمت بتهريب هذا من متحف وأخفيته في الجزء الخلفي من عباءة غير مريحة. كان ذلك قبل أن تقوم أجهزة الكشف عن المعادن والحراس بفحص ظهور العباءات النسائية كقاعدة عامة. شكرًا لك على إعادة الكتاب، فقد ضاع لفترة طويلة جدًا.

- هل هذا ما نفعله هنا؟ إعادة الأشياء المفقودة؟

- لقد أخبرتك، نحن هنا لننقذ حبيبك.

- لماذا أشعر أن هذا ليس... آه! انتظري! لقد رأيت اللوحة؟

- بالطبع قد رأيتها، لقد قضيت الكثير من الوقت في السرير الذي يواجهها. إنها واحدة من أفضل رسومات أليغرا، لقد أجريت دراسة بالفحم عليها مرة واحدة، ولكنني لم أستطع الحصول على وجهك بالشكل الصحيح.

- لهذا السبب كنت تريدني كلينا هنا، لأننا في اللوحة؟

- آه! حسنًا.

قالت ميرابيل وتوقفت لكنها أعطته نصف إيماءة مما يوحي بأنه قد يكون على صواب.

قال زاكري محتجًا:

- هذا ليس مصيرًا، هذا... تاريخ الفن.

- من قال أي شيء عن المصير.

علقت ميرابيل لكنها ابتسمت وهي تقول ذلك، بابتسامة براقية كنجمات السينما وكانت الابتسامة تشعّ عبر السنة الذهب.

- ألسنت أنت... أنت المصير؟

قال زاكري، وتوقف لأنه شعر أن السؤال بدا سخيًا للغاية؛ بحيث لا يمكن طرحه حتى عند مناقشة الحياة الماضية بشكل عرضي، وعلى الرغم من حقيقة أنه يعتقد بالفعل أن المرأة التي أمامه هي بطريقة ما مجنونة: المصير. حدق إليها فبدت كشخص عادي أو ربما تكون مثل أبوابها المطلية: تقليد دقيق لدرجة تخدع العين.

تناثر ضوء النار على أجزاء مختلفة منها، مما سمح للباقي بالاختفاء في الظل ونظرت إليه بعينين داكنتين ثابتتين ملطخة رموشها بالمسكارا، فلم يعد يعرف ما الذي يفكر فيه بعد الآن أو ماذا سيسأل.

- ماذا تكونين؟

استقر زاكري على هذا السؤال، وتمنى على الفور أنه لم يفعل ذلك.

اختفت ابتسامة ميرابيل، وخطت خطوة نحوه، وقفت على مسافة قريبة جدًا وتغير شيء ما في وجهها، كما لو كانت ترتدي قناعًا غير مرئي تمت

إزالته، وظهرت شخصية مستوحاة من الشعر الوردي مع ذيل وتاج من حفلة بعيدة. حاول زاكري أن يتذكر ما إذا كان قد شعر بنفس الوجود القديم المجهول منها الذي شعر به مع الحارس، وبطريقة ما عرف أنه كان دائماً موجوداً وأن الابتسامة المتلاشية أقدم من أقدم نجوم السينما، ومالت قريبة إليه بما يكفي لتقبله بينما صوتها يتحول تدريجياً إلى الانخفاض والهدوء.

- أنا كثير من الأشياء يا إزرا، لكنني لست السبب في أنك لم تفتح ذلك الباب.

- ماذا؟

سأل زاكري رغم أنه متأكد من أنه يعرف بالفعل ما تعنيه.

- إنه خطوك الملعون، أنك لم تفتح ذلك الباب عندما كنت صغيراً، لا أحد غيرك، ليس خطئي، وليس خطأ من رسم فوقه أيضاً، إنه خطوك، قررت عدم فتحه، لذلك لا تقف هناك وتبتكر الأساطير التي تسمح لك بإلقاء اللوم عليّ وجعلي شماعة لمشكلاتك، لديّ مشكلاتي الخاصة.

- لسنا هنا لنجد دوريان، نحن هنا لنجد سايمون، أليس كذلك، إنه آخر شيء ضاع في الوقت.

- أنت هنا لأنني أريدك أن تفعل شيئاً لا يمكنني القيام به، وأنت هنا لأنك تبتعتني، لم تكن مجبراً على ذلك.

صححت له ميرابيل كلامه، ودفعتة بالسيف ومضت إلى أعلى وأجبرته على أخذه. كان أثقل مما اعتقد.

- لم أكن مجبراً على ذلك؟

- هو كذلك، لم تكن، تريد أن تعتقد أنك فعلت ذلك أو أنه كان من المفترض أن تفعل ذلك، ولكن كان لديك دائماً خيار. لا تحب الاختيار، أليس كذلك؟! لا تفعل أي شيء حتى يقول شخص ما أو شيء ما أنه يمكنك ذلك. لم تقرر حتى المجيء إلى هنا حتى منحت إذناً بذلك. كنت ستجلس في مكتب الحارس متخبطاً إذا لم أخرجك من هناك.

- لم أكن...

احتج زاكري غاضباً من المشاعر والحقائق الكامنة وراء ما قالته وقاطعته ميرابيل وهي ترفع يدها وتنظر من ورائه:

- اخرس!

- لا تخبريني ما...

قال زاكري وتوقف ليرى إلى ماذا تنظر ميرابيل.

ظل مثل سحابة عاصفة يتجه نحوهم مصحوبًا بصوت مثل الريح، ترنح معه اللهب الخارج من نافورة النار، وأخذت السحابة في النمو سريعًا وعلى صوتها فأدرك زاكري ما ينظر إليه، الصوت ليس ريكًا بل أجنحة.

رأى زاكري إزرا رولينز بومة لم تكن من النوع المحنط يومًا، تشبه الموجودة في منزل مزرعة والدته في أمسية ربيعية قبل الغسق مباشرة، تجثو على جانب الطريق على سلك هاتف. لقد تباطأ، بينما كان يقود سيارته؛ لأنه لم تكن هناك سيارات أخرى ولأنه أراد التأكد من أنها في الواقع بومة وليست طائرًا جارحًا آخر، وكانت البومة تحديق إليه بعيون لا يمكن إنكارها، هرب من نظراتها وحديق وراءه حتى لمح سيارة أخرى من ورائه فاستمر في القيادة وبقيت البومة تحديق إليه.

الآن هناك العديد والعديد من اليوم يحدقون إليه بعشرات وعشرات العيون وهم يقتربون. ظل من الأجنحة والمخالب ينزل عليه. تنقض اليوم من فوق وتحلق في الشوارع وتزعج العظام والغبار. تتأرجح النار مع تلقب الهواء وتتقد وتعتم، وتجعل الظلال أعم، وتستهلك سحابة اليوم كل ما تقابله كلما اقتربت.

شعر زاكري أن ميرابيل وضعت يدها على ذراعه لكنه لم يستطع أن ينظر بعيدًا عن العشرات... لا، المئات من العيون التي تحديق إليهم.

قالت ميرابيل وهي تعصر ذراعه:

- إزرا، اركض!

وقف زاكري متجمدًا للمرة الثانية، ولكن بعد ذلك، تمكن شيء ما في دماغه من الرد على صوت ميرابيل واتباع تعليماتها، وأخذ حقيبته من الأرض وانطلق في الاتجاه المعاكس، بعيدًا عن الظلام والعيون.

مر زاكري عبر القناطر باتجاه المباني وأسفل الشارع الأول الذي وصل إليه، متعثرًا بالكتب ومترنحًا، محاولًا الإمساك بكل من حقيبته والسيف وصوت ميرابيل يتبعه، حذاؤها يرتطم بالأرض بجزء من الثانية بعد حذائه، لكنه لا يجرؤ على النظر إلى الورا. عندما انقسم الشارع تردد، لكن يد ميرابيل على

ظهره دفعته إلى اليسار وبدأ زاكري يجري في شارع آخر، طريق مظلم آخر حيث لا يستطيع رؤية أكثر من درجتين أمامه.

أخذ منعطفًا آخر، واختفى الصدى الذي يسير على خطاه ونظر إلى الوراء فلاحظ اختفاء ميرابيل، تجمد زاكري، ممزقًا بين إعادة خطواته للعثور على ميرابيل والاستمرار في التقدم. ثم تحركت الظلال من حوله، وامتلأت التجاويف العميقة للنوافذ والمداخل على جانبيها بالأجنحة والعينين. نظر إلى الخلف، فتعثّر وسقط منه السيف، المسار الحجري تحته خدش راحتيه وهو يحاول تثبيت نفسه.

البوم فوقه، ولا يستطيع أن يحصي عددها في الظلّ، أمسك أحدها بيده وأخذت مخالبه تقضم جلده.

استرجع زاكري السيف وأرجحه عشوائيًا، تمكن نصله من المخالب والريش وتناثر الدم والعظام وسط صراخ يصم الأذان، وذهب البوم بعيدًا لفترة كافية حتى وقف زاكري على قدميه وانزلق على الحجر الملطخ بالدماء. ركض بأسرع ما يمكن، ولم ينظر إلى الوراء، ليس لديه أي إحساس بالاتجاهات في هذه المدينة المتاهية لذلك اكتفى باتباع أذنيه، مبتعدًا عن صوت الأجنحة.

أخذ منعطفًا بعد منعطف، وأخذ الزقاق إلى طريق عبر جسر، والتجويف تحته عميق يلمع فيه شيء ذهبي بعيدًا في الأسفل، لكن زاكري لم يتوقف لينظر. وصل إلى الجانب الآخر ولا يوجد طريق، ولا ممر، فقط فجوة تتبعها بقايا سلم يبدأ فوق رأسه ويستمر صعودًا، ويتخلف عن بقية درجاته.

عاد زاكري إلى الوراء وبدأت المدينة فارغة، وفجأة ظهر البوم، واحدة تلو الأخرى، حتى أصبحوا كتلة لا يمكن تمييزها من الأجنحة والعيون والمخالب. كانوا أكثر من استيعابه، يتحركون بسرعة كبيرة لدرجة يأسه من أي إمكانية للهروب منها، لماذا يصرون على المحاولة!

نظر زاكري إلى الدرجات فوقه، تبدو صلبة، منحوتة في الصخر وليست بارتفاع كبير. الفجوة أمامهم ليست بهذا الاتساع ويمكنه الوصول إليهم ألقى السيف على أدنى درجة وظل ثابتًا.

ثم أخذ نفسًا وقفز إلى الأعلى، إحدى يديه تستقر على الدرج الحجري والأخرى تستقر على السيف قبل أن ينزلق السيف أخذًا قبضته معه.

وهكذا سحب السيف زاكري إزرا رولينز بعيدًا عن هذا الدرج المخروطي في مدينة منسية وبدلاً من إنقاذه أرسله إلى الأعماق المظلمة.

لم يقضِ دوريان معظم حياته مغطى بالعسل، لذا لم يدرك من قبل كيف يمكن أن ينتشر في كل مكان ويصر على البقاء هناك. أخذ يرمي دلوًا آخر من الماء البارد من البراميل المخزنة في بدن السفينة ويصبها على رأسه، مرتجفًا بينما يتدفق على جلده.

إذا كان يعتقد أنه يحلم، فمثل هذه البرودة المروعة قد توقظه، كان على دراية تامة أنه لا يحلم، يعرف ذلك من رأسه حتى أخمص قدميه.

بعد أن قام بإزالة أكبر قدر ممكن من العسل، أعاد ارتداء ملابسه تاركًا معطفه ذا الأزرار النجمية معلقًا مفتوحًا. كتاب الحظوظ والخرافات في الجيب الداخلي بعد أن نجا بطريقة ما من الأسفار دون أن يصاب بأذى أو عسل.

وضع دوريان يده في شعره الأشيب الذي لا يزال لزجًا، وشعر بأنه كبير جدًا بالنسبة إلى كل هذه الأعاجيب، تساءل متى تحول من شاب ومؤمن ومطيع إلى مرتبك ومنحرف في متوسط العمر لكنه لم يهنأ بإجابة قط بسبب تلك اللحظة التي لا تزال تطارده. عاد إلى السطح وقد أبحر القارب في تصميم مختلف من الكهوف الآن، الحجر المتشابك بالبلور الذي يشبه حجر الكوارتز أو السترين، الهوابط منحوتة بأنماط الجذوع والنجوم والألماس والفضاء كله مضاء بأضواء من القارب وسط تألق ناعم صادر من البحر.

مع إبحار السفينة تمكن رؤية الكهوف الأخرى، ولمحات من المساحات المتصلة، السلالم والقناطر الطويلة متهاالكة، تماثيل مكسورة ومنحوتات متقنة، أطلال تحت الأرض مضاء بلطف بواسطة العسل، في المدى هناك شلال (شلال عسلي) ينسكب على الصخور وهناك عالم تحت العالم تحت العالم؛ على الأقل!

إليانور على السطح، تعدل سلسلة من الأدوات التي لا يعرفها دوريان، ولكن التنقل في مثل هذه السفينة يتطلب بعض الإبداع على الأرجح. أحدها وكأنه سلسلة من الساعات الرملية وآخر على شكل بوصلة على هيئة كرة أرضية، تشير إلى الأعلى والأسفل بالإضافة إلى الاتجاهات الأربعة المعروفة.

- أنت أفضل الآن؟

سألت إيليانور وهي تنظر إلى شعره المبلل بينما يقترب.

- أفضل بكثير، شكرًا جزيلًا لك، هل لي أن أطرح عليك سؤالًا؟
- يمكنك بالطبع، ولكن قد يكون بلا إجابة، أو إذا كان لدي إجابة قد لا تكون صحيحة أو مقنعة. الأسئلة والإجابات ليست دائمًا مثل قطع الألباز.

قال دوريان مشيرًا إلى السيف في صدره:

- لم يكن لدي هذا، في الأعلى.
- هذا ليس سؤالًا.
- كيف حصلت عليه الآن؟
- هل تعتقد أنك حصلت عليه حقًا؟ هذه الأشياء يمكن أن تتداخل هنا، ربما كنت تعتقد أنه يجب أن يكون هنا، لذا فهو موجود الآن. يجب أن تكون راويًا جيدًا، وعادة ما يستغرق الأمر بعض الوقت، لكنك قضيت وقتًا لا بأس به في البحر، وهذا يؤثر أيضًا.
- كانت مجرد فكرة.

وتذكر دوريان شعوره وهو يقرأ كتاب زاكري، ويقرأ عما كان عليه الأوصياء في السابق، وحاول تخمين كيف كان سيبدو سيفه لو كان وصيًا حقيقيًا وليس فقيرًا.

- إنها قصة أخبرتها بنفسك، سمعك البحر تقول ذلك، والآن هو هناك. هذه هي الطريقة التي يعمل بها، عادة ما تكون شخصية، قصة ترتديها على جلدك، لكن يمكنني إدارتها مع السفينة الآن، لقد تطلب الأمر الكثير من الممارسة.

- هل تقودين هذه السفينة نحو الوجود؟

- لقد عثرت على أجزاء منها وأخبرت نفسي بقصة ما تبقى منها، وفي النهاية كانت هي نفسها الأجزاء التي تم العثور عليها وأجزاء القصة. يمكن أن توجه نفسها، ولكن عليّ أن أخبرها أين تذهب ودفعها مرة أخرى في الاتجاه الصحيح في بعض الأحيان. يمكنني تغيير الأشرطة لكنهم يحبون أن يكونوا بهذا اللون. هل يعجبونك؟

نظر دوريان إلى الأشربة الحمراء العميقة وللحظة توهجت، واستقرت على اللون البورجندي وقال:

- لقد أحببتهم!

- شكرًا لك، هل لديك وشم على ظهرك هناك؟

- نعم.

- هل ألمك؟

- كثيرًا جدًا.

قال دوريان متذكّرًا جلسة تلو الأخرى قضاها في صالون اللوشم تفوح منه رائحة القهوة وبخور ناج تشامبا، وتصدح به موسيقى الروك الكلاسيكية بأصوات عالية بما يكفي لتغطية أزيز الإبر. كان قد نسخ الرسم التوضيحي المكون من صفحة واحدة على آلة تصوير قبل سنوات ليعلقه على الحائط، ولم يفكر قط في أنه سيفقد الكتاب، وخلال الوقت الذي كان كل ما يملكه هو كتاب الحظوظ والخرافات أرادته أقرب إليه من الحائط؛ حيث لا يمكن لأحد أن يأخذه منه.

- هذا مهم بالنسبة إليك، أليس كذلك؟

- بلى، إنه كذلك.

- الأشياء المهمة تؤلم أحيانًا.

ابتسم دوريان لكلام إليانور بسبب صدقه أو ربما بسبب الكلام نفسه.

- سنستغرق بعض الوقت للوصول إلى هناك.

وأخذت تعدّل البوصلة على هيئة كرة أرضية وتلف حبلًا فوق عجلة السفينة.

- لا أظنني أفهم وجهتنا.

- أوه! أستطيع أن أريك.

تتحقق من البوصلة مرة أخرى ثم تقوده إلى قمرة القيادة الخاصة بالقبطان. توجد طاولة طويلة في المنتصف مغطاة بشموع شمع العسل. الكراسي ذات الذراعين الجلدية مطوية في الزوايا بجوار موقد مع أنبوب يمتد إلى أعلى ويخرج من سطح السفينة. على طول الجزء الخلفي توجد نوافذ زجاجية ملونة متعددة الألوان، وتتدلى من العوارض في السقف حبال

وشرائط وأرجوحة كبيرة مغطاة بالبطنانيات. أرنب محشو مع رقعة عين وسيف يجلس على الرف مع أشياء أخرى مختلفة وجمجمة وَعُغْلٍ وأكواب من الصلصال ملانة بأقلام حبر وأقلام رصاص، وجرار خبز وفرشاة رسم وتتدلى خيوط الريش على طول الجدران متأرجحةً مع الهواء من حولها.

تمشي إليانور إلى أقصى نهاية الطاولة، يوجد بين الشموع كومة من الورق مختلفة القوام والأحجام والأشكال، بعضها شفاف وتحتوي معظم القطع على خطوط وشروح.

- من الصعب تحديد موقع مكان يتغير، الخريطة يجب أن تتغير معه. تلتقط إحدى زوايا كومة الورق على الطاولة وتثبتها بخطاف معلق بحبل في السقف وتفعل الشيء نفسه مع الزوايا الأخرى، ثم تدير بكرة على الحائط وترفع قطع الخريطة متصلة ببعضها بشرائط وخيط.

ترتفع في طبقات، منتفخةً مثل كعكة ورقية متعددة الطبقات، المستويات العليا ملانة بالكتب، وعثر دوريان على قاعة الاحتفالات ثم القلب: جوهرة حمراء صغيرة من القلب معلقة هناك جنبًا إلى جنب مع بقايا ساعة.

ومساحة طويلة فارغة بالأسفل تقطع طبقات متعددة. يوجد أدناه الكهوف والطرق والأنفاق وبتدقيق النظر يمكن رؤية قصاصات ورقية من التماثيل العالية والمباني الشاردة والأشجار. ثعبان حريري ذهبي داخل وخارج الطبقات السفلية، وقارب صغير مثبت على واحد آخر بالقرب من المركز، يتدلى الحرير على طول الطريق وصولاً إلى سطح الطاولة؛ حيث يتجمع في موجات محاطة بقلع وأبراج من الورق.

سأل دوريان وهو يلامس الحرير الذهبي:

- هل هذا هو البحر؟

- البحر أسهل من قول سلسلة معقدة من الأنهار والبحيرات أليس كذلك؟ كل شيء متصل ولكن هناك أجزاء مختلفة. نحن في واحدة من أعلى الطبقات، وهي تنخفض هنا.

وتشير إليانور إلى المستويات الأدنى التي لم يتم تفصيلها مثل بقية الخريطة.

- لكن الأمر ليس آمنًا هناك إذا لم تكن بومة، فهذا يتغير كثيرًا، هذا فقط ما رأيته بنفسه.

- إلى أي مدى يصل؟

- لم أكتشف ذلك بعد، نحن هنا، سنتابع هنا ونستدير إلى هنا وبعد ذلك يمكنني تركك هنا.

ولمست إيلانور قاربًا صغيرًا على أحد الأمواج الذهبية في المركز، مشيرةً إلى دوامتين من الحرير تتحركان إلى أعلى ثم إلى سلسلة من الأشجار الورقية.

- كيف أعود إلى هنا؟

سأل دوريان مشيرًا إلى القلب، ونظرت إيلانور في الخريطة ثم انتقلت إلى الجانب الآخر من الطاولة، وأشارت إلى الجانب الآخر من الغابة.

- إذا خرجت إلى هنا ثم سرت في هذا الاتجاه ستكون قادرًا على العثور على النزل، هنا يوجد مبنى به فانوس صغير، ومن النزل ستكون قادرًا على تغيير الطرق لتصبح هنا.

وأشارت إلى طريق يؤدي إلى أعلى من الأشجار، أحضرته حول زاوية الخريطة وأظهرت له المسارات الأقرب إلى الميناء، وأشارت أخيرًا إلى القلب وقالت له:

- بمجرد وصولك إلى هناك، يجب أن تعمل البوصلة مرة أخرى وهذا يوجهك مجددًا إلى هنا، إلى القلب.

نظر دوريان إلى السلسلة الموجودة حول رقبتة، والتي تحمل مفتاح غرفته والبوصلة بحجم المدلاة. فتحها وقطرت كمية صغيرة من العسل منها، بينما الإبرة تدور بجنون غير قادرة على إيجاد طريقها.

- هل هذا ما يفعله هذا؟

سأل لأن أحدًا لم يشرحه له من قبل.

- لن يكون الأمر على حاله عندما تعود، في بعض الأحيان لا يمكنك العودة إلى نفس المكان القديم، عليك الذهاب إلى الأماكن الجديدة.

- أنا لا أحاول العودة إلى المكان، أحاول العودة إلى شخص ما.

وبدا أن الاعتراف بصوت عال كأنه تأكيد.

- الناس يتغيرون أيضًا، كما تعلم.

- أنا أعلم ذلك.

قال دوريان، وهو يهز رأسه، لا يريد أن يفكر في الأمر، لقد أراد دائماً أن يكون في المكان لكنه لم يفهم حتى وصل أخيراً إليه، أدرك أن المكان كان مجرد وسيلة للوصول إلى الشخص والآن فقدهما كليهما.

- ربما تكون قد رحلت منذ فترة طويلة، الوقت مختلف هنا، يمر بشكل أبطأ، ربما لا يمر أصلاً، هو فقط يدور بادتاً من جديد.

- هل تهنا في الزمن؟

- لعلك تهت، أما أنا فلم أتّه.

- ماذا تفعلين هنا في الأسفل إذاً.

وفكرت إليانور في السؤال بينما تعيد النظر في طبقات الخريطة.

- لفترة من الوقت كنت أبحث عن شخص لكنني لم أجده، وبعد ذلك كنت أبحث عن نفسي. الآن بعد أن وجدتني، عدت إلى الاستكشاف، وهو ما كنت أفعله في المقام الأول قبل أن أفعل أي شيء آخر، وأعتقد أنه كان من المفترض أن أستكشف طوال الوقت، هل هذا يبدو سخيفاً؟

- هذا يبدو مغامرة رائعة.

تبسمت إليانور، وكان لها ابتسامة تشبه ابتسامة ميرابيل، وتساءل دوريان عما حدث لسايمون، والآن بعد أن فهم مقدار المساحة والوقت اللذين سيضيعان هنا، حاول ألا يفكر في مقدار الوقت الذي قد يكون قد مضى بالفعل، بينما تقوم إليانور بجمع الخريطة، مطوية القلب إلى أسفل البحر الخالي من النجوم.

- نحن بالقرب من مكان جيد للوداع، إذا كنت مستعداً لذلك!

أوماً دوريان برأسه وعادا معاً إلى سطح السفينة. سافرا إلى كهف آخر، هذا الكهف منحوت في تجاويف ضخمة، كل تجويف يحتوي على تمثال شاقق لشخص. هناك ستة منهم، كل منها يحمل شيئاً على الرغم من أن العديد منهم مكسور وكل واحد مغطى بالعسل المتبلور.

سأل دوريان وهما يسيران نحو القوس:

- ما هذا المكان؟

- جزء من أحد الموانئ القديمة، مستوى البحر كان أعلى في آخر مرة مررت فيها. يجب أن أقوم بتحديث خريطتي، اعتقدت أنها ستحبه هنا،

أخبرتني ذات مرة أنه كان من المفترض إعادة الأشخاص الذين ماتوا هنا إلى البحر الخالي من النجوم؛ لأن البحر هو المكان الذي تأتي منه القصص وكل النهايات هي بدايات. ثم سألتها ماذا يحدث للأشخاص الذين ولدوا هنا، فقالت: إنها لا تعرف. إذا كانت جميع النهايات هي بدايات، فهل كل البدايات هي أيضًا نهايات؟

قال دوريان وهو ينظر إلى جثة أليغرا ملفوفة بالحرير ومربوطة بالحبال إلى باب خشبي:

- ربما.

- كان كل ما أملك هو الحجم المناسب.

- هذا مناسب.

رفعا الباب معًا وأنزلاه فوق مزلاج السفينة نزولًا إلى سطح البحر الخالي من النجوم، انغمست الحواف في العسل لكن الباب بقي طافيًا، وبمجرد أن تحرك الباب مسافة من السفينة، وقفت إليانور على الدكة وألقت بأحد الفوانيس الورقية على الباب فهبط فوق أقدام أليغرا، واشتعل فتيل الشمعة بالداخل وبدأ يحترق مع الورق ثم وصل إلى الحرير، وشق طريقه فوق الحبال فانجرف الباب واتقد باللهب، وراح بعيدًا عن السفينة.

وقف دوريان وإليانور جنبًا إلى جنب عند الدكة يشاهدان الباب يحترق ويرحل.

- هل تريد أن تقول شيئًا لطيفًا؟

حدق دوريان إلى الجثة المحترقة للمرأة التي أخذت اسمه وحياته، وقدمت له آلاف الوعود التي لم يتم الوفاء بها. المرأة التي وجدته عندما كان صغيرًا وتائها ووحيدًا وأعطته هدفًا ووضعته على طريق، ثبت أنه أكثر إثارة للدهشة والغرابة مما كان يعتقد. امرأة كان يثق بها أكثر من أي شخص آخر حتى عام مضى، وامرأة كانت ستطلق النار عليه في القلب مؤخرًا ورحلت دون أن يتدخل القدر أو الوقت.

- لا، لا أريد أن أقول أي شيء.

استدارت إليانور ونظرت إليه بتمعن، لكنها بعد ذلك أومأت برأسها وأعدت انتباهها إلى الميمنة، وهي تفكر بما يحترق بعيدًا لفترة طويلة قبل أن تتحدث.

- شكرًا لاعتباري موجودةً عندما نظر إليّ الآخرون وكأنني شبح.

وغصت شهقة غير متوقعة في حلق دوريان.

وضعت إليانور يدها على دوريان، بينما يستندان على قضبان السفينة، وبقيا واقفين في صمت، يشاهدان اللهب يتلاشى بعيدًا عن الأنظار والسفينة توجه نفسها إلى وجهتها.

أضاء الباب المحترق وجوه التماثيل القديمة في أثناء مرورها، إنها مجرد تماثيل حجرية لأولئك الذين سكنوا في هذا الفضاء قبل فترة طويلة، لكنهم أظهروا صمتهم باحترام جثة (أليغرا كافالو) وهي تعود لقعر البحر الخالي من النجوم.

* * *

يحدّق زاكري إزرا رولينز إلى الأعلى نحو ضوء خافت - غير لامع - يضيء على مسافة، كان قد اعتقد بالفعل أنها عميقة من بقعة بعيدة جدًا تحتها. ما عكس الخوف من المرتفعات؟ الخوف من الأعماق؟

هناك جرف، ظل يمتد حتى الضوء الخافت من المدينة. يمكنه رؤية الجسر نوعًا ما ولا يوجد سوى القليل من الضوء في مكان هبوطه، مثل ضوء القمر الدافئ. إنه لا يتذكر الهبوط، بل انزلق فقط واستمر في ذلك حتى هبوطه على كومة من الصخور، وساقه تؤلمه لكن لا شيء يبدو مكسورًا، ولا حتى نظارته غير القابلة للتدمير.

مدّ زاكري يده ليسحب نفسه إلى أعلى، لفّ أصابعه حول يد ممدودة، ثم أدار ذراعه إلى الخلف. مد يده مرة أخرى مبدئيًا، ولا تزال اليد موجودة، مجمدة، ممتدة من كومة الصخور التي ليست كومة من الصخور على الإطلاق. بجانب اليد ساق وشكل دائري مثل نصف رأس. وبينما يسحب زاكري نفسه، إذ وضع يده على فخذ بلا جسد ووقف في بحر من التماثيل المكسورة. ذراع قريبة منه تحمل شعلة غير مضاءة، شعلة حقيقية من مظهرها، ليست واحدة منحوتة من الحجر، تحرك زاكري ببطء نحوها وأخذها من يد التمثال.

وضع السيف بجانب قدميه، وتعثّر في حقيبته بحثًا عن ولاعة السجائر، ممتنًا لماضيه لأخذه هذه الولاة.

استغرق الأمر بضع محاولات، لكنه تمكن من إضاءة الشعلة، منحه الضوء وهجًا كافيًا للتنقل، على الرغم من أنه لا يعرف الطريق الذي يسلكه.

ترك الجاذبية تتولى توجيهه إلى الأمام، متتبعًا السطح المنحدر في أي اتجاه يسهل تحرك خطاه، تتحرك التماثيل تحت قدميه، ما أجبره على استخدام السيف لتحقيق التوازن.

من الصعب السيطرة على كل من السيف والشعلة فوق السطح غير المستوي لكنه لا يجرؤ على ترك أي منهما وراءه. يحتاج الشعلة للضوء وشعر أن السيف مهم، تتحول التماثيل المكسورة، مما يخلق انهيارات مصغرة لأجزاء الجسم فسقط السيف منه، مد يده ليثبت نفسه وضرب شيئًا أنعم من الحجر. الجمجمة الموجودة أسفل أصابعه ليست من العاج أو الرخام. إنها من العظم، تشبث بأخر قطع لحم أحاطت به ذات مرة ثم شبك أصابعه فيما تبقى من شعر الجمجمة ساحبًا يده إلى الخلف بسرعة فالتصق الشعر بأصابعه. وضع زاكري الشعلة في يد تماثل قريب حتى يتمكن من إلقاء نظرة فاحصة، رغم أنه لم يكن متأكدًا تمامًا من رغبته في فعل ذلك.

تم إخفاء الجثة التي ليست إلا هيكلًا عظميًا بين تماثيل مكسورة، ولو مشى زاكري بضع خطوات إلى أي من الجانبين فلن يلاحظ ذلك أبدًا، على الرغم من أن رائحة تحلل الجثة تصل إلى أنفه.

هذا الجسد ليس ملفوفًا في الذكريات، يرتدي قصاصات من الملابس المطهرة، وأيًا من كان مرتديها فقد رحل الآن، وأخذ قصصه معه، وترك عظامه وأحذيته والجلد ملفوفًا حول غمد سيف لم يعد موجودًا.

توقف زاكري مؤقتًا، ممزقًا بين الفائدة الواضحة للغمد وحجم الجثة التي يجب إزالتها للحصول عليه، وبعد نقاش داخلي حبس أنفاسه، وفك الحزام بشكل أخرج عن صاحبه السابق مما أدى إلى انهيار العظام وتعفنها، تنبثق منها سوائل غير معروفة.

لقد فكر فجأة في أن هذا هو ما سيحدث له هنا ودفعه عن ذهنه بقوة قدر استطاعته، مع التركيز على أجزاء الجلد والمعدن.

عندما حرر الغمد والأربطة الجلدية اكتشف أنه لم يكن سيئًا، ليس بشكل مثالي، ولكنه جيد بما فيه الكفاية بحيث لا يضطر إلى حمله. استغرق الأمر دقيقة واحدة لمعرفة كيفية ارتدائه فوق سترته، ولكن في النهاية بقي السيف في مكانه على ظهره.

قال زاكري للجثة:

- شكراً.

لم تقل الجثة شيئاً، وبصمت كانت ممتنة للمساعدة.

واصل زاكري التحرك متعثراً في التماثيل، بدا الأمر أسهل الآن، وحول الشعلة من يد إلى أخرى لإراحة ذراعه.

تضائل حجم قطع التماثيل المكسورة، في النهاية لم يعد إلا حصى فقط تحت قدميه وتحول امتداد الرخام إلى مسار تحول بدوره إلى نفق، ما دفع زاكري للقلق حول خفوت الشعلة لاحقاً. لا يعرف كم من الوقت سيمشي، وتساءل عما إذا كان لا يزال في شهر يناير، إذا كان لا يزال يتساقط في مكان ما فوقه.

يمكنه فقط سماع خطواته، وأنفاسه، ونبضات قلبه، وأحبطته طقطقة الشعلة الآخذة في الخفوت، إذ كان يأمل أن تكون شعلة ضوئية سحرية لا نهاية لها، لا شعلة عادية قابلة للانطفاء. قبل أن يفتن لصوت قريب لم يكن هو مصدره، حركة ما على الأرض.

تصاعد الصوت أكثر، شيء كبير يتحرك في مكان قريب، خلفه والآن بجانبه.

استدار زاكري ونظر إلى أعلى بينما المصباح يضيء في يده، عين واحدة كبيرة مظلمة محاطة بالفراء الفاتح، تنظر إليه بهدوء ثم ترمش.

مدّ زاكري يده فلمس أنعم فراء لمسّه مطلقاً، يمكنه أن يشعر بكل نفس تحت يده، ورعد دقات قلب هائلة، ثم رمش المخلوق مرة أخرى واستدار بعيداً، مما سمح لمصباح الشعلة بالتقاط أذنيه الطويلتين وغطاء ذيله قبل أن يختفي.

ثم حدّق إلى الظلام يحاول استيعاب رؤيته أرنباً أبيض عملاقاً للتو.

هل بدأ كل هذا بكتاب؟ أم أنه أقدم من ذلك؟ هل كل ما أتى به إلى هنا الآن أكبر بكثير؟

يحاول تحديد اللحظات بدقة، ويحاول فرز معانيها.

«لا توجد معانٍ، ليس بعد الآن». الصوت مثل الهمس المصنوع من الريح.

قال زاكري بصوت عالٍ:

- ماذا؟

وأجاب عليه صدى صوته مرارًا وتكرارًا:

- أنت متأخر جدًا، من الحماسة الاستمرار.

عاد زاكري إلى الوراء وسحب السيف من غمده، ممسكًا إياه بالظلام.

- أنت ميت بالفعل، كما تعلم.

توقف زاكري مؤقتًا واستمع بالرغم من عدم رغبته في ذلك.

- تمشيت في وقت مبكر جدًا من الصباح وانهرت من التعب

والإجهاد، ثم تبع ذلك انخفاض حرارة الجسم، ولكن جسدك دفن

في الثلج. لن يعثر عليك أحد حتى يذوب ثلج الربيع. هناك الكثير

من الثلج. يعتقد أصدقاؤك أنك في عداد المفقودين، بينما أنت

في الحقيقة تحت أقدامهم.

- هذا ليس صحيحًا.

ولم يبد واثقًا كما يرغب.

- أنت محق، ليس كذلك، ليس لديك أصدقاء، وكل هذا افتراء.

محاولة دماغك الضعيفة للحفاظ على نفسه تروي لنفسها

قصة بالحب والمغامرة والغموض. كل تلك الأشياء التي كنت

تريدها في حياتك تجعلك مشغولًا جدًا بلعب ألعابك وقراءة كتبك

بحيث لا يمكنك الخروج منها، والعثور عليها. حياتك الضائعة

تنتهي، ولهذا أنت هنا.

قال زاكري للظلام:

- اخرس!

أراد أن يصرخ لكن صوته لم يعد قويًا بما يكفي لينطق حتى.

- أنت تعلم أن هذا صحيح، أنت تصدقها لأنها أكثر تصديقًا من

هذا الكلام الفارغ، أنت تتظاهر، لقد تخيلت هؤلاء الناس وهذه

الأماكن، تخبر نفسك بقصة خرافية، لأنك خائف جدًا من الحقيقة.

خفت ضوء المصباح، وبرد مثل نسمات الثلج تسلل إلى جلده.

- اتركه، لن تجد طريقك إلى الخروج أبدًا، ليس هناك أي مخرج،

أنت في النهاية الآن، انتهت اللعبة.

أجبر زاكري نفسه على الاستمرار في المشي، لم يعد يستطيع أن يرى إلى أين يتجه به المسار، يركز على خطوة خطوة، ويرتجف.

- استسلم، الاستسلام أسهل، سيكون الاستسلام أكثر دفئًا.
انطفأت الشعلة.

- لا داعي للخوف من الموت لأنك ميت بالفعل.

حاول زاكري الماضي قدمًا لكنه لم يعد يستطيع الرؤية.

- أنت ميت، لقد هلكت، لا توجد حياة إضافية، لقد حظيت بفرصتك،
لقد لعبت لعبتك، لقد خسرت.

سقط زاكري على ركبتيه، ثم تذكر سيفه، لماذا لديه سيف؟ هذا غبي جدًا.

- إنه غبي، كلام فارغ، لقد حان الوقت لتتوقف عن تخيل السيوف
والسفر عبر الزمن والرجال الذين لا يكذبون عليك واليوم الملك
والبحر الخالي من النجوم، لا شيء من هذه الأشياء موجود، لقد
اختلقتها، كل هذا في رأسك، يمكنك التوقف عن المشي، لا يوجد
مكان للذهاب إليه، لقد سئمت المشي.

لقد سئم المشي حقًا، تعب من المحاولة، ولم يعد يعرف حتى ما يريد
أو ما يبحث عنه.

- أنت لا تعرف ماذا تريد، أنت لم تعرف ذلك قط ولن تفعل ذلك أبدًا،
انتهى كل شيء واختفى لقد وصلت إلى النهاية.

أحس بيد على ذراعه، ربما ليس خيالًا هذه المرة.

- لا تصخ!

قال صوت مختلف بالقرب من أذنه، ولم يتعرف على الصوت أو على
لهجته، ربما بريطاني أو أيرلندي أو أسكتلندي أو شيء من هذا القبيل. إنه
سيئ في تحديد اللهجة كما كان سيئًا في كل شيء آخر.

قال الصوت مرة أخرى:

- إنه يكذب، لا تستمع.

لا يعرف زاكري الصوت الذي يجب تصديقه على الرغم من أن اللهجات
البريطانية - الأيرلندية - الإسكتلندية تميل إلى أن تبدو رسمية ومهمة

والصوت الآخر بلا لهجة محددة، ولكن ربما لا توجد أي أصوات على الإطلاق، ربما عليه أن يستريح لبعض الوقت، حاول الاستلقاء لكن أحدهم شد ذراعه.

وصرّ عليه أحد الأصوات، البريطاني منها:

- لا يمكننا البقاء هنا.

- لقد تخيلت مساعدة لنفسك، فأنت يائس جدًا لتؤمن، هذا مثير للشفقة.

أرخت اليد ذراعه، لم تكن هناك يد، لم يكن هناك شيء.

ضوء، سطوع مفاجئ يكتسح الفضاء، للحظة ظهر نفق ومسار وأبواب خشبية ضخمة على بعد ثم عتمة مرة أخرى.

- أنت رجل صغير وحزين وغير مهم، لا شيء من هذا يهم، لا شيء يمكن أن تفعله سيكون ذا تأثير على أي شيء، لقد تمّ نسيانك بالفعل، ابق هنا، لترتاح.

قال الصوت الآخر:

- انهض.

وشعر باليد هناك مرة أخرى، وجرت زكري إلى الأمام، سحب زكري نفسه بشكل محرج على قدميه والسيف في يده يضرب ساقه.

- لديه سيف.

- لا.

يتغير الصوت في الظلام، قبل أن يعمّ الهدوء، والآن هو غاضب.

- لا.

كرر الظلام بينما حاول زكري التحرك، وشخص ما أو شيء ما، أمسك كاحليه والتف حول ساقيه وحاول سحبه إلى أسفل مرة أخرى.

- بهذه الطريقة.

قال الصوت الآخر، بشكل أكثر إلحاحًا الآن، وقاده إلى الأمام فتبعه زكري، كل خطوة تلتقي بمقاومة متزايدة من الأرض، وحاول الجري لكنه بالكاد يستطيع المشي.

شد قبضته على مقبض السيف، إنه يركز على يده وعلى ذراعه، وليس الأشياء الأخرى التي تنزلق على رجليه وحول رقبته رغم أنها تشعره بأنها حقيقية.

إنه ليس وحيداً، هذا يحدث بالفعل.

لديه سيف وهو في كهف أسفل مدينة مفقودة في مكان ما بالقرب من «بحر بلا نجوم»، وقد فقد مسار القدر ولا يمكنه الرؤية لكنه ما زال يؤمن، اللعنة.

تتحرك قدماه الآن بشكل أسرع، خطوة ثم أخرى وأخرى، على الرغم من أن الشيء في الظلام يتبعه، يتماشى معه في مسار ينتهي بشيء بدا كجدار. - انتظر.

قال الصوت الذي لم يكن إلا ظلاماً، وتركت اليد ذراع زاكري، وحل محلها شيء آخر، ثقيل وبارد وملتف حول كتفه، وأمامه شظية من الضوء من باب مفتوح.

أصدر الظلام صوتاً رهيباً، ليس صراخاً، لكن هذا هو أقرب وصف في رأسه للرعب الصارخ في رأسه وحوله.

كان الصوت مرتفعاً لدرجة أن زاكري تعثر وخطفه الظلام، مزق حذاءه، والتف حول ساقيه، ساحباً إياه إلى الخلف، ففقد توازنه وسقط منزلقاً إلى الورا، محاولاً التمسك بالسيف. شخص ما مد ذراعه حول صدره وسحبه نحو الباب الكاشف بعض الضوء، لم يستطع زاكري أن يعرف ما إذا كان الشخص أقوى أم الظلام، ولكن بذراع واحدة أتاه الجواب، أمسكه منقذه بذراعه وبالأذراع الأخرى طعن الظلام بالسيف، فأصدر الظلام صوتاً هامساً:

- أنت لا تعرف حتى سبب وجودك هنا.

كان الظلام يدعو زاكري إليه، بينما يتم سحبه في الوقت عينه إلى الضوء، والأصوات تتعالى في أذنيه ورأسه:

- إنهم يستغلونك.

تغلق الأبواب، وتكتم الأصوات، لكنها تستمر في الارتجاج والاهتزاز، ويبدو أن شيئاً ما على الجانب الآخر يحاول الدخول.

- ساعدني في هذا.

هذا ما قاله الرجل وهو يدفع الأبواب محاولاً إبقائها مغلقة، رمش زاكري، وعيناه تتكيفان مع الضوء، لكنه يستطيع رؤية القضيب الخشبي الكبير الذي يحاول به الرجل إغلاق الباب ويقف على قدميه، أخذاً الطرف الآخر من القضيب الثقيل واضعاً إياه في الأقواس المعدنية الموضوعة على طول الأبواب فينزلق القضيب في مكانه ويؤمن إغلاق الأبواب.

وضع زاكري جبهته على الباب وحاول أن يثبت أنفاسه، الأبواب ضخمة ومحفورة وتعطي شعوراً بمزيد من الواقعية والصلابة تحت جلده مع مرور كل ثانية، هو على قيد الحياة، هو هنا، هذا حقيقي.

تنهد وتفحص المكان الذي دخل إليه، ثم إلى الرجل الذي يقف بجانبه.

كان معبداً، الأبواب عبارة عن مجموعة من أربعة أبواب تؤدي إلى ردهة مفتوحة وتستمر صعوداً في طبقات تحيط بها سلاسل خشبية وشرفات. تشتعل النيران في أوعية معلقة، ويبرز ضوءها المتحرك عبر الشموع الموضوعة على كل سطح بدلاً من القرابين، والشمع يقطر على مذابح منحوتة وعلى أكتاف وأكف التماثيل المفتوحة. لافتات طويلة لصفحات الكتاب معلقة من الخيوط ملفوفة فوق الشرفات مثل الأعلام، ترفرف وتتحرر من روابطها.

داخل ملاذ النور هذا، حدق زاكري إزرا رولينز وسايمون جوناثان كيتنغ في صمت مذهول.

كان الأمر أسهل أكثر مما توقعه، التعرف عليها من بين الضيوف الملتئمين في الحفلة، البدء بمحادثة وتصعيدها إلى حد دعوتها إلى غرفته في الفندق المحجوزة باسم غير حقيقي.

كان يتوقع منها أن تكون أكثر حذراً، لقد توقع الكثير من الأشياء التي لم تحدث هذا المساء.

كان الوصول إلى هذه النقطة سهلاً للغاية لدرجة أنه كان يزعجه، بصوت أعلى الآن بعد أن أصبح بعيداً عن أحاديث الحفلة والموسيقى، كان هذا سهلاً للغاية، من السهل جداً التعرف عليها بالنحلة والمفتاح والسيف، ملفوفون بشكل واضح ومبهرج حول رقبتها، من السهل جداً جعلها تتحدث، من السهل جداً إحضارها إلى الطابق العلوي، إلى مكان لا يوجد فيه شهود، باستثناء المدينة الموجودة خارج النافذة والملائنة بمخاوفها الخاصة بحيث لا يمكن

ملاحظتها أو الاهتمام بها. كان الأمر سهلاً للغاية، وتضايقه سهولة ذلك، ولكن الوقت قد فات الآن.

الآن تقف بجانب النافذة بالرغم من عدم وجود الكثير من المناظر للتمتع بها، جزء من الفندق على الجانب الآخر من الشارع، وركن من أركان سماء الليل بلا نجوم مرئية.

تسأل وهي تضع إصبعًا على الزجاج: «هل فكرت يومًا في عدد القصص الموجودة هناك؟ كم عدد الأعمال الدرامية التي تدور حولنا في هذه اللحظة تحديدًا؟ أسئلكم من الوقت وكم كتابًا ستحتاج إلى تسجيله، ربما تحتاج إلى مكتبة كاملة لإقامة أمسية واحدة في مانهاتن، ساعة، دقيقة!»

اعتقد بعد ذلك أنها تعرف سبب وجوده هنا، ولهذا السبب كان الأمر سهلاً للغاية، لم يعد يمكنه تحمل التردد بعد الآن، هناك جزء منه يريد البقاء في التمثيلية والاستمرار في لعب هذا الدور وارتداء هذا القناع.

اكتشف أنه يريد مواصلة الحديث معها، إنه منشغل بسؤالها، يفكر في كل الأشخاص الآخرين في هذه المدينة، كل القصص التي تدور في هذا الشارع، هذا المبنى، هذا الفندق. هذه الغرفة ولكن لديه عمل يقوم به، فأخذ سلاحه من جيبه بينما يقترب منها.

استدارت ونظرت إليه، بينما يعتلي وجهها تعبير لم يستطع قراءته، رفعت يدها واضحة راحتها على جانب وجهه.

يمكنه معرفة مكان قلبها قبل أن يصوب، ليس عليه حتى أن ينظر بعيدًا عن عينيها، فالحركة تمارس جيدًا لدرجة أنها تكاد تكون تلقائية، وهي مهارة متقنة لدرجة أنه غير مضطر للتفكير فيها على الرغم من أن عدم التفكير هنا الآن يضايقه.

ثم انتهى كل شيء، ضغطت إحدى يديه على الجزء العلوي من ثوبها والأخرى على ظهرها لمنعها من السقوط أو الانجراف بعيدًا، من مسافة ما مرئية من النافذة، يبدو الأمر رومانسيًا، لكن الإبرة الرفيعة الطويلة التي تخترق قلبها، تفصيل مفقود في العناق.

ينتظر أن تلتقط أنفاسها، حتى يتوقف قلبها، ولكن لم يحدث ذلك، استمر قلبها في الخفقان، يمكنه أن يشعر به تحت أصابعه، قويًا ومنظمًا.

تستمر في النظر إليه، على الرغم من أن التعبير في عينيها قد تغير وهو الآن يفهم. قبل أن تميل عليه، لقد تركته راغبًا بشيء ما، وخيبة أملها واضحة وجلية مثل الدم الذي يسيل على ظهرها عبر أصابعه والقلب الذي لا يزال ينبض تحت يده.

تنهدت، ومالت إلى الأمام، مالت إليه، تضغط على قلبها بمواجهة أصابعه وأنفاسها، وجلدها، كله على قيد الحياة بطريقة مستحيلة للغاية بين ذراعيه لدرجة جعلته يرتعد من الخوف.

مدت يدها، عابرة وهادئة، وأزالت قناعه، تركته يسقط على الأرض وهي تحديق إلى عينيه.

- لقد سئمت جدًا من رومانسية الفتاة الميتة، وأنت؟

استيقظ دوريان مع بداية جديدة.

على كرسي بذراعين في مسكن القبطان في سفينة قرصنة على بحر من العسل، يحاول إقناع عقله بأن غرفة فندق مانهاتن كانت الحلم.

سألته إيلانور وهي في الغرفة تعدّل الخرائط:

- هل رأيت كابوسًا؟ كنت أعاني من الكوابيس وكنت أكتبها وأطويها في شكل نجوم وألقي بها بعيدًا للتخلص منها، في بعض الأحيان كان ذلك ذا جدوى.

قال دوريان:

- لن أتخلص من هذا أبدًا.

- يبقون في بعض الأحيان.

وأجرت تغييرًا على الحرير الذهبي، فانهارت الخرائط مرة أخرى.

- لقد اقتربنا من ذلك.

وخرجت إلى سطح السفينة، فأطلق دوريان نفسًا آخر في غرفة الفندق المستذكرة قبل أن يتبعها، أخذ حقيبة أعطتها له تحتوي على عدد قليل من البنود، يمكن أن تكون مفيدة، بما في ذلك قربة من الماء، رغم أنها أخبرته أن قضاءه وقتًا كافيًا في العسل سيحمله من الجوع والعطش لفترة. إضافة للقربة كانت هناك مطواة وحبل وعلبة أعواد ثقاب.

لقد عثرت بطريقة ما على زوج من الأحذية، طويل العنق مع الأصفاد وبنمط أحذية القراصنة إلى تحدًا ما، أحذية مريحة نوعًا ما، إلى جانب معطفه المزين بنجمة الذي بدا أنه خرج من إحدى القصص الخيالية، ربما كان كذلك بالفعل.

خرج إلى سطح السفينة وتجمد في حذائه بسبب المشهد الذي رآه، غابة كثيفة من أشجار الكرز تتفتح بالكامل على الكهف، على طول الطريق حتى حافة النهر وتختفي جذور الأشجار الملتوية تحت سطح العسل، بينما تتساقط الأزهار الشاردة طافيةً على السطح.

- إنها جميلة، أليس كذلك؟

- بلى، إنها جميلة.

ووافق دوريان على ذلك، على الرغم من أن كلمة واحدة لا يمكن أن تعبر عن الطريقة التي يمزق بها قلبه مشهد هذا المكان الساحر.

- لن أكون قادرةً على التوقف لفترة طويلة مع هذا التيار، هل أنت مستعد للذهاب؟

- أعتقد ذلك.

- عندما تعثر على النزل أبلغ صاحب المكان تحياتي من فضلك.

- سأفعل ذلك.

ولأنه يعلم أنه قد لا تكون لديه فرصة أخرى، أضاف:

- أنا أعرف ابنتك!

- هل تعرف ميرابيل؟

- نعم.

- إنها ليست ابنتي.

- هي ليست ابنتك؟!

- فقط لأنها ليست شخصًا، إنها شيء آخر على هيئة شخص، كما الطريقة

التي يتجسد بها الحارس، أنت تعرف ذلك، ألا تعرف؟

- أعرف.

قال دوريان، على الرغم من أنه لم يكن قادرًا على شرح ذلك بهذه البساطة، أعاد الحلم الذي رآه كل ذكرياته إلى ذهنه مرة أخرى، بعد بقية تلك الليلة التي

أمضيها معًا في حانة فندق؛ حيث تحطم عالمه وانهار، وحين قطعت ميرايليل القطع في قاع كأس المارتيني، ما جعله يتساءل عما كان يمكن أن يحدث، وما كان يمكن أن يفعله، لو لم تبق معه.

- أعتقد أنه من الصعب على الأرجح ألا تكون شخصًا عندما تكون عاليًا داخل شخص، كانت دائمًا تبدو غاضبة جدًا من كل شيء، ما حالتها الآن؟

لا يعرف دوريان كيف يجيب عن السؤال، إنه يشعر بضربات قلبه في أصابعه، للحظة، تذكر، وافق على فكرة الشخص الذي ليس شخصًا، استعداد مجددًا شعوره بها في تلك الليلة، وبين كل الرعب والارتباك والتساؤل، خيم هدوء تام.

- لا أعتقد أنها غاضبة بعد الآن.

على الرغم من اعتقاده أن الهدوء أقرب إلى هدوء ما قبل العاصفة.

أملت إيلانور رأسها، وفكرت في ذلك، ثم أومأت برأسها، سعيدة على ما يبدو، وتمنى دوريان أن يتمكن من إعطائها شيئًا مقابل لطفها وثمان التنقل ولإنقاذها حياتها، وهو شيء يبدو أنه يسري في دم العائلة.

ليس لديه سوى شيء واحد ليعطيها إياه، وأدرك الآن حقيقة أن عدم قراءة الكتاب هو ما أزعجه أكثر من حقيقة أنه لم يكن في حوزته. إلى جانب ذلك فهو يحمله معه دائمًا، بالحبر على ظهره وتجليه باستمرار في رأسه، وأخرج دوريان كتاب الحظوظ والخرافات من معطفه.

- أودّ أن أعطيك هذا!

قالت معلقة:

- إنه مهم بالنسبة إليك.

- نعم.

قلبت إيلانور الكتاب في يديها وقطبت حاجبيها:

- أعطيت كتابًا مهمًا جدًا بالنسبة إلى شخص ما فيما مضى، لم أستعده قط، سأعيد هذا الكتاب لك يومًا ما، اتفقنا؟

- ما دمّت ستقرئينه أولًا.

- سأفعل ذلك، أعدك، أتمنى أن تجد الشخص الذي تحبه.

- شكرًا لك أيها القبطان، أتمنى لك الكثير من المغامرات المستقبلية.

انحنى لها وأخذت تضحك وهنا والآن افترقا لتعزيز قصص كل منهما.

نزول دوريان هو عمل معقد من الحبال وقفزة محكمة بعناية، ثم بعدها وقف على الشاطئ وشاهد السفينة، بينما تصبح أصغر وأصغر مع استمرارها بالإبحار على طول الساحل.

من هنا يمكنه قراءة النص المنقوش على جانب السفينة: **من أجل السعي، من أجل العثور.**

أصبحت السفينة ضوءًا متوهجًا من بعيد اختفى لاحقًا، وأصبح دوريان وحيدًا فاستدار لمواجهة الغابة.

إنها أشجار كرز أكبر مما رآه في أي وقت مضى، وهي تلوح في الأفق وتتشابك، وتلتف الأغصان في جميع الاتجاهات، بعضها مرتفع بما يكفي لتسلق الجدران الصخرية للكهف في الأعلى والأخرى منخفضة بما يكفي للمس، وكلها مثقلة بألاف الأزهار الوردية. تنمو الجذور والجدوع من خلال أرض حجرية صلبة تنفتح حولها.

الفوانيس الورقية معلقة من الفروع، بعضها من ارتفاعات مستحيلة، ومظلة منقطة بما يشبه النجوم، تتمايل على الرغم من عدم وجود نسيم.

مشى دوريان في الغابة، وهناك من حين إلى آخر جذوع بين الأشجار، بعضها مغطى بشموع مشتعلة تتساقط على الجانبين وعلى الأرض والبعض الآخر مكسّس بالكتب، ولمس دوريان واحدًا فقط ليكتشف أن الكتب نفسها من الخشب الصلب وهي جزء من شجرة سابقة منحوتة ومطلية.

تنجرف الأزهار من حوله، مسار مميز أمامه ومعلم بواسطة علامات على الأشجار، أحجار مسطحة موجودة على الجذور مع شمعة واحدة تحترق فوقهم. فتبع هذا المسار، وسرعان ما فقد مشهد البحر الخالي من النجوم، ولم يعد قادرًا على سماع صوت الأمواج على الشاطئ.

بتلة واحدة تهوي مرفرفة وتسقط على يده وتذوب مثل الثلج على جلده، وبينما يمشي تستمر الأزهار في التساقط، إذا ببضع بتلات في كل مرة، ولكن بعد ذلك تبدأ في التراكم، والانجراف على الممر، ولم يستطع تحديد اللحظة التي يتحولون فيها من أزهار الكرز إلى ثلج.

ترك حذاؤه آثارًا وهو يمشي لمسافة أبعد، هناك عدد أقل من الأضواء التي تحدد الطريق وبدأت الزهرات الثلجية تتساقط بشكل أكثر كثافة، أخذت معها لهيب الشمعة، وأصبح الجو أكثر برودة الآن، وكل زهرة تضرب جلده المكشوف تبدو وكأنها جليد.

حلّ الظلام سريعًا وثقيلًا، ولم يعد دوريان يستطيع الرؤية، خطا خطوة إلى الأمام ثم أخرى، وأخذ حذاؤه يغرق في عمق الثلج.

سمع صوتًا، في البداية كان يعتقد أنها ريح، لكنه صوت أكثر ثباتًا، مثل التنفس، هناك شيء يتحرك بجانبه ثم أمامه، لا يستطيع أن يرى أي شيء مع الظلمة المطلقة.

توقف، وتحسس بحذر طريقه إلى حقيبته، ويدها تضمان علبة أعواد الثقاب، بشكل أعمى حاول دوريان إشعال عود ثقاب، وسقط العود الأول بسبب ارتعاش أصابعه فأخذ نفسًا وكنمه محاولاً مع عود ثقاب آخر، اشتعل العود، مسلطاً ضوءًا خفيفًا ولهبًا ضئيلًا.

شاهد رجلًا يقف على الثلج أمامه، أطول منه، وأرفع، لكن أكتافه أعرض. فوق الكتفين العريضتين، يوجد رأس بوم يحدق إليه بعينين كبيرتين مستديرتين.

أخذ رأس البوم يميل وينظر إليه، وأخذت العينان المستديرتان الكبيرتان ترمشان ناحيته، ووصل لهب النار إلى نهاية عود الثقاب، فاختفى الوهج وتلاشى ولفّ الظلام دوريان مرةً أخرى.

لقد تخيلَ زاكري إزرا رولينز العديد من الشخصيات من كتاب لا يحلم أبدًا أن ينتهي به الأمر وجهًا إلى وجه مع أحد شخصياته، وعلى الرغم من علمه أن (سايمون كيتنغ) كان شخصًا حقيقيًا وليس شخصية كتابية، فقد كانت لديه شخصية تم تصويرها في رأسه على أي حال، ولم يكن على الإطلاق الشخص الذي ينظر إليه حاليًا.

هذا الرجل أكبر من الثامنة عشرة التي تخيلها زاكري طوال حياته، وفكر إذن: ما عمر الشخص الضائع في الوقت؟ يبدو في الثلاثين من عمره، بعينين داكنتين وشعر أشقر طويل متسخ ينسحب إلى الخلف إلى شكل ذيل حصان، مع ريش مربوط بداخله. أصبح القميص المزركش الذي ربما كان أبيض في

يوم من الأيام رمادياً الآن، لكن صدريته كانت أفضل حالاً؛ حيث فقد العديد من الأزرار إلا أن خيوطاً معقودة بدلاً منها. يرتدي شريطاً من الجلد يلتف حول خصره مرتين مثل حزام مزدوج، يتدلى منه عدة أشياء بما في ذلك سكين ولفائف من الحبل، وتم لف المزيد من شرائط الجلد والقماش حول ركبتيه ومرفقيه ويده اليمنى.

يده اليسرى مفقودة، مقطوعة فوق الرسغ، كما أن نهاية هذه الذراع ملفوفة ومحمية، ومن الواضح أن الجلد الظاهر فوقه وجزء من رقبته، قد تعرضا إلى حروق شديدة في وقت ما في الماضي.

سايمون:

- هل ما زلت تسمعهم؟

هز زاكري رأسه ليخرج ذاكرة الأصوات بقدر ما يجيب عن السؤال. لقد ألقى شعلته في مرحلة ما على الرغم من أنه الآن لا يتذكر ما إذا كان لديه بالفعل شعلة في أي وقت مضى. وحاول أن يتذكر ويتخيل التماثيل والظلام والأرنب العملاق.

إنه ينظر إلى التماثيل التي كانت تحقن لقرون إلى المهرجانات والمتعبدين، ثم إلى الفراغ وبعد الفراغ وجهوا نظرهم إلى البحر المعسول، وحين انحسر المد والجزر وعاد الضوء، حدقوا إلى رجل واحد والآن يحدقون إلى اثنين معاً.

قال سايمون لزاكري مؤكداً:

- قالوا لك أكاذيب، من حسن الحظ أنني سمعتك.

- شكراً لك.

- تحرك من خلال هذا، دعها تتحرك من خلالك ثم اتركها.

استدار سايمون تاركاً زاكري ليجمع نفسه، وهو يرتجف لكنه بدأ يهدأ وحاول أن يستوعب كل شيء أمامه ومن حوله وفوقه.

هناك العشرات من التماثيل العملاقة، بعض الكائنات لديها رؤوس حيوانات والبعض الآخر فقدت رؤوسها تماماً. وضعوا في جميع أنحاء المكان بطريقة تبدو حقيقية، لدرجة أن زاكري لن يتفاجأ إذا تحركوا، أو ربما كانوا يتحركون ببطء شديد.

تتدلى بين الأطراف الممدودة والتيجان والقرون حبال وشرائط وخيوط تربط التماثيل بالشرفات والأبواب ومربوطة بصفحات كتب ومفاتيح وريش وعظام، وتتدلى سلسلة طويلة من الأقمار النحاسية أسفل المركز وبعض الحبال معلقة على التروس والبكرات.

اثنان من التماثيل كبيران جدًا لدرجة أن الشرفات مبنية حولهما، واحدة على كلا الجانبين. يواجه كل منهما الآخر، فوق كل القصص الأخرى التي تتكشف في الحجر والورق وفي شخص ما.

كان التمثال الذي يجسد زاكري يشبهه لدرجة أنه تعرف على الحارس على الرغم من حجب جزء من وجهه بالورق ومنحنى الهلال. يده مرفوعتان في إيماءة تبدو مألوفة، مرفوعتان كما لو أنه يتوقع وضع كتاب كبير جدًا في راحتي يديه المفتوحتين، ولكن بدلاً من ذلك توجد شرائط حمراء، شرائط طويلة من الحرير الملون بالدم، ملفوفة على أعضائه وحول معصميه ثم تمتد إلى الخارج، وتربطه بالشرفات والأبواب وبالتمثال الآخر الذي يواجهه.

لا يبدو التمثال الذي يواجهه مثل ميرابيل ولكن من الواضح أنه من المفترض أن تكون هي أو شخصًا كانت عليه من قبل، الشرائط الحمراء حول معصمها وحول رقبتها، متدلّية على الأرض وتتجمع حول قدميها مثل الدم. فكر زاكري أن يقول: مرحبًا ماكس! وأدار التمثال رأسه بشكل طفيف جدًا ليحدق إليه بعينين حجريتين فارغتين.

- هل أنت مصاب؟

سأل سايمون بينما زاكري يتعثّر إلى الوراء ويستجمع توازنه على مذبح خلفه. سطحه ناعم تحت يده، الحجر مغطى بطبقات فوق طبقات من الشمع المقطر. هز زاكري رأسه ردًا على السؤال، رغم أنه غير متأكد، ولا يزال يشعر بثقل الظلام في رثتيه وفي حذائه. ربما يجب أن يجلس وحاول أن يتذكر كيف.

تحتوي الأشرطة التي ترفرف حوله في مكان قريب على كلمات مكتوبة عليها لا يستطيع زاكري قراءتها، أو صلوات أو توسلات أو أساطير، رغبات أو تحذيرات.

- أنا...

بدأ زاكري لكنه لا يعرف كيف يكمل الجملة، إنه لا يعرف ما هو، ليس الآن.

- أيهما أنت؟ القلب أم الريشة؟ أنت تحمل السيف لكنك لا تلبس النجوم، هذا مربك، لا يجب أن تكون هنا كان من المفترض أن تكون في مكان آخر.

فتح زاكري فمه ليسأل عما يقصده سايمون بالضبط، لكنه بدلاً من ذلك قال الشيء الوحيد الذي تستمر أفكاره في العودة إليه:

- رأيت أرنبًا.

- رأيت ماذا؟

نظر إليه سايمون مستغربًا وزاكري غير متأكد من أنه تحدث بشكل صحيح، ف شعر أن أفكاره منفصلة عن جسده.

كرر ببطء:

- أرنب، كبير، مثل الفيل... أرنب.

قال سايمون:

- الأرنب السماوي ليس أرنبًا.

صحح له سايمون قبل أن يتحول اهتمامه إلى الحبال والتروس فوق رأسيهما:

- إذا رأيت الأرنب، فهذا يعني أن القمر هنا، إنه متأخر عما كنت أتصور، وملك اليوم قادم.

- انتظر، قل لي من هو ملك اليوم؟

- التاج يمر من واحد إلى آخر، التاج يمر من قصة إلى أخرى. كان هناك العديد من ملوك اليوم بتيجانهم ومخالبهم.

- من ملك اليوم الآن؟

- ملك اليوم ليس شخصًا، ليس دائمًا، ليس في هذه القصة، أنت تخطئ بين ما كان وما هو موجود.

تنهد سايمون، وتوقف عن العبث بالحبال وأعاد انتباهه إلى زاكري وشرح مترددًا بينما يبحث عن الكلمات المناسبة.

ملك اليوم هو ظاهرة. المستقبل يصطدم بالحاضر مثل الموجة. تتفوق أجنحتها في الفراغات بين الخيارات وقبل القرارات، وتبشر بالتغيير، تغيير

من النوع الذي طال انتظاره، التغيير الذي تنبأت به النبوءات والتحذيرات من البشائر المكتوبة في النجوم.

- من النجوم؟

إنه سؤال فكر فيه زاكري من قبل، ولكنه لم يطرح بصوت عال بعد، رغم أنه لا يزال محتارًا فيما إذا كان ملك اليوم شخصًا أم طائرًا أم نوعًا من الطقس، وحدق إليه سايمون ورمش بعينه.

أجاب سايمون كما لو أن كلامه أوضح الحقائق في بحر من الكنايات والتوجيهات الخاطئة:

- نحن النجوم، كلنا غبار النجوم والقصص.

استدار سايمون بعيدًا ووضع حبلًا من أحد الخطافات بالقرب من الحائط وسحب فتأرجح فوق التروس والبكرات وانقلب شكل الهلال على نفسه واختفى. **هذا ليس صحيحًا.** قال وهو يسحب حبلًا مختلفًا يغير الصفحات المفتوحة.

سايمون:

- الأبواب تغلق، وتأخذ الاحتمالات معها، يتم تسجيل القصة حتى عندما تكون غير متأكدة من سيرها ويتبعها الآن شخص آخر يقرؤها ويبحث عن النهاية.

- ماذا؟

سأل زاكري على الرغم من أنه ربما يعني من ولا يستطيع تذكر الاختلاف.

كرر سايمون:

- القصة.

قال كما لو أنه يجيب عن السؤال بدلًا من خلق قصص جديدة.

وتابع سايمون:

- كنت في القصة ثم تجولت خارجها، ووجدت هذا المكان؛ حيث يمكنني الاستماع بدلًا من القراءة. كل شيء يهمس بالقصة هنا، البحر والنحل يهمسان، وأنا أستمع وأحاول أن أجد شكل كل شيء. أين كانت وإلى أين تتجه. القصص الجديدة تلتف حول القصص القديمة والقصص القديمة تهمس للعث.

يرتدي هذا الشخص رقيقاً في الأماكن التي ذكرت، وأعيد سردها وهناك ثقب لثقة فيها، لقد حاولت تسجيلها وفشلت.

وأشار سايمون إلى التماثيل والأشرطة والحبال والأوراق والمفاتيح.

قال زاكري:

- هذا...

- هذه هي القصة، إذا بقيت هنا لفترة كافية فسوف تسمع أزيزاً. أنا أتخيل الصور بقدر ما أستطيع فهي تخفيف حدة الصوت.

نظر زاكري عن قرب، يوجد المزيد داخل الأشرطة والحبال والتروس والمفاتيح، تتحول وتلمع وتتغير في الضوء:

سيف وتاج محاطان بسرب من النحل الورقي.

سفينة بلا بحر، مكتبة، مدينة، نار، فجوة ملائكة بالعظام والأحلام، معطف من الفرو على الشاطئ، شكل مثل سحابة أو سيارة زرقاء صغيرة. شجرة الكرز مع صفحات كتاب مزهرة.

تتقلب المفاتيح والأشرطة وتتضح الصور الموجودة بداخلها أكثر، أكثر وضوحاً من أن يتم نسجها من الورق والخيط.

تتسلق الجذوع عبر النوافذ لتلتف حول قط نائم على مكتب الحارس. امرأتان تجلسان على طاولة نزهة تحت النجوم تشربان وتتحدثان ومن خلفهما، يقف صبي أمام باب مصبوغ لن يفتح أبداً.

نظر زاكري من زاوية أخرى، ويبدو للحظة أن الشكل المؤقت بأكمله سريع الزوال يبدو وكأن بومة هائلة تحيط بالغرفة، ومن ثم تتفتت الصفحات التي ترفرف إلى أجزاء من القصة مرة أخرى. وجهة النظر المتغيرة تجلب المزيد والمزيد، الأرقام التي كانت متشابكة منفصلة الآن وفي مكان ما يتساقط الثلج ويوجد نزل على مفترق طرق، وشخص ما يسير نحوه.

T هناك باب في القمر: **telegram @tea_sugar**

- القصة تتغير، إنها تتحرك بسرعة كبيرة والأحداث متداخلة.

جاء صوت سايمون كمفاجأة بجانبه، وزاكري مستغرقاً بكل كيانه في الصور المتغيرة، على الرغم من أنه عندما ينظر مرة أخرى، لا يرى سوى قطعة متشابكة من الورق والمعدن والقماش.

- اعتقدت أن الوقت لم يكن...

بدأ زاكري لكنه توقف مرة أخرى، غير متأكد من الوقت الذي لم يكن أو ما سيكون أو ما هو الآن. وأكمل:

- اعتقدت أن الوقت هنا مختلف.

- إننا نتقدم بمعدلات مختلفة ولكننا نتحرك جميعًا نحو المستقبل، كانت تحبسه كالنفس وقد ذهبت الآن، لم أكن أعتقد أن ذلك سيحدث.

- من؟

سأل زاكري ولكن سايمون لم يجب وبدل بعض الحبال بيد واحدة.

- البيضة تنكسر، لقد تصدعت، وسوف تنكسر.

وفوقهما، تسقط سلسلة من المفاتيح، تتناثر بين بعضها مثل الأجراس.

وأكمل سايمون:

- قريبًا سوف يأتي التنين ليأكل العالم، لا يجب أن تكون هنا، القصة تبعتك إلى هنا، هذا هو المكان الذي يريدونك أن تكون فيه.

- من؟

سأل زاكري مرة أخرى وهذه المرة يبدو أن سايمون سمع السؤال واتكأ وهمس وكأنه يخشى أن يسمع أحد آخر الحديث.

- إنهم آلهة بأساطير مفقودة، يكتبون لأنفسهم أساطير جديدة، هل يمكنك سماع الطنين؟

نطق سايمون كلماته وتغيّر الهواء من حولهما، نسيم لولبيّ الحركة تحرك في الغرفة، جاعلاً صفحات الكتاب والشرائط ترتجف وتطفئ معها عددًا من الشموع، تحرك سايمون سريعًا لإعادة إشعالها مع غرق المكان في الظل.

أخذ زاكري بضع خطوات للبقاء بعيدًا عن طريق سايمون، وتراجع إلى تمثال محارب ذي خوذة موضوعة على مخلوق أسطوري، نصفه متجمد باتجاه عدو غير مرئي مع سيف وأجنحة منفصلة.

تجثو على سيف التمثال بومة صغيرة تحديق إليه، قفز زاكري مرة أخرى في مفاجأة ومد يده لسحب سيفه، لكنه كان قد تركه على الأرض على مسافة بعيدة منه، استمر اليوم في التحديق، كان صغيرًا جدًا، كومة من الريش وعيون وهناك شيء ما مطبق عليه بين مخالبه.

- لماذا تخاف مما سيرشذك؟ البوم فقط دفعت القصة إلى الأمام، هذا هو هدفهم، هذا البوم كان ينتظر وصول شخص ما، كان يجب أن أعرف. سأل سايمون بهدوء دون أن يلتفت لينظر إليه، منشغلاً بإضاءة الشمعة لتصبح الغرفة أكثر إشراقاً.

أسقطت البومة الصغيرة ما كانت تحمله بين مخالبها عند قدمي زاكري، نظر زاكري إلى الأسفل، ليجد على الحجر بجوار حذائه نجمة مطوية من الورق.

طارت البومة ووقفت على حاجز شرفة، وواصلت التحديق في زاكري الذي لم يقم بأي حركة بعد، وعندما نفذ صبر البومة أعطته صيحة تشجيع وهي تنتظر بفارغ الصبر.

التقط زاكري النجمة الورقية فوجد نصاً مطبوعاً عليها، يبدو مألوفاً، فتساءل إلى أي مدى ضربتها القلط عبر الممرات قبل أن تسقط على طول الطريق هنا، من أي مكان جلبته البومة منه قبل أن تجد طريقها إلى هنا والآن.

فكّ زاكري النجمة المطوية وبدأ بالقراءة: **الباب في القمر.. يقف ابن العراف أمام ستة أبواب.**

نظر زاكري إزرا رولينز إلى الكلمات التي أمضى وقتاً طويلاً في قراءتها، يقترب من الهذيان، قبل أن يجد أخيراً جملة أخرى تبدأ مع ابن العراف في محرف مألوف على قطعة من الورق أزيلت من كتاب قبل أن تتحول إلى نجمة يهديها إليه بوم صغير، ثم توقف.

صاحت البومة في وجهه من الشرفة، إنه غير جاهز، لا يريد أن يعرف، ليس بعد. طوى الصفحة مرة أخرى على شكل نجمة ووضعها في جيبه دون أن يقرأ أكثر من الكلمات القليلة الأولى.

ثلاثة أشياء تائهة في الزمن، حسناً يوجد هنا الأحزان العذبة في حقيبتة، السيف عند قدميه، وسايمون في الغرفة.

شعر زاكري أن شيئاً ما يجب أن يحدث الآن بعد أن أصبحوا جميعاً معاً، ولكن لم يحدث شيء، ليس هنا على الأقل، ربما لا يزالون جميعاً ضائعين وهو الآن ضائع معهم.

- ابحث عن الرجل.

- وجدته. ماذا الآن؟

أعاد زاكري انتباهه إلى سايمون الذي ما زال يضيء الشموع على المذابح والصلال والأرض مغطاة بشمع العسل، تمتد وتبدو وكأنها قرص عسل على الرغم من أن أي أشكال سداسية مثالية قد تلاشت بالخطى والوقت.

مع زيادة وهج الضوء، استطاع زاكري رؤية الطبقات الأخرى التي تم بناؤها فوق هذا المعبد، تحتوي الكوة المخصصة للقرايين الآن على كومة من البطانيات، وأكوام من الجرار موضوعة على الأرض، أزيلت من مكان أقل اكتنازًا بالشمع وإحضارها لهذا، هذا هو المكان الذي يوجد فيه الرجل التائه في الزمن، مختبئًا بعيدًا لأسابيع أو شهور أو قرون.

مشى زاكري باتجاه سايمون، وتبعه في خطواته بينما يضيء شموعه.
- أنتم كلمات على الورق، كن حذرًا من القصص التي ترويها لنفسك.
همس سايمون، لنفسه أو ربما لزاكري، أو للكلمات التي تعلوهما عالقة بأوراقهما الخاصة.

- ماذا تقصد؟

سأل زاكري، متذكرًا الأصوات في الظلام متسائلًا عما إذا كانت تلك الأصوات قصة رواها لنفسه.

غيرت نبرة سايمون، واستدار نحو زاكري بدهشة.

حياه سايمون من جديد:

- مرحبًا، هل أنت هنا للقراءة؟ اعتقدت ذات مرة أنني هنا لأقرأ وليس ليقرؤوني، لكن القصة تغيرت.

- كيف تغيرت القصة؟

وأشار زاكري إلى أعلى الصفحات والتماثيل، قلقًا من سلوك سايمون وأكثر قلقًا بشأن الطريقة التي يتكرر بها كل شيء باستمرار، ويصبح أكثر إرباكًا في اللحظة التي يجب أن يكون أكثر وضوحًا.

- إنها مكسورة، حوافها حادة.

قال سايمون دون أن يوضح بالتفصيل كيف يمكن للمرء أن يكسر القصة، ربما هو شيء مثل كسر الوعود والنكث بها.

- كيف أستطيع إصلاحها؟

- لا يوجد إصلاحات، يوجد فقط تقدم في الانكسار، انظر هناك!

وأشار سايمون إلى شيء ما في القصة لم يستطع زاكري رؤيته.

- أنت مع حبيبك ونصل سيفك، سوف يرتفع المد والجزر، وهناك قطة تبحث عنك.

- قطة؟!!

ونظر زاكري إلى البومة، ولو تمكنت البومة من هزّ كتفيها مستغربةً لهزتها، لكن البوم لا يفعل ذلك، بشكل واضح، فهزّت البومة ريشها بدلاً من ذلك.

- هناك الكثير من الرموز، لكن لا يوجد إلا نحل في النهاية وفي البداية. تنهد زاكري والتقط السيف وذكر لنفسه: **الكثير من الرموز، الرموز للتفسير وليس التعريف**، بدا السيف أخف وزناً الآن، أو ربما اعتاد وزنه وأعادته إلى الغمد.

قال زاكري مشيراً إلى التمثال:

- لا بد لي من العثور على ميرابيل، إنها...

وتوقف زاكري وكان قلقاً من كون سايمون لا يعرف بالفعل أن ميرابيل هي ابنته، فقد يكون الإفشاء أكثر من اللازم لذلك بدأ مرة أخرى.

- ميرابيل، أو المصير أو أيًا من كانت، هذا التجسد له شعر وردي وهي عادة ما تكون في المرفأ الأعلى. لا أعرف ما إذا كان بإمكانك رؤيتها في القصة لكنها صديقتي، وهي هنا في مكان ما ويجب أن أعرّ عليها. فكر زاكري أن لديه الآن أكثر من شخص ليعثر عليه، لكنه لا يريد الخوض في ذلك ولا يريد التفكير في الأمر، ولا يريد التفكير بدوريان، على الرغم من أن الاسم الذي ربما لا يكون اسمه الحقيقي يتكرر مثل التعويذة في الجزء الخلفي من عقله: دوريان... دوريان.... دوريان.

- إنها ليست صديقتك، سيّدة منزل الكتب، إذا تركتك فقد قصدت أن تفعل ذلك.

قال سايمون مبعثراً أفكار زاكري ومعتلاً كيانه بالكامل.

- ماذا؟

سأل زاكري لكن سايمون واصل مسيره، يسير حول التماثيل ويسحب المزيد من الحبال والأشرطة، والصفحات والأشياء المعلقة فوقه تدور في عاصفة والبومة تبكي على الشرفة وتنزل إلى الأسفل وتقف على كتف زاكري.

حذر سايمون زاكري قائلاً:

- ما كان يجب أن تأتي بالقصة هنا، سأبقى بعيداً عن مكان وجود القصة، إذ لم يعد من المفترض أن أكون فيها بعد الآن، عندما حاولت العودة من قبل، لم يجلب لي الأمر سوى الألم.

ونظر سايمون إلى المكان الفارغ؛ حيث يجب أن تكون يده اليسرى وتابع:

- بمجرد أن عدت إلى القصة انتهت مع ألسنة اللهب، في المرة الأخيرة التي اقتربت فيها، أمسكت بيدي امرأة بعين براءة وحذرتني من أن أعود أبداً.

- أليغرا.

تذكر زاكري اليد الموجودة في الجرة، ربما كانت للتأكد من الاحتفاظ بجزء من سايمون مفقود إلى الأبد، أو مجرد أسلوب التخويف المعتاد الذي نفذته بما يتجاوز التخويف.

- لقد رحلت الآن.

- انتظرا! لقد رحلت حقاً؟ أو رحلت تعني أنها ذهبت؟

سأل زاكري، لكن سايمون لم يوضح.

قال سايمون:

- يجب أن تأتي معي، يجب أن نغادر قبل أن يدعي البحر أننا له.

- هل تعني أن أذهب معك؟

سأل زاكري مشيراً إلى الأشرطة والتروس والمفاتيح، مستخدماً ذراع اليمنى حتى لا يرحل البوم عن كتفه اليسرى، لا يبدو اتباع التعليمات المنسوجة في تمثال قصة متحركة عملاقة أفضل بكثير من أخذها من صفحات الكتاب، إنه ليس على وشك العودة إلى الظلام ولكن هناك أكثر من طريقة للذهاب من هنا.

حدق سايمون إلى القصة، وحدق إليها كما لو كان يبحث عن نجم معين

في سماء شاسعة.

قال سايمون لزاكري:

- لا أعرف أي واحدة هي أنت.

- أنا زاكري، أنا ابن العراف، وأريد أن أعرف ماذا أفعل بعد ذلك، سايمون من فضلك!

قال زاكري فاستدار سايمون ونظر إليه مستغربًا، أو ربما ليس كذلك كليًا، نظر إليه دون إجابة في ذهنه وقال:

- من هو سايمون؟

سأل وأعاد انتباهه إلى التروس والتماثيل، وكأن إجابة سؤاله موجودة في الفضاء الخالي من النجوم وليس في نفسه.
- أوه!

هذا ما يعنيه أن تكون رجلًا ضائعًا في الزمن، أن يفقد المرء نفسه على مر العصور، ليعرف، لكن في المعرفة لا يجب أن يتذكر أي شيء ولا حتى اسمه، حتى يتم تذكيرك.

- هنا، يجب أن تأخذ هذا.

تحسس زاكري حقيبته وأخرج منها قصيدة سايمون وإليانور.

حدق سايمون مترددًا، كما لو أن القصة في غلافها شيء غير عادي يمكن مواجهته، لكنه أخذه في النهاية.

قال وهو يقلّب الكتاب بين يديه:

- نحن كلمات على الورق، نحن نقترّب من النهاية.

- قد تساعدك قراءته على التذكر.

فتح سايمون الكتاب وأغلقه بسرعة مرة أخرى:

- ليس لدينا وقت لهذا، أنا سأصعد، سيكون من الأكثر أمانًا أن أكون أعلى بمجرد أن يبدأ.

وانتقل سايمون إلى أحد الأبواب الأخرى التي تلوح في الأفق وهمّ ليفتحه، الطريق وراءه مضاء لكنه عاد لياخذ شعلة من يد التمثال.

- هل ستأتي معي يا زاكري؟

نقرت البومة بمخالبها الصغيرة على كتف زاكري، ولم يستطع زاكري معرفة ما إذا كانت الإيماءة تهدف إلى التشجيع أو تثبيط العزيمة وعدم اللحاق بسايمون.

نظر زاكري إلى القصة التي وجد نفسه فيها مع القمر المفقود في المركز ونظر إلى تماثيل ميرابيل، والحارس والعديد من الأشخاص الآخرين التي لا يعرف أسماء لها، والتي يجب أن تكون قد لعبت دورها في هذه الحكاية في وقت أو آخر، تساءل عن عدد الأشخاص الذين مروا في هذا المكان من قبل، وكم عدد الأشخاص الذين استنشقوا هذا الهواء الذي تفوح منه رائحة الدخان والعسل! وما إذا كان أي منهم قد شعر بما يشعر به الآن: غير متأكد من شيء وخائف وغير قادر على معرفة القرار الصائب، إذا ما كان هنالك قرار صائب. استدار زاكري ناحية سايمون.

الجواب الوحيد لديه هو سؤال خاص به: أي طريق هو البحر الخالي من النجوم؟

يقف دوريان في ظلام الثلج، يرتجف بسبب شيء ما أكثر من البرد، أسقط جميع أعواد الثقاب التي كانت بحوزته.

لا يستطيع أن يرى شيئاً، وما زال بإمكانه رؤية عيون البوم تنظر إليه، لم يكن يعلم أنه من الممكن أن يشعر بأنه عارٍ تماماً وهو يرتدي ملابسه في الظلام.

أخذ دوريان نفساً عميقاً وأغمض عينيه ومد يده الفارغة المرتجفة وكفه متجهة إلى أعلى، يتقدم، ويخطو إلى الأمام. انتظر قليلاً واستمع إلى صوت التنفس الثابت وأبقى يده ممدودة. يد ما تمسك يده في الظلام، أصابع طويلة تلتف فوق أصابعه برفق ولكن بتشبث.

قادته اليد إلى الأمام، مشياً لبعض الوقت، وسار دوريان خطوة وراء خطوة متباطئاً في الثلوج، متابعاً؛ حيث يقوده الرجل ذو رأس البوم، واثقاً من أن هذا هو الطريق إلى الأمام بدا الظلام بلا نهاية، قبل أن يكسره ضوء.

إنه ناعم جداً لدرجة أن دوريان اعتقد أنه ربما يتخيله. لكن بينما كان يمشي، إذ كان الضوء يزداد سطوعاً، توقف صوت التنفس الثابت بالقرب

منه مسحوبًا مع الريح، والأصابع التي كانت تمسك به اختفت، لحظة واحدة بعدها... يد تمسك به، ثم لا شيء.

حاول دوريان التعبير عن شكره، لكنّ شفّتيه كانتا غير قادرتين على صياغة الكلمات في البرد، وفكر ذلك بصوت عالٍ قدر استطاعته أملًا أن يسمعه أحد.

سار نحو النور، وكلما اقترب أكثر تمكن من إدراك أن هنالك ضوءين وليس واحدًا فقط. تتوهج الفوانيس على جانبي الباب، لا يستطيع رؤية بقية المبنى ولكن يوجد تريباس على شكل هلال في وسط الباب ذي اللون الأزرق الليلي، رفعه دوريان بيد متجمدة تقريبًا وقرع على الباب فدفعت الريح إلى الداخل مع انفتاحه.

كان المكان الذي دخله دوريان نقيض ما تركه وراءه، به سطوع دافئ يمحو البرد القاتم. قاعة كبيرة مكشوفة ملآنة بالأضواء والكتب، وعوارض خشبية داكنة ونوافذ مغطاة بالجليد. تنبعث منه رائحة النبيذ والخبز المحمص، كان مريحًا بطريقة لا تصفها الكلمات. يبدو وكأنه عناق، إذا كان العناق مكانًا.

قال صوت من بعيد:

- مرحبًا أيها المسافر.

وكان خلفه رجل عريض البنية وله لحية مؤثرة أغلق الباب في مواجهة الريح. إذا كان المكان شخصًا، فسيكون هذا الرجل، للراحة رائحة شهية وكل ما لا يستطيع دوريان فعله هو أن يغوص في ذراعيه ويتنهد.

لقد حاول رد التحية ووجد أنه يشعر ببرد شديد لدرجة لا تسمح له بالتحدث.

- الطقس سيئ جدًا للسفر.

قال صاحب النزل وأشار إلى دوريان بالتوجه إلى موقد نار هائل يغطي تقريبًا كامل الجدار البعيد للقاعة الكبرى.

أجلس صاحب الفندق دوريان على كرسي وأخذ حقيبته منه، ووضعها في غرفة على مرمى البصر. حاول أخذ معطف دوريان لكنه فكر في الأمر بشكل أفضل واستقر على إزالة حذائه المغطى بالثلج، تاركًا إياه ليجمد بجانب النار. اختفى صاحب المكان عائدًا بعد قليل ببطانية ووضعها في حضن دوريان

وقطعة غريبة ملانة بالفحم المتوهج الذي وضعه تحت الكرسي. ثم لف قطعة قماش دافئة حول رقبة ضيفه مثل الوشاح، ومنحه كوبًا يتصاعد منه البخار.

- شكرًا

تمكن دوريان من قول هذه الكلمة وهو يأخذ الكأس بيديه المرتعشتين، وأخذ رشفة دون أن يستطع معرفة السائل، ولكنه دافئ وهذا كل ما يهم.

- ستشعر بالدفء قريبًا، لا داعي للقلق.

لم يخطئ الرجل، أقنع دفاء المشروب والمكان وموقد النار دوريان بذلك وبدأ البرد في التلاشي.

استمع دوريان إلى عواء الريح، متسائلًا عن سبب عويلها، متسائلًا عما إذا كان تحذيرًا أم أمنية، بينما ألسنة اللهب تتراقص في موقد النار.

فكر دوريان أنه من الغريب الجلوس في مكان تخيلته ألف مرة، أن يكون تمامًا على هيئة كل ما تخيلته وأكثر، المزيد من التفاصيل، المزيد من الأحاسيس، والغريب أن هذا المكان مملوء بأشياء لم يتخيلها من قبل، كما لو أن النزل قد تم سحبه من عقله وتزيينه من قبل راوٍ آخر غير مرئي، لقد اعتاد الغرابة.

أحضر صاحب المكان كوبًا آخر وقطعة قماش أخرى دافئة لتحل محل الأولى، فك دوريان أزراره النجمية الموجودة على معطفه للحفاظ على الدفاء بالقرب من جلده. ألقى صاحب الحانة نظرة إلى الأسفل ولاحظ السيف على صدر دوريان فترجع متفاجئًا.

نظر صاحب النزل إلى دوريان وإلى السيف:

- أوه، إنه أنت، لدي شيء من أجلك.

- ما هو؟

- تركت زوجتي شيئًا لي لأعطيه لك، أعطتني التعليمات في حالة وصولك في أثناء أحد غياباتها.

قال دوريان والكلام لا يزال ثقيلًا على لسانه ويذوب رويدًا رويدًا:

- كيف تعرف أنها لي؟

- أخبرتني أن رجلاً سيصل يوماً ما حاملاً سيفاً ويرتدي النجوم، أعطتني شيئاً وطلبت مني أن أبقيه مغلقاً حتى تصل إلى هنا، وها أنت الآن، وذكرت أنك ربما لا تعرف أنك تبحث عنه.

- أنا لا أفهم.

ضحك صاحب النزل:

- أنا لا أفهم دائماً أيضاً، لكن أنا أوّمن، أعترف أنني اعتقدت أنه سيكون لديك سيف حقيقي وليست صورة سيف.

وسحب صاحب الحانة سلسلة من تحت قميصه معلق بها مفتاح.

حرك أحد الحجارة من الموقد أمام النار، وكشف عن حجرة مخفية جيداً بقفل متقن وفتحها بالمفتاح ووصل إلى الداخل. ثم أخذ صندوقاً مربعاً ونفخ طبقة من الغبار والرماد من عليه ومسحه بقطعة قماش أخذها من جيبه ثم سلمه لدوريان الذي أخذه حائراً.

الصندوق جميل جداً، منحوت من العظم والذهب المرصع في تصميمات متقنة وتغطي المفاتيح المتقاطعة الجزء العلوي المحاط بالنجوم، بينما الجوانب مزينة بالنحل والسيوف والریش مع تاج ذهبي واحد.

- منذ متى تحتفظ بهذا؟

ابتسم الرجل:

- منذ وقت طويل جداً، من فضلك لا تطلب مني محاولة حساب الوقت، لم أعد أحتفظ بأي ساعات.

نظر دوريان إلى الصندوق، ثقيل وصلب في يديه، وقال:

- قلت إن زوجتك أعطتك هذا لتعطيني إياه.

أوماً صاحب الحانة برأسه، فمرر دوريان أصابعه على سلسلة من الأقمار الذهبية على طول حافة الصندوق، أقمار كاملة، تتضاءل ثم تتلاشى ثم تعود لتكتمل آخذة شكل أهلة، ثم تكتمل مرة أخرى، ما جعله يتساءل إن كان ثمة فرق بين القصة والواقع هنا.

- هل زوجتك هي القمر؟

قال صاحب النزل ضاحكاً:

- القمر صخرة في السماء، وزوجتي هي زوجتي، أنا آسف لأنها ليست هنا الآن، كانت تود مقابلتك.
- كنت أودّ ذلك أيضًا.

نظر دوريان إلى الصندوق بين يديه، لا يبدو أنه كان هناك غطاء، تتكرر الزخارف الذهبية وتحيط بكل جانب ولا يستطيع العثور على مفصل أو خط. يكتمل القمر ويتضاءل على طول حوافه مرارًا وتكرارًا. تتبع دوريان بأطرافه الباردة فوق كل واحد، متسائلًا كم سيمضي من الوقت قبل أن يصبح القمر جديدًا ومظلمًا، وتكون زوجة صاحب النزل هنا مرة أخرى ثم توقف مؤقتًا.

أحد الأقمار الكاملة على ما يفترض أنه الجزء العلوي من الصندوق به مسافة بادئة، شكل سداسي الجوانب مخفي في استدارة، شيء يمكن الشعور به أكثر من رؤيته. إنه ليس ثقب مفتاح، لكن شيئًا ما يمكن أن يكون مناسبًا هنا.

تمنى لو كان زاكري هنا معه، إذ ربما كان أفضل في مثل هذه الألفاظ، تمنى وجوده لعدة أسباب أخرى في حقيقة الأمر.

ما المفقود هنا؟ فكر ونظر إلى الصندوق. هناك بوم وقطط مختبئة في الفراغ بين التصاميم الذهبية. هناك نجوم وأشكال يمكن أن تكون أبوابًا، فكر دوريان في كل قصصه، ما الذي يجب أن يكون هنا؟ ثم ضربه بشكل مفاجئ وبسيط.

- هل لديك فأر؟

نظر إليه صاحب النزل بتساؤل للحظة ثم ضحك:

- هل يمكن أن تأتي معي؟

شعر دوريان، بدفء أكثر بكثير مما كان عليه عند وصوله، هز رأسه ووقف على قدميه، ووضع الصندوق على طاولة بجانب الكرسي ثم مشى مع صاحب النزل عبر القاعة.

قال الرجل:

- كان هذا النزل في مكان آخر ذات يوم، لم يتغير شيء يذكر داخل جدرانها، لكنني ذكرت لزوجتي ذات مرة أنني أفتقد الفئران أحيانًا. اعتادوا إصدار صوت المضع خلال أكياس الطحين، وقضم البذور في

أقداح الشاي، كان ذلك مزعجًا أحيانًا ولكنني كنت معتاده، فوجدتني أفتقدهم عندما اختفوا، لذلك أحضرتهم لي.

توقف عند خزانة محشورة بين زوج من رفوف الكتب وفتح بابها، الرفوف بالداخل مغطاة بفئران فضية، بعضها يرقص والبعض الآخر نائم، أو يقضم قطع صغيرة من الجبن الذهبي. وفأر منها يمتلك سيفًا ذهبيًا صغيرًا، فارس ضئيل الحجم. وصل دوريان إلى الخزانة والتقط الفأر صاحب السيف، كان يقف على قاعدة سداسية الجوانب. سأل دوريان:

- هل أستطيع...!

- طبعًا.

عاد دوريان بالفأر صاحب السيف معه إلى الكرسي عند النار ووضعه في بداية القمر على الصندوق، فوجده قد ناسبه تمامًا. أدار الفأر، وفتح الغطاء الخلفي.

صاح صاحب النزل بنبرة سعيدة، ووضع دوريان الفأر الفضي وسيفه بجانب الصندوق ثم رفع الغطاء.

في داخل الصندوق قلب بشري ينبض بالحياة.

عندما كان زاكري إزرا رولينز فتيةً جدًّا، كان يلعب بالبلورات الموجودة في مجموعة والدته الواسعة: يحدق إليها، ويرفعها بالأضواء، يحدق إلى الشقوق والصدوع والجروح المكسورة والتي شُفيت بمرور الوقت، تخيل عوالم داخل الحجارة، عوالم بأكملها ممالك وأكوان ممسوكة في راحة يده.

المساحات التي تصورها آنذاك لا تقارن بالكهوف الصخرية التي يمشي فيها الآن، مع شعلة مرفوعة عاليًا لتضيء طريقه وبومة تجثو على كتفه، وتحفر بمخالبها في سترته.

عندما تردد في التقاطعات، كانت البومة أمامه مستكشفة. تعود تقاريرها بإشارات غير قابلة للإدراك يتم نقلها من خلال ومضات أو حفر أو تحريك الريش أو صيحات، وتظاهر زاكري بأنه يفهم على الرغم من أنه لا يستطيع ذلك، وبالتالي استمر معًا في التقدم، حذره سايمون من أن البحر بعيد لكنه لم يذكر أن الطريق كان مظلمًا ومتعرجًا.

الآن، هذا الرجل الذي ليس تائهاً في الزمن تمامًا، وزميله المصنوع من الريش وصلا إلى مخيم مبني محترق كان في انتظارهما. ويجوار النار توجد خيمة كبيرة من القماش، يبدو أنها كانت تأوي العديد من المسافرين السابقين في أماكن ذات طقس أسوأ، الداخلة مشرق وجذاب.

الخيمة ضخمة، طويلة بما يكفي ليقف زاكري ويتجول فيها، هناك وسائل وبطانيات تبدو مسروقة من أماكن أخرى وأوقات أخرى، إضافةً إلى مرتبة لتوفير فترة راحة للمسافر المرهق العابر، الكثير من الألوان لمثل هكذا مكان بلون واحد، حتى إن هناك عمودًا بالخارج ينتظر أن تتقد شعلة بداخله، وشيء آخر معلق أسفله، معطف قديم جدًا به العديد من الأزرار.

تخلص زاكري من السترة التي تضررت بسبب السفر، وارتدى بعناية معطف سايمون الذي فقدته منذ فترة طويلة، الأزرار مزخرفة بشعار، على الرغم من أنه في الضوء لا يستطيع أن يميز أكثر من بعض النجوم. المعطف دافئ أكثر من سترته، وهو فضفاض عند الكتفين ولكن زاكري لم يبال، وعلق سترته على العمود. وبينما يغلق أزرار معطفه العتيق الجديد، إذ استقرت البومة على كتفه فذهبا معًا لاستكشاف الخيمة.

داخل الخيمة طاولة مع وليمة متواضعة، وعاء مقدسة الفاكهة بداخله: التفاح والعنب والتين والرمان، ورغيف خبز دائري مقرمش ودجاجة محشية محمصة.

هناك زجاجات من النبيذ وزجاجات من الألبان، أكواب فضية تنتظر أن تمتلئ وجرار من مربى البرتقال والعسل، وشيء صغير ملفوف بعناية في ورق اتضح أنه فأر ميت.

قال زاكري للبوم:

- أعتقد أن هذا من أجلك.

وانقضت البومة لتأخذ وليمتها، ونظرت على زاكري مع ذيل يتدلى من منقارها.

على الجانب الآخر من الخيمة توجد طاولة مغطاة بأشياء غير صالحة للأكل، مرتبة بدقة على قطعة قماش مطرزة بالذهب.

مدية، مطواة، ولاعة سجائر، خطاف، كرة من الخيوط، مجموعة من الخناجر المزدوجة، بطانية صوف ملفوفة بإحكام، قربة ماء فارغة وفانوس

معدني صغير مثقوب بفتحات على شكل نجمة، زوج من القفازات الجلدية، حبل طويل ملفوف، قطعة ملفوفة من ورق المخطوطات تشبه الخريطة، قوس خشبي وجعبة سهام وعدسة مكبرة. بعض هذه الأشياء وليس كلها قد يكون مناسباً لوضعه في حقيبته. «المخزون الجيد» تتمم زاكري لنفسه. يوجد في وسط طاولة الإمدادات ملاحظة مطوية، التقطها زاكري وفتحها: «عندما تكون جاهزاً اختر باباً».

نظر زاكري حول الخيمة، لا توجد أبواب، فقط الأشياء المنسدلة على شكل خيوط التي دخل عبرها، معقودة بحبال. أخذ الشعلة من مرقدتها وخرج إلى الكهف، متبعاً الطريق وراء الخيمة؛ حيث يتوقف المسار فجأة عند جدار بلوري، وفي الحائط حيث يجب أن يستمر المسار وجد أبواباً.

باب عليه نحلة، وآخر عليه مفتاح وسيف وتاج وقلب وريشة، ولم تكن الأبواب بالترتيب الذي اعتاده، كان التاج في النهاية والنحلة في الوسط بجوار القلب.

وقف ابن العراف أمام ستة أبواب، ولا يعرف ما سيختار منها.

تنهد زاكري ثم عاد إلى الخيمة ووضع المصباح جانباً، والتقط زجاجة نبيذ مفتوحة وسكب لنفسه كوباً، لقد تم إعطاؤه مكاناً للتوقف قبل أن يمضي قدماً، على الرغم من تشابهه مع فترات الراحة الافتراضية المماثلة التي اتخذها من قبل، لا شيء مثل الكثير من الجرعات الصحية الموضوعة أمام الباب مباشرة للدلالة على شيء خطير قادم. فكر أن الطاولة ملانة بالأشياء التي تحاول تحديد ما يجب أخذه وتوقف مؤقتاً لفهرسة ما لديه بالفعل:

سيف واحد مع غمد، وبومة صغيرة رفيقة تقوم حالياً بتمزيق وسادة حريرية بمخالبها. سلسلة حول عنقه مع بوصلة، وإبرتها تدور حالياً في دوائر، مفتاحان: مفتاح غرفته والمفتاح الصغير الذي سقط من كتاب الحظوظ والخرافات الذي لم يتمكن بطريقة ما من سؤال دوريان عنه، وسيف فضي صغير. انتقل زاكري إلى فحص محتويات حقيبته ليفكر في شخص ما، أو شيء ما، أو أي شيء آخر.

في الحقيبة يوجد كتاب الأحزان العذبة يرقد براحة، ولاعة سجائر، قلم حبر لا يتذكر أنه وضعه في الحقيبة على الإطلاق، وكعكة مافن من بذور الخشخاش خالية من الغلوتين وملفوفة في منديل من القماش.

رمى زاكري الكعك على الطاولة مع باقي الطعام، أخذ قطعة من الدجاجة المحشية التي لا تزال ساخنة إلى حد ما. لماذا لم تبق ميرابيل إذا كانت هنا مؤخرًا؟ ربما وجد نفسه في جيب خارج الزمن حيث يبقى الطعام دافئًا بشكل دائم. وضع المزيد منه على طبق من الفضة وسحب وسادة بالقرب منه وجلس فقفزت البومة فوقها وجلست في مكان قريب.

نظر زاكري إلى الخيارات الموضوعة أمامه، ومضغ بعناية جناح دجاجة مشوية، وتساءل مكتوف الأيدي إذا كان من الوقاحة أكل طائر بحضور طائر آخر ثم تذكر قصة أخته بها كات ذات مرة عن مشاهدتها لطيور النورس وهي تقتل حمامة، فحَمَّن أن البومة لن تغضب.

شرب نبيذه وهو يوازن بين خياراته ومستقبله وماضيه وقصته وإلى أي مدى وصل، وفكر بالمسافة المجهولة المتبقية للذهاب.

أخذ زاكري النجمة المطوية من جيبه وقلبها في يده تاركًا إياها ترقص فوق أصابعه، لم يقرأها بعد.

صاحت البومة في وجهه، وقذف ابن العراف النجمة الورقية التي كتب عليها مستقبله في نار المخيم. التهمها اللهب، وتفحمت الورقة وتجدت حتى لم تعد نجمًا، والكلمات التي كانت تحتويها ذات مرة ضاعت واختفت إلى الأبد. وقف زاكري والتقط الورق الملفوف عن الطاولة، كانت خريطة مرسومة تحتوي على دائرة من الأشجار ومربعين قد يكونان مباني، تم وضع علامة على مسار ينتقل من المبنى إلى مكان في الغابة المحيطة، بدا ذلك بلا فائدة. أعادها زاكري وأخذ بدلًا من ذلك المدينة، وولاعة السجائر احتياطيًا، والحبل، والقفازات ووضعها جميعًا في حقيبته وبعد النظر في بقية الأشياء، أخذ الخيوط أيضًا.

سأل البوم:

- هل أنت جاهز؟

استجابت البومة عبر تحليقها عاليًا بعيدًا عن المخيم إلى الظلال، أخذ زاكري الشعلة وتبعها إلى جدار الأبواب، الأبواب كبيرة ومنقوشة من حجر أغمق من الكريستال المحيط بها والرموز عليها مطلية بالذهب وهناك الكثير من الأبواب، أه! كم سئم زاكري إزرا رولينز الأبواب!

أخذ شعلته واستكشف الظلال، بعيدًا عن الأبواب والخيمة، بين الكريستال المسنن والعمارة المنسية. نقل الضوء إلى أماكن لم تكن مألوفة منذ زمن طويل مع الإضاءة التي تقبلها كحلم لم يتذكره أحد.

في النهاية وجد ما يبحث عنه، وجد على الحائط أثرًا طفيفًا لخط. لقد خدش أحدهم حدود باب على وجه الكهف. قرّب زاكري الشعلة وتشرب الكريستال الضوء، وكان ذلك كافيًا لأن يرى شكل مقبض الباب المحفور.

وقف ابن العراف أمام باب آخر مرسوم على جدار آخر، رجل بعيد في القصة له طريقه ليتبعه. كان هناك العديد من المسارات، مرة واحدة، في وقت مضى، فقدت العديد من الأميال والصفحات. الآن هناك مسار واحد فقط ليختاره زاكري إزرا رولينز.

الطريق الذي يؤدي إلى النهاية.

وادي نهر هدسون، نيويورك، بعد عامين من الآن.

تبدو سيارة قديمة أكثر مما هي عليها، رسمها وطلاؤها ينتمي لأقل الطرق مهارةً وحرفية، حاليًا هي بلون السماء الزرقاء يعلوها عدد من الملصقات: علم قوس قزح، علامة المساواة، سمكة بأرجل، وكلمة قاوم. تلتف غير متأكدة مما إذا كانت قد وجدت العنوان الصحيح؛ لأن نظام تحديد المواقع الخاص بها كان يربك سائقها، وغير قادر على تحديد موقع الأقمار الصناعية، يفقد الإشارات بطريقة تجعله هدفًا للعديد من الألفاظ النابية الإبداعية من قبل السائقين الآخرين.

تقترب السيارة من المنزل وتتوقف، تنتظر وتراقب بيت المزرعة الأبيض والحظيرة الموجودة خلفه، ترتدي ظلًا داكنًا بدلًا من اللون الأحمر التقليدي.

ينفتح باب السائق وتخرج شابة ترتدي معطفًا برتقاليًا فاتحًا، ثقيلًا جدًا بالنسبة إلى طقس الصيف، شعرها مقصوص بشكل عبثي وعليه ظل عديم اللون لم يلتزم تمامًا بأن يكون أشقر. أزالته نظارتها الشمسية الدائرية ونظرت حولها، غير متأكدة تمامًا من أنها وصلت إلى وجهتها.

السماء زرقاء متطابقة مع السيارة، تنتشر فيها السحب المنتفخة، تتفتح الأزهار على طول الطريق والممر الأمامي، وبقع باللونين الأصفر والوردي

تشير إلى المسار من السيارة إلى الشرفة المزينة بأجراس الميلاد والمنشورات المتدلية من الأوتار، مما يلقي أقواس قزح فوق المنزل الأحادي اللون.

الباب الأمامي مفتوح لكن الباب الشفاف مغلق وموصد، توجد لافتة بجانب الباب، لافتة باهتة مرسومة باليد عليها نجوم وحروف مكونة من البخار المتصاعد في دوائر من فنجان قهوة صغير: «المستشار الروحي».

لا يوجد جرس باب، فقرعت الشابة الإطار الخشبي.

- مرحبًا، مرحبًا سيدة رولينز، أنا كات هوكينز، قلت إن بإمكانني المجيء اليوم؟

أخذت كات خطوة إلى الوراء ونظرت حولها، يجب أن يكون المنزل الصحيح، لا يمكن أن يكون هناك العديد من مزارع المستشارين الروحانيين، ونظرت إلى الحظيرة والبقع التي خلفها الأرنب قافزًا على الأزهار، متسائلة عما إذا كان ينبغي لها أن تحاول الالتفاف حول الجزء الخلفي عندما انفتح الباب.

قالت المرأة عند الباب:

- مرحبًا أنسة كيتي كات.

تخيلت كات والدة زاكري عدة مرات ولكنها لم تستحضر قط بشكل صحيح الشخص الذي يقف في المدخل الآن أمامها: امرأة متعرجة صغيرة ترتدي ثياب العمل، وشعرها كمية مفرطة من الضفائر الضيقة مربوطة في وشاح. وجهها متجدد لكنه صغير ومستدير بعينين كبيرتين مبطنتين بكحل أخضر لامع ويظهر وشم الشمس جزئيًا على ساعد واحد وقمر ثلاثي على الساعد الآخر.

احتوت كات لتدخلها في حزن أكبر مما توقعته من مثل هذا الشخص الصغير.

كات:

- من الجيد مقابلتك أخيرًا سيدة رولينز.

فاكتفت (مدام لوف رولينز) بهز رأسها وقالت:

- يمكنك مناداتي بـ (لوف)، أو السيدة أو الأم أو أي شيء آخر يحلو لك.

- أحضرت لك الكعك.

قالت كات وهي تحمل صندوقًا. وضحكت السيدة لوف رولينز ثم قادتها إلى المنزل. الصالة الأمامية ملآنة بالرسوم والصور، وتوقفت كات عند صورة صبي صغير مع شعر بني مجعد داكن، يعتلي وجهه تعبير جاد ونظارات كبيرة جدًا. الغرفة الأخرى مطلية بألوان تكنيكولور ومفروشة بأثاث غير متناسق ويوجد بلورات من كل لون مرتبة في أنماط على الطاولات والجدران، مرًا تحت لافتة تقرأ بنفس الطريقة من الأعلى والأسفل، ومشتًا من خلال ستارة مطرزة إلى المطبخ الذي يحتوي على موقد عتيق، وعلى الأرض كلب بورزوي اسمه هوراتشيو.

أجلست مدام لوف رولينز كات على طاولة المطبخ، وقدمت لها فنجانًا من القهوة ونقلت كعكات الليمون على شكل نحل العسل من علبتها إلى طبق صيني منقوش بالورد.

- أأست... -

توقفت كات، غير متأكدة مما إذا كان السؤال مناسبًا أم لا، ولكن نظرًا لأنها بدأت بالفعل، فقد أكملت:

- أأست قلقة؟

أخذت مدام لوف رولينز رشفة من قهوتها، ونظرت إلى كات من فوق حافة قدها، مع نظرة مركزة تعني أكثر من الكلمات التي ستقولها بعد ذلك، استطاعت كات قراءتها، كان تحذيرًا على ما يبدو ولا يزال الحديث عنه غير آمن، ليس تمامًا على الأقل. تساءلت كات عما إذا كان أي شخص قد أخبر مدام لوف رولينز أن الأمر قد انتهى، أو إذا بدا الأمر وكأنه كذبة عندما سمعته أيضًا.

قالت مدام لوف رولينز بمجرد أن وضعت قدها مرة أخرى:

- مهما حدث، كان سيحدث سواء كنت قلقة بشأنه أم لا، وسيحدث سواء أكنت أنت قلقة بشأنه أيضًا أم لا.

لكن كات قلقة حقًا، بالطبع هي قلقة، ترتدي قلقها مثل معطف لا تخلعه أبدًا، إنها قلقة بشأن زاكري وهي قلقة بشأن أشياء أخرى لا يمكن مناقشتها بوضوح حتى هنا، مختبئة بعيدًا في التلال بين الأشجار، وتحيط بها نوبات الحراسة والبلورات وكلب حراسة غافل. التقطت كات كعكة نحل العسل من الطبق ونظرت إليها، وتساءلت عما إذا كانت السيدة لوف رولينز تعرف شيئًا

عن النحل، وهي تمضغ جناحًا من العسل والليمون، ثم أخبرتها بشيء لم تعترف به إلى أي شخص بعد.

- كتبت له لعبة لأطروحتي، أعندك علم أن بعض المؤلفين أحيانًا يكتبون كتابًا لقارئ واحد؟ كان الأمر كما لو أنني كتبت لعبة إلى لاعب واحد. لقد لعبها الكثير من الناس الآن لكنني لا أعتقد أن أي شخص فهمها، ليس كما فعل هو، لقد بدأت في كتابتها باعتبارها شيئًا من قبيل «اختر مغامرتك الخاصة» في دفتر ملاحظات، كل هذه الأساطير والقصص الصغيرة ضمن قصص ذات نهايات متعددة، قمت بتحويلها إلى لعبة نصية، لذا فهي أكثر تعقيدًا، وفيها المزيد من الخيارات، هذا هو المكان الحالي ولكن الشركة التي وظفتني تريد مني تطويرها بشكل أكبر، وصنع نسخة كاملة منها.

توقفت كات، وهي تحدق إلى عمق فنجان قهوتها وتفكر في الخيارات والحركة والمصير.

- لم يخطر في بالك قط أنه سيلعبها؟
ترفع كات كتفها غير متأكدة.
- سيرغب بلعبها عندما يعود.
- كنت سأسأل كيف تعرفين أنه سيعود، لكن بعد ذلك تذكرت ما وظيفتك.
قالت كات بينما تضحك مدام رولينز وتقول:

- أنا لا أعرف، أنا أشعر، إنه ليس نفس الشيء ويمكن أن أكون على خطأ، ولكن علينا أن ننتظر ونرى. في المرة الأخيرة التي تحدثت فيها إلى زاكري، كان بإمكانني أن أقول إنه زاهب إلى مكان ما لتصفية ذهنه. لقد مر وقت أطول مما كنت أعتقد.

نظرت من النافذة بتمعن، لوقت طويل لدرجة أن كات تساءلت عما إذا كانت قد نسيت أن لديها رفقة، لكنها واصلت الحديث بعد ذلك.

- منذ زمن بعيد، عرافة جيدة جدًا قرأت بطاقتي، لم أفكر كثيرًا في الأمر في البداية، كنت شابة، واهتم بالمستقبل القريب أكثر من المدى الطويل، ولكن مع مرور الوقت أدركت أنها كانت على حق. لقد حصل ومر كل شيء قالته لي في ذلك اليوم باستثناء شيء واحد، ولا أملك أي

سبب للاعتقاد بخطئها ولو في شيء واحد، بينما صدقت في كل شيء آخر.

- ما هذا الشيء؟

- قالت لي إنه سيكون لدي ولدان، كان لدي زاكري ولسنوات بعد ذلك اعتقدت أنها ربما كانت سيئة في الرياضيات، أو ربما كان زاكري توءماً للحظة قبل ولادته ثم لم يعد كذلك، لكن بعد ذلك أدركته وكان يجب أن أفهمه عاجلاً. أعلم أنه سيعود لأنني لم أقابل زوج ابنتي بعد.

ابتسمت كات، وجعلتها العبارات سعيدة كأمر واقع وبسيط، قبلت وعلمت أن القادم مع الأهل سيشكل صراعاً، لكنها غير متأكدة من أنها تصدق ذلك، سيكون من اللطيف تصديقه. سألتها مدام لوف رولينز عن خططها وأخبرتها كات عن الوظيفة التي قبلتها في كندا، وكيف ستذهب بالسيارة إلى تورنتو لزيارة الأصدقاء لبضعة أيام قبل المتابعة.

بدا ذكر الأصدقاء اختراعاً ليخفي حقيقة استكشاف مدينة غير مألوفة بمفردها، ولكن مدام لوف رولينز امتنعت عن التعليق. تذكرت كات الواقع الافتراضي وبمجرد وصولها إلى موضوع الرائحة، أبرزت السيدة لوف رولينز مجموعتها من زيوت العطور المخلوطة يدوياً واستنشقت الزجاجات في أثناء مناقشة الذاكرة والعلاج العطري.

فرغنا متعلقات زاكري من السيارة ذات اللون الأزرق السماوي معاً، ثم قامتا بعدة جولات إلى إحدى غرف النوم الاحتياطية.

وحدها في الغرفة بعد الجولة الأخيرة، أخذت كات وشاحاً مخططاً مطويّاً من حقيبتها، منذ أن حاكت هذا الشاح تحديداً، تغيرت مشاعرها فيما يتعلق بفرز الشخصيات في فئات، كانت بسيطة للغاية وعاشقةً للألوان، لكنها لا تزال مولعة بالخطوط. إلى جانب الشاح توجد سلسلة مفتاح السيارة مع قلب وحرف (ك) مكتوب بلون فضي.

أخذت كات دفتر ملاحظات باللون الأزرق المخضر من حقيبتها ووضعتها على المنضدة ثم التقطته مرة أخرى، نظرت إلى الخلف نحو الدرج واستمعت إلى السيدة لوف رولينز وهي تتحرك من غرفة إلى أخرى وصوت المطر يشبه صوت الستارة المزينة بالخرز.

أعدت كات دفتر الملاحظات إلى حقيبتها، ليست مستعدة للتخلي عنه، ليس بعد.

في شرفة الطابق السفلي، أعطت السيدة لوف رولينز لكات قنينة من زيت الحمضيات (من أجل التصفية الذهنية) وعناقًا آخر. استدارت كات لتغادر لكن مدام لوف رولينز أخذت وجه كات بين يديها ونظرت إلى عينيها:

- كوني شجاعاً، وصلبةً وقوية، لا تتغيري لأجل أحد، فقط لأجل نفسك، كلّ روح تستحق النجمة الخاصة بها، ستستهلك كلّ ما في جعبتها من أشياء لكنها في النهاية ستكبر، لا تضيعي وقتك لأجل أي شخص لا يصدقك عندما تخبرينه بما تشعرين به. في ثلاثاء شهر سبتمبر عندما تعتقدن أنه لا يوجد أحد يتحدث إليك، ويتحدث إليك اتصلي بي، اتفقنا؟ سأنتظر عند الهاتف وسأحرك مؤشر قياس السرعة المحددة حول الثور.

أومأت كات، وقفت مدام لوف رولينز على أطراف أصابعها لتقبيلها على جبهتها وحاولت كات جاهدة ألا تبكي، نجحت حين أخبرتها مدام رولينز بأنه مرحب بها في عيد الشكر العادي أو عيد الشكر الكندي أو أيًا ما كانت إجازتها الشتوية المختارة؛ لأن هناك دائماً حفلة انقلاب شتوي.

- كنت تعتقدن أنه ليس لديك منزل للذهاب إليه، لكنك الآن تملكين واحدًا، هل تفهمين ذلك؟

لم تستطع كات منع بعض الدموع القليلة من التدفق والفرار، سعلت واستنشقت هواء الربيع اللامع ثم أومأت برأسها بلا كلام، يغمرها شعور مختلف عن الذي داهمها عندما وصلت. وللحظة وهي تمشي عائدة إلى سيارتها، أمنت كات أنها تصدق حقًا أن هذه المرأة ترى أكثر من غيرها، ترى البعيد العميق المستعصي على الآخرين، وإذا كانت تؤمن أن زاكري على قيد الحياة، فإن كات تؤمن بذلك أيضًا.

وضعت كات نظارتها الشمسية وبدأت بقيادة السيارة، بينما مدام لوف رولينز تلوح من الشرفة الأمامية مودعة السيارة المغادرة، عادت إلى الداخل بينما تقبّل أطرافها وتضغط بها على صورة الصبي ذي الشعر المجعد، قبل أن تعود إلى المطبخ لتسكب لنفسها فنجانًا آخر من القهوة وتجلس بصحبة الكلب الذي يتثاءب. والسيارة ذات اللون الأزرق السماوي تتجه بطريق متعرج نحو مستقبلها.

مذكرات كاترينا هوكينز السرية

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

حسنًا، سنفعل ذلك بالكتابة العادية باليد؛ لأنني لم أعد أثق في الإنترنت بعد الآن، ولا يعني ذلك أنني وثقت في الإنترنت من قبل، لكن هذا أصبح غريبًا، لا يعني هذا أنه لم يكن غريبًا من قبل، لكن حسنًا الآن.

سأضع كل الأشياء التي تعلمتها حتى الآن هنا حتى لا أفقدها مرة أخرى. لقد أخذت ملاحظاتي من الكمبيوتر المحمول الخاص بي، وحذفت الملفات لكنني سأقوم بنسخها هنا قبل أن أقوم بتمزيق النسخ المطبوعة.

لقد مسحوا هاتفي بطريقة ما، لذلك ضاعت هذه الملاحظات واختفت، وربما تم نسيانها جزئيًا، سأحاول إعادة خلق ما أتذكره هنا، بأقرب ترتيب زمني قدر الإمكان، لدي هاتف خارق لحالات الطوارئ، أريد الاحتفاظ بكل ما أستطيع في شيء واحد محمول يمكنني حمله معي في جميع الأوقات.

فقط أنت وأنا الآن أيها الدفتر

أمل أن أتمكن من قراءة خط يدي لاحقًا

أمل أينما كان هذا سيقودنا، ليقودنا لشيء يستحق ذلك في أي وقت سيحدث به.

الشيء المضحك: عندما يكبر الناس ويختفون بلا دليل على وجود شيء مريب، فلا أحد يذهب إلى اتخاذ خطوات محققة كاملة أو أي شيء آخر.

لذلك فعلت أنا.

جزئيًا لأنني كنت منزعجة من كيفية «اختفاء الأشخاص طوال الوقت»، وجزئيًا لأنني أعتقد أنني رأيت (ز) أكثر من أي شخص آخر في الأيام القليلة الماضية.

أرادت الشرطة معرفة سبب وجود (ز) في مدينة نيويورك وعرفت أنها كانت حفلة تنكرية (أخبرت الشرطة بذلك، لقد قالوا إنهم سينظرون في الأمر ولكن لا أعرف ما إذا كانوا قد فعلوا ذلك، فقد نظروا إليّ كما لو كنت اختلقت الأشياء عندما قلت إن (ز) استعار قناعي) ولكن بدا الأمر كله كأنه حصل في اللحظة الأخيرة وبلا تخطيط، لذا حاولت القيام ببعض الخطوات الإضافية في اليومين السابقين.

بدا... لا أعلم، مثل عاداته ولكن أكثر تطرفاً، كما لو كان به شيء زائد على المعتاد أو ناقص على المعتاد، ما زلت أفكر في تلك المحادثة التي أجريناها في الثلج عندما طلبت منه أن يشارك في التدريس وكيف بدا الأمر...

بدا شيئاً ما. لقد كان مشتتاً بشيء ما وكنت أريد أن أسأله ما يكون، وحين خرجنا كانت ليكسي هناك بانتظارني طوال الوقت، وأنا أعلم أنه لا يعرف (ل) جيداً بما يكفي للخوض في مثل هذا النوع من المحادثات، فذهب.

لا تحب الشرطة عبارة (بدا مشتتاً) عندما لا تعرف ما الذي كان يشتم انتباهه، بدا شيئاً سطحياً جداً، أليس الجميع مشتتني الانتباه طوال الوقت؟ لم تعجبهم أيضاً إجابتي على: ما الشيء الذي كنتما تتراسلان بشأنه؟ كان وشاح (هاري بوتر) الذي حكته له.

- ألسنت صغيرة على ذلك؟

سألني أحدهم.. وقال بأنني كبيرة كفاية على أن أنعت شيئاً ما بالألفية بلهجة الأطفال. رفعت أكتافي، وأنا أكره أن أقوم بهذا.

- ما مدى معرفتك به؟

سألوني، وشربت الشاي الفاتر في مركز الشرطة في فنجان غير صديق للبيئة مع كيس الشاي فيه، وهو أكثر من مجرد ماء ممتلئ بالأوراق.

إلى أي مدى يعرف أي شخص أحداً؟ كان لدينا عدد قليل من الفصول المتداخلة وكل الأشخاص في اللعبة يعرفون بعضهم بعضاً بطريقة ما. كنا نتسكع في بعض الأحيان في الحانات أو بجوار آلة القهوة الرديئة في صالة مبنى الإعلام. تحدثنا عن الألعاب والكوكيتلات والكتب وأن نكون أطفالاً فقط، لم نراع كوننا أطفالاً فقط، على الرغم من قناعة الناس بأنه ينبغي لنا ذلك.

أردت أن أخبرهم أنني أعرف (ز) جيداً بما يكفي لأطلب منه معروفًا ويسديه إليّ. كنت أعرف أي نوع من الكوكيتلات الموجودة في قائمة الحانة سيطلب،

وكيف أنه لو لم يكن هناك أي شيء مثير للاهتمام، فسيحصل على سايدكار. كنت أعلم أن لدينا وجهات نظر متشابهة حول كيف يمكن أن تكون الألعاب أكثر بكثير من مجرد تصوير الأشياء، وأن الألعاب يمكن أن تكون أي شيء، بما في ذلك إطلاق النار على الأشياء، وفي بعض الأحيان كان يرقص معي في ليالي الثلاثاء؛ لأن كلينا يحب ذلك، كان الأمر أفضل عندما تخلو الأندية من الزحام، وكنت أعرف أنه كان راقصًا جيدًا حقًا، لكن كان عليه أن يتناول مشروبين على الأقل قبل أن تتمكن من إخراجه في الهواء الطلق. كنت أعلم أنه قرأ الكثير من الروايات وكان ناشطًا نسويًا وإذا رأيته في جميع أنحاء الحرم الجامعي قبل الساعة الثامنة صباحًا، فربما يكون ذلك لأنه لم ينم بعد. كنت أعلم أنني شعرت وكأننا كنا على حق في ذلك المكان؛ حيث انتقلنا من كوننا أصدقاء عاديين إلى أصدقاء مقربين لهذا الحد، لكننا لم نصبح كذلك بشكل كامل بعد، ربما كنا بحاجة إلى القيام بمهمة جانبية أخرى معًا، وكسب عدد قليل من نقاط الموافقة المتبادلة وبعد ذلك سيكون شيئًا أكثر راحة، لكننا لم نستوعب ديناميكية صداقتنا بالكامل.

أخبرتهم:

- كنا أصدقاء.

وبدا الأمر خاطئًا وصحيا.

سألوني عما إذا كان يخرج مع أي شخص، وقلت إنني لا أعتقد ذلك فبدأ أنهم لم يصدقوني بشأن أي شيء عن الصداقة بعدها، إذ إنني كنت لأعلم مثل هذه التفاصيل إن كنت صديقة حقًا. كدت أخبرهم أنني على علم بمروره بانفصال -ليس ببعيد أذاه نفسيًا- عن رجل معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (كان لديه اسم، بيل أو باي أو شيء ما) لكنني لم أفعل ذلك، لأنه كان منذ زمن طويل، وأنا متأكدة من أنه كان في الغالب راجع للمسافات الطويلة، ولا يبدو هذا ذا صلة وثيقة بالموضوع.

سألوا عما إذا كنت أعتقد ارتكابه حماقة ما -مثل القفز من فوق جسر- وقلت إنني لا أعتقد ذلك، لكنني أعتقد أيضًا أن معظمنا على بعد خطوتين من القفز من شيء ما في معظم الأوقات، وأنت لا تعرف أبدًا ما إذا كان اليوم التالي سيدفعك في هذا الاتجاه أم غيره.

سألوني عن رقمي لكنهم لم يتصلوا، اتصلت وتركت رسائل عدة مرات لمعرفة ما إذا كانوا قد اكتشفوا أي شيء، دون أن يعاود أحد الاتصال بي.

يقف ابن العرّاف في حقل مغطى بالثلج، المزيد من الثلج يتساقط بخفة حوله، متشبّهًا بنظارته وشعره. حول الحقل كانت أشجار تحمل الغبار الكثيف في أغصانها. سماء الليل غائمة لكن القمر والنجوم يوهجانها بهدوء. استدار زاكري فوجد خلفه بابًا مستطيلًا يقف بحرية في منتصف الحقل، وينفتح على كهف بلوري، ضوء نار يتوهج بعيدًا يصله مداه عبر الثلج، لكن الشعلة التي كانت في يد زاكري منذ لحظة اختفت مع بومة.

الهواء في رئتيه هش ومشرق ويصعب عليه التنفس معه، كل شيء ثقيل جدًا، واسع جدًا ومفتوح جدًا، بارد جدًا، وغارق في الغرابة.

الضوء يشق المسار أمامه، وبينما يسير زاكري باتجاهه عبر الثلج المتساقط بخفة، إذ تفتت إلى العديد من الأضواء الصغيرة المعلقة على طول واجهة مبنى مألوف جدًا. يتصاعد من مدخته عمود متعرج من الدخان عبر الثلج باتجاه النجوم.

كان هنا للتو، هل كان قبل أسابيع فقط؟ من الممكن ذلك، ربما لا، يبدو هو نفسه عامًا بعد عام.

سار زاكري إزرا رولينز أمام الحظيرة التي تبدو سوداء في الضوء وصعد السلالم المغطاة بالثلوج في مزرعة والدته، وقف عند الشرفة الخلفية باردًا ومشوشًا. هناك سيف مربوط على ظهره في غمد جلدي قديم. يرتدي معطفًا عتيقًا ضاع في الوقت وعثر عليه مرة أخرى.

لا يستطيع تصديق أن ميرابيل أرسلته إلى المنزل.

لكنه هنا، يمكنه أن يشعر بالثلج على جلده، الألواح البالية تحت قدميه، وأضواء متلائة معلقة حول الدرايزين وتتدلى من الأفاريز. تتناثر من الشرفة أغصان مقدسة ملفوفة بشرائط فضية وأوعية تركت للنار. وتحت رائحة الثلج هناك نار تحترق في المكان ورائحة قرفة من البسكويت الذي من المحتمل أن يكون قد خرج للتو من الفرن.

الأضواء مضاعة بالداخل، المنزل مملوء بالناس، ضحك، قرع كؤوس، والموسيقى التي لا لبس فيها هي (فينس غوارالدي). النوافذ مغطاة بالجليد، الحفلة عبارة عن ضباب من الضوء واللون مقسم إلى مستطيلات.

نظر زاكري إلى الحظيرة والحدائق، السيارات متوقفة على طول الممر، تعرّف على بعضها والبعض الآخر لا يعرفه. على حافة الغابة خلف الحظيرة يوجد أيل يحدق إليه عبر الثلج.

- ها أنت ذا، لقد كنت أبحث عنك.

قال صوت من ورائه وشعر زاكري بالدفء والبرد في نفس الوقت.

اختفى الأيل في الغابة، واستدار زاكري نحو الصوت.

يقف دوريان خلفه عند الشرفة، شعره مقصوص بشكل أقصر، يبدو أقل تعبًا، ويرتدي سترة مشغولةً بغزلان أعياد الميلاد، والثلوج ورقاقات الثلج التي تبدو على حد سواء احتفاليةً، وبها مفارقات بشكل لا يصدق، على قدميه جوارب صوفية مخططة ولا أحذية كالعادة. هناك كأس سكوتش مع مكعبات ثلج على شكل نجمة في يده.

- ماذا حدث لسترتك؟ اعتقدت أن الاحتفاظ بها حتى بعد تتويج الفائز في

مسابقة السترة القبيحة كان قاعدة.

حدق زاكري إليه بصمت، لا يستطيع دماغه استيعاب مظهر هذا الشخص المألوف في هذا السياق الأسري الخاص للغاية والمنفصل تمامًا عن أي شيء آخر.

دوريان:

- هل أنت على ما يرام؟

- كيف حالك هنا؟

- لقد دعيت إلى هنا، لقد وصلت الدعوة إلى كل منا منذ عدة سنوات، كما تعلم.

نظر زاكري إلى الخلف نحو الباب في الحقل فلم يتمكن من رؤيته عبر الثلج. بدا كما لو أنه لم يوجد هناك قط، كما لو كان كل ذلك حلمًا، مغامرة تخيلها لنفسه وتساءل عما إذا كان يحلم الآن، لكنه لا يتذكر متى نام ليبدأ كل شيء.

- أين التقينا؟

سأل زاكري الرجل الواقف بجانبه، ونظر دوريان باستجداء إلى السؤال، ولكن بعد وقفة قصيرة أسعدته.

دوريان:

- في مانهاتن، في حفلة في فندق أجونكوين، تمشينا في الثلج بعد ذلك، وانتهى بنا المطاف في إحدى تلك الحانات ذات الإضاءة الخافتة؛ حيث تحدثنا حتى الفجر ثم عدت بك إلى فندقك مثل رجل نبيل. هل هذا اختبار؟

- متى كان ذلك؟

- منذ ما يقرب من أربع سنوات، هل تريد العودة؟ يمكننا تخليد ذكرى سنوية إذا كنت ترغب في ذلك.

- ماذا تعمل؟

تحول تعبير دوريان من متشكك إلى قلق، لكنه رد بعد ذلك:

- آخر مرة سألتني ذلك كنت محررًا للكتب، على الرغم من أنني الآن أشعر بالأسف للاعتراف بذلك؛ لأنك إذا نسيت، فربما كنت سأتمكن من خداعك حتى تريني في النهاية المشروع الذي كنت تنجزه، والذي لست متأكدًا مما إذا كان كتابًا أم لعبة، المشروع الخاص بالقرصان. هل اجتزت الاختبار أم ليس بعد؟ الجو بارد هنا.

- هذا لا يمكن أن يكون حقيقياً.

وقف زاكري على الحافة، خائفاً جداً من لمس الشخص الذي بجانبه، الحديد صلب تحت ذراعيه، والثلج يذوب على جلده، مخدراً إياه برفق، كل شيء هنا يشعر بالخدر بلطف.

- هل شربت الكثير من المشروب الذي صنغته كات؟ لقد وضعت عليه علامة تحذير، ولهذا السبب تحديداً شربت منه.

ورفع دوريان الكأس في يده.

- ماذا حدث لميرابيل؟

أخذ دوريان رشفةً من مشروبه:

- من ميرابيل؟

- لا أعرف.

لم يكذب زاكري فيما قاله، إنه حقًا لا يعرف، ليس تمامًا، ربما اختلقها، استحضرها من الأسطورة وصبغ شعرها، كانت لتصبح هنا إن كانت حقيقية، وكانت لتحبها والدته.

وعاد القلق إلى وجه دوريان، في تقطية حاجبيه تحديدًا.

سأل زاكري:

- هل لديك حلقة أخرى؟

- ماذا؟

نظر دوريان إلى أسفل كأسه وتوقف لفترة طويلة قبل أن يقول أي شيء، وحين فعل كانت لهجته رصينة يلقها الهدوء.

- في الماضي، واجهت بعض الصعوبة في فصل الخيال عن الواقع، أحيانًا يكون لديك حلقات لا تتذكر فيها أشياء، أو تتذكر أشياء أخرى لم تحدث قط. لم يكن لديك حلقة محددة منذ فترة، اعتقدت أن دواءك الجديد يساعد لكن ربما.

احتج زاكري قائلاً:

- ليس لدي حلقات.

لكنه بالكاد استطاع الكلام، وملاً الاضطراب تنفسه أكثر صعوبة، أحس بالثلج أكثر وارتجفت يده.

- الجو دائمًا أسوأ في الشتاء، سوف نتجاوزه.

- أنا...

بدأ زاكري، لكنه لم يستطع أن يكمل، لا يستطيع أن يثبت نفسه، لم تعد الأرض صلبة تحت قدميه، وجد صعوبة في فصل الواقع عن الخيال.

- تعال إلى الداخل يا حبيبي.

ثم مال إلى تقبيله، كانت الإيماءة مريحة بلا رسميات، كأنه فعل هذا ألف مرة من قبل.

- هذه قصة، هذه قصة أخبرها لنفسي بلا شك.

همس زاكري قبل أن تصل شفثاه إلى شفثي دوريان ورفع يده التي لا تزال مرتعشة إلى شفثي دوريان ودفعه بعيدًا برفق. شعر بأنه حقيقي.

حقيقي وصلب ومريح وحميمي. سيكون هذا أسهل إذا لم يشعر بكل هذه الحقائق جليّة بهذه الصورة.

تتلاشى الثرثرة والموسيقى من المنزل، كما لو أن شخصًا ما أو شيئًا ما قد خفض مستوى صوت الخلفية.

- هل ترتدي بيجاما؟

نظر زاكري إلى السماء مرة أخرى، انفصلت الغيوم وتوقف الثلج والقمر ينظر إليه.

قال زاكري للقمر:

- ليس من المفترض أن تكون هنا الآن، ليس من المفترض أن أكون هنا الآن.

عاد زاكري إلى فكرة أن دوريان يرتدي زي مواعده الذي دعي إليه؛ حيث حفلة الانقلاب الشتوي السنوية لوالدته والتي تسعده بقدر ما تخيفه.

- أخشى أنني يجب أن أذهب.

- عمّاذا تتحدث؟

- أود أن أكون هنا، أو ربما في نسخة مختلفة من هنا، وأظنني ربما مغرم بك، ولكن هذا لا يحدث في الواقع الآن لذا يجب أن أغادر.

استدار زاكري وعاد في طريقه.

نادى دوريان من بعده:

- قد تكون مغرمًا؟

قاوم زاكري الرغبة في النظر إلى الورا، هذا ليس دوريان الحقيقي، ذكر نفسه.

استمر في المشي رغم رغبة جزء منه في البقاء، مشى عبر الجليد المضاء بنور القمر مبتعدًا عن المنزل على الرغم من شعوره أنه يتحرك إلى الخلف، ربما كان اختبارًا، ارجع إلى الخلف للمضي قدمًا.

مشى نحو الباب في الحقل، وكلما اقترب منه اكتشف عدم وجود الباب من الأساس، ليس بعد الآن، لا يوجد سوى ثلج، الانجرافات منه تستمر في الغابة، تذكر زاكري الخريطة التي اختار عدم تضمينها في مخزونه.

مبنيان محاطان بالغابات، لكنه لا يستطيع رؤية بيت المزرعة بعد الآن، فهو يعرف فقط الاتجاه الذي يجب أن يكون فيه، إذا كان موجودًا أصلاً. حاول أن يتذكر الاتجاه الذي يشير إليه السهم على الخريطة، وأي جزء من الغابة أشار إليه، أو حتى مكان وجود الأيل، لكنه فشل، فقرر أن يغض الطرف عن ذلك.

إذا كانت هذه قصة يرويها بنفسه، فيمكنه أن يقول لنفسه أن يذهب إلى الأمام، بعيدًا عن هنا.

نظر إلى السماء المملّنة بالنجوم، حدق إليه القمر، وحدق زاكري إليه.

- ليس من المفترض أن نكون هنا.

صرخ زاكري في القمر مرة أخرى.

لم يقل القمر شيئًا، وأخذ يشاهده فقط، في ترقب لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

لقد قدمت إلى قسم تكنولوجيا المعلومات قصة حزينة عن صديقي المفقود، وبريد إلكتروني غير موجود قمت بحذفه -بطريق الخطأ- فبكيت، قبل أن يقوموا بفحص البريد الإلكتروني الجامعي الخاص بـ(ز) لأجلي، لأن الشرطة لم تزعجني. لا شيء حدث بعد ذلك يوازي أهمية يوم اختفائه، وربما لا شيء قبله أيضًا، لا شيء في يناير على الإطلاق، وهو أمر غريب للغاية. كنت إيجابية، إذ أرسلت له إشعارًا بالبريد الإلكتروني على شيء لا أذكره في الأسبوع الأول، وقمت بإعادة توجيه جدول حصص الفصل الدراسي لشهر يناير حتى يحصل عليه.

لقد تحققت من بريدي الإلكتروني ولا يوجد شيء من (ز) على الإطلاق، ربما لأشهر، فأيقنت أن هناك شيئًا ما غريبًا.

لقد تحققت من غرفته، انتظرت حتى فرغ الطابق من الناس، كان قفله سهلًا، وجميع الأقفال الداخلية في الحرم الجامعي مجرد هراء.

كان الكمبيوتر المحمول الخاص به موجودًا فقمت بتشغيله، ولكن شخصًا ما أعاد ضبطه على إعدادات المصنع الافتراضية. لم يكن حتى محميًا بكلمة

مرور. لقد اختفت ألعابه وملفاته جميعها، واختفت الخلفية التي كان يضعها على شاشة محموله، هذا لا يبدو طبيعياً.

لقد بحثت عن كتب المكتبة التي استعارها ولكني لم أجد أيًا منها، ربما أخذها إلى نيويورك. كان لديه دائماً كومة من كتب المكتبة.

الشيء الغريب الوحيد الذي وجدته كان قطعة صغيرة من الورق تحت السرير، كانت تحت جورب لذا كان من السهل عدم ملاحظتها (لا بد أن ز) كان يغسل ملابسه مثل كل يوم، حتى الملابس على الأرض كانت نظيفة) لكنها تطابق المفكرة الموجودة على المكتب.

كانت مغطاة بالخربشات العشوائية، كما لو كان يدون الملاحظات في أثناء القيام بشيء آخر. معظمها غير مقروء، ولكن يوجد رسم في المنتصف. حسناً، ثلاث رسومات: نحلة ومفتاح وسيف في خط أسفل المنتصف.

إنها في مستطيل يبدو باباً، (ز) ليس فنناً عظيماً. يبدو النحل أشبه بذباب لا يملك خطوطاً لذلك خمنت أنه من المفترض أن يكون نحل. بدا الأمر ذا أهمية فوضعت في جيبي. ثم سرقت جهاز PS4 الخاص به، أراهن أنهم لم يكونوا أذكياء بما يكفي لمسح ذلك.

يبدو أن (ز) لم يكن ذكياً بما يكفي لترك أدلة مخفية في اللعبة المحفوظة على PS4 الخاص به. أو لم يكن لديه الوقت أو التفكير.

لا شيء على جهاز 4PS، ربما كان لديه دفتر ملاحظاته السري في مكان ما، أشعر أن الألغاز لن تتوقف عند هذا الحد. أو مثل القرائن التي تؤدي في الواقع إلى مزيد من القرائن. أردت مساراً، فلم أحصل إلا على أشياء غريبة متنوعة لن تشكل طريقاً للسير بأي حال.

لا أعرف ما الذي كنت أتوقعه، ربما شخص ما قد راسله وأخبره عن خطه أو شيء من هذا القبيل. إذا كان لديه خطة، ربما لم يفعل.

لقد وجدت المؤسسة الخيرية التي أقامت الحفلة التي ذهب إليها (ز) أنا أعمل على افتراض أنه ذهب إلى الحفلة، وأنا أعلم أنه سجل دخوله إلى الفندق؛ لأن الشرطة تأكدت من ذلك، اتضح أن لهم جدوى ما في نهاية الأمر. لكن هذه الجمعية الخيرية غريبة.

إنهم يعطون / يجمعون أطناناً من المال مقابل كل هذه الأشياء الأدبية ويبدو الكثير منها رائعاً، لكن عندما حاولت تتبعهم إلى مصدر أو حتى شخص

-مدير تنفيذي أو أي شيء- فإن الأمر يتكرر مرة أخرى، إحدى المؤسسات الخيرية هي جزء من أخرى وهي مدرجة كشركة تابعة لإحدى المؤسسات الأخرى، ولكنها مؤسسات خيرية في موببوس لا تنتهي أبدًا بأي شخص ذي فائدة. يبدو الأمر وكأنه جبهة لغسل الأموال، لكنني اتصلت ببعض الأماكن، وأكدوا جميعًا تلقي التبرعات لكن لم يتمكنوا من إعطائي أي معلومات أخرى. لذلك واصلت التحقق، لقد وجدت مجموعة من العناوين وجربت بعض أرقام الهواتف. أحدهم تركني على مسجّل صوت وآخر مفصول.

كان أقرب عنوان مدفون في صفحة فرعية لصفحة فرعية على أحد مواقع الويب (أحد المواقع التي لم تكن قابلة للبحث، مدفون لدرجة أنه لم يكن من المفترض أن يتم العثور عليه) في مانهاتن.

لقد بحثت عنه، احترق بعد يومين من تلك الحفلة، لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل الصدفة.

أنا في مانهاتن، لقد التقطت صورًا لهذا المبنى، كل شيء مغلق وتبدو قشرة المبنى الخارجية على ما يرام باستثناء النوافذ المتفحمة، إضافة للكثير من الأضرار الناجمة عن الدخان. كان عازًا أن تكون هذه هيئة مبنى بهذا الجمال.

عليه لافتة تقول «نادي الجبابة»، خرجت سيدة من أحد المباني عبر الشارع لتمشي مع كلبها وسألته عن ذلك، فقالت إنه حريق ناجم عن ماس كهربائي واشتكت من الأنظمة الكهربائية في المباني القديمة، بينما كان كلبها (بالتازار) يفحص حذائي. سألت عن نوع هذا النادي فأخبرتني باعتقادها أنه أحد تلك الأندية ذات العضوية الخاصة، لكنها لم تكن متأكدة من نوعها. قالت إنها رأت الناس يدخلون ويخرجون ولكن ليس كثيرًا، قالوا إنهم تلقوا الكثير من عمليات التسليم، ولكن بعد ذلك بدت وكأنها اعتقدت أنها لم يكن ينبغي أن تقول هذا بعد تجسس أحد الجيران خارج النافذة، على أي حال فقد قررت أنني كنت غريبة لأنني سألت العديد من الأسئلة حول مبنى محترق، ثم رحلت مع كلبها. ربما اعتقدت أن أسئلتني ناجمة عن اهتمامي بالتدريب.

لقد بحثت عن نادي الجبابة ولكنه عام جدًا لدرجة تجعله بلا فائدة محددة، يوجد ناد لهواة جمع الطوابع يحمل نفس الاسم على بعد عدة مبان سكنية، ولا شيء على الإنترنت يربط هذا الاسم بهذا العنوان، ولا أستطيع أن أجزم.

لقد جربت الزقاق خلف المبنى وجميع نقاط الوصول الخاصة به وتمكنت من السير فيه دون أن أشعر بالضيق. أبقيت غطاء الرأس مرفوعاً وواصلت السير نظرًا لوجود كاميرات هناك، لكنني ألقيت نظرة طويلة على الجزء الخلفي من المبنى. لم يكن عميقًا مثل البقية، بسياج وحديقة مكسدة بالثلوج بدت نقية على الرغم من أن الجزء الخلفي من المبنى كان به نفس النوافذ المكسورة والأبواب الخلفية مغطاة.

كانت البوابة عبارة عن شيء حديدي فاخر، وحيث يجتمع نصفًا البوابة في منتصف كل الدوامات الزخرفية يوجد سيف، لا أظنها مصادفة. لست متأكدًا من إيماني بالصدفة بعد الآن.

مشيت مسافة طويلة بعد ذلك، تهمت من وسط المدينة وانتهى بي الأمر في ستراند، طال تفكيري في أنني قد أصل إلى (ز) فأجده فقط قد فقد الوقت الذي كان يتصفح فيه الأكوام ولم يدرك عدد الأيام التي مرت عليه.

كنت في الطابق السفلي ذي الرائحة العفنة لفترة طويلة، يراودني شعور بمراقبة أحدهم لي، أو حتى شيء ما لا أراه. هذا غبي! لكنني شعرت أن الكتاب المناسب كان موجودًا هناك، في مكان ما، وإذا أغمضت عيني ومددت يدي إلى الرف، فسيكون هناك، أسفل أصابعي مباشرة. لقد جربتها عدة مرات لكنها لم تنجح. كل الكتب كانت مجرد كتب.

ذهبت إلى الحانة وبعد أن كنت مهووسةً بالكوكيتيلات (سألني النادل عما إذا كنت عاملة حانة لذلك كان عليّ أن أعترف أنني أشرب كثيرًا)، استخدمت شبكة إنترنت الفندق للقيام بغوص عميق في شبكة مظلمة، فوجدت موقع نظرية المؤامرة، هذا الذي كان يضم في الواقع بعض الأشخاص ذوي العقول الرشيدة (لقد فضحوا زيف معظم الأشياء التي نشرها الأشخاص على لوحة الرسائل الخاصة بهم خلال عشرين دقيقة تقريبًا).

لقد سجلت الدخول ببريد إلكتروني مزيف وانضمت ونشرت هذا:

البحث عن معلومات حول: سيف، مفتاح، نحل.

لقد نسيت أن آخذ لقطة للشاشة، لكنني تلقيت ثلاثة ردود في غضون عشر دقائق، أحدهم ناداني بالقزم، والآخر كان مجرد سبع علامات استفهام، والثالث كان رمزًا تعبيرياً وبعد خمس دقائق تمت إزالة المنشور وكان لدي رسالتان في صندوق الوارد الخاص بي.

كان الأول من أحد المسؤولين وقال: «إياك أن تفعلني ذلك».

أجبتة وقلت إنه ليس بريداً عشوائياً، مجرد سؤال.

رد المشرف مرة أخرى وقال: «أنا أعلم، لا تفعلني ذلك، أنت لا تريدين

الخوض في ذلك».

الرسالة الثانية، من حساب لا يحتوي على مشاركات واسم مستخدم

أبجدي رقمي بلا معنى، كانت كالتالي: «تاج، ريشة، قلب ملك اليوم قادم».

* * *

يسير ابن العراف عبر الثلج ويتحدث إلى القمر، يطلب منه أن يبين له أي طريق يذهب إليه أو أن يعطيه إشارة أو أن يخبره بطريقة أو بأخرى أن كل شيء سيكون على ما يرام، حتى لو كان ذلك كذبة، ولكن القمر لم يقل شيئاً، فظل زاكري يمشي، والثلج معلق على بيجامته ويتساقط في حذائه.

يشتكي من أنه يجب على القمر أن يفعل شيئاً بدلاً من أن يتوهج هناك ثم يعتذر، فمن هو ليشكك في أفعال القمر أو تقاعسه؟ لا يبدو أن الغابة تقترب بغض النظر عن المسافة التي يمشي بها، كان يجب أن يصل إليهم الآن.

يعرف زاكري -رغم وجود النجوم والقمر- أنه لا يزال بعيداً عن سطح الأرض، يمكنه أن يشعر بالثقل الذي يلوح في الأفق فوقه.

بعد ما يبدو أنه وقت طويل جداً دون أي تقدم، توقف مؤقتاً لفرز حقيبته بحثاً عن أي شيء قد يكون مفيداً، وقعت أصابعه على الكتاب وتوقف عن البحث، أخرج الأحزان العذبة، ولم يفتحها أمسك به للحظة وأعادها إلى جيب معطفه، لإبقائه أقرب. الحقيبة الخالية من جميع كتبها تشعره فجأة بالثقل، وبدا باقي محتوياتها غير ضروري، لن تساعد أي من هذه الأشياء، ليس هنا، أفرغ زاكري الحقيبة على الأرض وترك محتوياتها للثلج.

مرر أصابعه على السلاسل حول رقبتة، بمفتاحهم وسيفهم وبوصلة غير قادرة حالياً على توجيهه في أي اتجاه، تمسك بهم وهو يواصل المشي، أخف الآن مع كتابه وسيفه فقط.

تمنى لو كان دوريان هنا بالفعل، إنه يتمنى ذلك أكثر مما يتمنى لو كان يعرف ما يجب فعله بعد ذلك.

قال زاكري للقمر:

- إذا كان دوريان هنا في مكان ما أريد أن أراه، في الحال.

لم يرد القمر عليه (لم يرد على أي من طلباته السابقة).

بينما يسير زاكري، إذ تستمر أفكاره في العودة إلى المكان الذي تركه وراءه والحفلة الخيالية بداخله، وإحساسه في خضم هذه القصة، وجد نفسه متسرّبًا إلى حياته الطبيعية مألّفًا المساحات الفارغة.

هناك خطوات تقترب، شخص ما يركض، الصوت مكتوم بالثلج، تجمد زاكري، بينما يد تمسك بذراعه، التفت للشخص الذي يقف خلفه، وسحب السيف من الغمد لإبعاد هذا الوهم الجديد.

- زاكري، هذا أنا.

قال دوريان، رافعًا يديه بطريقة دفاعية. إنه يبدو تمامًا كما يتذكر زاكري، مع الشعر الأطول إلى المعطف ذي الأزرار النجمية، باستثناء ضوء القمر عليه وكونه مغطى بالثلج.

- أين يتجه القمر عندما لا يكون في السماء؟

سأل زاكري دون أن يخفض السيف، وعرف من الابتسامة التي حصل عليها ردًا أن هذا ليس خيالًا، هذا هو الشخص الحقيقي، هنا ولكن ليس هنا، الوقوف معه في الثلج المقمر وفي مكان آخر ولكنه دوريان الحقيقي. إنه يعرف ذلك حتى أصابع قدميه المتجمدة تدعم ظنه.

قال دوريان هو يلوح بيده على الثلج والنجوم:

- نُزل كان يستريح في يوم من الأيام عند مفترق طرق موجود الآن هنا مع بقية ما هو موجود، أنا هناك الآن، أعتقد أنني قد أكون نائمًا، كنت أنظر من النافذة إلى الثلج أفكر فيك، ثم رأيتك ثم خرجت إلى هنا، لا أتذكر مغادرة المبنى.

أخفض زاكري السيف وقال:

- ظننت أنني فقدتك.

أخذ دوريان ذراعه مرة أخرى، وجذبه أقرب إليه ووضع جبهته على جبهة زاكري، إنه يشعر بالدفع ولكنه بارد وحقيقي، حتى لو لم يتسرّب حقيقته دفعة واحدة.

هذا الشخص هو مكان يمكن أن يفقد فيه زاكري نفسه، ولا يرغب أبدًا أن يعثر عليه أحد بعدها، بدأ الثلج يتساقط مرة أخرى.

دوربان:

- أنت هنا أيضًا الآن، أليس كذلك؟ العالم تحت العالم تحت العالم؟
- استقللت المصعد مع ماكس، أعني ميرابيل بعد أن سقطت أنت. أنا أبعد من ذلك الآن، في مكان ما بعد مدينة ضائعة من العسل والعظام، دخلت من الباب، يجب أن أتوقف عن فعل ذلك، لقد فقدت بومتي.
- هل تعتقد أنه يمكنك العثور على النزل من حيث أنت؟
- لا أعرف، يجب أن أقرب من البحر الخالي من النجوم، قد لا نكون أنا وأنت في نفس الوقت بعد الآن، إذا... إذا حدث أي شيء.
- لا تجرؤ، لا تجرؤ على تجسيد هذا الوداع، سأعثر عليك، سوف نعثر على بعضنا وسنخرج من هذا معًا، قد تكون بمفردك ولكنك لست وحدك.
- من الخطر أن تذهب بمفردك.

قال زاكري بشكل تلقائي، على الأقل جزئيًا ليوقف سيل الدموع التي تلتع عينية مع الثلج، وضع السيف في غمده وأزاله عن ظهره وأعطاه إلى دوربان. - خذ هذا.

قدّم السيف إلى دوربان، إنه شعور بشيء يجب القيام به، ربما يعرف دوربان كيفية استخدامه، فأخذه دوربان وبدأ في قول شيء آخر، لكنه اختفى أسرع من طرفة عين. كان هنا ثم لم يعد كذلك، لم يتبق حتى آثار أقدامه في الثلج، لا يوجد مؤشر على أنه كان هناك على الإطلاق، ما عدا السيف الذي اختفى والقمر الذي تلاشى وراء الغيوم. أصبح الثلج أخف الآن، وأصبحت رقايات الثلج تطفو في الأرجاء مشكلةً مع بعضها كرة ثلجية.

مد زاكري يده ليتأكد فقط أنه لا يوجد شيء يمكن لمسه، التف الثلج حول يده الممدودة وانزلق تحت طرف معطفه الموروث.

كان دوربان هنا، إنه هنا في الأسفل، في مكان ما، على قيد الحياة، وأنا لست وحيّدًا

قال زاكري لنفسه مؤكّدًا، وأخذ نفسًا عميقًا، لم يعد الهواء باردًا بعد الآن، يوجد ضجيج خفيف بالجوار، استدار زاكري وشاهد الأيل يحدّق إليه قريبًا بما

يكفي لرؤية أنفاسه تشكل سحابةً في الهواء، قرون الأيل من الذهب ومغطاة بالشموع، تتقاطع وتحترق مثل تاج من أسنة اللهب والشمع.

حدّق إلى الأيل وحدّق الأيل إليه بدوره، وعيناه مثل الزجاج الداكن. للحظة لم يتحرك أي منهما.

ثم استدار الأيل وسار باتجاه الأشجار وتبعه زاكري.

وصلا إلى حافة الغابة في وقت أقرب مما يتوقع، ينتشر ضوء القمر أو ضوء النجوم أو الضوء الوهمي عبر الأشجار على الرغم من أن معظم المكان غارق في الظل. يميل الثلج إلى الزرقة أكثر من البياض، والأشجار نفسها ذهبية، توقف زاكري لفحص جذع واحدة من كئب فوجد لحاءها مغطى بورقة ذهبية دقيقة.

تبع زاكري الأيل عبر الأشجار قدر المستطاع على الرغم من أنه في بعض الأحيان لم يكن أكثر من ضوء يوجهه إلى الأمام، فقد رؤيته للحقل سريعاً؛ حيث التهمت هذه الغابة المذهبة العميقة بظلامها.

تنمو الأشجار هنا أكبر وأطول، وتبدو الأرض غير مستوية فبدأ زاكري إزالة الثلج بحذائه ليجد أن الأرض ليست أرضية بل مفاتيح، أكوام منها تتحرك تحت قدميه.

أرشد الأيل زاكري إلى مكان شبه فارغ، تنفصل الأشجار هنا، لتكشف عن امتداد السماء الملائنة بالنجوم في الأعلى، اختفى القمر وعندما أعاد زاكري انتباهه إلى الأرض وجد أن الأيل قد تخطى عنه أيضاً.

الأشجار المحيطة بالمكان مغطاة بشرائط، أسود وأبيض وذهبي، ملفوفة حول الأغصان والجذوع ومتشابكة في الثلج والأشرطة مثبتة بالمفاتيح.

مفاتيح صغيرة ومفاتيح طويلة ومفاتيح ثقيلة كبيرة، مفاتيح مزخرفة ومفاتيح عادية ومفاتيح مكسورة، إنهم يرتاحون في أكوام في الفروع ويتأرجحون بحرية من الأغصان، وشرائطهم تتقاطع وتتشابك، وتربطهم ببعضهم.

في وسط المكان المكشوف، هناك شخص ما جالس على كرسي ويولي وجهه بعيداً عنه، ينظر بعيداً في الغابة، من الصعب الرؤية في الضوء، ولكن زاكري لمح طيفاً بسيطاً من اللون الورد.

يناديها زاكري:

- ماكس.

لكنها لا تلتفت، يتحرك نحوها لكن الثلج يببطئ تقدمه، ولا يسمح إلا بخطوة واحدة في كل مرة، بدا وكأنه مشى دهرًا قبل أن يصل إليها.

نادى مرة أخرى:

- ماكس.

ولكن الشخص الجالس على الكرسي لا يستدير، حتى إنها لم تتحرك عندما اقترب، الأمل بداخلة الذي كان متمسكًا به يذوب بإحكام تحت أصابعه جنبًا إلى جنب مع كتفها وهو يمد يده للمسها، الشخص على الكرسي منحوت من الثلج والجليد.

بينما يتدلى ثوبها حول الكرسي، إذ تتحول التموجات في القماش إلى أمواج، وداخل الأمواج توجد سفن وبحارة ووحوش بحرية، ثم ضاع البحر داخل ثوبها في الثلج المنجرف.

وجهها فارغ وجليدي ولكنها ليست متشابهة مع التماثيل من قبل، وهذا مثل التفرد الدقيق الذي يمكن أن يكون قد صوّر في المياه المجمدة، كما لو أنه مصبوب من اللحم والدم، إنها ميرابيل من أخصص قدميها حتى رموشها المكسوة بالثلج، وهي مثالية باستثناء الكتف المكسورة الآن. داخل صدرها يوجد ضوء، يضيء باللون الأحمر تحت الثلج، وهو الذي خلق الوهم الناعم للون الوردي الذي رآه من بعيد.

تستريح يداها في حجرها، توقع أنه تم تعليقهما وكأنهما في انتظار كتاب مثل تمثال ملكة النحل، لكنهما بدلاً من ذلك يحملان شريطًا ممزقًا، مثل الأشرطة الموجودة في الأشجار، لكن إذا كانت هذه الأشرطة معقودةً بمفتاح ما، فقد تمت إزالته.

استوعب زاكري الآن أنها لا تنظر إلى الأشجار، إنها تنظر إلى الكرسي الآخر أمامها، كان فارغًا، وبدا الأمر كما لو أنها كانت دائمًا هنا، تنتظره.

تتأرجح المفاتيح المعلقة من الأشجار وتتضارب بين بعضها، مثل الأجراس. جلس زاكري على الكرسي، يراقب الشخص الذي يجلس بمواجهته، يستمع إلى المفاتيح وهي ترقص في الشرائط وواحدًا يتشابك مع الآخر.

أغلق عينيه، أخذ نفسًا عميقًا، الهواء بارد ونقي ومنعش، فتح زاكري عينيه مرة أخرى ونظر إلى صورة ميرابيل أمامه، كانت متجمدة ومنتظرة، ثوبها مثقل بالحكايات القديمة وأزمة الحياة السابقة. سمع صوتها حقًا! قالت له:

- أخبرني قصة!

هذا ما كانت تنتظره.

بدأ زاكري يحكي لها حكاية.

استيقظ دوريان في غرفة غير مألوفة، ما زال بإمكانه الشعور بالثلج على جلده والسيف في يده، لكن لا يوجد ثلج يمكن أن ينجو هنا في هذا الدفء، تتشبث أصابعه بالبطانيات المكدسة على السرير ولا شيء أكثر من ذلك.

خارج النزل، تعوي الرياح، مرتبكة بهذا التحول في الأحداث. الريح لا تحب أن تتشوش، الحيرة تفسد إحساسها بالاتجاه، والاتجاه هو كل شيء بالنسبة إلى الريح.

انتعل دوريان حذاءه وارتدى معطفه وتخلّى عن الراحة داخل غرفته، ويقوم بشبك الأزرار على شكل نجمة، شعر بعظمها المنحوت على أصابعه بأنه حقيقي وغير حقيقي في اللحظة ذاتها، كما شعر بالسيف في يده قبل لحظات، أو ذكرى جلد زاكري البارد على جسده.

كانت الفوانيس في القاعة الرئيسية خافتة، ولكن لا تزال النار مشتعلة في الموقد المهيّب، والشموع تزيد من انتشار الضوء على الطاولات والكراسي.

صاحب النزل:

- هل أيقظتك الريح؟ يمكنني أن أحضر لك شيئًا ما لمساعدتك على النوم إذا كنت ترغب في ذلك.

سأل الرجل وهو يقف بعد أن كان جالسًا على الكرسي بجانب النار، والكتاب المفتوح في يده.

دوريان:

- لا، شكرًا.

وحدّق دوريان إلى هذا الرجل الذي تخيله في عقله سابقًا، في قاعة اشتاق لزيارتها آلاف المرات، إذا استطاع دوريان أن يستحضر مكانًا ينسى فيه المكان الذي أتى منه أو إلى أين كان ناهبًا فسيكون تمامًا هذا المكان.

قال دوريان لصاحب النزل:

- يجب أن أغادر.

ثم ذهب إلى باب النزل وفتحه، توقع الثلج والغابة، لكنه نظر بدلًا من ذلك إلى كهف مظلل بلا ثلوج، في المدى رأى شبكًا مثل الجبل، ربما يكون قلعة. إنه بعيد جدًا جدًا.

صاحب النزل:

- أغلق الباب لو سمحت.

تردد دوريان لكنه أغلق الباب بعد ذلك.

صاحب النزل:

- يمكن للنزل أن يرسلك فقط إلى المكان الذي من المفترض أن تذهب إليه، لكن الباب هو العمق؛ حيث يجرؤ اليوم فقط على الطيران وانتظار ملكهم، لا يمكنك الذهاب إلى هناك وأنت غير مستعد.

عاد صاحب النزل إلى جانب النار وتبعه دوريان.

- إلام أحتاج؟

قبل أن يتمكن صاحب الحانة من الرد، فتح الباب وانخلعت مفاصله، ودخلت الرياح مصحوبة بعاصفة من الثلج، وبعد الثلج ظهر مسافر يرتدي عباءة طويلة مغطاة بلون السماء ليلاً مطرزة بكواكب من الخيوط الفضية، وحتى بعد أن سحب المسافر غطاء الرأس عنه بقيت رقاقات الثلج متشبثة بشعره الداكن وتتلاألأ على بشرته.

بمجرد دخولها أغلق الباب نفسه خلفها، ذهب القمر مباشرة إلى دوريان أخذًا معه طردًا طويلًا ملفوفًا بالحرير الأزرق بلون منتصف الليل مثل عباءتها، ودنت من دوريان.

قالت وهي تسلمه الطرد متجاهلة المقدمات غير الضرورية:

- هذا لك، هل أنت جاهز؟ ليس هناك الكثير من الوقت.

عرف دوريان ما يحتويه الطرد قبل أن يفك الحرير، بوزنه المألوف في يده، على الرغم من أنه حمله مرة واحدة فقط من قبل في المنام. إذا استطاع السيف أن يتنهد بارتياح لأنه خارج غمده، فسيستطيع ذلك لأنه فقد وعثر عليه مرات عديدة من قبل وهو يعلم أن هذه المرة ستكون الأخيرة.

قال صاحب الفندق لزوجته:

- لا يمكننا إرساله إلى هناك... إنه!

لم يستطع أن يعبر عما يشعر به، والخطر وراء التعبير أسوأ مما يمكن أن يتخيله دوريان.

القمر:

- إنه المكان الذي يرغب في الذهاب إليه.

- سأجد زاكري هناك، أليس كذلك؟

أومأت القمر. وقال دوريان:

- إذاً هذا هو المكان الذي سأذهب إليه.

ساد صمت، لا صوت إلا الريح وطقطقة الخشب في النار، وطنين القصة نفذ صبره من مواصلة الخرخرة مثل قطة.

صاحب الفندق:

- سأحضر حقيبته من الغرفة.

وذهب تاركًا دوريان وحيدًا مع القمر.

- هذا النزول مكان مقيّد، يبقى على حاله بغض النظر عن كيفية تغير المد والجزر. بمجرد مغادرتك هنا ستصبح غير مقيّد، ولن تكون قادرًا على الوثوق بأي شيء ستصادفه. هناك أشياء في الظل، سواء أكانت آلهة أو بشرًا أو قصة، فهي شيء آخر الآن. سوف يقومون بتكليف أنفسهم بما يناسبك حتى يتمكنوا من إخراجك من طريقك.

- بما يناسبني!

- للتخويف أو التشويش أو الإغواء، سوف يستخدمون أفكارك للإيقاع بك. نحن موجودون هنا على أطراف ما يمكن تسميته قصة أو أسطورة. قد يكون من الصعب التنقل. تمسك بقوة بما تؤمن به.

- ماذا لو لم أكن أعرف ما أو من به؟

نظرت القمر إليه بعيون مظلمة داكنة وبدأت للحظة أنها ستعطيه شيئاً ما، ربما تحذير أو أمنية، لكنها بدلاً من ذلك أخذت يده في يدها ورفعتها إلى شفتيها ثم تركته يذهب، الإيماءة بسيطة وعميقة، وفي داخلها وجد إجابة لسؤاله.

عاد صاحب النزل بحقيبة دوريان، إنها أثقل الآن، ويمكن لدوريان أن يشعر بثقل الصندوق الذي يحتوي القلب بداخله. ربما ينبغي له أن يعيد القلب إلى المصير، لكنه قرر أن يهتم بنفسه بإنهاء قصة واحدة في كل مرة. فتح دوريان باب النزل، ورأى نفس المشهد المظلم كما كان من قبل، يبدو الآن وكأنه قلعة أكثر من جبل، قد يكون هناك ضوء عبر إحدى النوافذ، لكنه بعيد جداً لدرجة يصعب معها التأكد من حقيقته.

قال صاحب النزل، ووضع قبلات رقيقة على شفتي دوريان:

- لتبارك الآلهة وترعاك.

مسلحاً بسيف وقلب، خطا دوريان نحو المجهول وترك النزل وراءه، أخذت الريح تعوي وراءه وهو يغادر خوفاً مما سيأتي، لكن البشري لا يستطيع أن يفهم رغبات الريح مهما صرخت بصوت عال، وعليه فقد باتت هذه التحذيرات النهائية كأن لم تكن.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

أشعر وكأنني سمعت عن ملك البوم من قبل ولكني لا أعرف أين.

سألت إيلينا عما تريد التحدث إليه مع (ز) بعد الفصل في تلك الليلة، وقالت إنه كان في المكتبة يتفقد بعض الكتب الغريبة التي لم تكن موجودة في النظام، ثم عاد بعد ذلك لتعقب كتب أخرى من نفس جهة التبرع، كأنه محقق مكتبة شامل (بكلماتها) لكنها لم تعرف السبب ولم يفصح هو عنه. لقد ذكرت عدداً من الكتب (بما في ذلك الكتاب الأول) وما زالوا في عداد الكتب المفقودة، لذلك ربما هم بحوزته.

أعطتني اسم جهة تبرع الكتب: (ج.س. كيتنغ)، لقد قمت ببعض التحري، الكثير من التحري.

(جوسلين سايمون كيتنغ)، ولدت عام 1812، لا يوجد الكثير عنها، لا سجلات زواج أو أطفال أو أي شيء. يبدو أنها كانت منفية أو أن عائلة ما تبرأت منها. أشخاص آخرون من عائلة (كيتنغ): أخ، متزوج، ليس لديه أطفال، إنه حارس دون اسم سُجِّل ميتاً في سن المراهقة. زوجة أخ ميتة، وتزوج الزوج مرة أخرى، وتوفيت الزوجة الثانية، وبعد ذلك مات الأخ عجزاً وحيداً على ما أظن. كان هناك اثنان آخران من أبناء عمومة كيتنغ اللذين ماتا في العشرينيات من عمرهما. إذاً هذا يمثل نهاية عائلة كيتنغ، أو على الأقل هذا الجزء من العائلة؛ لأنه اسم شائع بدرجة كافية.

لا يوجد سجل وفاة لـ(جوسلين)، لم أتمكن من العثور عليه.

لكن الكتب التي تم التبرع بها هي باسمها منذ أقل من ثلاثين عامًا. سمحت لي إيلينا بالبحث في المكتبة عندما كان مشرفها في استراحة الغداء، ووجدت السجل الكامل، على الرغم من أنه لم يكن رقمياً في ذلك الوقت لأنهم كانوا لا يزالون ينقلون الأسماء نقلًا وهو مسح ضوئي منخفض الدقة لورقة مكتوبة بخط اليد ونصفها غير مقروء.

لكنّ هناك شيئًا ما حول مؤسسة وتعليمات للتبرعات وكيف تركت سيدة مكتبتها لمجموعة من الجامعات المختلفة في بلدان مختلفة، في حين أن بعضها لم يكن موجودًا حتى عندما توفيت، أعني بجدية، حتى لو عاشت لتبلغ مئة سنة تأسست هذه المدرسة نحو أربعين أو خمسين سنة بعد ذلك.

ساعدتني إيلينا في العثور على بعض الكتب الأخرى التي تم التبرع بها، وبعضها حديث جدًا بحيث لا يمكن أن ينتمي إلى سيدة في سن 18. هناك كتب عن عصر موسيقى الجاز. ربما لم تكن من مكتبتها، ربما كانت مكتبة سميت باسمها؟ أو أنها مجرد الأساس والاسم مستمد من شيء سابق. لم أتمكن من الحصول على معلومات عن مؤسسة (كيتنغ) في أي مكان، يبدو الأمر وكأنها بلا وجود أصلاً.

أحد تلك الكتب كان عليه النحلة مرة أخرى، مفتاح، نحلة، وسيف بالحبر الباهت على طول الغطاء الخلفي أسفل ملصق الباركود.

هذا كله غريب جدًا، لكنه غريب مقلق، وهو ما أكرهه تمامًا في علاقتي بأي غرابة تقابلني.

لقد أغلقت حسابي المزيف على الإنترنت؛ لأن شخصًا ما استمر في إرسال رسائل غير مرغوب فيها إلى الدردشة باستخدام وجوه النحل. تلقيت رسالة نصية على هاتفي من شخص مجهول تقول: «توقفي عن التطفل سيّدة هوكينز».

لم أردّ عليها، واختفت جميع الرسائل الصادرة والمرسلة بيني وبين (ز).

يجلس ابن العراف على كرسي محاط بالمفاتيح في وسط غابة مضاءة بالنجوم، يتحدث إلى امرأة مصنوعة من الثلج والجليد.

في البداية لم يعرف ماذا يقول، لم يعتبر نفسه يومًا راوي قصص جيّد بما فيه الكفاية، فكر في جميع الحكايات التي نشأ عليها وهو يكبر، والأساطير والقصص الخيالية والرسوم المتحركة. تذكر الأحزان العذبة واختباره للحراس، والحكايات المحاطة بالمفاتيح وكيف يمكنهم سرد أي قصة ما عدا قصتهم، لكن ليس لديه قصة.

لم يتدرب على أيّ شيء، لم يحضّر شيئًا، لكن الطلب مفتوح، ويمكنه أن يسرد على هواه.

«أخبرني قصة».

أتى الطلب دون تكلف أو تحديد أو مواصفات. لذلك بدأ زاكري في الكلام، بتردد في البداية، لكنه أصبح أكثر راحة تدريجيًا، كما لو أنه يتحدث إلى صديق قديم في حانة مضاءة بشكل خافت مع كوكتيلات مصنوعة جيدًا بدلًا من الجلوس في خشب مغطى بالثلج يخاطب دمية صامته.

بدأ بصبي يبلغ من العمر 11 عامًا وجد بابًا ملونًا في زقاق، وصف الباب بتفصيل كبير، من فوق وصولًا إلى ثقب المفتاح المطلي، أخبرها كيف لم يفتح الصبي الباب، وكيف تمنى بعد ذلك أن يكون قد فتحه، وكيف كان يفكر فيه دومًا في لحظات غريبة خلال السنوات التي تلت الحادثة، وكيف كان الباب يطارده وكيف طارده ولا يزال يطارده لليوم.

أخبرها عن الانتقال من مكان إلى آخر، وكيف لم يشعر قط بالانتماء إلى أيّ من تلك الأماكن، وكيف أنه أينما كان، كان يفضل دائمًا أن يكون في مكان آخر، أن يكون في مكان خياليّ.

أخبرها كيف أنه كان قلقًا من أن أيًا منها لم يعن له شيئًا، وأن أيًا منها لم يكن مهمًا، هذا ما هو عليه، أو من يعتقد أنه هو، هو مجرد مجموعة من الإشارات إلى فن الآخرين، مركزًا بشدة على القصة والمعنى والبنية، لدرجة أنه أراد أن يكون عالمه قد وضع كل ذلك بدقة أكثر من أي وقت مضى وإن كان يخشى أن ذلك لن يحدث.

أخبرها بأشياء لم يخبرها لأي أحد، عن الرجل الذي كسر قلبه في هذه العملية الطويلة والممتدة لدرجة أنه لم يستطع تمييز الأذى عن الحب، وكيف أنه كلما حاول أن يفرز شعوره الآن بعد فترة طويلة من نهايتها، لا يجد إلا الفراغ.

أخبرها كيف أصبحت مكتبة الجامعة معبدًا بالنسبة له بعد ذلك، وكيف أنه عندما شعر بنفسه يسقط، كان يذهب ويجد كتابًا جديدًا، ويسقط فيه بدلًا من ذلك ويكون شخصًا في مكان آخر لفترة من الوقت. وصف المكتبة وصولًا إلى مصابيحها المتمايلة وإيجاده للأحزان العذبة، وكيف غيرت تلك اللحظة بشكل غير متوقع كل اللحظات التي تلتها.

قرأ لها الأحزان العذبة معتمدًا على الذاكرة عندما لم تكن أضواء النجوم تكفي لإلقاء الضوء على الكلمات، روى لها حكايات دوريان الخيالية عن القلاع والسيوف والبوم، وعن القلوب المفقودة والمفاتيح المفقودة والقمر.

أخبرها كيف كان يشعر دائمًا أنه كان يبحث عن شيء ما، ويفكر دائمًا في ذلك الباب غير المفتوح ومدى خيبة الأمل التي شعر بها بمجرد دخوله من خلال باب مصبوغ آخر، هذا الشعور الذي لم يخفف بعد، ولكن كيف خلال لحظة واحدة كان في قاعة رقص مذهبة تم تقديمها مسبقًا في الوقت المناسب، لقد وجد ما كان يبحث عنه، شخصًا وليس مكانًا، شخصًا معينًا في هذا المكان تحديدًا، ثم اختفت اللحظة والمكان والشخص.

روى لها كل ما تبع ذلك، من تحطم المصعد إلى الأصوات في الظلام لإيجاد سايمون في ملجأه محاولًا تسجيل القصة والخروج عبر الثلج، وما بعد حفلة العطلة المذهلة وفي الغابة مع الأيل حتى انتقال قصته، وإلى المكان الشاسع الذي يجلسون به حاليًا، ووصفه بالتفصيل من أعلى حتى السفن المنحوتة على ثوبها.

ثم... مع عدم تبقي أي شيء ليقوله زاكري لها، بدأ باختلاق القصص.

تساءل بصوت عالٍ إلى أين تتجه إحدى السفن المتجمدة في ثوبها. وبينما يتحدث، إذ أخذت السفينة تتحرك وتبحر فوق الأمواج الجليدية، بعيداً عن ميرابيل وعبر الثلج.

تتغير الغابة من حولها، وتتلاشى الأشجار بينما تبحر السفينة عبرها، لكن زاكري ظل في كرسيه والنسخة الجليدية من ميرابيل بقيت معه، مستمعاً، وهو يشق طريقه إلى الأمام، بطيئاً عندما لا تسعفه الكلمات، لكنه ينتظر ولا يطاردها، بل يتبع أهواء السفينة والقصة؛ حيث يرغبان بالذهاب، يذوب الثلج حول السفينة المبحرة، وتلتف الأمواج وتتحطم على هيكلها.

تصوّر نفسه على هذه السفينة وهي تعبر البحر، دوريان موجود هناك وكذلك رفيقته البومة المفقودة وأضاف القط الفارسي إلى هذا المشهد أيضاً.

تخيل زاكري مكاناً تتجه إليه السفينة، ليس لأخذ سكانها إلى منازلهم ولكن لإحضارهم إلى مكان ما غير مكتشف، يبحر بالسفينة والقصة إلى أماكن لم تسافر إليها بعد، عبر الزمن والقدر وما بعد القمر والشمس والنجوم.

في مكان ما يوجد باب غير مفتوح، عليه تاج وقلب وريشة، يمكنه رؤيته أمامه مباشرة متلاًئماً في الظل، شخص ما يحمل مفتاحاً سيفتحة، وخلف الباب يوجد مرفأ آخر على البحر الخالي من النجوم، يخفق بالكتب والقوارب والأمواج التي تتناثر مع قصص ما كان وما سيكون.

تابع زاكري القصص والسفينة بقدر ما يستطيع ثم أعادهم إلى هنا وإلى الآن. إلى هذه اللحظة المغطاة بالثلوج التي تحيط بها مرة أخرى غابة مغطاة بالمفاتيح.

هنا توقف زاكري، رست السفينة مرة أخرى في الثوب المجمد مع وحوشها، جلس زاكري مع ميرابيل يغشاهما صمت ما بعد القصة. ليس لديه فكرة عن مقدار الوقت الذي مضى، هذا إن كان قد مضى أي وقت من الأساس. بعد الصمت، وقف وتوجه إلى جمهوره الذي هو عبارة عن شخص وحيد، انحنى انحناء صغيرة ومال نحوها. همس في أذنها:

- أين تنتهي القصة يا ماكس؟

استدار رأسها بسرعة نحوه، محدقة إليه بعينين جليديتين فارغتين، تجمد زاكري، متفاجئاً جداً من التحرك وهي ترفع يدها، دون أن تمدها له بل إلى المفتاح المتدلي من رقبته.

أخذت المفتاح الرفيع الطويل الذي كان مخبأً في كتاب الحظوظ والخرافات، وفصلته عن البوصلة والسيف ثم وضعته على راحة يدها فتشككت طبقة من الصقيع فوق المفتاح.

نهضت من كرسيها، ووقف زاكري في وضع مستقيم مع حركتها، انهار ثوبها، ورحلت السفن والبحارة ووحوش البحر داخل المد والجزر إلى قبورهم الجليدية.

دفعت كفها والمفتاح عليه، على صدر زاكري، بين الأزرار المفتوحة لمعطفه، يدها شديدة البرودة لدرجة أنها تحرق وضغطت المعدن الساخن على جلده.

مدت يدها الأخرى وسحبته بالقرب منها، ولفت أطرافها الجليدية في شعره وأطبقت شفيتها على شفتيه.

كل شيء حار جداً وبارد جداً، وعالم زاكري بأكمله هو قبلة خيالية في ظلام مشع مذاقها خليط من العسل والتلج واللهيب. هناك ضيق في صدره ينمو ويحترق ولم يعد بإمكانه معرفة أين ينتهي الجليد ويبدأ، ولم يعد يستطيع تحمل المزيد من التتابع والتوقف.

فتح زاكري عينيه وحاول التقاط أنفاسه، الجليد في هيئة ميرابيل اختفى من أمامه، المفتاح مفقود، والسيف والبوصلة على السلسلة، طبعة المفتاح المحترقة واضحة على صدر زاكري وستبقى هناك دائماً.

اختفت بقية المفاتيح مع أشجارها، لم يعد زاكري في الغابة، إنه يقف الآن في زقاق مغطى بالتلج، والذي لم يكن ليحتوي على مثل هذا التلج قط إذا كان لا يزال موجوداً في شكله الحقيقي.

هناك شخص جديد محفور من الجليد معه الآن، أصغر من التمثال السابق، يرتدي نظارة طبية وشعره مجعد، يرتدي كَنزة بغطاء للرأس ويحمل حقيبة ظهر مواجهًا جدارًا من الطوب، ليس جليدياً ولكنه من الطوب الأصلي، معظمه أبيض شاحب ممزوج بالتلج.

يوجد على الحائط باب مطلي بشكل معقد، الألوان زاخرة، وبعض الأصباغ معدنية، في الوسط وفي المستوى الذي قد يكون فيه ثقب الباب المنمق بخطوط تتطابق مع بقية النقوش المرسومة، هناك نحلة.

يوجد مفتاح تحت النحلة، وتحت المفتاح يوجد سيف، مدّ زاكري يده ليلمس الباب فوصلت أصابعه إليه بين النحلة والمفتاح واستقرت على طلاء ناعم يغطي الطوب البارد، وهو تباين طفيف في السطح يخون النسيج المرسوم أدناه.

إنه جدار، جدار به صورة جميلة، صورة مثالية تخدع العين، نظر إلى الوراء؛ حيث شبح هو نفسه الشابة، لكنه اختفى وسط الثلج، ليجد نفسه واقفاً وحيداً في زقاق أمام باب مصبوغ.

لقد تغير الضوء، توهج قبل الفجر بدأ يطارد النجوم ويدفعها بعيداً، مدّ زاكري يده نحو مقبض الباب المطلي وأطبق أصابعه فوق المعدن البارد المستدير ثلاثي الأبعاد.

فتح الباب ودخل فيه، وهكذا شق ابن العراف طريقه إلى «بحر بلا نجوم».

يمخر دوريان الأعماق مع قلب القدر في صندوقه الموضوع به بعناية، ملفوف بالكامل وموجود في عبوة مربوطة إلى ظهره وسيف أقدم منه، ولكنه ليس قديماً مثل الأشياء التي تحرق إليه من الظلال بحدة مخيفة.

لا ينسى السيف كيف يجد هدفه عندما تمسكه يد تعرف كيف تستعمله، نصل السيف وأكمام معطف دوريان نبي الأزرار النجمية مغطاة بالدماء.

هناك أشياء تبعته منذ مغادرته النزل وأكثر منها انضموا إليهم في أثناء سيره، أشياء تريد حياته ولحمه وأحلامه، أشياء تزحف تحت جلده وتلبسه مثل المعطف، لم يقترب أحد منهم -من البشر- لإغرائهم بمثل هذه الصورة لسنوات، يغيرون أشكالهم من حوله، يستخدمون قصصه ضده.

لم يكن هذا ما توقعه دوريان، حتى مع تحذيرات القمر، كل هذا يبدو حقيقياً للغاية.

في إحدى اللحظات كان في كهف، وبصره متدرب على الضوء البعيد، وفي اليوم التالي يمشي في شارع في المدينة، يمكنه أن يشعر بأشعة الشمس على جلده ويشم رائحة العادم من السيارات المارة دون أن يثق بأي شيء يراه.

واصل دوريان السير على رصيف المدينة المزدهم، من الممكن أن يكون بوسط مدينة مانهاتن إذا لم يتمعن بذلك من كثب، وتفادى المارة بمهارة تمرن عليها. رجال الأعمال والسياح والأطفال الصغار يستديرون ويحدقون،

بينما يمر أمامهم ومن جانبيهم. تجنب دوريان الاتصال بالعين مع أي شخص أو أي شيء، لكنه وصل بعد ذلك إلى معلم مألوف تشغله قطتان كبيرتان من كلا الجانبين.

لم يدرك قبل الآن مدى صعوبة الصبر والثبات، يتتبعه الأسدان اللذان يتمتعان بحجم أكبر من الحجم الطبيعي، يتتبعانه بعيون سوداء لأمعة لا تنتمي إليهما.

توقف دوريان أمام سلم المكتبة، مشدداً قبضته على سيفه، متسائلاً عما إذا كانت الأسود الحجرية ستنزف بالطريقة التي ينزف بها كل شيء آخر يضعه هذا المكان في طريقه.

دعم نفسه في انتظار أن تنقض الأسود عليه، ولكن بدلاً من ذلك أمسكه شيء ما من الخلف ملتقاً حول رقبتة وساحباً إياه إلى الشارع.

دفع الشيء أو الشخص دوريان إلى جانب سيارة أجرة، ومع صوت الأبواق فقد توازنه، لكنه حافظ على قبضته على سيفه، وعندما استعاد توازنه حرك يديه وحقق السيف ضربته سريعاً أسفل ومنتصف الهدف.

بدا الشيء الذي قطعه بضربة قاضية في البداية رجل أعمال يحمل حقيبة، ثم ظل عديم الشكل كثير الأطراف، ثم مثل طفل صغير يصرخ، ثم لا شيء.

تلاشى الشارع وسيارات الأجرة والمكتبة والأسود معه، تاركين دوريان بمفرده في كهف شاسع وفوقه كان الظلام الذي لا نجم له شاسعاً لدرجة أنه كاد يصدق أنها سماء.

هناك قلعة في المدى، ضوء في نافذة أعلى برج، تمكن دوريان من رؤيتها ومن رؤية الشاطئ المتوهج بهدوء الذي تقع فوقه، أبقى عينيه عليها؛ حيث لا تغير القلعة الطريقة التي يتغير بها بقية العالم هنا فقرر استخدامها منارة لتوجيه طريقه.

دماء لا تعود له، تملأ حذاءه وتتسرب من كل خطوة يخطوها. تحت قدميه تتغير الأرض، وتتحول من الحجر إلى الخشب. ثم تبدأ في التآرجح فوق الأمواج غير الموجودة بالفعل، هو على متن سفينة يبحر فوق المحيط المفتوح تحت سماء الليل الساطعة. يقف على السطح وأمامه شخص في

معطف من الفرو يبدو أنه أليغرا لكنه يعلم أنها ليست هي. كانوا يحاولون نزع سلاحه، فشدّ قبضته على السيف أكثر.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

إنهم يراقبونني الآن، الآن حرفياً وأنا أكتب هذا.

أنا في مطعم نودلز، وبينما كنت في الطابور أقف لأطلب الرامن الخاص بي، إذ بدأ هذا الرجل الذي لا أعرفه ويقف خلفي في الدردشة معي، سألني عن المرأة التي تقرأ الطالع وأنها مخلوق خطير.

وإذا جربت مكاناً آخر للرامن في مكان قريب، وبعد ذلك وفي أثناء أخذ طلبتي، وضع شيئاً ما في حقيبتي، لا أعرف ما إذا كانت حشرة أو شيئاً من هذا القبيل، انتظرت حتى يغادر لأفرغ محتويات حقيبتي وأنظر فيها. يجلس الرجل حالياً على الجانب الآخر من المطعم على مسافة ربما تكون مهذبة. أنفه في كتاب، أتعرف على الغلاف لكن لا يمكنني رؤية العنوان، وشيء جديد على الطاولة الأمامية، لكنه لا يقرأ، لقد فتحه في مكان ما بالقرب من النهاية والغبار على الغلاف يبدو كثيفاً جداً بالنسبة إلى شخص أنهى القراءة للتو، كان من نوع الأغلفة الذي يحمل آثاراً كبيرة فوقه، خاصة إذا كنت تقرأ وتتناول الطعام في الوقت ذاته.

لكنه بالكاد ينظر إلى الكتاب، وبالكاد يأكل المعكرونة الخاصة به، يمتصها أكثر من كونه يأكلها، إنه يراقبني وأنا أكتب، يختلس النظر إلى دفتر يومياتي كما لو أنه يحاول أن يتعرف على كيفية استراق بعض الكلام عندما لا أكون ناظرةً إليه. أنا أنظر الآن كلّ الوقت.

«ولا حتى في أحلامك ستأخذ دفترتي الخاص بمغامرة الزمن من يديّ الميتينتين الباردتين، أيها الوغد».

إنه يذكرني نوعاً ما بذلك الرجل الذي كان يراقب زاكري تلك الليلة عند تمثال المخلوق الأسطوري، لكن هذا الرجل أصغر سنّاً وليس لطيفاً.

(حاولت تتبع ذلك الرجل أيضاً منذ فترة، سألت النادل والسقاة، ولكن نادلة واحدة فقط تذكرته، قالت إنها حاولت أن تقول له بعض كلمات الإعجاب لكنه صدّها بلطف، لكنها لم تره من قبل ولم تره منذ ذلك الحين).

لقد أدرك هذا الرجل الآن أنني لن أغادر قبله، استحالة أن أغادر أمامه، سأعثر على مخرج أو باب خلفي، أو ممر تجسس أو هروب أو أي شيء غير منطقي مثل الأفلام إذا ما حاول تتبعي.

لاحقًا، نجحت بالحصول على مكان لتناول الرامن الخاص بي وغادر الرجل في النهاية، بطيئًا للغاية ومترددًا كما لو كان يريد أن ينقض على بقايا وعاء المعكرونة، ولم يقلب أكثر من صفحتين من هذا الكتاب خلال أكثر من نصف ساعة.

سلكت طريقًا طويلًا في الاتجاه الخاطئ عندما غادرت، ثم توقفت في الحديقة لتفريغ حقيبتني، هناك زر إرسال صغير جدًا، مثل حجم بطارية الساعة ولزج نوعًا ما، لذلك أعدته داخل الحقيبة لكن بعد ذلك تخلصت منه، ولم أكن لأجده قط إذا لم ألاحظه يسقط وأنا أفرغ حقيبتني. لا أعرف ما إذا كان جهاز تعقب الموقع أم ميكروفونًا أم ماذا، الأمر برمّته غريب حقًا. أنا في المنزل الآن.

اشتريت سلسلة إقفال إضافية لبابي، وكاشف حركة في طريقي إلى المنزل، ثم قمت بخبز بعض الكعك بالكريمة الحامضة والقرفة، وصنعت لنفسني كأس كوكتيل وأعددت بعض البيض، وشغلت أغنية «الأرواح المظلمة»، فغمرني شعور أفضل تجاه الحياة ونفسي والوجود. في كل مرة تخرج من الأسطوانة كلمة أنت ميت أشعر بتحسن. أنت ميت..

أنت ميت والعالم يتابع دورانه..

أنت ميت والأمر ليس بهذا السوء. خذ كعكة!

جلست للتو وبكيت لمدة نصف ساعة قبل أن أشعر بالتحسن نوعًا ما، أعتقد أن (ز) قد مات. هناك، قلت ذلك، ثم دوّنته.

أعتقد أنني توقفت في وقت ما عن البحث عنه، وبدأت في التفكير في (كيف) ولماذا الآن تحديدًا يعذب بي هذا كله. في النهاية علقت جهاز التتبع هذا على قطة في الحديقة.

يمشي ابن العزّاف عبر باب إلى كهف مفتوح على مصراعيه، بعيدًا... بعيدًا عن سطح الأرض. تحت المرافئ، تحت المدن، تحت الكتب.

الكتاب الوحيد الذي يحمله هو أول كتاب يتم إحضاره للعمق، فالقصص هنا لم يتم ربطها قط بهذه الطريقة، فقد تركت فضفاضة ووحشية.

تساءل زاكري عما إذا كان في هذا الكهف طوال الوقت، يمشي من خلاله، بينما يرى ما يشبه الثلج والأشجار وضوء النجوم، وتساءل إذا كان قد سافر الآن عبر قصصه وخرج إلى الجانب الآخر. كان هناك شيء ما يضرب كاحله، لينًا وضغطًا، نظر إلى الأسفل ليجد الوجه المألوف لقطه الفارسي.

- مرحبًا، كيف نزلت إلى هنا؟ سمعت أنك تبحث عني.
لم يرد القط عليه.

ألقي زاكري نظرة خاطفة خلفه، غير مندهش أن الباب الذي دخل من خلاله قد اختفى. هناك منحدر حيث كان، جرف مرتفع قد يكون له هيكل فوقه، من الصعب التمييز من هذه الزاوية.

دفع القط رأسه تجاه ساق زاكري مرة أخرى، ودفعه في الاتجاه الآخر. بهذا الطريق توجد مساحة صخرية تنتهي في سلسلة من التلال وهناك توهج وراءها، يمكنه سماع الأمواج.

سأل زاكري القط:

- هل أنت قادم؟

لم يرد القط ولم يتحرك، جلس فقط لاعتقًا قدمه بهدوء.

خطا زاكري بضع خطوات إلى الأمام واقترب أكثر من التلال ولم يكن القط يتبعه.

- ألن تأتي؟

حدق القط إليه.

- حسنًا، يمكنك التحدث، أليس كذلك؟

- نعم.

قال القط، وحنى رأسه واستدار ومشى في الظلّ، تاركًا زاكري يحدّق إليه بغباء.

راقب حتى لم يعد بإمكانه رؤية القط، بمسافة ليست بعيدة، ثم مشى باتجاه التلال، عندما كان عاليًا بما يكفي ليرى ما ينتظره بعد ذلك، أدرك مكانه. وقف زاكري على شاطئ البحر الخالي من النجوم. يتوهج البحر، مثل ضوء الشموع خلف الكهرمان، واشتعل المحيط في غروب الشمس الدائم.

أخذ زاكري نفسًا عميقًا متوقعًا حدة ملح البحر، ولكن الهواء هنا غني وحلو. سار إلى الحافة، وشاهد الأمواج تغطي الصخور وهي تقترب وتراجع، استمع إلى صوتها البديع المعتاد: همهمة لطيفة ومريحة.

خلع زاكري حذائه، وضعه بعيدًا عن متناول الأمواج وخطا في الأمواج المتدرجة بلطف وضحك، بينما تشبث البحر بأصابع قدميه.

مد يده إلى أسفل ومرر يده على سطح البحر المتقطر بالعسل، رفع إصبعًا إلى شفثيه ولعقها بتردد فذاق الحلاوة حين توقع الملح، لم يكن متأكدًا من رغبته في السباحة في هذا البحر، على الرغم من أنه لذيذ.

كان يعتقد أنه من المستحيل تصديق أي شيء لو لم يستسلم لتصديق الأشياء المستحيلة قبل ذلك بكثير.

ماذا يحدث الآن؟ فكّر ولكن السؤال غادر عقله فورًا، لا يهم، ليس الآن، ليس هنا في الأعماق حيث الوقت هش.

في الوقت الحالي هذا هو عالمه بالكامل، مقدس وبلا نجوم، يمتد أمامه البحر الخالي من النجوم في المدى، هناك شبح مدينة عبر البحر، فارغة ومظلمة.

يوجد جسم على الأرض عند قدميه؛ حيث يلمس البحر الشاطئ، انحنى زاكري والتقطه.

زجاجة شمبانيا مكسورة، يبدو كما لو كانت هنا منذ سنوات، تأكل المصق الخارجي عليها وحوافها المكسورة خشنة وحادة وتقطر بالعسل.

نظر إلى ظلام الكهف، وبدا الهيكل الذي يلوح فوقه كقلعة. أبعد من ذلك، يمكن أن يرى زاكري الطبقات والمستويات تتصاعد والظلال التي هي أعمق من غيرها. والمساحات التي تنحني وتتحرك للخارج، مرقطة بأضواء ليست نجومًا.

تعجب للحظة من المسافة التي قطعها، وقلب الزجاجاة المكسورة في يديه وتخيل الدرج وقاعة الرقص في الأعلى.

سمع خُطى تقترب، فكر أنه من المناسب أن يجد القدر مرة أخرى الآن بعد أن وصل أخيرًا إلى البحر الخالي من النجوم، الآن وليس بعده، الآن فقط.
- مرحبًا ماكس، لقد وجدت...

هناك حركة سريعة غريبة لحظة استدارته، للحظة أصبحت رؤيته ضبابية مظلة وعندما ركز، لم تكن ميرابيل هي التي تقف أمامه، إنه دوريان.
حاول زاكري أن يقول اسم دوريان لكنه لم يستطع ذلك، وصدق دوريان إلى وجهه بصدمة وقطب حاجبيه، لا يستطيع زاكري التنفس ولم يلتق قط بأي شخص حبس أنفاسه من قبل بهذه الطريقة، وربما هو حقًا واقع في الحب، ولكنه لا يستطيع التنفس الآن، شعر بالدوخة في رأسه، وهج البحر أخذ في التلاشي، وزجاجة الشمبانيا المكسورة تهاوت من بين أصابعه وتحطمت.
نظر زاكري إزرا رولينز على صدره؛ حيث لف دوريان يده حول مقبض السيف وبمجرد أن بدأ في فهم ما يحدث، أصبح كل شيء أسود.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

كنت في الحانة، جالسةً إلى طاولة في الخلف، لذا لم أكن في مرمى نظر أي شخص أشرب وأقرأ، وهذه المرأة الأكبر سنًا التي ترتدي معطفًا من الفرو الأبيض جلست على الجانب الآخر مني، كما لو أنني كنت في انتظارها. كانت لديها عين زرقاء وعين بنية واحدة ومارتيني شفاف في يدها وفيه زيتونتان (متطابقتان). كانت الكأس لا تزال متجمدة، لا بد أنها التقطتها للتو من البار.

- أنت امرأة يصعب تحديد مكانها، أنسة هوكينز.
قالت المرأة بابتسامة زائفة لطيفة بدت وكأنها حقيقية.
قلت:

- أنا لست كذلك، إنها ليست مدينة كبيرة، هناك حانتان فقط أذهب إليهما، ربما لديك جدول الحصص الخاص بي أيضًا، أليس كذلك؟ لا تحتاجين حقًا إلى أجهزة التتبع.

توقفت المرأة عن الابتسام، ولكنني فزت الآن، فهذه السيدة محترفة، لا يوجد تجسس واضح في جميع أنحاء الغرفة هذه المرة.
لم تقل شيئًا لذلك سألتها:

- ماذا كان ذلك من قبل؟

أومأت برأسها في معطف الفرو العملاق. كانت غير واضحة على الإطلاق وأنا معجبة بذلك نوعًا ما.

قالت:

- كان ثعلبًا. وكان ذلك مخيبًا للأمال بالنسبة إليّ.

وتابعت:

- كيف هو الكتاب؟

وحركت كتابي بكأسها المارتيني، وقلت:

- إنه للفصل الدراسي. وهذا صحيح.

انطلت عليّ الثرثرة، لم أكن أعتقد أن أيًا من هؤلاء الأشخاص سيتحدث معي بالفعل، على الإطلاق.

- أنت تفتقدينه، أليس كذلك؟

وجهت المرأة إليّ هذه الملاحظة وهي تشير لكأس السايدكار.

لقد طلبت ذلك لأنني لم أستطع التفكير في أي شيء آخر، أردت فقط الجلوس في مكان ليس شقتي، لقد نسيت أن أخبرهم ألا يضعوا السكر على الحواف، وكان ذلك يجعل ساق الكأس لزجة.

سألت تلك المرأة:

- هل تعرفين أين هو؟

لم تقل شيئًا ولكن كانت تلك النظرة الغريبة في عينيها ذات اللون البني، اعتقدت أن تلك الزرقاء كانت في حالة غائمة لإعتام عدسة العين. لم أستطع تحديد المظهر، أعلم أنه يبدو وكأنه كان يجب أن تقول: آها تعرفين أين هو في هذه اللحظة! ولكنها لم تكن كذلك. نظرت إليّ وشربت المارتيني.

قالت:

- يجب أن تكوني حزينّة بشأن انفصالك.

لم أخبر أحدًا أنني وليكسي انفصلنا.

غضبت (ل) منّي كثيرًا عندما بدأت أحاول اكتشاف ما حدث لـ(ز)، وقالت إنه ربما رحل، وقالت إنني كنت غاضبة لأنه لم يخبرني، ثم اتهمتها بإعداد

شيء مزيف عن السيف والمفتاح والنحل كونها إحدى الأعياب المسرحية، فقالت إنني مجرد مضيفة للوقت، كان كلامًا قاسيًا للغاية ورغم ذلك لم يغمرنني شعور تام بالحزن، أشعر أفضل حيال ذلك، لست متأكدة من أنني أريد أن أكون في علاقة الآن على أي حال، الأشياء تتغير. الأمور تتغير بسرعة خاصة في الوقت الحالي، مثل الأسبوع الماضي، كان كل شيء مختلفًا، لكن لا يزال الثلج يتساقط، ربما كان هذا الشيء الوحيد الذي لم يتغير.

قلت لها:

- ليس حقًا!

- لكن ليس لديك أي شخص بعد الآن.

لقد كنت غاضبة لأنها كانت على حق، لكنني لم أكن لأخبرها بذلك. لدي دفتر ملاحظاتي ومشاريعي، وكنت أجلس هناك وحدي مع مشروبي، إذ لم يعد هناك أي شخص آخر أتوق للشرب معه. ليس لدي ناس. قالتها بطريقة توحى نوعًا ما بعلمها بأن عائلتي ليست مغرمة بي أيضًا.

لم أقل شيئًا.

المرأة:

- أنت وحيدة، ألا تفضلين الانتماء إلى مكان ما؟

قلت لها:

- أنا أنتمي إلى هنا. لم أفهم ما كانت تسعى إليه.

- إلى متى؟

سألت السيدة، وأردفت:

- ستبقين في برنامج الدراسات العليا لمدة عامين؛ لأنك لا تعرفين ماذا

تفعلين أيضًا، وبعد ذلك سيتعين عليك المغادرة. ألا تحبين أن تكوني

جزءًا من شيء أكبر منك؟

- أنا لست متدينة.

- إنها ليست منظمة دينية.

- ماذا تكون إذا؟

- أخشى أنني لا أستطيع إخبارك بذلك، ما لم توافقي على الانضمام إلينا.

- هل هي طائفة دينية أو شيء ما؟

- شيء ما!
- أحتاج إلى مزيد من المعلومات، وأخذت رشفة من مشروبي؛ لأنه بدا، وكأنه وجب القيام بشيء ما، لكنه جعل أصابعي لزجة، السكر على حواف الكأس أمر غبي جداً، هل أنا أعرف المزيد الآن حقاً؟
- أنت كذلك، لكنني لست قلقةً بشكل خاص بشأن ذلك، إذا كنت ستخبرين أي شخص بما تعرفينه، أو ما تعتقدين أنك تعرفينه لن يصدقك أحد.
- لأنه غريب جداً؟
- لأنك امرأة، هذا يجعلك عرضةً أكثر لكتابة أشياء مجنونة وهستيرية، لو كنت رجلاً فإن الموضوع كان سيشكل قضيةً ما.
- لم أقل شيئاً، كنت أنتظر المزيد من المعلومات الخاصة بي، كانت تحق إليّ لفترة طويلة، لا لون أزرق طبيعي على العين.
- المرأة:
- أنا معجبة بك يا آنسة (هوكينز)، أنت عنيدة وأنا معجبة بالمتابرة عندما تكون في محلها، غير أن متابرتك حالياً في غير محلها، ولكني أعتقد أنني قد أحسن استخدامهما، أنت ذكية وحازمة وعاطفية وهذه كلها صفات أبحث عنها، وأنت راوية!
- ماذا يمكن أن يفيد هذا في أي شيء؟
- هذا يعني أن لديك تقارباً مع مجال اهتمامنا.
- الصداقة الأدبية، أليس كذلك؟ لم أكن أعتقد أن الجمعيات الخيرية الأدبية لديها الكثير من أجواء المجتمع السري.
- المنظمة الخيرية هي واجهة وأنت تعرفين ذلك، هل تؤمنين بالسحر يا آنسة (هوكينز)؟
- في كتب آرثر سي كلارك، التكنولوجيا متقدمة بما فيه الكفاية -لا يمكن تمييزها- إن كانت من النوع السحري أو السحر الحقيقي؟
- هل تؤمنين بالتصوف، الخيال، غير المحتمل، أو المستحيل؟ هل تعتقدين أن الأشياء التي يرفض الآخرون تصديقها على أنها أحلام وخيال موجودة بالفعل؟ هل تصدقين القصص الخيالية؟

أعتقد أنّ معدتي ترتجف من الخوف، لأنني كنت حرفياً دائماً الطفلة التي تؤمن بالقصص الخيالية، ولكن لم أكن أعرف ماذا أفعل لأنني لم أكن طفلة، كنت في العشرين من عمري في حانة ولم أكن قط أشعر أنني بعمر كاف للشرب فقلت:

- لا أعرف.

قالت السيدة وهي تشرب مارتيني مرة أخرى:

- أنت تعرفين، أنت فقط لا تعرفين كيف تعترفين بذلك.

ربّما قامت بإيماءة ما، لا أتذكر ذلك، سألتها ماذا تريد منّي.

- أريدك أن تغادري معي هذا المكان ولا تعودي إلى هنا أبداً، سوف تتركين حياتك واسمك وراءك، سوف تساعدني أنا في حماية مكان لا يعتقد معظم الناس أنه موجود، سيكون لديك هدف، وفي يوم من الأيام سوف آخذك إلى ذلك المكان.

- أنا لست طفلة، أنا أسفة.

- لست كذلك؟ ماذا تسمين الاختباء في المعابد الأكاديمية الخاصة بك وتجنب العالم الحقيقي؟

اعتقدت أن ذلك كان مثل لكمة لي حتى لو كانت دقيقة نوعاً ما، ولكن في تلك المرحلة أزعجتني لذا قلت لها:

- يا امرأة، إذا كان لديك مكان من القصص الخيالية لتُوجدي فيه لماذا

أنت في الجزء الخلفي من حانة ما، تجلسين هنا وتحدثين معي؟

رمقتني بنظرة غريبة ولم أعرف ما إذا كان ذلك لأنني نعتها يا امرأة أو بسبب شيء آخر، توقفت وفكرت في ذلك أكثر من معظم الأشياء التي قلتها، ولكن بعد ذلك أخرجت بطاقة عمل من جيبها ومررتها على الطاولة نحوي.

مكتوب عليها: «نادي الجبابة».

كان عليها رقم هاتف، وسيف صغير في الأسفل.

اعتراف حقيقي: لقد أغرنتني نوعاً ما، أعني، كم مرة تقدم لك سيدة عجوز وظيفة تطبيق القانون الخيالية كما لو كانت شرطة العجائب؟ لكنني شعرت بالغرابة، وأنا أحب اسمي إضافة لأن حقيقة أنها تهربت من السؤال حول (ز) أقلقتني.

- هل قبل زاكري عرض عملك أم أنه هو الذي أحرق ناديك؟
سألته، لمعرفة الإجابة الصحيحة، من النظرة على وجهها أعتقد أنه
الاحتمال الثاني وعادت الابتسامة المزيفة.

السيدة:

- يمكنني أن أخبرك بالعديد من الأشياء الرائعة التي ترغبين في معرفتها،
لكن أولاً عليك الموافقة على شروطي، لا يوجد شيء يخصك هنا. أأست
فضولية؟

بلى، لقد كنت فضولية للغاية، وكاد الفضول يقتلني، فكرت في إخبارها
أنني سأفكر في الأمر إذا سمحت لي بالتحدث إلى (ز)، أو إذا تمكنت من إثبات
أنه على قيد الحياة، ولكن لم أفهم أنها من النوع الذي يفاوض، إذا لم أتبعها
الآن فلن أرى هذه السيدة مرة أخرى.

قلت لها:

- لا أعتقد ذلك.

وبدت خيبة أمل على وجهها ثم استجمعت نفسها مرة أخرى.

السيدة:

- هل هناك أي شيء يمكنني قوله قد يغير رأيك؟

- ماذا حدث لعينيك؟

على الرغم من علمي أن كل ما قالته وستقوله لن يغير شيئاً وكانت
الابتسامة التي حصلت عليها لهذا السؤال حقيقية.

السيدة:

- ذات مرة ضجيت بعيني مقابل القدرة على الرؤية، أنا متأكدة من أنك
تعلمين أن السحر يتطلب تضحية، لسنوات كان بإمكانني رؤية القصة
كاملة، لكن هذا لم يعد ينجح، ليس هنا، لأنني اتخذت قراراً وتركتني
نتيجة هذا القرار مع رؤية ضبابية الآن. في بعض الأحيان أفتقد
الوضوح، ولكن مرة أخرى، التضحيات!

كدت أن أصدقها، حدقت إليها وكان ذلك اللون الأزرق الغائم في حدقة
عينها، وحدقت إليّ هي بدورها، والتقطت الضوء من أحد تلك المصابيح

القديمة فوقنا، ولم تكن عينها معتمّة على الإطلاق، كانت عاصفة سماوية تحوم، صافية مثل أي شيء وصدع من البرق يشق طريقه عبرها.

وضعت ما تبقى من كأس مشروبي على الطاولة، وأمسكت بكتابي وحقيبتني ومعطفي بيدي الغيبيتين اللزقتين، وقفت، ورفعت الكتاب إلى جبهتي، وألقيت التحية عليها.

في النهاية تركت بطاقة العمل الخاصة بها على الطاولة وخرجت من هناك.

قالت لي عندما غادرت:

- أشعر بخيبة أمل يا أنسة هوكينز.

لم أستدر ولم أستطع سماع ما قالته بعد ذلك لكنني كنت أعرف ما هو.

- سنراقبك على الدوام.

مات ابن العرّاف، عالمه ظلّمة هادئة مستحيّلة، فارغة وخالية من الشكل، في مكان ما في الظلام الخالي من الأشكال هناك صوت:

- مرحبًا سيد رولينز.

بدا الصوت بعيدًا جدًا جدًا.

- مرحبًا، مرحبًا، مرحبًا.

لا يستطيع زاكري أن يشعر بأي شيء، ولا حتى الأرض تحت قدميه، ولا حتى قدميه، لهذه الدرجة. لا يوجد سوى العدم وصوت بعيد جدًا ولا شيء آخر. ثم يتغير.

إنه مثل الاستيقاظ وعدم تذكر النوم ولكنه ليس تدريجيًا، عاد وعيه فجأة وبشكل صادم، وتوقف وجوده في لحظة مفاجئة.

لقد عاد في جسده، أو نسخة من جسده، مستلقيًا على الأرض مرتديًا سروال بيجامة دون حذاء، ومعطفًا لا يزال يعتقد أنه من طراز سايمون، على الرغم من أن كلاً من المعطف وهذه النسخة البالية منه يعرفان أنهما يخصان الشخص الذي يرتديهما.

على صدره علامة مفتاح محترق حديثًا بلا جرح ولا دم، وليس لديه نبضات قلب. لكن الشيء الذي يقنعه ولا يترك مجالًا للشك أنه ميت حقًا هو

حقيقة أن نظارته قد اختفت ولا يزال كل شيء أمام عينيه واضح. لطالما تباينت أفكار زاكري حول فكرة وجود حياة أخرى محتملة، من العدم إلى التناسخ إلى الأكون التي خلقت ذاتياً، لكن أفكاره دائماً ما كانت تعود إلى عدم جدوى التخمين والافتراض وأنه سيكتشف عندما يموت.

الآن قد مات، وهو مستلقٍ على شاطئٍ مثل الذي مات عليه، مختلف قليلاً، لكن غضبه كان شديداً لدرجة أنه لم يلاحظ الاختلافات حتى الآن. حاول أن يتذكر ما حدث، والذاكرة واضحة بشكل مؤلم، لقد عاد دوريان، هناك أمامه حقاً، للحظة فقط وجد ما كان يبحث عنه، ولكن القصة لم تجر بالطريقة التي كان من المفترض أن تجري بها.

كان يعتقد أنه أخيراً سيحظى بتلك القبلة وربما أكثر من ذلك، ما دفعه ليعيد في ذهنه تلك اللحظات الأخيرة، متمنياً لو كان يعلم أنها اللحظات الأخيرة، ولكن عزاءه الوحيد أنه حتى لو كان يعلم، فإنه لم يكن ليعرف ما يتوجب فعله ساعتها، هذا لو كان لديه الوقت للرد والتصرف.

لقد كان دوريان دون أدنى شك، هناك على شاطئ البحر الخالي من النجوم، ربما لم يعرف دوريان أنه هو، لم يكن يعرف أنه دوريان الذي كان هو نفسه في البداية، مرة أخرى في الثلج، لقد رفع نفس السيف حينها، ولكن هذه المرة كان يبدو عليه أنه يعرف كيفية استخدامه.

يبدو الأمر كما لو أن كل القطع تم وضعها في مكانها لتؤدي إلى هذه اللحظة وقد وضع نصفها هناك بنفسه. إنه غاضب من نفسه بسبب العديد من الأشياء التي فعلها، والتي لم يفعلها وكم من الوقت أهدره في انتظار أن تبدأ حياته، الآن انتهى الأمر بعدما امتلك حياةً أخرى، وأصبح غضبه فجأة منصباً بشكل واضح على شخص آخر.

سحب زاكري نفسه على قدميه وصرخ في وجه القدر، لكن القدر لم يجب، القدر لا يعيش هنا لا شيء يعيش هنا.

«أنت هنا لأنني أريدك أن تفعل شيئاً لا أستطيع فعله».

هذا ما قالته ميرابيل، بعد تحطم المصعد وقبل كل شيء آخر.

لقد جعلته يموت. لقد عرفت. كانت تعلم طوال الوقت أن هذا سيحدث.

حاول زاكري الصراخ مرة أخرى لكنه لا يملك القلب، فتنهّد بدلاً من ذلك. هذا ليس عدلاً، كان بالكاد قد بدأ، كان من المفترض أن يكون في منتصف قصته، ليس في نهايتها أو في خاتمة ما بعد الموت هذه.

لم ينه أي شيء حتى، لم ينجز أي شيء، هل فعل ذلك؟ إنه لا يعرف. لقد وجد رجلاً ضائعاً في الوقت أو ربما أصبح كذلك، شق طريقه إلى البحر الخالي من النجوم، وجد ما سعى إليه وفقده مرة أخرى، كل ذلك في نفس واحد.

حاول أن يقرر ما إن كان قد تغير منذ أن بدأ هذا كله، إذ لم يكن هذا هو الهدف، فإن مجرد التفكير بهذا غمره بشعور أنه مختلف عما كان، لكنه لا يستطيع وزن الشعور بالاختلاف مقابل التغيير الذي طرأ على نفسه دون ضربات قلب، واقفاً على الشاطئ دون حذاء.

الشاطئ!

يطلّ زاكري على البحر، هذا ليس الشاطئ الذي وقف عليه قبل لحظات (هل كانت لحظات)؟ إنه يشبهه، بما في ذلك المنحدرات خلفه، ولكن الأمر لا يخلو من اختلافات.

على هذا الشاطئ يوجد قارب، زورق تجديف صغير ومجاديفه موضوعة بدقة على مقعده، نصفها في البحر ونصفها على الشاطئ، بدا إنه ينتظره.

البحر المحيط به لونه أزرق، أزرق لامع غير طبيعي، غمس زاكري إصبع قدمه في اللون الأزرق ورفرف، كانت قصاصات ورقية بدرجات متفاوتة من الأزرق والأخضر والأرجواني، مع الأبيض على طول الحواف لركوب الأمواج. نظراً لأنه يمتد بعيداً عن الشاطئ، فهناك شرائط مختلطة معه، وتجعيد طويل من الورق يتظاهر بأنه موجات.

نظر زاكري إلى الهيكل الذي يلوح في الأفق على الجرف خلفه، والذي كان قلعة بلا شك، على الرغم من أنه مبني من الورق المقوى المطلي. يمكنه أن يقول من هنا أنها مجرد واجهة، وداران بهما نوافذ تفتقر إلى الهيكل والأبعاد. فكرة القلعة مرسومة ومدعومة لخداع العين من مسافة أكبر من هذا.

خلف القلعة نجوم عملاقة ذات ورق مطوي تتدلى من أوتار تتلاشى في الظلام. شهب النجوم معلقة في منتصفها والكواكب على ارتفاعات مختلفة مع وبدون حلقات، إنه كون كامل.

استدار زاكري ونظر إلى المياه الورقية، هناك مدينة عبر البحر، تتوهج مع تَلَأُلُ الأضواء، ما دفع عاصفة المشاعر داخله للتوقف، وحل محلها هدوء غريب.

نظر زاكري إلى القارب، التقط مجدافًا خفيف الوزن، ولكنه صلب في يده ودفع القارب على ورقة البحر وبقي طافيًا، وجعل الماء الورقي حوله يأتي ويذهب، نظر عبر البحر إلى المدينة مرة أخرى، فعرف أنه لم ينته من مهمته. ليس بعد.

القدر لم ينته منه حتى في مرحلة الموت.
صعد زاكري إزرا رولينز إلى القارب وبدأ في التجديف.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

مرحبًا يا دفتر الملاحظات، لقد مرت فترة طويلة على لقائنا آخر مرة. كل شيء أصبح هادئًا نوعًا ما، لم أكن أعرف ماذا أفعل بعد السيدة في الحانة وأصبحت بالذعر لفترة طويلة، حتى تجاه تدوين أي شيء أو الحديث عن أي شيء، لذلك حشرت رأسي في الدراسة والعمل، مر الوقت دون جديد، والآن حان الصيف.

حسنًا، حدث شيء واحد ولم أكتبه في ذلك الوقت.

أعطاني شخص ما مفتاحًا كان في صندوق بريد الحرم الجامعي الخاص بي، مفتاحًا نحاسيًا ثقيلًا يتخذ الجزء العلوي منه شكل ريشة، فبدأ كقلم الريشة الذي ينتهي بأسنان رئيسية بدلًا من المنقار. كان يحتوي على شعار مرتبط بسلسلة، مثل علامة شيء ما قديم، وكانت مكتوب عليها لكات، عندما يحين الوقت. لقد ظننت أنها كانت دعوة إلى مشروع أطروحة شخص ما، ولكن لم يكن هناك أي شيء إضافي مطلقًا. لا يزال لدي، أضعه على سلسلة المفاتيح الخاصة بي (حلقات الريش موجودة في الأعلى) وتركت الشعار عليها. أعتقد أنني ما زلت أنتظر الوقت الذي سيأتي.

اعتقدت أن سيدة الحانة ستعود، كما لو كنت أرفض مكالمة وانتظرها، ولكنني لست هذا النوع من الأشخاص، على ما أعتقد. شعرت أنه القرار

الصحيح في ذلك الوقت لكن، كما تعلم، تفكر وتتساءل. ماذا كان يمكن أن يحدث بعد ذلك؟

هذا ما بدأت العمل عليه، على الرغم من أنه لم يكن مخططاً له، لم أكن أعمل مطلقاً لفترة، ولم أكن أعرف ما أريد أن أفعله، ولم أكن أعرف ما أريده أصلاً. لذلك ظللت أفكر فيما أحبه وواصلت العودة لرواية القصص في شكل لعبة، راودني شعور أن هذا كله قد لا يتعدى كونه لعبة مسلية في منتصف الطريق. فيلم تجسس جزئي، جزء آخر من خرافة، جزء من خيار اختر مغامرتك الخاصة، قصة ملحمية متفرعة لا تلتزم بنوع واحد أو مسار محدد وتتحول إلى قصص مختلفة، ولكنها كلها نفس القصة في النهاية.

أحاول التلاعب بالأشياء التي يمكنك فعلها في لعبة ولا يمكنك فعلها في الكتاب، وأحاول التقاط المزيد من القصة، الكتاب مصنوع من الورق لكن القصة عبارة عن شجرة.

تقابل شخصاً ما في الحانة، قد تتبعهم أو لا تتبعهم، قد تفتح الباب، وقد لا تفعل ذلك. وفي كلتا الحالتين النقطة هي: ماذا سيحدث بعد ذلك؟ إن هذه الأفكار تأخذ مساحةً سخيفة من المفكرات الملائة بالاحتمالات لكنها تصل إلى مكان ما.

ما حدث بعد ذلك في الحياة الواقعية، هو أنني وجدت (جوسلين كيتنغ)، نوعاً ما. لقد وجدت (سايمون كيتنغ).

منذ أشهر، طلبت من صديقي بريتي في لندن القيام ببعض أعمال التحري في المكتبات عن مؤسسة (كيتنغ) من أجلي إذا كان بإمكانها ذلك، لكنها لم تعد إليّ بإجابة لفترة، فتأكدت من أنها لم تجد أي شيء بخصوص الأمر، إلا أنها أرسلت لي رسالة نصية أمس أنها وجدت بعض الأشياء وما إذا ما زلت أريدها.

من المحتمل أنها تعتقد أنني مجنونة لأنني أعطيتها عنوان بريد إلكتروني جديد تمامًا، وأرسلت إليها رسالة نصية في المرة الثانية التي أرسلت فيها كل شيء لي، حتى أتمكن من طباعتها جميعاً على الفور ثم حذف البريد الإلكتروني، أخبرتها أن تحذفها بعد أن أرسلتها أيضاً، أمل أن يكون هذا كافياً. أخبرتكم: أشعر بالذعر!

في ذلك الوقت كان هناك مجتمع المكتبات البريطاني الذي لم يكن مجتمع مكتباتٍ رسمياً. معظمهم من الأشخاص الذين لم يكن مسموحاً لهم الوجود في المجتمعات المخملية. معظمهم من السيدات.

يبدو نوعاً ما من الأشخاص السيئين، لكنهم أذكىء. يبدو أنه كان مجتمعاً سرّياً، لذلك لا يوجد الكثير من السجلات.

لكن بعض المكتبات الخاصة في لندن كانت بها بضع الملفات، وجدها شخص ما وحاول الحصول على مزيد من المعلومات لمعرفة ما إذا كان هناك ما يكفي لمقال أو كتاب أو شيء ما، ولكن لم يخرج منه شيء جوهري.

لذلك، لا يوجد سجل مناسب يشير إلى كونها مجموعة رسمية، ولكن هناك أجزاء من دفاتر الملاحظات وبعض الصور. قسم من الصور تالف جزئياً، يشغلها أشخاص يرتدون قبعات وأقنعة مذهلة، وكل ما تم التقاطه في هذه الصور جميل. رفوف الكتب موجودة في أقفاص؛ حيث يبدو كل شيء ثميناً ورائعاً، ربما كان هذا تمويه وممرات سرية.

قَطَع الدفتر ليست كلها واضحة، كأنني أقرأ نسخة ممسوحة ضوئياً، لكن هذا ما تمكنت من قراءته:

أبواب م فهرسة في ثلاث مدن إضافية، (أ) لم تبلغ عن شيء بعد. في انتظار الرد، فقدنا الاتصال مع....

... على ما يبدو نحن بين التجسد، نحن نتحلى بالصبر كما فعل أسلافنا أمامنا وكما نخشى أن يستمر العديد من خلفائنا في ذلك، سنفعل ما في وسعنا لإحراز تقدم فيما تم تنفيذه.

... قضى المزيد من الوقت في الأسفل، الغرفة كاملة ويعتقد أنها مفيدة. كل شيء الآن يعتمد على الإيمان. كان هناك نقاش حول نثر المحفوظات من أجل السلامة، وقد نقل (ج). العديد من الأوراق إلى الكوخ...

هذا هو ما استطعت فهمه، الباقي باهت جداً بحيث لا يمكن قراءته أو مجرد أرقام جزئية. لا أعرف ماذا يعني ذلك، سيكون هذا أسهل إذا لم تكن الجمعيات السرية شديدة السرية، هناك شيء آخر، جميع الشظايا حول ستة أبواب في مكان آخر موجود «خارج الزمن» و «التجسد النهائي» ولا أعرف ما يعنيه ذلك، هنالك القليل عن عبادة جزر وهنالك صور.

صورة فيها سيدة شقراء تجلس على مكتب ولا تنظر إلى الكاميرا، رأسها إلى أسفل وشعرها يتدلى حاجبًا وجهها، تقرأ كتابًا وترتدي قلادة قد تكون على شكل قلب، لا أستطيع الجزم بذلك، ولا أستطيع معرفة عمرها أيضًا، وعلى ظهر الصورة مكتوب (سايمون. ك).

وهناك تاريخ ولكنه تلاشى لدرجة أنني أستطيع بالكاد قراءة (1 و 8) الذي قد يكون متبوعًا بـ (6 أو 5)، لا يمكنني معرفة ذلك. وقالت بريتي، ليس لديهم أي إصدارات أخرى، ولكنها خمنت أنها قد تكون من ستينيات القرن التاسع عشر. لا يمكن أن تكون مقالات المجلات متأخرة عن ذلك بكثير أو ربما أطلقوا عليها اسم طوكيو بدلًا من إيدو.

هناك لقطة جماعية أيضًا، ثلاثة عشر شخصًا أمام رفوف الكتب، بعضهم واقف والبعض الآخر جالس، كلهم يبدو وكأنهم يقرأون، إنها ضبابية للغاية، أعلم أن الناس اضطروا إلى الوقوف صامتين لفترة طويلة بشكل سخيف لالتقاط صور المدرسة القديمة، لكن هذا يبدو وكأنه مجموعة مضطربة بشكل خاص، إحدى السيدات تدخن بالغلليون، ولا وجود لأي تشابه بين الموجودين في الصورة، بالإضافة إلى أن الصورة بها تلف ناتج عن الماء على طول الجزء العلوي والجانب.

لكن أحد الأسماء المكتوبة بخط اليد على الظهر يقول (ج.س. كيتنغ) حسنًا، يمكنك قراءة (ج وس) وربما تكون ك أو ه وحروفًا أخرى مثل ل، ي، ن.

إذا كانت الأسماء بالترتيب، فهي السيدة الشقراء التي تقف في المرتبة الثانية من جهة اليمين، مستديرة لتقول شيئًا ما أو تستمع إلى الرجل في النهاية الذي اختفى تقريبًا بسبب أضرار المياه. لا يمكن تمييز اسمه بالكامل على خلفية الصورة لكنه يبدأ بحرف (أ) السيدة هي نفسها من صورة سايمون، أسفل قائمة الأسماء عبارة تقول: لقاء البوم.

يجدّف ابن العرّاف في قارب عبر المحيط، ويبدو الهيكل الموجود على الشاطئ خلفه وكأنه قلعة مناسبة الآن، يوجد ضوء في النافذة العلوية ويلتف ظل التنين حول أعلى برج.

تنغمس المجاديف في القصاصات الملونة واللافتات، مما يحركها في مبيض مائي من الأزرق والأخضر على الرغم من عدم وجود سماء هنا لتعكس مثل هذه الألوان. نظر زاكري إلى الفضاء؛ حيث يجب أن تكون السماء، متسائلًا عما إذا كان هناك شخص ما في مكان ما يقوم بإجراء تغييرات على هذا الكون.

تحريك قارب صغير عبر المحيط، يجب أن يبدو وكأنه لا شيء من هذه المسافة، حركة صغيرة في لوحة أكبر بكثير، إنه شعور أكبر بكثير من الأسفل هنا في وسط المحيط.

استغرق الوصول إلى المدينة عبر البحر وقتًا أطول بكثير مما توقعه، هناك العديد من الأضواء على طول الأفق، ولكن زاكري يتجه نحو ألمع واحد وكلما اقترب اكتشف أنها منارة.

عندما اقترب كان لا يزال بإمكانه أن يقول، إن المنارة قد تم اقتباسها من زجاجة نبيذ مع شمعة تحترق في رقبتها.

إنها عكس القلعة وتنينها؛ حيث يشاهد شكل المدينة يستقر في المباني والأبراج المحاطة بالجبال الملونة، ثم يتحول إلى الأشياء التي تم تشييدها منها، القصاصات الورقية حول القارب تدفعه إلى الشاطئ.

سحب زاكري القارب على الشاطئ حتى لا يأخذه البحر بعيدًا مرة أخرى. هذا الشاطئ مغطى برمال حباتها ضخمة.

لكن لا يوجد سوى غبار منها الآن، ويوجد تحتها سطح صلب، فرش زاكري الرمل بعيدًا عن جزء منه بالقرب من القارب، وكشف عن خشب الماهوجني المصقول للمكتب، الذي يقع عليه هذا الجزء من العالم، وقد خدش طلاؤه بالرمال والزمن.

سار من الشاطئ على العشب الأخضر من الورق، إنه يعرف الآن مكانه، حتى لو لم يفهم سبب وجوده هنا، مشى بعيدًا في عالم الدمية الذي كان يتوق إلى رؤيته، رغم أنه لم يتخيل قط مشاهدته من هذا المنظور. توجد على طول الشاطئ منحدرات وكهوف وصناديق للكنوز وأكثر من ذلك بكثير لاستكشافها، ولكن زاكري يعرف إلى أين يتجه، مشى في الداخل، والعشب الورقي ينكسر تحت قدميه العاريتين.

مشى أمام أنقاض مهدمة لمعبد، ونُزل مغطى بالثلوج، وتناثرت الثلوج الورقية على العشب الأخضر، عبر جسرًا من المفاتيح ومرجًا مليئًا بزهور ورقية من صفحات الكتب التي لم يتوقف لقراءتها.

تكشف بعض أجزاء العالم عن قطعها الحقيقية: الورق والأزرار وزجاجات النبيذ والبعض الآخر تقليد مثالي مصغر. من بعيد بدوا وكأنهم يمثلون تلك الهيئة، ولكن مع اقتراب زاكري، فإن القوام خاطئ وخادع، مصنوعون بلا حرفية وجميعهم ينزفون.

بيت مزرعة محاط بكرات من القطن تتظاهر بأنها غنم، وفوقه طيور مطوية من الورق ترفرف على حبال، معلقة لكنها لا تطير.

مع استمرار زاكري في المشي، يزداد تواتر المباني، تجول في الشوارع؛ حيث تصبح المساحة مدينة ملائحة بالمباني الشاهقة المصنوعة من الورق المقوى، والتي تصطف على جانبيها نوافذ متفاوتة المسافات، مر عبر فندق فيه زقاق تصطف على جانبيه الفوانيس ولافتات مزينة لمهرجان لا يحدث.

تصبح المدينة بلدة أصغر، سار زاكري في شارع رئيسي تصطف على جانبيه المباني. المتاجر والمطاعم وحانات الكوكيتيل ومكتب بريد وبار ومكتبة.

انهارت بعض المباني، وتم إعادة هيكلة البعض الآخر باستخدام الشريط اللاصق والغراء. مزينة وموسعة وفارغة، حتى تلك التي بها أشخاص موضوعون بداخلها، يحدقون إلى فراغٍ من النوافذ أو إلى أكواب النبيذ.

هذه هي فكرة العالم دون أي شيء ينفخ فيه الحياة، القطع دون القصة لا حياة فيها، ليست حقيقية.

الفراغ في صدر زاكري فراغ حقيقي يؤلمه، مشى أمام دمية وحيدة ترتدي بذلة مفصلة بفرز كبيرة للغاية تستريح في منتصف الشارع، وحاول زاكري رفعها لكن الخزف تشقق وكسر ذراع الدمية، فأعادها لمكانها واستمر في المشي.

على قمة تل يطل على المدينة يوجد منزل، له شرفة أمامية كبيرة والعديد من النوافذ الملبدة بالغيوم باللون الكهرماني، على سطحه يوجد ممر لأرملة يطل على البحر، كان من الممكن أن يراه أحدهم قادمًا من هناك لو أن الشرفة مأهولة حاليًا، ولم تكن كذلك.

يبدو أكثر واقعية من بقية العالم، ذلك العالم الذي تم بناؤه حوله بالورق والغراء والأشياء.

يمكنه رؤية القطع الحديدية على جانب بيت الدمى، القفل يحافظ على واجهته في مكانها، والفوانيس الموجودة على جانبي الباب مضاءة. صعد زاكري درجات بيت الدمى إلى الشرفة الأمامية، هناك صوت طنين وأزيز.

الباب مفتوح. لقد كان مجيئه متوقعًا.

وكتب على لافتة معلقة فوق الباب: **تعرف على نفسك وتعلم أن تتألم.**

ازداد صوت الطنين وتكاثر وتغير وتبدل ثم تحول إلى كلمات.

مرحبًا مرحبًا مرحبًا مرحبًا مرحبًا مرحبًا..

مرحبًا سيد رولينز، أنت هنا أخيرًا، مرحبًا، مرحبًا.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

مرحبًا يا دفتر الملاحظات، لقد مرت فترة أطول هذه المرة.

أعدت القراءة لأنني لم أتذكر المكان الذي توقفت فيه، إنه أمر غريب ألا تكون قادرًا على تذكر أفكارك حتى بعد كتابتها. في بعض الأحيان يبدو الأمر كما لو أن كات القديمة كانت مجرد شخص مررت به في الشارع.

لم أكتشف قط أي شيء آخر عن (جوسلين كيتنغ)، ما زلت لم أتذكر أين سمعت عن ملك اليوم من قبل، ما زلت لا أعرف ما هذا المفتاح، أحيانًا أرى شخصًا يراقبني في المكتبة وأشعر بالهلع حول هذا الموضوع، وهو أمر ممتع للغاية.

أجد صعوبة في النوم. وما زال (ز) مفقودًا، رغم مرور أكثر من عام.

لقد اتصلت كثيرًا بالهاتف مع والدة (ز) ولدي كل أغراضه الآن، سحبتها من مخزن الجامعة ووضعتها في صناديق في شقتي. ظلت أخبر والدته أنه يمكنني إحضارهم إليها لكنها تصر على الانتظار حتى أتخرج في مايو المقبل، من أنا لأجادل العرافة؟ إلى جانب ذلك، يتمتع (ز) بذوق ممتاز في الكتب، لذا فأنا الآن لدي مخزون جيد للقراءة.

لم أعد أتحدث مع الناس بعد الآن، أعلم أنه ينبغي لي ذلك لكن الأمر صعب، كنت أخرج مع هذا الرجل الذي يعمل في الحانة لفترة من الوقت، وكان لطيفاً ولكن ليس النوع الذي أفضل، لم أردّ على إحدى رسائله مرةً فلم يرأسلني بعدها قط، والآن هو مجرد نادل يقابلني بحفاوة عندما أذهب إلى هناك وهو أمر غريب، كأنني تخيلت الأمر برمته ولم يحدث في الواقع.

إنه مثل الصورة، لم أكتب عن ذلك هنا، لكن قبل بضعة أشهر وجدت صورة عبر الإنترنت من تلك الحفلة الخيرية التنكرية. لقد كان معرضاً للصور، وكان أحد الحضور امرأة ترتدي ثوباً أبيض طويلاً وتاجاً مع رجل يرتدي بدلة، وبدا وكأنهما إما توقفا للتو عن الرقص أو كانا على وشك البدء. بدا وكأنهما يعرفان بعضهما، لم يكن أي منهما ينظر إلى الكاميرا وكانت تضع يدها على قلبه.

لم أتعرف على المرأة، لكن الرجل كان (ز)، كان هناك وهج عدسة الكاميرا وكانت هي محطّ تركيز الضوء، لكن (ز) كان حتماً هو، لقد كان يرتدي قناعي التنكري والصورة لا تحتوي أي تعليق.

عندما حاولت تحميل صورة أكبر لحفظ الملف، أعطاني خطأ «لم يتم العثور على الصفحة» وبحثّ مرارًا وتكرارًا في المعارض مرة أخرى ثم اختفت.

أستطيع رؤية الصورة في رأسي، لكنني في الآونة الأخيرة لست متأكدة من أنني لم أتخيل ذلك، أو ما إذا رأيت ما أردت رؤيته أو شيء من هذا القبيل. لقد حذفت جميع حسابات وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بي بعد فترة وجيزة. أغلقت مدونتي وتوقفت عن الخبز أيضاً، باستثناء التجارب الفاشلة في عجيب الفطير الخالي من الغلوتين وحاولت أن أشغل نفسي.

تحولت مفكراتي من الاحتمالات التي لا نهاية لها إلى أطروحة التخرج، وربما أكثر من ذلك، لذا جئت إلى مانهاتن لحضور اجتماع (ما زلت هنا، سأعود إلى فيرمونت غداً) وفي اليوم الثاني عدت وتلقيت نصاً من رقم غير معروف.

**مرحباً كات. الركن الشمالي الشرقي من ميدان الاتحاد، الساعة 1
ظهراً.**

تحتها كان رمز تعبيرى عن النحل، ورمز مفتاح، ورمز تعبيرى للسيف. وذهبت، بالطبع فعلت.

تم إنشاء سوق المزارعين في ميدان الاتحاد، لذا كان المكان عبارة عن حديقة حيوانات، واستغرق الأمر بعض الوقت للعثور على مكان ما لأقف فيه، ولم أكن أعرف ما الذي كان من المفترض أن أبحث عنه، لذلك افترضت أن شخصاً ما كان يبحث عني. بالتأكيد، كان اتباع التعليمات النصية مجهولة المصدر سطحياً، ولكن بدا منتصف ركن الشارع المزدحم آمناً بما فيه الكفاية، حسناً، أيّاً من كان، كنت أشعر بالفضول!

مكثت هناك لمدة ثلاث دقائق تقريباً عندما رن هاتفي مرة أخرى بنص آخر: «انظري إلى أعلى».

نظرت إلى الأعلى، استغرق الأمر مني دقيقة، لكنني لاحظت بعد ذلك الفتاة التي تقف في النافذة العلوية لبارنز ونوبل العملاقين، تنظر إليّ، وترفع إحدى يديها كما لو كانت ستلوح لكنها لم تكن تلوح، كان لديها هاتف في يدها الأخرى وبدأت بالكتابة عليه بمجرد رؤيتي لها.

لقد تعرفت إليها، لقد حضرت إلى فصولي عدة مرات عندما اختفى (ز)، ولكن لم أرها بعد شهر يناير، كانت خياطة، لقد ساعدتني في تعلم إتقان نمط الغرز الذهبي الخاص بي. لقد أجرينا محادثة رائعة حول الروايات المتداخلة أيضاً، وكيف أنه لا توجد قصة واحدة تمثل القصة بأكملها على الإطلاق، اسمها (سارة)... شيء ما لا أتذكره! كانت هناك، حينها، ولم أفكر بها قط، ولا مرة.

بدأ الهاتف العمومي بجواري في الرنين، بجدية، لم أكن أعتقد حتى إن هذه الهواتف تعمل، فقد صنفتهم في ذهني كأشياء عتيقة تذكر بمشاعر الحنين إلى الشوارع.

جاء نص على هاتفي: «أجيبني على الهاتف».

ونظرت إلى الأعلى. كان لديها هاتفان، أحدهما في أذنها وكانت ترسل الرسائل النصية على الآخر، أشخاص وعدد كبير من الهواتف.

بدأ الناس من حولي ينظرون إليّ بشكل مضحك، كنت أقف بالقرب من الهاتف بحيث لن يتمكن أي شخص آخر من الإجابة عليه، لذلك التقطت السماعه.

- أعتقد أن اسمك ليس سارة.

قلت ذلك لحظة وضع السماعه على أذني.

قالت:

- إنه ليس كذلك.

وجاء صوتها عبر الهاتف بعد ثانية من رفع شفيتها وهي تقف على النافذة، وتوقفت لفترة طويلة لكنها بقيت على هاتفها، لقد وقفنا هناك فقط ننظر إلى بعضنا، وكانت لديها هذه الابتسامة الحزينة الغريبة بعض الشيء.

- هل هناك شيء تودين إخباري به؟

سألتها عندما لم أستطع تحمل الصمت بعدها.

- طلبت منك الانضمام إلينا وقلت لا، أليس كذلك؟

لم يكن عليّ أن أسأل عن ما الذي كانت تتحدث عنه.

قلت:

- قررت أن أبقى خياراتي مفتوحة.

- كنت ذكية.

بدأت كلماتها مشوبة بالمرارة والحسرة، انتظرت أن تقول شيئاً آخر، كان شخص ما في إحدى خيام سوق المزارعين يبيع عسل نحل سطوح مانهاتن وتشتت انتباهي بسببه، وأنا أتساءل عن نحل المدينة مقابل نحل الريف، وأقلق بشأن ما إذا كان نحل مانهاتن لديه أزهار كافية أم لا.

- أردت أن أنتمي إلى شيء ما، أتفهميني؟

قالت الفتاة التي لم تكن (سارة).. لكنها لم تنتظر مني أن أجيب.

- شيء مهم، أردت أن أفعل شيئاً ذا هدف ومغزى، شيئاً ما، شيئاً مميزاً.

فككت الإدارة العليا المنظمة بأكملها، تم فصلنا جميعاً، لا أحد يعرف

ماذا حدث، ولم أعد أعرف ما عليّ فعله.

قلت:

- يبدو هذا مؤدياً. كنت على حق، بدا أنه مؤذ نوعاً ما وقد فهمته بشكل

جيد.

قالت:

- أعلم أن هذا كان صعباً عليك، لم أكن أريدك أن تكوني متوترة طوال

الوقت، أردت أن أخبرك أنه لا أحد يراقبك بعد الآن.

قلت:

- أنت كنت تفعلين ذلك؟

هزت كتفها. سألتها:

- ماذا حدث للمكان الذي كان من المفترض أن تحميه؟

- لا أعلم لم أكن هناك مطلقاً، ربما اختفى أنا لا أعرف حتى ما إذا كان موجوداً.

- لماذا لا تبخthin عنه؟

- لأنني وقعت اتفاقاً ينص على أنه إذا فعلت ذلك، فيمكنهم إنهاء عملي حرفياً، لقد تأكدت من أن هذا البند كان سليماً عندما دفعوا لي وأعطوني هوية جديدة. سيقفلونني إذا علموا أنني أتحدث إليك الآن.
- حقاً؟

- كل هذا جاد وحقيقي، تحدثوا عن استبعادك لكنهم قرروا أن الأمر ينطوي على مخاطرة كبيرة في حال أدى ذلك إلى مزيد من الأشخاص الذين ينظرون في قضية رولينز.

- أين زاكري؟

سألتها ثم تمنيت ألا تخبرني أنه مات؛ لأنه بغض النظر عما أعتقد، فأني قد اعتدت على قطعة الأمل الصغيرة التي تلمع وسط الجهل.

قالت في عجلة من أمرها وبذعر كبير:

- لا أعرف.

ونظرت وراء كتفها وتابعت:

- لا أعرف، لا أعرف، كل ما أعرفه أن كل شيء انتهى، أظن أنه يجب عليك معرفة ذلك.

أعتقد أنها أرادت مني أن أشكرها ولم أفعل.

قلت لها:

- من ملك اليوم؟

أنهت الاتصال، واستدارت من النافذة ثم مضت بعيداً إلى المكتبة، وكنت أعلم أنني لن أتمكن من العثور عليها، فكم كان سهلاً الاختفاء في متجر لبيع الكتب في وسط مانهاتن.

لقد قمت بإرسال رسالة إلى الرقم مرة أخرى، ولكنه قال (فشل التسليم)، ولم أعد أعرف كيف أبدأ في البحث عن مكان ربما ليس موجودًا أصلًا.

يقف ابن العرّاف عند مدخل بيت الدمى بالحجم الطبيعي، المشغول بقرص عسل أكبر من الحجم الطبيعي ويحيط به نحل بحجم القطط، يزحف النحل على الدرج وعبر النوافذ والسقف فوق الكراسي والأرائك والثريات ويطنّ حول زاكري مبتهجًا بوصوله:

- مرحبًا يا مستر رولينز، شكرًا لك على زيارتك لنا، لم يقم أحد بزيارتنا منذ وقت طويل جدًا، لقد كنّا بانتظارك.

أجاب زاكري:

- مرحبًا؟!

قالها زاكري بصيغة استفهامية، فهو نفسه قد بات مجموعةً من الاستفهامات، بينما يدخل إلى بيت الدمى، تغرق قدماه في العسل الذي يكسو الأرضية بينما يخطو إلى بهو المدخل.

- مرحبًا سيد رولينز مرحبًا.

يتحرك النحل العملاق بهذه الطريقة فوق الغرف المغطاة بقرص العسل، ويتنقل صعودًا وهبوطًا على الدرج، متنقلًا من غرفة إلى أخرى، وممارسًا أعماله مهما كانت طبيعة عمله.

- كيف... كيف تعرفون اسمي؟

- لقد تمّ إخبارنا به عدة مرات «السيد زاكري إزرا رولينز» سيدي.

- ما هذا؟

سأل زاكري وهو يمشي بعيدًا داخل المنزل، وكل خطوة بطيئة ولزجة.
- هذا بيت الدمى، منزل للدمى، ومنزل لإبقاء القصة فيه، وليست جميع القصص تتناسب مع المنزل، معظم القصص كبيرة، مثل هذه القصة.

- لماذا أنا هنا؟

- أنت هنا لأنك ميت، لذا أنت الآن هنا بين الأماكن، أيضًا لأنك أنت المفتاح، قالت إنها سترسل لنا مفتاحًا عندما يحين الوقت

لوضع المفتاح في القفل وإغلاق القصة بعيداً عندما تنتهي، وها أنت ذا.

نظر زاكري إلى أسفل، إلى الندبة على شكل مفتاح على صدره.

سأل رغم أنه يعرف الإجابة:

- من أخبركم ذلك؟

قال صوت الطنين ولم تكن الإجابة التي توقعها زاكري:

- نحاة القصة، الشخص الذي ينحت القصة، أحياناً تكون في القصة وأحياناً لا تكون، أحياناً تكون قطعاً أحياناً تكون شخصاً أخبرتنا أنك قادم منذ فترة طويلة جداً، لقد انتظرنا وقتاً طويلاً يا سيد رولينز.

- انتظرتوموني أنا؟

- نعم يا سيد رولينز، لقد أحضرت القصة إلى هنا، شكراً لك، شكراً لك، لم تكن القصة هنا منذ وقت طويل جداً، لا يمكننا أن نغلق قصة المرفأ التي تجولت بعيداً عنا، وعادة ما نطلق ونحلق ونحلق لنبحث، وهذه المرة نزلنا إلى الأسفل والأسفل أكثر وأكثر وجئنا إلى هنا للانتظار، والآن نحن هنا معاً مع القصة، هل ترغب في فنجان من الشاي؟

- لا، شكراً.

وحدق زاكري إلى ساعة يقطر منها العسل في الصالة الأمامية، ووجهها المزخرف يصور بومة وقطة في قارب صغير، بينما يداه توقفتا بالشمع قبل دقيقة من منتصف الليل.

- كيف أخرج من هنا؟

- لا يوجد خارج هنا، إنه داخل فقط.

- حسناً، ماذا سيحدث بعد ذلك؟

- لا يوجد بعد ذلك، ليس هنا، هذه هي النهاية ألا تعرف ماذا تعني النهاية؟

- أعرف ما تعنيه النهاية.

تلاشى الهدوء الذي شعر به من قبل، وحل محله هياج وأزيز وطنين لا يمكنه معرفة ما إذا كان يأتي من النحل نفسه أو من مكان آخر.

- هل أنت بخير يا سيد رولينز، ما الأمر؟ يجب أن تكون سعيدًا، أنت تحب هذه القصة، وتحبنا، فأنت مفتاحنا، أنت صديقنا، أنت تحبنا، أنت قلت ذلك.

- لم أقل ذلك!

- بل فعلت هذا، وقدمنا لك الكعك.

تذكر زاكري كتابة (اعتراف بقلم حبر على ورق) أرسله إلى الأسفل عبر عربة نقل الطعام وشعر أن ذلك حصل من وقت بعيد، بعيد جدًا.

- أنتم المطبخ!

مدرّكًا أنه قد أجرى بالفعل عدة محادثات مع النحل من قبل على الرغم من أنهم يبدوون أكثر وضوحًا وعقلانية في الكتابة.

- في ذلك المكان نحن المطبخ ولكن ها نحن، نحن!

- أنتم نحل!

- نحن نحبّ النحل، هل تهتم بالمرطبات، يمكننا تحويل العسل إلى أي شيء، أي شيء تتخيله، نحن جيّدون جدًا في ذلك، تدريبنا كثيرًا، يمكننا أن نقدم لك فكرة الكعك المحلى وسيكون مذاقه حقيقيًا تمامًا مثل الكعكة الحقيقية فقط أصغر. هل تريد كعكة؟

- كلا.

- هل تريد كعكتين؟

قال زاكري بصوت أعلى:

- كلا.

- نعلم أنك سترغب في الحصول على كوكتيل وكعك، نعم، سيكون ذلك أفضل.

قبل أن يتمكن زاكري من الرد، تدفعه نحلة إلى طاولة صغيرة عليها كوب زجاجي بلوري مملوء بسائل ليمون لامع وكعك صغير مزين بنحلة أصغر بكثير.

بدافع الفضول، التقط زاكري الكوب وأخذ رشفة صغيرة، وتوقع أن يكون مذاقه مثل العسل كما هو الحال، ولكنه مذاق مألوف من الكحول والليمون، أقدم النحل بالطبع.

أعاد زاكري وضع الكأس على الطاولة، وتهد ثم مشى إلى داخل المنزل يتبعه بعض النحل، بينما يتمم بشيء عن الكعكة، معظم الأثاث مغطى بالعسل، ولكن بعضه لم يمس، تغرق قدماه العاريتان في سجاد مبلل بالعسل وهو يمشي ويوجد خلف القاعة الأمامية صالون وغرفة دراسة ومكتبة.

يوجد على طاولة في المكتبة بيت للدمى، بيت دمية مختلف عن الهيكل الفيكتوري الذي يحتله زاكري حالياً، وهو مبنى مصغر يتكون من طوب صغير والعديد من النوافذ يبدو كمدرسة أو ربما مكتبة عامة. حدق زاكري إلى إحدى النوافذ فلم يجد دمي ولا أثاثاً، فقط رأى صوراً مرسومة على الجدران بالداخل وبركة من العسل تحيط بالمبنى مثل الخندق.

سأل زاكري النحل:

- هل من المفترض أن يكون هذا البحر الخالي من النجوم؟
- هذه هي القصة التالية، هذه القصة تنتهي الآن، يجب على المفتاح أن يغلّقها ويطويها ويضعها بعيداً لتتم قراءتها أو إخبارها أو إبقاؤها حيث سيتم وضعها بعيداً، لا نعرف ماذا سيحدث بعد انتهائها، ولكن نحن يسعدنا أن تكون لدينا صحبة، ليس لدينا دائماً صحبة للنهايات.

زاكري:

- أنا لا أفهم!
- أنت المفتاح، أنت الذي جلبت النهاية، حان الوقت لإغلاقها وقُل وداعاً، ليلة سعيدة، إلى اللقاء، لقد كنا في انتظارك منذ وقت طويل جداً يا سيد رولينز لم نكن نعلم أنك ستكون المفتاح، لا يمكننا دائماً رؤية المفاتيح على ما هي عليه، عندما نلتقيهم أحياناً قد نشعر بالمفاجأة. مفاجأة! مرحباً، مفاجأة.

واصل زاكري السير في المنزل، إلى غرفة طعام رسمية معدة لحفل عشاء غير موجود وتوجد كعكة على اللوح الجانبي بها شريحة واحدة مفقودة على الرغم من أن الفراغ المنكسر قد تم ملؤه بشمع العسل.

تجول في مخزن كبير الخدم المؤدي إلى المطبخ، هذه مساحة مخصصة للعيش ولا يشغلها حالياً سوى النحل ورجل وحيد ميت.

في الجزء الخلفي من المنزل توجد غرفة مشمسة، ونوافذها المترامية الأطراف مغطاة بالعسل، وجد دمية واحدة، دمية فتاة مطلية بالبورسلان متصدعة، ولكن غير مكسورة تجلس على كرسي، ساقاها غير مثنيتين تماماً، تحديق من النافذة كما لو كانت تنتظر وصول شخص ما يتسلل عبر الحديقة الخلفية. يوجد كتاب في يدها، أخذه زاكري منها، ولكنه ليس كتاباً حقيقياً، إنه قطعة من الخشب تشبه الكتاب ولا يمكن فتحها.

نظر زاكري من النافذة المغطاة بالعسل ومسحها براحة يده برفق قدر المستطاع، ثم أطل على الحديقة والمدينة والبحر الورقي، الكثير من القصص داخل القصة وها هو في نهاية كل منهم.

قال زاكري للنحل:

- هذه القصة لا يمكن أن تنتهي عند هذا الحد.

- لماذا السيد رولينز؟ لماذا لا؟ حان الوقت للنهاية الآن القصة انتهت، المفتاح هنا، حان الوقت.

- لا يزال القدر مديناً لي برقصة.

تبع كلامه أزيز لا يمكن تمييزه ليهدأ بعدها مع كلمات واضحة.

- أوه أوه أوه هممم، نحن لا نعرف لماذا فعلت ذلك، ونحن دائماً لا نفهم طرقها، هل تود التحدث إليها سيد رولينز، يمكننا أن نبني لك مكاناً للتحدث إلى نحاة القصة، مكاناً في القصة؛ حيث يمكنك التحدث معها ويمكنها التحدث إليك، لا يمكننا التحدث معها بأنفسنا لأنها ليست ميتة الآن، ولكن يمكننا بناء مكان للحديث أو الرقص، فنحن جيدون في بناء أماكن للقصة، لم يتبق الكثير من الوقت ولن يستمر هذا طويلاً ولكن يمكننا فعل ذلك إذا كنت ترغب في ذلك، هل ترغب في هذا؟

زاكري:

- نعم، أود ذلك من فضلكم.

واستمر في التحديق من النافذة إلى العالم وهو ينتظر، مع فكرة غير منتهية عن كتاب بين يديه وبدأ النحل في بناء قصة المكان داخل هذا المكان، غرفة جديدة داخل بيت الدمى، وكان صوت الطنين واضحًا في أثناء عملهم.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

تذكرت المكان الذي سمعت فيه عن ملك البوم من قبل، لا أعرف لماذا استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا.

كنت في هذه الحفلة منذ عامين، ربما قبل بضعة أشهر من اختفاء (ز) لا أتذكر. أعتقد أنه كان الصيف، لا بد أنه كان الصيف لأنني أتذكر الرطوبة والبعوض وضباب الحرارة الليلي. واحدة من تلك الحفلات المنزلية عند أحد أصدقائي، ولم أكن لأتمكن من معرفة المنزل أو أصدقاء الأصدقاء الذاهبين للمكان نفسه، إذ إن جميع المنازل تبدو زرقاء-رمادية-بنية اللون في الضوء، وفي شوارع معينة كلهم يبدوون متشابهين، أحدهم يندمج مع الآخر، وأحيانًا أصدقاء الأصدقاء يفعلون ذلك أيضًا.

في هذا المنزل كانت أضواء رائعة في الخلف، مصابيح صلبة مع إنارة مناسبة تبدو وكأنها مستعارة من بعض المقاهي الفرنسية.

كنت أتنفس بعض الهواء أو شيء من هذا القبيل، ولا أتذكر لماذا كنت بالخارج، أتذكر أنني كنت في الفناء، وأنا أنظر إلى السماء محاولة تذكر الأبراج الخاصة بي على الرغم من أنني لا أستطيع إلا اختيار الجوزاء.

كنت وحدي هناك، ربما كان الجو رطبًا جدًا أو كان هناك الكثير من الحشرات أو كان الوقت متأخرًا بما يكفي بحيث لم يغادر الكثير من الأشخاص، كان الجميع بالداخل. كنت جالسة إلى طاولة نزهة كانت كبيرة جدًا بالنسبة إلى حجم الفناء، وكنت أمارس فقط نوعًا من التحديق في الكون.

ثم هذه الفتاة. لا، امرأة. سيدة. أو أيًا من كانت. خرجت هذه السيدة وقدمت لي شرابًا، لقد تأكدت أنها كانت طالبة تخرج أو أستاذًا مساعدًا، أو رفيقة سكن لشخص ما أو شيئًا من هذا القبيل، لكنني لم أستطع تخمين عمرها، أكبر مني، ليس كثيرًا.

كان مضحكًا كيف يتم ذلك، ما مدى أهمية سنة واحدة من الاختلاف ثم بعد نقطة معينة، سنة لا تعني شيئًا. أعطتني كوبًا بلاستيكيًا معتمًا مطابقًا

للكوب الذي تركته بالداخل ولكن به بوربون أفضل. قبلت لأن تقديم السيدات الغامضات للبوربون تحت النجوم هو أمر جمالي إلى حد كبير.

جلست بجواري وأخبرتني أننا نحن الأشخاص الذين كان من الممكن أن يتبعهم السرد من الحفلة إذا كنا في فيلم أو رواية أو شيء من هذا القبيل. كنا حيث كانت القصة، القصة التي يمكن أن تتبعها مثل الخيط، وليست كل قصص متداخلة للحفلات في المنزل، متشابكة مع الكثير من الأعمال الدرامية المبللة بالكحول الرخيص ومتكدسة في غرف غير كافية.

أتذكر أننا تحدثنا عن القصص، وكيف تسير وكيف تتوقف وكيف يمكن أن تبدو الحياة بطيئة وغريبة جداً عندما تتوقع أن تكون أشبه بالقصة، مع كل الأجزاء المملة والأشياء اليومية التي تم تحريرها. نوع من الأشياء التي اعتدت أن أتحدث عنها أنا و (ز).

تحدثنا عن القصص الخيالية وأخبرتني واحدة لم أسمع بها من قبل على الرغم من أنني أعرف الكثير من الحكايات الخيالية.

كان عن مملكة خفية، مثل مكان مقدس لم يعرف أحد مكانه بالضبط ولكنك تجده عندما تحتاج إليه. نادت في الأحلام أو غنت أغاني صفارات الإنذار، ثم وجدت باباً سحرياً أو بوابة أو أيّاً ما كان، ليس دائماً ولكن أحياناً، كان عليك أن تصدقها أو تحتاجها أو أن تكون محظوظاً فقط، على ما أعتقد.

جعلني ذلك أفكر في ريفيندول، في مكان ما هادئ وبعيد يساعدك على إنهاء كتابة كتاب ما، لكن هذه المملكة المخفية كانت تحت الأرض وفيها ميناء بحري، إذا كنت أتذكر ذلك بشكل صحيح. ربما حدث ذلك لأنه كان على شيء يسمى البحر الخالي من النجوم وأنا أعلم أنني لا أخطئ في تذكر هذا الجزء؛ لأنه كان تحت الأرض بشكل محدد، وبالتالي لا يوجد نجوم. إلا إذا كان هذا الجزء كله كنايةً أو شيء من هذا القبيل.

أتذكر المكان أكثر من القصة التي جاءت معه ولكني أعتقد أن جزء القصة كان يتعلق بهذه المملكة المخفية كونها مكان مؤقت. وكيف كان من المفترض أن تنتهي وتختفي إذ إن اختفاء الممالك الخيالية شيء ليس باليسير، والمكان له بداية ووسط وتوقف قبل أن يصل إلى النهاية. أعتقد أنه ربما بدأ ذلك عدة مرات أيضاً، لكنني لا أتذكر ذلك.

حوصرت بعض أجزاء القصة خارج مكان القصة وضاعت أجزاء أخرى وضلت طريقها. كان هناك شخص ما يحاول منع القصة من النهاية على ما أعتقد ولكن القصة أرادت نهاية. النهايات هي التي تعطي معنى للقصص. لا أعرف ما إذا كنت أصدق ذلك. أعتقد أن القصة بأكملها لها معنى، ولكني أظن أن امتلاك قصة كاملة يحتاج إلى نوع من الدقة، مكان مناسب لتركة وقول وداعًا.

أعتقد أن أفضل القصص تبدو وكأنها ما زالت مستمرة، في مكان ما، في مكان القصة.

أتذكر أنني كنت أتساءل عما إذا كانت هذه القصة عبارة عن تشبيه حول الأشخاص الذين يقيمون في أماكن أو علاقات أو أي مواقف أطول مما ينبغي؛ لأنهم يخشون التخلي أو الماضي قدمًا أو نحو المجهول، أو كيف يتمسك الناس بالأشياء، لأنهم يفوتون ما كان الشيء عليه حتى لو لم يعد هذا هو الشيء نفسه الآن. أو ربما هذا ما فهمته، وسيبقى شخص آخر يسمع نفس القصة شيئًا مختلفًا.

ولكن على أي حال، ظلت هذه المملكة الخفية على قيد الحياة بهذه الطريقة الخيالية السحرية وبنفس الطريقة التي تغني بها للأشخاص الذين احتاجوا للعثور عليها، للعثور على ملاذ، بدأت في الهمس لشخص ما ليأتي ويدمرها. وجد المكان ثغراته الخاصة وصنع تعاويذه الخاصة لذلك يمكن أن يكون لها نهاية.

- هل نجح ذلك؟

أتذكر أنني سألت، لأنها أوقفت القصة هناك.

قالت:

- ليس بعد، لكنه سيحصل يومًا ما.

تحدثنا عن شيء آخر بعد ذلك، ولكن كان هناك المزيد في القصة. كانت لديها مجموعة كاملة من الشخصيات وشعرت وكأنها قصة خيالية مناسبة. ربما كان هناك فارس، أعتقد أنه كان حزينًا، أو كان هناك اثنان منهم، وكان أحدهما محطم الفؤاد.

وتحدثنا عن سيدة استمرت في المغادرة والعودة، كان هناك ملك، وتذكرت من قبل أنه كان ملك طيور، لكنني نسيت أي نوع من الطيور، والآن أقسم أنه كان بومًا، ربما من المحتمل لكنني نسيت ما تعنيه، ما عنته في القصة.

إنه أمر غريب، أستطيع أن أتذكر الكثير منه الآن، أتذكر الأضواء والنجوم والكوب البلاستيكي غير الشفاف في يدي والجليد الذائب الذي يسيل من البوربون الخاص بي، والبخور الممزوج برائحة البخور القادمة من المنزل وجدت الجوزاء وسيارتين مختلفتين، مع تلك الأغنية التي كانت في كل مكان هذا الصيف، ولكن لا أتذكر القصة كلها، ليس بالضبط؛ لأن القصة لا تبدو مهمة مثل الراوي أو النجوم في تلك اللحظة عندما كانت تقال. بدت وكأنها شيء آخر. ليس شيئًا يمكنك التمسك به مثل كوب بلاستيكي أو يد شخص آخر.

حتى لو كنت أتذكرها بشكل صحيح، لا أعرف بعد الآن، أنا متأكدة من أنني أتذكرها، على الأقل. أتذكر أننا ضحكنا كثيرًا، وأتذكر أنني كنت مستاءة أو حزينة بشأن شيء ما قبل أن نبدأ في الحديث، ثم لم أعد كذلك.

أتذكر أنني أردت نوعًا ما تقبيلها، لكنني أيضًا لم أرغب في إفساد اللحظة، ولم أرغب في أن أكون الفتاة التي شربت كثيرًا، والتي تقبل الجميع في الحفلة على الرغم من أنني كنت تلك الفتاة من قبل.

أتذكر أنني تمنيت الحصول على رقمها، ولكنني لم أفعل، وإن حصل وحصلت عليه فإنني حتمًا أضعبته. أنا أعلم أنني لم أرها مرة أخرى، وإلا لتذكرت ذلك، لقد كانت مثيرة حقًا! كان لديها شعر وردي!



يسير ابن العراف، ويقوده النحل العملاق إلى أسفل درج داخل؛ حيث يوجد القبو وهو أكثر من مجرد قبو، توجد الآن قاعة رقص واسعة مصنوعة من قرص العسل، متلألئة وذهبية وجميلة.

- إنه جاهز يا سيد رولينز، لم يتبق الكثير من الوقت، تفضل من هنا، إنه المكان الذي رغبت به، مكان الرقص لتجري فيه الحديث، نحاة القصة تنتظرك بداخله، أبلغها تحياتنا من فضلك، شكرًا لك.

تلاشى صوت الطنين وهدأ، غارقاً في الموسيقى، نزل زاكري إلى القاعة وسمع بعض موسيقى الجاز التي تعرف عليها، لكنه لم يستطع أن يعرف لمن تعود. الغرفة مزدحمة بالأشباح الراقصة، أشكال شفافة في ملابس رسمية خالدة وأقنعة مستوحاة من البهرج والعسل، مضيئة وتدور فوق شمع مصقول مزخرف بأشكال سداسية. إنها فكرة الحفلة التي أقامها النحل، لا يبدو الأمر حقيقياً، لكنه مألوف.

يفسح الراقصون المجال لزاكري وهو يمشي، ثم تمكن من رؤيتها عبر الحشود، راسخة وقوية وتجلس هنا بكامل هيبتها!

تبدو ميرابيل تمامًا كما رآها في المرة الأولى وهي ترتدي زي ملك الأشياء البرية، على الرغم من أن شعرها وردي اللون أسفل تاجها وثوبها مزين: القماش الأبيض مطرز برسوم إيضاحية بالكاد مرئية في خيط أبيض من الغابات والمدن والكهوف المتشابكة مع قرص العسل ورقاقات الثلج، إنها تبدو وكأنها قصة خرافية.

عندما وصل إليها، مدت ميرابيل يدها وأخذها زاكري في كفه.

الآن، هنا، في قاعة رقص مصنوعة من الشمع والذهب، بدأ زاكري إزرا رولينز رقصته الأخيرة مع القدر.

قال زاكري وهما يدوران وسط الحشد الذهبي:

- هل هذا كله في رأسي؟ هل أنا من اختلق كل هذا؟
- لو كنت فعلت ذلك، فإنّ أي إجابة سأقدمها لك ستكون مختلفة أيضاً، أليس كذلك؟

لم يكن لدى زاكري ردُّ فعل جيّد لهذه الملاحظة تحديداً.

- كنت تعلمين أن هذا سيحدث، لقد جعلت كل هذا يحدث.

- لم أكن أعلم، لقد أعطيتك الأبواب، لقد اخترت ما بين فتحها وإبقائها مغلقة، أنا لا أكتب القصة، لكنني أدفعها في اتجاهات مختلفة فقط.

- لأنك نحاة القصة.

- أنا مجرد فتاة تبحث عن مفتاح يا (إزرا).

تتغير نغمة الموسيقى، ويتحركان معها في دورة جديدة، وتتحرك الأشباح من حولهما.

ميرابيل:

- لا أتذكر كل الأوقات التي مت فيها، أتذكر بعضها بوضوح تام وأخرى تتلاشى في عمر آخر، لكنني أتذكر الغرق في العسل، وللحظة وأنا غارقة في القصص، رأيت كل شيء. رأيت ألف ميناء ورأيت النجوم ورأيتك أنت وأنا هنا والآن في نهاية كل شيء لم أكن أعرف كيف سنصل إلى هنا. لقد طلبت مجيئي، أليس كذلك؟ لا أستطيع حقًا أن أكون هنا لأنني لم أمت.

- لكنك هنا... ألا يجب أن تكوني قادرةً على أن تكوني أينما تريدين؟

- ليس صحيحًا تمامًا، أنا في إناء، خالدة هذه المرة، لكن لا أزال إناء. ربما أنا ما كنت عليه من قبل مرة أخرى، ربما أنا شيء جديد الآن، ربما أنا نفسي فقط، لا أعلم، بمجرد وجود حقيقة لا جدال فيها، لن يعود هناك أسطورة.

يرقصان في صمت للحظة، وفكر زاكري في الحقيقة والأسطورة، بينما يحيط بهما الراقصون الآخرون على شكل دائرة.

ميرابيل:

- شكرًا لك على إيجاد سايمون، لقد أعدته إلى طريقه.

- لم...

- أنت أنقذته، كان سيظل مختبئًا في المعابد لو لم تعده إلى القصة، الآن هو حيث يحتاج أن يكون، إنه نوع من أنواع الوصول بعد الضياع، لم يكن أيّ من هذا متوقعًا، لقد خططوا كثيرًا لجعلي خارج حدود الوقت، ولم يعر أحد منهم بالأقط للتفكير فيما سيحدث لوالديّ بعد هذه الحقيقة ثم أصبح كل شيء معقدًا. لا يمكنك إنهاء قصة عندما لا تزال أجزاء منها تدور ضائعة في الوقت.

- لهذا السبب أرادت أليغرا إبقاء الكتاب ضائعًا، أليس كذلك؟ وسايمون ويده.

لمح زاكري زوجين آخرين من زاوية عينه وبدا للحظة أن الرجل اللامع في المعطف يرقص رقصًا مشابهًا تمامًا لرقصه بجانبها، فاقداً يده اليسرى، لكنه بعد ذلك اختفى في الضوء.

ميرابيل:

- رأت أليغرا النهاية، لقد رأت المستقبل قادمًا على جناحيه وفعلت كل ما يمكنها القيام به لمنعه، حتى الأشياء التي لم تكن تريد القيام بها. كانت تتمنى أن تتمكن من تقديم الحاضر والاحتفاظ بمرفئها المحبوب كما كان، لكن كل شيء أصبح متشابكًا ومقيّدًا. استمرت القصة في التلاشي وتجول النحل عائدًا إلى حيث بدأ. لقد تابعوا القصة لفترة طويلة جدًا من ميناء لميناء ولكن إذا لم تتغير الأمور، يتوقف النحل عن إيلاء نفس القدر من الاهتمام. كان يجب أن تنتهي القصة بالقرب من البحر للعثور على النحل مرة أخرى. كان عليّ أن أثق في أن شخصًا ما سوف يتابع القصة يومًا ما على طول الطريق. يمكن أن تكون هناك قصة واحدة لربط كل الآخرين معًا.

زاكري:

- يبلغ النحل تحياته بالمناسبة. ماذا حدث بعد ذلك؟

- لا أعرف ما حدث بعد ذلك، حقًا لا أعرف، لقد أمضيت وقتًا طويلًا جدًا في محاولة الوصول إلى هذه النقطة، وبدأ أنه هدف مستحيل لدرجة أنني لم أفكر كثيرًا فيما أنتظر بعده. هذه لمسة لطيفة، بالعودة إلى البداية وكل شيء. لم أكن أعتقد أننا سننهي رقصتنا، في بعض الأحيان تترك الرقصات دون نهاية.

لا يزال لدى زاكري ألف سؤال ليطرحه، لكنه بدلًا من ذلك اقترب من ميرابيل ووضع رأسه على عنقها. يمكنه سماع دقات قلبها وهي بطيئة وثابتة بالتزامن مع الموسيقى.

لم تعد أهمية الآن لهذه الغرفة وهذه المرأة وهذه القصة، يمكنه أن يشعر بالطريقة التي تتناثر بها القصة من هذه النقطة، عبر المكان وعبر الوقت وأبعد بكثير مما كان يتخيله، لكن هذا هو القلب النابض بالحياة. هنا والآن.

إنه هادئ مرة أخرى، شعر بالارتياح لرؤية ماكس مرة أخرى، وعلى الرغم من أنه يعلم أن كليهما أشخاصًا آخرين ينتمون إليه، لكنهما الآن في هذه الغرفة وهذه الرقصة وهذه اللحظة المهمة، ربما مهمة أكثر من أي شخص آخر.

هناك ضجيج طنين من حولهما وراء الجدران، وبدأت الأشباح الراقصة بالتلاشي الواحد تلو الأخرى حتى لم يتبق سواهما فقط.

- لا أعلم إن كنت أبدًا ستعرف كم أنا شاكرة لك يا إزرا، على كل شيء.
توقفت الموسيقى وبدأت قاعة الرقص تهتز، تشقق أحد الجدران، وانبتق
العسل من الأرض المُتصدعة.

- لم يتبق الكثير من الوقت يا سيد رولينز، لقد حصلت على رقصتك،
والقصة قد انتهت ونحن يجب أن نذهب.

أتى التحذير الصاخب من كل مكان حولهما.

- لقد فاتني ذلك، لقد فوّت الكثير.

ولم يكن زاكري يتحدث في الحقيقة عن القصة.

- أنت هنا من أجل النهاية.

ولم تجعله كلمات ميرابيل يشعر بشعور جيد.

سأل زاكري، وبدت كلمة الآن أكثر مغزى من لاحقًا:

- ماذا يحدث الآن؟

- هذا ليس من شأني يا إزرا، وكما قلت لك أنا لا أجعل الأشياء تحدث، أنا
فقط أوفر الفرص والأبواب ويجب على شخص آخر فتحها.

مدت ميرابيل يدها وتتبع خطًا في جدار قرص العسل بأصابعها واحدًا
تلو الآخر، حتى صنعت ما يشبه الباب. رسمت له مقبضًا وفتحتة، يوجد خلفه
خشب مضاء بالنجوم، وفروع الشجرة ملانة بالأوراق، موجات العسل حول
أقدامهما تحضن العشب لكنها لا تمر من الباب.

انحنى ميرابيل كعلامة على نهاية الرقصة:

- وداعًا يا إزرا، وشكرًا لك.

- على الرحب والسعة يا ماكس.

انحنى زاكري لها في المقابل، وكان بطيئًا في نهوضه لاحقًا، متوقعًا أن
تكون قد اختفت بحلول الوقت الذي سينظر فيه، لكنها عادت بدلًا من ذلك،
وهي أمامه مباشرة وقبلته برقة، لمسة خفيفة من شفتيها على خده كهدية
فراق. لحظة مسروقة قبل النهاية يغلب عليها العسل والحتمية وليست حلوة
تمامًا، ثم استدارت ميرابيل ومشت عبر الباب.

أغلق الباب خلفها وذاب في جدار الشمع، تاركًا زاكري وحده في قاعة
الرقص الفارغة المنهارة.

- حان وقت الرحيل يا سيد رولينز.

- الرحيل إلى أين؟

سأل زاكري وتوقف الطنين، وأخذ العسل الذي يحوم حول قدميه في الارتفاع، شاقًا طريقه إلى الدرج وصاعدًا إلى بيت الدمى. تبعه العسل إلى داخل بيت الدمى واختفى النحل. الدمية الخزفية اختفت من غرفة الجلوس، وحاول زاكري أن يفتح الباب الأمامي لكنه مغلق بالشمع.

ضعد سلم بيت الدمى ومرّ بغرف النوم الفارغة والخزائن حتى وجد درجًا طائرًا لزجًا بالعسل يؤدي إلى عليّة ملائنة بالذكريات المنسية وفي العلية سلم يؤدي إلى باب في السقف.

دفعه زاكري لفتحه وصعد إلى الجزء العلوي من بيت الدمى، وقف على ممر الأرملة، محددًا إلى البحر، وكانت فقاعات العسل تتصاعد من خلال قصاصات الورق مما جعل البحر الأزرق زهبيًا. احتشد النحل فوق السطح تحته، وأخذ يصدر صوت طنين حوله وهو يطير صاعدًا وهابطًا.

- وداعا يا سيد رولينز، شكراً على كونك المفتاح، لقد كنت مفتاحًا جيدًا، وشخصًا لطيفًا، نتمنى لك التوفيق في مساعيك المستقبلية.

زاكري:

- ما المساعي المستقبلية؟

صرخ زاكري في النحل، لكن النحل لم يجب، حلقوا بعيدًا في الظلام، كنماذج سابقة للكواكب والنجوم، تاركين زاكري وحده مع صوت البحر فقط، افتقد الطنين بمجرد اختفائه.

والآن البحر يرتفع...

يندفع العسل فوق العشب الورقي ويختلط بالبحر، هوت المنارة وانطلق نورها، سرق العسل الشاطئ بعيدًا ودمر المباني بقوة بعد نفاذ صبره.

يوجد بحر واحد الآن، يلتهم الكون.

وصل البحر إلى المنزل، انكسر القفل الموجود على بيت الدمى عندما اجتاحت الأمواج الباب المفتوح وصعدت الدرج، سقطت واجهة المنزل مما أدى إلى تكسر قرص العسل في الداخل.

رأى قارب التجديف العائم، ليس قريبًا بما يكفي للوصول إليه بسهولة،
لكن لا خيارات كثيرة تتوفر لزاكري والعالم يغرق من حوله.
لا ينبغي لشخص ميّت أن يشعر بمثل هذا الذعر.
وصل العسل إلى ركبتيه.
ظنّ أن هذه هي النهاية حقًا، لا يوجد عالم تحت هذا العالم.
لا يوجد شيء سيأتي بعد هذا.
تكمن حقيقة كل ذلك في أن بيت الدمى يغرق تحته.
النهاية هنا وزاكري يحاربها.

سحب نفسه على السور، وغطس نحو القارب، انزلق وهوى في بحر
العسل وعانقه العسل كحب ضائع منذ زمن طويل. أمسك بحافة القارب لكن
يديه المغطاة بالعسل زلقة للغاية بحيث لا يمكن الإمساك به، وانقلب القارب.
يزعم هذا البحر الخالي من النجوم أنّ زاكري إزرا رولينز يخصّه، سحبه
إلى الأسفل ورفض السماح له بالخروج إلى السطح.
لهث زاكري لالتقاط أنفاس لا تتطلبها رثتيه، وأخذ العالم يتحطم من
حوله، مفتوحًا مثل بيضة.

تقف رايم على أعلى درجة من درجات السلم الطائر، الذي كان يقود إلى
قاعة رقص، وحاليًا يهوي إلى محيط من العسل.
إنها تعرف هذه القصة، تحفظها عن ظهر قلب، كل كلمة، كل شخصية،
كل تغيير. كانت هذه الحكاية تدق في أذنيها لسنوات، لكن سماعها شيء
ورؤيتها تغرق شيء آخر تمامًا.

لقد دوّت صورتها في ذهنها آلاف المرات ولكن هذا مختلف، البحر مظلم
أكثر، والسطح أكثر خشونة وزبده يتشبث بالحجر ويسحب الكتب والشموع
والأثاث في أعقابه، والصفحات الضالة وزجاجات النبيذ تشق طريقها إلى
السطح مرة أخرى قبل أن تستسلم لمصيرها. كان العسل دائمًا يتحرك ببطء
أكبر في خيال رايم.

حان وقت الذهاب، لقد حان الوقت، ولكن رايم ظلت واقفة تراقب أمواج المد والجزر وهي تنحسر وترتفع حتى وصل العسل إلى قدميها وعندها فقط استدارت، وحافة رداثها لزجة وثقيلة وهي تمشي بعيدًا عن البحر.

تبع البحر الخالي من النجوم رايم وهي تشق طريقها عبر الغرف والقاعات، وتسلل إلى كعبيها وهي تخطو هذه الخطوات الأخيرة، وهي تلقي نظرات أخيرة تشهد على المكان.

تمتت رايم لنفسها وهي تمشي وأخذ البحر يستمع، توقفت عند جدار منحوت بالجدوع والزهور والنحل ولا يبدو أنه يحتوي على باب، ولكن رايم أخذت قرصًا معدنيًا بحجم العملة من جيبها ووضعت النحلة عليه في فراغ شكل النحلة وانفتحت بوابة إلى داخل الأرشيف. تبعها العسل عند قدميها، تجمع في الغرفة وامتد عبر الأكوام والرفوف المخفية.

مرّت رايم من أمام البقعة الخالية على الرف؛ حيث كان من المفترض أن يوجد كتاب الأحزان العذبة لو لم يسرقه أرنب منذ فترة طويلة، وبقعة شاغرة أخرى لقصييدة سايمون وإليانور حيث سحبت من مكانها في الأرشيف، منذ وقت ليس ببعيد على الإطلاق، نسبيًا.

فكرت رايم فيما إذا كان إعطاء الناس أجزاء من قصصهم الخاصة هو خداع للقدر بطريقة أو بأخرى وقررت أن القدر على الأرجح لا يمانع في ذلك. فكرت رايم وهي تنظر إلى الرفوف أن وضع مجلدين في غير محلها على مدى فترة طويلة ليس بهذا السوء، هناك الآلاف منها، قصص هذا المكان. مترجمة ومنسوخة من قبل كل مساعد مرّ في هذه القاعات أمامها من قبل. ملتصقةً معًا في مجلدات من سرد واحد أو مجتمعة في أجزاء متداخلة، لا يتم احتواء قصص المكان بسهولة.

يبدو غريبًا وفارغًا الآن في رأسها، تسمع رايم صوت طنين تمتمة القصص الماضية على الرغم من أن الصوت منخفض وهادئ؛ فالقصص هادئة دائمًا بمجرد كتابتها سواء أكانت قصصًا سابقة أو حالية أو قصصًا مستقبلية.

الأمر الأكثر غرابة هو غياب القصص عالية النبرة عن المستقبل، هناك قرع ما عمّا سوف يمر في الدقائق القليلة القادمة يطن في أذنيها، خافت جدًا مقارنة بالحكايات المكوّنة من طبقات مجمعة على الحكايات التي سمعتها ذات مرة، ثم لا شيء. لن يكون لهذا المكان المزيد من الحكايات ليرويها، لقد

استغرقت وقتًا طويلًا لتتعلم فك رموزها وتدوينها بحيث تتشابه مع الطريقة التي ظهرت بها في أذنيها وفي ذهنها، والآن هم على وشك الرحيل. إنها تأمل في أن يكون من كتب هذه اللحظات الأخيرة أنصفها، فهي لم تكتبها بنفسها، لكنها تستطيع أن تدرك من الطريقة التي يرن بها في أذنيها أنه تم تسجيلها بالفعل.

أخذت رايم جولة أخيرة في الأرشيف، كانت تتلو وداعها الصامت وتترك القصص تدور حولها قبل أن تستمر في الصعود. تركت باب الأرشيف مفتوحًا للسماح للبحر بالدخول.

تبع البحر الخالي من النجوم رايم إلى الأعلى وعبر القاعات والحدائق، أخذًا معه التماثيل والذكريات والعديد من الكتب.

بدأت الأضواء الكهربائية تومض وتموت وتغرق معها المكان في الظلام، ولكن هناك ما يكفي من الشموع لرايم لكي ترى أمامها. لقد أضاءت مسارها في وقت سابق، مع العلم أنها سوف تحتاج إلى شعلة لتوجيه طريقها.

رحبت رائحة الشعر المحترق برايم وهي تصل إلى القلب، لم تطرق باب مكتب الحارس عند دخولها، ولم تعلق على شعره القصير المقصوص أو الصفائر المتشابكة التي تحترق في موقد النار ولألئها المتشابكة تتفحم وتسقط في الرماد. لؤلؤة واحدة عن كل عام قضاه في هذا الفضاء. لم يخبرها بذلك قط، لكنه لم يكن مضطرًا لذلك، تعرف رايم قصته، همس لها النحل بها ذات مرة.

رداء الحارس مطوي بشكل أنيق على كرسي، وهو الآن يرتدي بدلة رسمية خارج خطوط الموضة منذ آخر مرة كان يرتديها، والتي لم تكن بعيدة تمامًا. إنه جالس على مكتبه يكتب على ضوء الشموع. هذه الحقيقة جعلت رايم تشعر بتحسن بعد وقت طويل، لكنها كانت تعلم دائمًا أنهم سينتظرون حتى اللحظة الأخيرة ليغادروا.

قال الحارس دون أن يرفع نظره عن دفتره:

- هل كل القطط بالخارج؟

أشارت رايم إلى القط البني المحمر على المكتب.

الحارس:

- إنه عنيد، يجب أن نأخذه معنا!

واصل الحارس الكتابة وكانت رايم تراقبه، يمكنها قراءة نقوشه المتسرعة إذا كانت تهتم بمعرفتها، لكنها تعرف ما هي، إنها ابتهالات وأدعية، تبريكات وأشواق وأمنيات وتحذيرات.

إنه يكتب لميرايل كما كان يفعل دائماً؛ حيث استمر في الكتابة لها خلال السنوات التي قضتها مع زاكري في الأعماق، وكتب كما لو أنه يتحدث إليها وكأنها تستطيع سماع كل كلمة كما هي على الورق مثل الهمس في أذنها.

تساءلت رايم عما إذا كان يعلم أن ميرايل تسمعه، قد سمعته دائماً، وسوف تسمعه دائماً عبر المكان والمسافة والعمر وآلاف الصفحات المقلوبة.

هذا ليس المكان الذي تنتهي فيه قصتنا، إنه فقط حيث تتغير.

كتب الحارس ووضع قلمه جانباً وأغلق دفتر الملاحظات ونظر إلى رايم: - يجب أن تتغيري.

قال لها وهو ينظر إلى رداؤها وحذاؤها المبلل بالعسل.

رفعت رايم رداءها وخلعته، وتحتته كانت ترتدي نفس الملابس التي كانت ترتديها عندما وصلت لأول مرة: زيها المدرسي القديم مع تنورة بنقوش وقميصها الأبيض المائل إلى أسفل. لم يبد من الصواب ارتداء أي شيء آخر للمغادرة على الرغم من حقيقة أنه يبدو وكأنك ترتدي حياة من الماضي، وأن القميص أصبح الآن صغيراً جداً. يجب أن تكون الأحذية المبللة بالعسل كافية.

يبدو أن الحارس لم يلاحظ الأمواج الزاحفة، وقف وصب كأساً من النبيذ من زجاجة على المكتب، عرض على رايم أن يسكب لها كأساً لكنها رفضت.

- لا تغضبي، كل شيء هنا، تذكري أن تدعيه يخرج.

قال الحارس لرايم وهو يراقبها وهي تراقب البحر، ومرر إصبعه على جبهتها ثم سلمها قلم الحبر الخاص به، ابتسمت رايم للقلم ووضعته في جيب تنورتها.

- هل أنت مستعدة؟

قال الحارس وهزت رايم رأسها موافقة، ونظر الحارس حول المكتب مرة أخرى، لكنه لم يأخذ شيئاً سوى كأس النبيذ في أثناء انتقالهما إلى الغرفة المجاورة، وتبعهما القط البني المحمر.

- هل يمكنك مساعدتي في هذا، من فضلك؟

سأل الحارس رايم، ووضع كأس نبيذه على أحد الرفوف، وحركا معًا اللوحة الكبيرة لزاكري ودوريان جانبًا، ليكشفوا عن باب موضوع في الجدار الحجري خلفها.

- إلى أين يجب أن نذهب؟

ترددت رايم ناظرة إلى الباب ثم نظرت وراء كتفها، وصل البحر إلى الغرفة، وهو يضرب المكتب والقناديل قالبًا المكنسة التي كانت تستريح في إحدى الزوايا.

قال الحارس ونظرت رايم له:

- لقد تجاوزنا وقت الوعود.

- أود أن أكون هناك، إذا استطعنا، هل يمكنك ذلك؟

خرجت كل كلمة من حلقها بحذر وبطء، متحركةً بغرابة على لسان لم تستخدمه للتحدث منذ سنوات.

اعتبر الحارس كلامها اقتراحًا، أخذ ساعة من جيب بزته ونظر إليها وأدار يده يمنة ويسارًا قبل أن يوميء برأسه موافقًا.

- أعتقد أننا نمتلك الوقت.

أمسكت رايم القط، ووضع الحارس يده على الباب فاستمع الباب لتعليماته. إنه يعرف المكان الذي من المفترض أن يفتح فيه، على الرغم من أنه يمكن أن يفتح في أي مكان. واكتسحت موجات العسل الغرفة بينما فتح الحارس الباب.

- هيا أسرع.

قال الحارس لرايم ودفع بها هي والقط إلى الداخل، إلى ضوء النهار المغطى بالغيوم.

- بصحتك!

قال الحارس للبحر واستدار للخلف ورفع كأس النبيذ عن الرف، ولكن البحر لم يجب، رمى الحارس بالكأس، وتركها تنسكب وتتحطم على الأرض عند قدميه، ثم خرج من هذا المرفأ الغارق إلى العالم فوقه.

أغلق الباب واصطدم البحر الخالي من النجوم به، غمر المكتب والغرفة خلفه، يخنق النار حوله والصفائر المشتعلة بداخله وينزلق فوق اللوحة،

ويسحب مقاييس الوقت وتجسيدات الأقدار تحت سطحه. هذا المكان الذي كان ذات يوم مرفأً، أصبح الآن جزءاً من «بحر بلا نجوم» مرة أخرى. عادت كل قصصه إلى مصدرها.

في الأعلى بعيداً، على رصيف مدينة رمادية، توقف الحارس ليلقي نظرة على نافذة محل لبيع الكتب، بينما تحديق رايم في المباني الشاهقة والقط يحديق إلى اللاشيء وإلى كل شيء.

وإصلاً المشي وعندما وصلاً إلى الزاوية نظرت رايم إلى اللافتة التي تخبرها أنهما يغادران شارع «باي» ويتجهان إلى شارع «كيتنغ».

هناك بوم جاثم على لافتة الشارع يحديق إليها، يبدو أن لا أحد يلاحظه غيرها، للمرة الأولى منذ وقت طويل لا تعرف رايم ما يعنيه ذلك، أو ما سيحدث بعد ذلك.



يجلس دوريان على الشاطئ الحجري بجوار جثة زاكري على حافة «بحر بلا نجوم»، لقد بكى وناح حتى تأكل قلبه والآن يجلس ببساطة، لا يريد أن يرى المشهد الذي لا يتغير أمامه وغير قادر على النظر بعيداً. لا يزال يفكر في أول شيء واجهه في هذا المكان والذي يشبه زاكري. لا يعرف كم مضى على ذلك، يتذكر فقط كم كان غير مستعد، حتى بعد العديد من الكوابيس، وأعظمها وهو يرتدي جلد أخته التي ماتت عندما كان في السابعة عشرة.

كانت تتلجج، ففكر دوريان للحظة أنه كان حقاً زاكري وأن تلك اللحظة كانت كافية. كافية للشيء الذي لم يكن زاكري، مع أنه لبس وجهه لنزع سلاحه. لجعله يركع على ركبتيه، لا يتذكر دوريان كيف كان يتفادى المخالب التي جاءت من أجله في الثلج المليء بالدماء بسرعة كافية لاستعادة السيف والوقوف على قدميه مرة أخرى.

لقد حذره القمر، ولكن دوريان لم يكن ليصدق أن أي شخص يمكن أن يكون مستعداً حقاً لما شعر به أو أن يستخدم سيفاً في أعماق الظلام ويضرب الشخص الوحيد الذي كان يهتم له.

لم يتردد مع كل تجسيدات زاكري التي تتابعت لاحقاً، كان يعتقد أنه سيكون قادراً على معرفة الفرق عندما عثر أخيراً على الاختلاف الحقيقي. كان على خطأ.

أعاد دوريان تذكر تلك اللحظة مرارًا وتكرارًا في ذهنه، اللحظة التي بقي فيها زاكري بينما اختفت الأشكال السابقة التي كان يرتديها المخلوق بمجرد ضربها ليحل محله شخص ما أو شيء ما أو في مكان آخر، ثم تلاه تماسك بطيء ورهيب. إن هذه اللحظة وكل شيء بداخلها كان حقيقيًا جدًا.

والآن تمتد هذه اللحظة باستمرار، مروعة وبلا نهاية، عندما كان كل شيء يتغير بشكل دائم ومذهل من قبل، تحرك بسرعة كبيرة، حتى إنه يتعذر عليه التقاط أنفاسه. الآن لا توجد مدن زائفة، ولا ذكريات مسكونة، ولا تلج. فقط الفراغ الكهفي وشاطئ البحر المملوء بحطام السفن والقصص.

إن الأشياء الكامنة في الظلام والتي كانت تطارده قد فشلت، خوفًا من هذا الحزن وبقي القط الفارسي فقط، ملتفًا بجانبه، يخرخر.

فكر دوريان أنه يستحق هذا الألم، تساءل متى سينتهي، إن كان له أن ينتهي! كان يشك أصلًا ذلك. هذا هو مصيره وقدره، لتنتهي قصته هنا في هذا الألم المستمر المحاط بالزجاج المكسور والعسل. فكر في السقوط على السيف بنفسه لقتل نفسه لكن وجود القط يمنعه فجميع القطط هم أوصياء في حد ذاتهم.

ليس لدى دوريان أي وسيلة لتحديد الوقت الذي يمر ببطء وبطريقة مروعة، ولكن الآن حافة البحر الخالي من النجوم تقترب، والخط الساحلي المضيء يقترب أكثر، لقد اعتقد في البداية أن هذا مجرد خيال، ولكن سرعان ما اتضح أن المد أخذ في الارتفاع.

استسلم دوريان ليغرق ببطء في العسل والقلق عندما رأى السفينة.

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

فكرت في إعطاء دفتر الملاحظات هذا لوالدة (ز) لكنني لم أفعل. أشعر أنني لم أنته من ذلك، على الرغم من أنها مجموعة من القطع والكتابات وليست كل القصة.

أمل أن تكون هناك قطعة مفقودة، ربما حتى جزئية صغيرة، شيء من شأنه أن يجعل كل القطع الأخرى معًا ولكن ليس لدي أدنى فكرة عن ماهيتها.

أخبرت والدة (ز) بعض الأشياء، ليس كل الأشياء، أحضرت كعكات النحل لأنني تأكدت أنها ستقول شيئاً ما إذا كانت تعني أي شيء لها، وأيضاً لأنها لذيذة ومثلجة من العسل والليمون، لكنها لم تقل شيئاً لذلك لم أتحدث عنه. لم أشعر بالرغبة في التعامل مع الجمعيات والأماكن السرية التي قد تكون موجودة أو غير موجودة، وكان من الجيد التحدث إلى شخص ما لمرة واحدة. أن تكون في مكان آخر وتجلس وتتناول القهوة والبسكويت. كل شيء بدأ أكثر إشراقاً هناك. الضوء، الموقف، كل شيء.

كما أنها تعرف الأشياء وتقرأها، أعتقد أنها وضعتني في خانة اليك، أو كأنها وضعت صدعاً في الدرع النفسي الخاص بي لم يكن موجوداً من قبل. بهذه الطريقة يدخلها الضوء.

سألته ذات مرة عما إذا كانت تعتقد أن هناك سحراً في العالم وقالت لي:
- العالم سحر، يا طفلة العسل.

ربما يكون كذلك، أنا لا أعلم.

لقد وضعت بطاقة التارو في جيب معطفي عندما كنت أغادر، ولم ألاحظ ذلك حتى وقت لاحق، كان القمر مرسوماً عليها.

اضطرت إلى البحث عنها، لا أعرف أشياء التارو. ذكرتني أن (ز) كان لديه مجموعة ورق وقرأ طالعي مرة واحدة واستمر في الإصرار على أنه لم يكن جيداً جداً ولكن كل ما قاله كان إلى حد كبير صحيحاً.

لقد وجدت أشياء تقول إن بطاقة القمر تدور حول الأوهام وتجد لك طريقك عبر العوالم الأخرى المجهولة والسرية وعبر الجنون الإبداعي. مدام لوف تعرف ما الأمر، على ما أعتقد.

وضعت البطاقة على لوحة القيادة حتى أتمكن من رؤيتها في أثناء القيادة. أشعر أن شيئاً ما قادم ولا أعرف ماهيته. أحاول أن أترك كل هذا يمر، وهناك شيء ما يستمر في الصمود. لا، هناك شيء يستمر في البناء. يستمر ويقودني إلى شيء جديد وشيء تال.

لو لم يحدث هذا لما كنت سأبدأ في بناء لعبتي، ولم أكن لأحصل على هذه الوظيفة، لما كنت في طريقي إلى كندا الآن.

يبدو الأمر كما لو أنني أتبع خيطاً إلى (ز) ترك لي من خلال متاهة، لكنه قد لا يكون حتى في هذه المتاهة. ربما ليس من واجبي العثور عليه، ربما يكون من واجبي أن أرى أين يذهب الخيط.

شعرت بغرابة لترك وشاحه، لقد كان معي لفترة طويلة، أتمنى أن يحصل عليه يوماً ما. أمل أن يكون لديه قصة جيدة حقاً ليخبرني بها خلال العشاء في منزل والدته، وأمل أن يكون هناك مع زوجه، وأنا هناك مع شخص ما أو بمفردي، وأريد أن نبقى مستيقظين حتى وقت متأخر حتى يتحول الوقت المتأخر إلى وقت مبكر وأمل أن تستمر القصص والنيبذ كثيرًا، كثيرًا. يوماً ما.

شيء جديد وشيء قادم..

ذات مرة ليست بعيدة..

هناك سفينة على البحر الخالي من النجوم تبحر مع ارتفاع المد والجزر. تحت سطح السفينة يحافظ رجل اسمه الآن دوريان على يقظته ويراقب جثة زاكري إزرا رولينز بينما قبطان السفينة الذي لم يكن اسمه ولن يكون إليانور يبحر في البحار العاصفة والهائجة.

هناك جلبة وضجة ما في الأعلى، ريح عاصفة تهز القارب، مائلة إلى جانب ثم إلى الجانب الآخر. اللهب في القناديل يومض ويخفت.

- ماذا يحدث هنا؟

سأل دوريان وعادت إليانور إلى الكابينة.

- هناك بومة تجلس على طول الأشرطة، تبعها أحدهم، بومة صغيرة تقف على السطح وتقف على عارضة، إنهم يجعلون تسيير السفينة صعباً، يحاولون البقاء سالمين، لا يمكن إلقاء اللوم عليهم مع البحر الذي يزيد من سرعة السفينة، حسناً على أي حال، إنني أحتاج إلى خرائط جديدة. أدلت بهذه الملاحظة فيما يتعلق بالخرائط؛ حيث وضع جسد زاكري، وتسرب الدم عبر الورق والأشرطة الذهبية وحجب كلاً من المسارات المعروفة والأراضي غير المعروفة؛ حيث توجد التنانين، وكلها فقدت الآن تحت سطح البحر.

بدأ دوريان في الاعتذار لكن إليانور أوقفته ووقفا في صمت مشترك.

- إلى أي مدى سترتفع السفينة؟
- سأل دوريان لكسر حاجز الصمت فوجدها غير مهتمة، فتركها تستمر في الارتفاع حتى اصطدم بسطح الأرض.
- هناك العديد من الكهوف للإبحار من خلالها، أنا أعرف الطرق مهما كان ارتفاعها. هل أحضر لك أي شيء؟
- لا شكرًا.
- قالت إليانور وهي تنظر إلى زاكري:
- هل هذا حبيبيك؟
- أوما دوريان برأسه.
- عرفت ذات مرة شخصًا كان يرتدي معطفًا كهذا. ماذا تقرأ؟
- وأشارت إليانور إلى الكتاب في يديه على الرغم من أن دوريان يحمله كتعويذة أكثر مما يقرأه بالفعل، وأعطاهها كتاب الأحزان العذبة.
- استهجنت إليانور الكتاب، ثم علت وجهها بهجة كما لو أنها عثرت على صديق قديم مفقود:
- أين عثرت على هذا؟
- لقد وجدته في مكتبة على السطح. إنه لك، على ما أعتقد.
- ال نظرة على وجهها كادت تجعله يبتسم.
- لم يكن الكتاب ملكي قط، فقط القصص فيه، لقد سرقت الكتاب من الأرشيف، لم أكن أعتقد أنني سأراه مرة أخرى.
- يجب أن تستعيديه.
- لا، يجب أن نحفظ به لنتشاركه معًا، هناك دائمًا متسع لمزيد من الكتب.
- عندها فقط لاحظ دوريان الحجم الهائل من الكتب حول السفينة، والمدسوسة في مسافات بين العوارض وعلى النوافذ، مكدسة على الكراسي وحول أرجل الطاولة.
- مالت السفينة بعد أن ضربتها موجة قاسية، ومالت المقصورة بزواوية قبل أن تعود وتوازن نفسها. وتدحرج قلم رصاص من فوق الطاولة مختفيًا تحت كرسي بذراعين.

انزلق القط الفارسي الذي كان يغفو على الكرسي، وهو يبتسم وذهب للتحقيق في حالة اختفاء قلم الرصاص، كما لو كانت هذه نيته طوال الوقت.

قالت إليانور وهي تعيد الأحزان العذبة إلى دوريان:

- يجب أن أعود أدراجي إلى السطح.

- لقد نسيت أن أخبرك، هناك شخص ما على الجرف، رأيت من خلال المنظار الخاص بي. إنه يجلس هناك فقط ويقرأ، سأتوقف عنده عندما يصل مستوى البحر إلى تلك النقطة. لا أعرف طريقة لخروجه بخلاف ذلك، لديه يد واحدة فقط.

إليانور:

- إذا ساءت الأمواج، تمسك بشيء ما.

فكر دوريان أنه يجب أن يلقي بنفسه في الأمواج ويترك البحر الخالي من النجوم يأخذه لكنه شك في أن إليانور ستنقذه مرة أخرى إذا فعل ذلك.

ربت إليانور على ظهر دوريان بطريقة غريبة بعض الشيء ثم عادت إلى سطح السفينة، وتركته وحده مع زاكري.

فكّ دوريان خصلة شعر مجمدة عن جبين زاكري، لا يبدو ميتًا. لم يعرف دوريان إن كان هذا سيساعد إن لم يكن ميتًا.

جلس دوريان بصمت، يستمع إلى صوت الأمواج على السفينة، وعواء الريح، وضربات الأجنحة التي تدور في الكهوف، بينما قلبه ينبض في أذنيه، ويبدو وكأن له صدى، قبل أن يدرك من أين يأتي صدى نبضات القلب.

أخذ الصندوق من حقيبته وأمسكه في يديه وسائلًا نفسه:

ما الفرق بين قلب المصير والقلب الذي ينتمي إلى المصير؟

قلب يحفظه القدر حتى تدعو الحاجة إلى استخدامه، نظر إلى جثة زاكري ثم عاد ونظر إلى الصندوق. فكّر بما يعتقد أنه صحيح.

عندما فتح دوريان الصندوق، رأى بداخله قلبًا ينبض بشكل متسارع، أنت اللحظة أخيرًا!!

مقتطفات من مذكرات كاترينا هوكينز السرية

شخص ما ترك ملاحظة على سيارتي. كانت متوقفة في ساحة انتظار سيارات بمركز تسوق خارج تورنتو، وترك شخص ما ملاحظة عليها. حرفياً أقل من عشرة أشخاص في العالم يعرفون أنني موجودة في هذا البلد الآن، وقد تحققت من أجهزة التتبع وينبغي ألا يعثر عليّ أحد ولا أعتقد أن أحدًا عثر عليّ. لم أكن أخطط للتوقف في هذا المركز التجاري، ولا أعرف حتى في أي مدينة أنا موجودة، أعتقد أنني أفوت شيئاً ما.

تقول الملاحظة: **تعالى وانظري**. مع عنوان أدهاها. كانت مكتوبة على قطعة من غلاف أدوات قرطاسية مع نقش «مع تحيات من مؤسسة كيتنغ» في الجزء العلوي ويوجد على الخلفية رسم صغير لبومة ترتدي تاجاً. قمت بوضع العنوان على جهاز تحديد الموقع الخاص بي، ولم يكن بعيداً جداً، اللعنة.

العنوان مبنى خال، ربما كان مدرسة أو مكتبة، ربما. العديد من النوافذ المكسورة تبدو واضحة لتدعيم المظهر المهجور بالكامل. لا توجد أي علامات، الباب الأمامي مغلق ولكن لا يوجد أي شيء يوحي بأنه للبيع أو مطالبة بعدم التعدي على ممتلكات الغير أو تحذير من الكلاب. لا توجد حتى أي إشارات تقول ما كان عليه، فقط رقم فوق الباب لذلك أعرف أنني في المكان المناسب. وقفت لمدة عشرين دقيقة محاولة معرفة ما إذا كان يجب عليّ الدخول أم لا. الأرضيات كلها متسخة، كما لو لم يكن أحد هنا منذ سنوات، ولا يبدو حتى إن أحدًا قد مرّ من هنا قبل الآن.

هناك بعض الكتابة على الجدران، ولكن ليس الكثير منها. تمت الكتابة في الغالب بالأحرف الأولى والدوامات المجردة، ربما تكون الكتابة على الجدران الكندية أكثر تهذيماً.

إذا كنت سأذهب إلى الداخل، يجب أن أفعل ذلك قبل أن يحل الظلام. وربما ينبغي أن أجلس معي كشافاً.

بدا الأمر وكأنّ أحدًا ما ينظر إليّ، بطريقة قديمة أعرفها وغريبة نوعاً ما، ذلك المكان كان به الكثير من الأشخاص ولكن الآن لا يوجد أحد، أعطاني هذا شعوراً بالفراغ المضاعف.

أنا بالداخل الآن، وأجزم أنّ هذا المكان كان مكتبة في يوم من الأيام، توجد رفوف فارغة وكتالوجات بطاقات. لا كتب، فقط فواتير عشوائية وإيصالات تعبئة، وبعض البطاقات الضالة من النوع المدرسي القديم الذي كان عليك كتابة اسمك عليه.

وفي كل مكان، في كلّ زاوية توجد هذه اللوحات، مثل الكتابة على الجدران واللوحة الزيتية لعصر النهضة التي فيها أطفال جدارية. كلها مجردة وغامضة هنا وهناك، ثم أماكن أخرى شديدة الواقعية.

هناك نحل يتدفق على السلاسل وعاصفة ثلجية بأزهار الكرز والسقوف مطلية لتبدو مثل سماء الليل، مغطاة بالنجوم والقمر يتحرك عبرها من مرحلة إلى أخرى.

توجد جداريات تشبه المدينة وأخرى تشبه مكتبة داخل المكتبة وغرفة واحدة بها قلعة وبها أشخاص. صور بالحجم الطبيعي واقعية جداً في البداية اعتقدت أن هناك أشخاصاً حقيقيين هنا وكدت أن أقول مرحباً.

واحد منهم هو (ز) والآخر هو ذلك الرجل من الحانة (كنت أعرف أن هذا الرجل مهم، كأنني كنت على علم بكل حقيقته).

وإحدى اللوحات هي أنا! أنا على الحائط الملعون.

أنا على الحائط بالمعطف البرتقالي الذي أرتديه حالياً مع هذا الكمبيوتر ودفترتي في يدي. ما يجري هنا بحق الجحيم؟

على هذا الجدار الكبير هناك بوم ضخم. ليست بوم حظيرة، ربما بوم محظور؟ أنا لا أعرف بومتي. كان عملاقاً ويحتل معظم الجدار مع انتشار أجنحته، ومن مخالفته تتدلى كل هذه المفاتيح بواسطة شرائط وله تاج فوق رأسه.

تحت البومة هناك باب.

عليه تاج وقلب وريشة، في خط أسفل المنتصف.

الباب ليس جزءاً من اللوحة، إنه باب حقيقي.

إنه في منتصف الجدار، ولكن لا يوجد باب على الجانب الآخر، تحققت منه، إنه جدار صلب على هذا الجانب.

الباب مغلق ولكنه يحتوي على ثقب المفتاح ومهلاً! لدي مفتاح. ربما حان الوقت.

أنا جالسة أمام الباب، هناك القليل من الضوء تحته، الشمس تغرب ولكن الضوء تحت الباب لم يتغير.

أنا لا أعرف ما يجب القيام به.

لا أعرف ما الذي من المفترض أن تفعله عندما تجد ما لم تكن تعرف أصلاً أنك تبحث عنه ولم تكن متأكدًا من وجوده على أي حال، ثم فجأة تجلس في طابق مكتبة كندية مهجورة وجهًا إلى وجهه معه.

لقد كنت أستنشق زيت الحمضيات الذي أعطته لي والدتي (ز) لكنني لا أشعر بالراحة الذهنية. أشعر بالجنون والخبيل.

خرجت وجلست على غطاء سيارتي وشاهدت القمر، هناك الكثير من النجوم، لقد وجدت الجوزاء.

أضع بطاقة تاروت القمر في جيبي، ولدي مفتاح الريش الخاص بي، لا تزال العلامة عليه. خط اليد هو نفس الملاحظة التي كانت على سيارتي.

إلى كات، عندما يحين الوقت تعالي وانظري.

سأترك هذا الكمبيوتر المحمول هنا في سيارتي فقط في حال حدوث شيء ما، لا أعرف لماذا هناك من يعرف ويراقب، لذلك حرصت على وجود تسجيلات إذا حدث شيء ما، إذا لم أعد. ربما يقرأها شخص ما في مكان ما في وقت ما ويعرف ذلك.

مرحبًا، للشخص الذي يقرأ هذا!

(كاترينا هوكينز) كانت هنا

حدثت هذه الأشياء.

في بعض الأحيان قد يبدو الأمر غريبًا، ولكن في بعض الأحيان تكون الحياة غريبة أيضًا في بعض الأحيان تصبح الحياة غريبة.

يمكنك محاولة تجاهله أو يمكنك أن ترى إلى أين ستأخذك الغرابة.

تفتح الباب.

ماذا حدث بعد ذلك؟

سأحاول أن أعرف.

وقع القدر في حب الزمن

استيقظ زاكري إزرا رولينز، وهو يلهث، وقلبه الجديد يدق في صدره. إن آخر شيء يتذكره هو العسل، الكثير من العسل يغرق رثتيه ويجذبه إلى قاع البحر الخالي من النجوم. لكنه ليس في قاع البحر الخالي من النجوم، إنه على قيد الحياة، إنه هنا. أينما كان هنا.

هنا يبدو أنه يتحرك، السطح الذي يقف عليه صلب لكن كل شيء من حوله يتأرجح، هناك قطع من الورق وأجزاء من الأشرطة وشيء لزج ليس عسلًا تحت أصابعه.

الضوء خافت لكن هناك شموع، ربما، لا يعرف أين هو.

يحاول الوقوف وبدلاً من ذلك يسقط لكن أحدهم يمسك به، زاكري ودوريان يحدقان إلى بعضهما بعضاً في حيرة وغرابة. لم يكن لدى أي منهما كلمات لهذه اللحظة في هذه القصة.

بدأ زاكري بالضحك واتكأ دوريان عليه وأخذ الضحك من شفتيه إلى شفتيه، ولم يتبق بينهما الآن... لا مسافة ولا كلمات ولا حتى القدر أو الوقت لتعقيد الأمور.

هذا هو المكان الذي نتركهما فيه، في قبلة طال انتظارها على «بحر بلا نجوم»، متشابكين في الخلاص والرغبة ورسم الخرائط التي عفا عليها الزمن. لكن هذا ليس المكان الذي تنتهي فيه قصتهما، قصتهما بدأت للتو. ولا تنتهي أي قصة حقاً ما دامت تُروى.

ليست القصة الوحيدة التي طلبتها ولكن العديد من القصص.

خارج ما كان يوماً ما مكتبة، توجد سيارة زرقاء مهجورة، وتنام قطة بنية تميل إلى الاحمرار على غطاء المحرك الذي لا يزال دافئاً. يتكئ رجل يرتدي بدلة على السيارة، ويتصفح دفتر ملاحظات باللون الأزرق المخضر مع وجود ضوء القمر فقط ليساعده على قراءته.

وبجانب المبنى المبني من الطوب، تقف امرأة شابة ترتدي زياً مدرسياً متسخاً وكبيراً يتدلى على أطراف أصابعها، وتحقق إلى النافذة. لم يلاحظ أي منهما المرأة تسير باتجاههما عبر الأشجار، ولكن النجوم تلحظ ذلك، وضوء النجوم أخذ يسطع على تاجها.

لقد علمت دائماً أن هذه الليلة ستأتي، عبر القرون والسنين، عرفت دائماً. كان السؤال الوحيد هو كيفية الوصول إلى هنا.

توقفت المرأة التي ترتدي التاج في الظلام الهادئ، تراقب الرجل وهو يقرأ ثم تحول انتباهها نحو السماء.

مدت يدها نحو النجوم، وعلى كفها بطاقة واحدة، ترفعها في سماء الليل، وتعرضها على القمر والنجوم بقدر كاف ليروها. على البطاقة يوجد عدم فارغ:

النهاية.

تقلب البطاقة على الجهة الأخرى. امتداد مشرق:

البداية.

تقلبها مرة أخرى وتتحول إلى غبار ذهبي وتتلاشى بين أصابعها. تنحني. ولا يسقط التاج عن رأسها، ولكنه ينزلق وتقوم هي بتصويبه وتحويل انتباهها إلى الأرض عائدة إلى قصتها الخاصة.

عندما وصلت إلى السيارة كانت ترتعش في ثوبها الذي بلا أكمام. - لم أغير، لم أكن أعتقد أنه سيكون بارداً لهذه الدرجة، هل انتظرت طويلاً؟

هذا ما قالته ميرابيل للحارس.

خلع الحارس سترته الصوفية ولفها على كتفها.

- ليس كثيراً.

بضع ساعات لا تعني شيئاً مقارنة بالوقت الذي انتظره كلاهما لهذه اللحظة.

قالت ميرابيل وهي تنظر نحو المبنى المهجور المبني من الطوب:

- لم تفتحه بعد، أليس كذلك؟

- بلى، لم أفتحه. لكنها ستفعل ذلك قريباً، لقد قررت بالفعل، لقد تركت هذا.

وحمل الحارس دفتر الملاحظات الأزرق المخضر، ضغط على زر أحمر على الغلاف ولمعت أضواء صغيرة حول وجهه مبتسم.

الحارس:

- كيف حال السيد رولينز؟

- أفضل الآن، لم يعتقد أنني سأترك له نهاية سعيدة، أنا منزعة نوعاً ما.

- ربما يعتقد أنه لم يكن يستحق مثل هكذا نهاية.

- هل هذا ما تعتقده؟

سألت ميرابيل لكن الحارس لم يجبها.. وأكملت:

ميرابيل:

- ليس عليك أن تكون هنا كما تعلم، ليس بعد الآن!

- ولا أنت كذلك، ومع ذلك ها نحن أولاء معاً.

ابتسمت ميرابيل، ورفع الحارس يده وأمسك بخصلة طائشة من الشعر الوردى خلف أذنها وقربها منه ليبقيها دافئة ثم أخذ شفيتها بشفتيه.

داخل المبنى المبنى من الطوب، يُفتح باب على مرفأ جديد على «بحر بلا نجوم».

في السماء بعيداً في المدى... تراقب النجوم مبتهجةً ومسرورة.

شكر وتقدير

جزيل الشكر لأولئك الذين أبحروا معي في ذلك العالم، عالم «بحر بلا نجوم».

لريتشارد باين، الذي ما زلت أعتقد أنه ساحر، وإدارة «إنك ويل».

إلى جيني جاكسون، بيل توماس، تود دوتي، سوزان هيرز، ولورن ويبر، وللجميع في فريقي المذهل في دبلداي (بما في ذلك كاميرون أكرويد، ولجميع العصائر التي قدمت لنا بكلّ حبّ).

إلى إليزابيث فولي وريتشارد كابل ورفاقهم عبر البحر المغطى بالنجوم في هارفيل سيكر.

لكيم ليجيت لتواريخ الكتابة، سواء كانت افتراضية أو شخصية، في فندق «إيس» أو في الزوايا المنسية لمكتبة نيويورك العامة وللعديد من أكواب النبيذ. وإلى آدم سكوت على كل شيء، دائمًا.

إلى كريس باتي، مبتكر الشهر الوطني لكتابة الروايات، والذي كان من المفترض أن يذكر في إشارات السيرك الليلي أيضًا. أسفة لذلك، كريس.

إلى ليف جروسمان لأنه سمح لي بسرقة نحل ومفاتيح «بارك بيلز» وإلى جيه إل شنابل وهي عدّة قطع من المجوهرات موصوفة في هذا الكتاب، بما في ذلك عقد السيف الفضي، والمستوحاة من إبداعات خاصة بها.

إليزابيث باريال ومختبر بلاك فينكس، الذين وضعوا القصص في زجاجات. وبسببهم دائمًا ما أفكر في رائحة كل شيء عندما أكتب.

وإلى شركة بايوير؛ لأن هذا الكتاب وجد موطنه قدم له فقط بمجرد أن وقعت في غرام لعبة دراغون إيج: إنكوزيشن.

ملاحظة على تسمية الأشياء:

اقترضت اسم مدام لوف رولينز من مقبرة في سيلم بولاية ماساتشوستس. أي تشابه مع الشخص الفعلي هو من قبيل الصدفة. تم تسمية كات وسايمون على اسم (كات هوارد) و(سايمون توين) لأن كل واحد منهم أرسل لي بريدًا إلكترونيًا في أثناء بحثي عن أسماء الشخصيات.

(وجدت صديقة كات «بريتي» أن اسمها متشابه بطريقة مماثلة مع «بريتي تشيبير»). كما هو مذكور في النص، وتم تسمية إيلانور على اسم الشخصية من مسلسل ذا هانتينج أوف هيل هاوس. وكان زاكري ودوريان دائمًا زاكري ودوريان كما أردت دون تقاطعات مع أحد، على الرغم من أنني أوشكت على تغيير اسم دوريان عدة مرات. وتم تسمية ميرابيل، بالطبع، من قبل النحل!

T telegram @tea_sugar



يُعثر زاكري رولينز على كتاب غريب مُخبأ بين الأرفف في مكتبة الجامعة. يقلب الصفحات مأسوراً بما يحمله الكتاب من حكايات عن سجناء متيمين، ومُدن مفقودة، وأتباع مجهولي الهوية، وفجأة تقع عيناه على شيء مستحيل: قصة من طفولته. عازماً على حل لغز هذا الكتاب، يتتبع زاكري الأدلة الموجودة على غلافه - النحلة، والمفتاح، والسيف. فتقوده إلى حفل تنكري، ثم إلى ناد سري خطير، وعبر بوابة سرية تُفضي به أخيراً إلى متاهة تحت سطح الأرض. قصة حب خالدة تدور أحداثها في عالم سري تحت الأرض - عالم يحكمة القراصنة، والرسامون، والعشاق، والكاذبون، والسفن التي تمخر عباب بحر بلا نجوم.

T telegram @tea_sugar

الغلاف: عبد الرحمن الصواف



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb